التراث الفني الإسلامي في المغرب

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز صلاح سالم

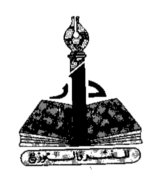
أستاذ الآثار والفنون الإسلامية بكلية الآثار جامعة القاهرة

الخبير الدولي في التراث الإسلامي

تقديم : الأستاذ الدكتور

عبد الحق المريني

مؤرخ المملكة المغربية





اسم الكتاب : التراث الفني الإسلامي في المغرب

المؤلف : الأستاذ الدكتور عبد العزيز صلاح سالم

دار نشر المعرفة

10، شارع الفضيلة، الحي الصناعي، يعقوب المنصور، الرباط - المغرب

الهاتف : 02 57 79 37 05 - 38/14 69 79 37 05 - الفاكس : 43 03 79 37 05

www.darnachralmaarifa.com / E-mail: dnmaarifa@gmail.com

الطبعة : 2015

رقم الإيداع القانوني : 2015 MO 0291

ردمك : 5 - 24 - 642 - 9954 - 978

المحتويات

تقديم

الأستاذ الدكتور عبدالحق المريني

مؤرخ المملكة المغربية

لا يختلف اثنان أن من أجمل الفنون المغربية هو فن الزخرفة البهي، الذي اتسم عبر تاريخه بعدة سمات، تختلف باختلاف عصوره وفنية مبدعيه وصناعه الماهرين.

وقد اعتبر النقاد الفنيون المتخصصون أن الزخرفة في العهد المرابطي اتسمت بالبساطة، وفي عهد الموحدين طبعت بطابع الورع تبعا لمذهبهم التوحيدي والإصلاحي. أما في العهد المريني فقد أخذت الزخرفة بعدا آخر، إذ صارت متحررة من أي تأثير ديني أو غيره، حيث ظهرت في معالم المرنيين العمرانية عدة زخارف بديعة: كزخرفة الهندسة المعمارية، وزخرفة النقش على الخشب والجبس والحجر والخزف والمعادن، وزخرفة النحت، وزخرفت التخطيط وما إلى ذلك.

وقد تطورت هذه الزخارف في العهدين السعدي والعلوي، وظهر هذا التطور جليا في المآثر العمرانية والمعلمات الفنية سواء تعلق الأمر بالعمارة الدينية كالمساجد والصوامع والزوايا، أو بالمدارس والأبواب العملاقة للمدن، والقصور السلطانية والأميرية، وأعوان الدولة الكبار والمترفين منهم.

وقد تتنوع الزخارف حسب الدارسين لها كالآتي :

ـ الزخارف الهندسية كالمستخدمة على مختلف العمائر وواجهات المدارس والمساجد وأبواب المدن والقصور ....

ـ الزخارف المنقوشة على الحجر والخشب والرخام ومادة الزليج والجبس والمعادن، والمثبتة على مختلف المنسوجات الثوبية والزرابي والسجادات.

ـ الزخارف النباتية كسعف النخيل.

- الزخارف الكتابية المخططة على ورق المخطوطات والمصاحف واللوحات المزركشة بالألوان الساطعة الخاصة «بالحدقات»، وعلى أبواب القصور والمساجد والمدن، أو المنقوشة على الجبس والخشب والرخام والنحاس، وتكون هذه الخطوط بالخط الكوفي أو خط «الثلث». وتتضمن هذه الكتابات - التي ابتكر لها خطاطوها أشكالا بديعة وطعموها بالزخرفة النباتية - الآيات القرآنية: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، و﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، أو الدعوات الدينية كـ : «**اللهم يسر ولا تعسر**» أو الأبيات الشعرية كقول «الإمام البوصيري» في بردته :

§هذا، وقد اعتنى على الخصوص بالفنون المغربية الجميلة ومن بينها الزخرفة البديعة، وكتبوا عنها البحوث والمؤلفات المستشرقون الاسبانيون والفرنسيون خاصة، ونخص بالذكر من الفرنسيين «جورج مارسي »، «Marçais G., L'architecture musulmane d'Occident, 1954»، (العمارة الإسلامية الغربية)، و«جون هينو - وهنري تراس، في كتابهما : «Hainaut Jean»، و «Henri Terrasse.» في كتابهما : «Les arts décoratifs du Maroc»، (الفنون الزخرفية بالمغرب)، وغيرهم كثير.

كما اهتم بموضوع الزخرفة المغربية باحثون مغاربة يتقدمهم الدكتور «محمد السلجماسي» مؤلف كتاب : «Les arts traditionnels marocains (2002)»، (الفنون التقليدية المغربية)، كما اعتنى بها المستشرقون المهتمون بالعمارة المشرقية والمغربية مثل الدكتور « عثمان عثمان اسماعيل» المتخصص المصري في الأبحاث التاريخية والأثرية، وصاحب كتاب «العمارة والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى» في خمسة أجزاء (1993). والدكتور «عبدالعزيز صلاح سالم»، الخبير المصري في الآثار والحضارة والفنون الإسلامية، الذي يسعدني أن أقدم للقراء الكرام والمهتمين بالفنون المغربية والباحثين فيها مؤلفه القيم الجديد : «التراث الفني الإسلامي في المغرب».

تعتبر هذه الدراسة الأكاديمية في موضوع خصائص الفنون الزخرفية بالمغرب فريدة في نوعها، غنية في مجالها، جامعة لتحاليل عناصرها، وتعداد أساليبها وأشكالها ونقوشها وزخارفها الفنية، ومحيطة بمختلف مواد تطبيقاتها من حجر وجبس وفخار وخزف وزليج وخشب، ومعادن ذهبية وفضية ونحاسية، وجلود، وكذا بنصوص كتابية مخططة نثرية وشعرية، وبفن الطرز على الأثوبة.

ولم يفت المؤلف أن يصنف هذه الفنون الزخرفية وفق عصورها التاريخية من الدولة الإدريسية إلى الدولة العلوية، ويثبت ببليوغرافية مرجعية عربية وأجنبية، جامعة لما كتب عن الزخرفة المغربية الأصيلة مما سيسهل على الباحثين المدققين، والفنانين الماهرين، وكافة المهتمين بالاطلاع على

المسيرة التاريخية للزخرفة المغربية بجميع أصنافها وتنوعاتها - المتسمة بطابع الروعة والإبداع، وعنصر الخلق والابتكار، وكذا على مدى تأثرها بالتأثيرات الخارجية الأندلسية منها والمشرقية، وعلى انفرادها أخيرا بالطابع المغربي الأصيل، كما هي شاهدة على ذلك المتاحف المغربية والعالمية.

ولا يسعني، إلا أن أهنئ تهنئة حارة الأستاذ المؤلف الخبير في التراث الفني الإسلامي الدكتور «عبد العزيز صلاح سالم» على هذا الإنجاز المتميز في بابه، داعيا له بالتوفيق والرشاد في عطاآته الفنية المقبلة.

وما ذلك على همته بعزيز.

د. عبد الحق المريني



تصدير

الأستاذ الدكتور محمد حمزة إسماعيل الحداد

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية،

وعميد كلية الآثار، جامعة القاهرة

الفن هو لسان الحياة، والدليل الناطق عليها، فأينما وجد الإنسان على سطح الأرض، وجد الفن معه، فمثلا كان الإنسان البدائي في عصور ما قبل التاريخ المكتوب، يزين جدران كهوفه وسطوح أوانيه، وأدوات حياته اليومية، بزخارف تتكون من خطوط محفورة أو مرسومة بالألوان المختلفة، رغم شظف العيش، وخشونة الحياة، وهكذا نشأت الفنون منذ أقدم العصور، وكأن تلك الأعمال التي تبدو لنا بدائية في مظهرها، كانت نبراسا صارت عليه الأجيال، فما من شعب، وما من أرض، إلا ونبت فيها فن من الفنون بشكل من الأشكال، والفن في أي مكان وليد البيئة، ربيب الطبيعة، وما من فن، إلا وقد استوحى مقوماته من عادات الشعوب وتقاليدها، واستلهم خصائصه من ظواهر البلد الطبيعية والجغرافية، واستمد أصوله من ظروف الحياة، ولونها وتشكلت مميزاته تبعا لموقع دياره، وتراثها الموروث، وللفنون صنوف، ولها مظاهر متنوعة، وكما رأينا، فقد بدأت أول الأمر، لتسد حاجة الإنسان في حياته المعيشية، ثم تطورت لتؤدى دورها في تربية الذوق السليم، وإشاعة البهجة في النفوس إلى أن أصبحت ضروبًا من التعبير الروحي، والوجداني، والعقلي لتنظيم العلاقة بين الناس بما يكفل الكمال، والانسجام بينهم.

ومن هنا، تأتي أهمية كتاب التراث الفني الإسلامي في المغرب، وقيمته العلمية، وبخاصة في سد ثغرة كبيرة في مجال دراسة الفنون الزخرفية الإسلامية بصفة عامة، والفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى على وجه الخصوص، والذي قام بتأليفه الأستاذ الدكتور: عبد العزيز صلاح سالم، أستاذ الآثار والفنون الإسلامية، بكلية الآثار، جامعة القاهرة، وخبير التراث الإسلامي بالإيسيسكو، ومما يزيد من أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية، أن مؤلفه كان مقيماً بالمغرب لفترة طويلة، استطاع خلالها الاطلاع على ما تحتفظ به المملكة المغربية الشقيقة من كنوز التراث الفني الإسلامي، على أراضيها سواء في العمائر الأثرية نفسها أو في المتاحف، والمجموعات الخاصة، علاوة على تلك الروائع المغربية والأندلسية المحفوظة في المتاحف العربية والإسلامية، بل والعالمية الأخرى،

وقد قسم المؤلف هذا الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول تناول في المقدمة: أهمية الموضوع ومنهج الدراسة، والإطار التاريخي والجغرافي لموضوع الكتاب .

ويتناول الفصل الأول: التراث الفني الإسلامي من الفتح العربي إلى نهاية عهد المرابطين، والفصل الثاني يتناول: التراث الفني الإسلامي في عهد الموحدين، ويتناول الفصل الثالث: التراث الفني الإسلامي في عهد بني المرينيين، والوطاسين، كما يتناول الفصل الرابع: التراث الفني الإسلامي في عهد السعديين، أما الفصل الخامس، والأخير: فقد أفرده لدراسة النقوش الكتابية، والزخرفية، والمراكز الصناعية، ودو ضرب السكة، والصناع، والتأثيرات الفنية المتبادلة، ويلي ذلك قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية ثم اللوحات.

والحق أن هذا الكتاب يُعدُّ من الإسهامات المحمودة، والإضافات الجديدة في مجال دراسة الفنون الزخرفية الإسلامية عامةً، والفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى خاصةً، وقد اتبع المؤلف في كتابة فصوله المنهج العلمي السليم، ورجع إلى المصادر الأصيلة؛ فضلاً عن المراجع العربية والأجنبية، وبذل جهداً كبيراً يُحسب له في سبيل جمع المادة العلمية، وتبويبها، وترتيبها وتصنيفها، وإخراجها على هذا النحو المتميز مما يُعد إسهاماً جديداً وإضافة تُحسب له في مجال الدراسات الأثرية والفنية.

الأستاذ الدكتور

محمد حمزة إسماعيل الحداد

تمهيد

- أهمية الموضوع
- منهج الدراسة



أهمية الموضوع

تُعَدُّ دراسة «**التراث الفني الإسلامي في المغرب**»، والتي تتناول الفترة من الفتح العربي إلى نهاية العصر السعدي، من الدراسات المهمة حيث تسهم في كشف العديد من الجوانب الأثرية والفنية المرتبطة بخصائص الفنون المغربية التي لا يزال يكتنفها نوعاً من الغموض، فعلى الرغم من أهمية الفن الإسلامي، وقيمته الفريدة بالنسبة لتأريخ مواد الفنون في المغرب الأقصى، إلا أنها لم تلق العناية والاهتمام اللازمين من قبل الباحثين والمتخصصين في هذا المجال، الذين عزفوا عن دراستها، لما تتسم به هذه الموضوعات من صعوبة في تتبع عناصرها الفنية، وذلك بسبب تناثر مواده المختلفة بين العمائر الإسلامية المغربية والمتاحف الوطنية والدولية، بالإضافة إلى أن عدم متابعة أعمال الصيانة والحفظ بشكل دوري وعمليات الترميم الخاطئة المتتالية التي أجريت على بعض المواد الفنية ونقوشها الكتابية والزخرفية المتنوعة أحدثت تغييرات جمة يصعب معها تتبع وفحص ودراسة خصائصها الصناعية وسماتها الفنية بشكل أثري دقيق.

ولذا تكمُن أهمية دراسة مواد الفنون الزخرفية بالمغرب من الفتح العربي إلى نهاية العصر السعدي، والمحفوظة في المتاحف المغربية والعربية والعالمية، وأيضا التحف الفنية التي تزين العمارة الإسلامية في المغرب الأقصى وتحليل عناصرها الزخرفية وبيان تنوع موادها، وتعدد أساليب زخرفتها في المواد المختلفة من الأحجار والجص، والمعادن، والأخشاب، والفخار والخزف، وغيرها، وتصنيفها وفق تسلسلها التاريخي، وأسلوبها الفني، ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً، مما يساعد الدارسين والمتخصصين والباحثين في تأريخ التحف الأثرية التي لا تحمل تاريخ ومكان الصناعة.

كما تقوم الدراسة بتحليل النقوش الكتابية التسجيلية على مواد الفنون الزخرفية بالمغرب الأقصى، وتوضيح مدلولاتها التاريخية والأثرية، وتتبع الأسماء والألقاب الواردة عليها، وتفسير بعض القضايا المتعلقة بهذه النقوش الكتابية، وإلقاء الضوء على التأثيرات المتبادلة على مواد الفنون الزخرفية المغربية من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر السعدي، سواء الواردة من المشرق الإسلامي أو من بلاد الأندلس، وبيان أثرها في تطور أساليب صناعة التحف الفنية في المغرب الأقصى، والتعرف على أهم المراكز الصناعية لمواد الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، وأشهر الصناع، وإضافة أسماء صناع مغاربة برعوا في صناعة مواد الفنون الزخرفية الإسلامية إلى قوائم الصناع في العالم الإسلامي، وما يمثله ذلك من إضافة جديدة تساهم بشكل فعال في

معالجة العديد من الحوادث التاريخية والقضايا السياسة، والاجتماعية التي تطرحها التحف الفنية في المغرب الأقصى، مع مقارنة ما تثيره من إشكاليات بما ورد في كتابات المصادر التاريخية، وإضافة دراسة نقدية لأهم الكتابات العربية والأجنبية التي تطرقت إلى هذا الموضوع.

وآمل أن يكون هذا العمل لبنة صغيرة في مجال الدراسات الأثرية الفنية المتخصصة في التراث الفني الزخرفي الإسلامي في المغرب، خاصة وأنني قمت بإعداده بعد مرور سنوات عديدة قضيتها في المملكة المغربية، حيث عملت خبيراً في الآثار في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو، تمكنت خلالها من دراسة مواد الفنون الإسلامية المغربية، والتعرف على حلقات تطورها عبر العصور الإسلامية، وأفدت من المكتبة المغربية، ومن بعض المكتبات الأوربية، مما أثرى الدراسة وأسهم في خروجها بالشكل اللائق بمكانة التراث الإسلامي المغربي العريق.

ونبدأ هذه الدراسة بفحص كتابات المصادر التاريخية، والدراسات الحديثة العربية والأجنبية التي تطرقت إلى هذا الموضوع سواء من قريب أو بعيد، وذلك للوقوف على ما توصل إليه الباحثون من معلومات ونتائج في هذا المجال، آملاً أن يهتدي بهذه القوائم الباحثون من بعدي في دراسة مواد الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، ويمكن توضيحها كالتالي :

أولا: المصادر التاريخية والدراسات العربية الحديثة

استفادت الدراسة من كتابات المؤرخين والرحالة الذين أشاروا ضمن رواياتهم التاريخية، وسيرهم الذاتية، وتراجمهم للأعلام إلى الآثار بشكل عام، وإلى التراث الفني الزخرفي بالمغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر السعدي، على وجه الخصوص، ويمكن عرضها كالتالي :

كتاب المؤرخ «**ابن صاحب الصلاة**»، (عبدالملك بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الباجي والمعروف بابن صاحب الصلاة) المعنون بـ : « **(تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثيين)، تحقيق عبدالهادي التازي، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة كتب التراث، 68، العراق، 1979**م، الذي يعتبر من أثمن الوثائق التاريخية التي تناولت الدولة الموحدية بالمغرب وأفريقية والأندلس، فهو إلى جانب ما تضمنه من حقائق تاريخية مهمة، تناول أيضا جوانب من الآثار المعمارية والحضارية وبعض مواد الفن الإسلامي، كما احتوى على تراث مميز من الأدب العربي المرتبط بالتراث الحضاري.

واستفادت الدراسة من كتاب المؤرخ «ابن عذاري المراكشي»، **(البيان المغُرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب)، في القسم الثالث المتعلق بتاريخ الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ط.1 1985**م، حيث ترجم

للخلفاء الثلاثة الأوائل للدولة الموحدية، وأورد معلومات أثرية مهمة حول الآثار والتراث الإسلامي في تلك الحقبة.

كما استفادت الدراسة مما أورده المؤرخ «المراكشي « (أبو محمد عبدالواحد بن علي)، المتوفى في سنة 647هـ/ 1250م، **في كتابه : (المُعجب في تلخيص أخبار المغرب)، شرحه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006م**، والذي يعتبر من المصنفات النفيسة التي عُنيت بأخبار بلاد المغرب، وَسير ملوكها وأمرائها ودويلاتها، وقد ألفه المراكشي استجابة لطلب أحد الأعيان الرؤساء، بدءاً من ملوك المصامدة بني عبد المؤمن بن علي إلى حدود سنة 621هـ/1225م.

ويشتمل كتاب : (المُعجب في تلخيص أخبار المغرب) على معلومات كثيرة، بدأها المؤلف بالحديث عن جزيرة الاندلس وحدودها ومدنها وقراها، ثم انتقل إلى أحداث فتحها وسير ملوكها، وتوسع بذكر أخبار الاندلس بعد انتهاء الحكم الأموي، وذكر معلومات عن بعض العمائر الإسلامية في المغرب الأقصى وما تشتمل عليه من مواد الفن الإسلامي من المنابر الخشبية، والثريات، والنقوش الكتابية والزخرفية التي تضيف معلومات قيمة حول اهتمام الملوك والسلاطين بالعمائر وبمواد الفنون الإسلامية».

وتعدُّ الإشارات التي أوردها المؤرخ « ابن أبي زرع الفاسي» **(أبو محمد صالح بن عبد الحليم)** في كتابه : **(الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس)، راجعه، عبدالوهاب بنمنصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م**، الذي كتبه في سنة (726 هـ/ 1326م)، في الربع الأول من القرن الرابع عشر، وخصصه لتاريخ المغرب بصفة عامة، وتاريخ فاس بصفة خاصة، يخبرنا فيه من خلال تعداده لمنجزات المنصور الحضارية والمعمارية واهتمامه بضرب النقود ومواد التراث الإسلامي في المغرب الأقصى بصفة عامة وفي العهدين الموحدي والمريني على وجه الخصوص، ومنها: الثريات في جامع القرويين، كما وردت بعض الإشارات حول النواقيس التي حولها المسلمون إلى ثريات، وتم وضعها في العمائر الإسلامية في المغرب الأقصى.

وأورد المؤرخ «علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي»، في كتابه **«الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية»، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م**، معلومات قيمة عن بعض المعالم الحضارية في المغرب الأقصى، بالإضافة إلى الإشارات حول مواد التراث الإسلامي المغربي مثل : الثريا الكبرى التي تم تعليقها في جامع فاس الجديد، يوم السبت السابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة تسع وسبعين وستمائة، وذكر بيانات قيمة حول وزنها وعدد كؤوسها، واسم صانعها.

وقد استفادت الدراسة مما أورده المؤرخ الأندلسي الوزير لسان الدين بن الخطيب السلماني : (713 ـ 776 هـ) في كتاب : **(معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار)، تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة، تحت إشراف اللجنة المشتركة للتراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1976م**، الذي يعتبر من أطرف كتب المؤلف الشهيرة، فقد صاغه على هيئة مقامة أدبية ذات منهاج وأسلوب فني انفرد به «لسان الدين» روعة وإبداعا، مستهدفا أهم المدن الأندلسية والمغربية جغرافيا واجتماعيا، كما رآها وعاصرها في منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، وقد تحدث عن عمائر وفنون المدن المغربية الشهيرة وما تشتمل عليه من نقوش وزخارف فريدة.

واستفادت الدراسة من المعلومات القيمة التي وردت عن السلطان أبي الحسن المريني، وأهم المظاهر الحضارية في عهده، ومدنا بمعلومات عديدة حول التراث الفني الزخرفي في تلك الفترة، وذكر مصحف سيدنا عثمان بن عفان (كرم الله وجهه)، منذ نقله من قرطبة إلى مراكش في عهد عبدالمؤمن بن علي، وحتى فقده في البحر أواخر عهد السلطان أبي الحسن المريني، ومعلومات أخرى ذكرها: أبي عبدالله بن مرزوق الخطيب التلمساني، (ت عام 781هـ/ 1379م)، في كتاب **(المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن)، الذي قام بتحقيقه ماريا خيوس بيغرا، ونشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بالجزائر عام 1981م**، وهو من المصادر المهمة، لأنه كان شاهد عيان على تلك الفترة، حيث التحق بخدمة السلطان أبي الحسن المريني، وترجم له ولعصره، وأمدنا بمعلومات قيمة حول المظاهر الحضارية في عهده.

واستفادت الدراسة من الإشارات التي وردت في كتب الرحالة والجغرافيين التي أمدتنا بالكثير من المعلومات والأخبار عن بعض الآثار المعمارية ومواد التراث الإسلامي في المدن المغربية، فقد أورد الرحالة المغربي « ابن بطوطة» في أواسط القرن الرابع عشر في رحلته الشهيرة المعروفة بكتاب « رحلة ابن بطوطة» المسماة : **(رحلة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار)، أطلعت على الطبعة الأولى، المطبوعة بالمطبعة الخيرية لصاحبها عمر حسين الخشاب، سنة 1322هـ**«وافادت الدراسة من الإشارات الواردة حول المدن المغربية ومعالمها الحضارية الشهيرة وأبرز فنونها الزخرفية.

وذكر الرحالة «الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بـ: ليون الإفريقي، (ت957هـ/1505م)، في كتابه : **(وصف أفريقيا)، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، بيروت، 1983م**، معلومات أثرية مفيدة حول بناء المدن المغربية وأشهر معالمها الحضارية والفنية. ويفيدنا هذا المصدر في استكمال المعلومات عن الحضارة الإسلامية في المدن المغربية إبان العهد الوطاسي، حيث يعتبر «الوزان» المؤلف الوحيد الذي عاصر نهاية دولة بني وطاس وبداية الدولة السعدية.

ويأتي كتاب (مارمول كربخال ق : 10هـ/16م)، بعد كتاب «الوزان» في الأهمية، حيث أتم «مارمول» كتابه بعد سنة 979هـ/ 1571م، بعد أن وقف على كتاب «الحسن الوزان» السابق الإشارة إليه، واستفاد منه، ونسج على منواله، ويبقى كتاب «مارمول» : **(إفريقيا)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989م،** على درجة كبيرة من الأهمية في وصف جغرافية المدن المغربية وتاريخها، وأهم معالمها المعمارية والحضارية والفنية.

كما أشار أبي بكر بن علي الصنهاجي المُكنى بالبيدق، في كتابه : **(أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين)، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 2004م،** بعض الإشارات عن المدن المغربية ضمن الحديث عن رحلة المهدي بن تومرت في ربوع المغرب الأقصى.

وتُعدَ الإشارات التي أوردها المؤرخ «علي الجزنائي»، في كتابه «**جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس»، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية بالرباط، الطبعة الثانية، 1991م،** من المعلومات النادرة التي وردت عن مواد الفن الإسلامي في المغرب الأقصى بصفة عامة، وعن الثريات والمحاريب والمقصورات الخشبية، وغيرها من مواد التراث الإسلامي، منها على سبيل المثال، وليس الحصر: الحديث عن الثريا الكبري بجامع القرويين، والناقوس الكبير المعلق بالبلاطة الوسطى المقابلة لباب الكتبيين بجامع القرويين بفاس، والتي لا غنى للباحثين من الاستفادة منها والاعتماد عليها عند دراستهم لأدوات الإضاءة في جامع القرويين.

وبعد مرور ما يقرب من عشر سنوات من صدور هذه الطبعة، ظهرت دراسة أخرى حول هذا الكتاب عن مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة، 2001، تضمنت تحقيقاً وتعليقاً من السيدة مديحة الشرقاوي، إلا أن هذه الطبعة لم تضف معلومات جديدة عن نسخة المطبعة الملكية بالرباط.

وكان «علي الجزنائي»، من عدول فاس في القرن الثامن الهجري، وتولى بعض الخطط الدينية إما بالمساجد أو بنظارات الأحباس، وعاصر الجزنائي نكبة السلطان أبي الحسن المريني بالقيروان، حينما غرق أسطوله أمام ساحل بجاية، والملاحظ أن آخر سنة ذكرها في كتابه هي سنة 766هـ، مما يرجح تأريخ الكتاب في هذا التاريخ. ولذلك جاء وصفه لجامع القرويين والثريات المعلقة فيه وصفاً دقيقاً، وقد استفاد من هذا الكتاب معظم من كتبوا من بعده عن مدينة فاس بصفة عامة، وجامع القرويين والأندلسيين بمدينة فاس على وجه الخصوص.

وأشار المؤرخ «ابن القاضي» الفقيه أحمد بن محمد ابن أبي العافية المكناسي ثم الفاسي، في مؤلفه **«كتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس»، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، القسم الأول، 1973م،** إلى بعض معالم الحضارة الإسلامية في فاس، وما تحتويه

من تحف فنية مثل : الثريا الكبرى بجامع القرويين،كما أشار إلى أنه كان بموضعها قبل عملها ثريا مثلها في الوزن، فتكسرت وصنعت هذه الثريا في أيام الفقيه الخطيب عبدالله بن موسى المعلم، ووضح مقدار الإنفاق عليها ووزنها، وقياسها، وعدد قناديلها. كما ذكر الناقوس الكبير المعلق بالبلاط الأوسط المقابل للباب الكبير، وذكر أنه جلب من جبل الفتح من بر الأندلس حين أفتتحه عبد الواحد بن أبي الحسن المريني.

والمعروف أن «ابن القاضي» ولد في مكناس عام 960هـ، وتوفى بفاس عام 1025هـ، وهو صاحب المؤلفات العديدة في الفقه، والحساب، والهندسة، والتاريخ، وغيرها من العلوم، والفنون، وألف كتاب الجذوة للسلطان أحمد بن محمد الشيخ المهدي، الشهير بالمنصور الذهبي، وقد طبع الكتاب طبعة قديمة بفاس عام 1309هـ في 358 صفحة، بعناية الأديب السيد محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي، ثم طبعته دار المنصور للطباعة والوراقة، سنة 1973م في مجلدين.

وقد تناول المؤرخ «السلاوي، أحمد بن خالد الناصري»، **في كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق، أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية، 2001،** (سبعة أجزاء)، والذي يُعد من أشمل الكتب التي تعرضت إلى تاريخ المغرب الأقصى بالطريقة التقليدية المعروفة بطريقة الحوليات أي ذكر الحوادث متتالية بحسب توالي السنين، وقد استفادت الدراسة من هذا الكتاب وبخاصة في الأجزاء التي تعرضت إلى شرح معالم الحضارة والفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، بالإضافة إلى الاستفادة من سرد الحوادث التاريخية للخلفاء والسلاطين الذين حكموا المغرب في العصور الإسلامية، وما تشتمل عليه من الإشارات عن التحف الفنية، مثل المعلومات التي أوردها في حوادث سنة تسع وسبعين وستمائة عن تعليق الثريا بجامع فاس الجديد، وغيرها من التحف الفنية لسلاطين وملوك المغرب الأقصى.

واستفادت الدراسة من الكتابات الثرية للمؤرخ **ابن خلدون، (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي، (ت : 808هـ/1405م)، مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر وما عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة البهية المصرية بالأزهر، مصر، بدون تاريخ. وكتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، وهو القسم الآخر من التاريخ الكبير المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج 1، راجعه وصححه، البارون دسلان، طبع في دار طباعة الدولة في المغرب، سنة 1851م.** وهما من المصادر المهمة لاحتوائهما على معلومات دقيقة عن تاريخ المغرب الأقصى، بصفة عامة، والدولة المرينية بصفة خاصة، حيث عاصر ابن خلدون هذه الدولة وتحدث عن أحداثها ووقائعها، ووفر لنا معلومات قيمة عن ملوك وسلاطين الدولة المرينية وأصولهم وبيئتهم الخاصة، كما تحدث عن الجوانب الاقتصادية بشكل دقيق.

كما استفادت الدراسة من المؤرخ **أبي الوليد بن الأحمر**، (**المتوفى : 810هـ/1407م**)، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، **تحقيق عبدالوهاب بن منصور**، **1991م**. في التعرف على نسب سلاطين بني مرين، وأخبار الإدارة والقضاة والكتاب في الدولة المرينية.

واستفادت الدراسة من المعلومات الواردة عند مؤلف **أندلسي مجهول**، **في كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، **تحقيق سهيل ذكار، وعبدالقادر زمامة**، **دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء**، **1979م**. ويعتبركتاب الحلل الموشية من أهم المصادر التي تحدثت عن نسب بني مرين ونهاية الدولة الموحدية، وتتبع المؤلف الصراع بين الموحدين وبني مرين حتى استقرارهم في حكم المغرب الأقصى، كما أورد معلومات مهمة عن بعض مواد الفنون الزخرفية الإسلامية مثل منبر جامع الكتبية بمراكش ومقصورته العجيبة.

واستفادت الدراسة من كتاب المؤرخ محمد بن على الدكالي السلاوي، (المتوفى في السابع من جمادي الأولى عام 1364هـ/ 18 مايو 1945م) ، المعنون بـ : (**الإتحاف الوجيز: تاريخ العدوتين**)، **تحقيق مصطفى بو شعراء**، **منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، المغرب**، **1986**، (**ط 2**، **مطبعة المعارف الجديدة 1996م**)، الذي يعتبر الحلقة المفقودة في تاريخ العدوتين سلا ورباط الفتح، وقد انتهج المؤلف فيه منهاج من سبقوه في كتابة التراجم والتاريخ، حيث تناول في هذا الكتاب تاريخ العدوتين سلا ورباط الفتح، وترجم لأهم الأعلام بالمدينتين، حيث تناول بالحديث في الفصل الأول مدينتي سلا ورباط الفتح وأهم المعالم الحضارية والمعمارية، وأشهر العناصر الزخرفية والنقوش الكتابية، كما تناول بالحديث عن شالة وتطورها العمراني، وأحوال العدوتين سلا والرباط في العلوم والحضارة والتجارة والعمران.

واستفادت الدراسة مما أورده «الناصري»، جعفر بن أحمد، في كتابه : (**سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية**)، **تحقيق أحمد بن جعفر الناصري**، (**ستة أجزاء**)، **مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009م**. وتكُمن أهمية هذا الكتاب في إزاحة النقاب عن حقبة مهمة منسية من تاريخ المغرب الأقصى، وهي حقبة الجهاد البحري، التي أعقبت أفول نجم الإسلام عن بلاد الأندلس وطرد سكانها المسلمين من ربوعها في ظروف مأساوية، وقد تضمن القسم الأول (الجزآن : الأول والثاني)، تاريخ العدوتين سلا ورباط الفتح منذ نشأتهما إلى العصر العلوي، حيث ذكر نشأة العمران في عهد كل دولة، وما خلفته تلك الدول من الآثار الباقية، ووصف الأبنية الأثرية الباقية مثل الأسوار والأبراج والحصون والأبواب والمساجد والمعاهد والمدارس والزوايا وغيرها. وأسهب في الحديث عن مدينة رباط الفتح وازدهار حضارتها، موضحا أسباب تأسيسها لتكون صلة بين مدن المغرب

الشمالية والجنوبية، ومجتمعاً للجيوش المرابطة فيه، كما تناول بالحديث شالة ومسجد حسان وقصبة الأوداية وأهم زخارفها ونقوشها الفنية.

وقد استفادت الدراسة من كتابات الأستاذ المرحوم عبدالله الجراري، وبخاصة من بعض من الدراسات العلمية القيمة التي نشرها في مجلة دعوة الحق، مثل : **قصبة الرباط في مراحل التاريخ، دعوة الحق، عدد 37 لسنة 1964م، ورباط الفتح، مجلة دعوة الحق، العدد 77، لسنة 1965م، والأوقاف الإسلامية ونظامها بالمغرب في عهد الدولة العلوية، مجلة دعوة الحق، العدد الثالث السنة التاسعة، رمضان 1385هـ/ يناير 1966م.**

كما استفادت الدراسة من الكتابات العلمية القيمة التي دونها العالم الجليل الدكتور عباس الجراري، وأخص بالذكر كتابه : **(أضواء على الرباط)، المدينة والجهة،** ج 1، **منشورات النادي الجراري، 21، الرباط، 2002م**، وقد استفادت الدراسة من هذا الكتاب القيم، وكذا من العديد المقالات العلمية القيمة المنشورة في أعمال الندوات العلمية المثبتة في قائمة المراجع.

واستفادت الدراسة من كتاب الأستاذ عبد الإله الفاسي، بعنوان : مدينة **الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (1830 - 1912م)، منشورات جمعية رباط الفتح، مطابع الأطلس، الرباط، 1982م**، والذي تناول بالحديث عن مدينة الرباط تاريخيا وجغرافيا، واستعرض وظائف المدينة الإستراتيجية والعسكرية والاقتصادية، والتجارية وغيرها، قبل الحديث بالتفصيل عن أصناف سكان مدينة الرباط، وأعيانها خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

واستفادت الدراسة من بحوث أعمال الندوة التي خُصصت للذكرى الألفية للمسجد الأعظم بسلا، في الفترة من 28 يونيو إلى 1 يوليوز 1999م، والتي تضمنت أبحاث علمية قيمة عن الخصائص الأثرية والمعمارية للمسجد الأعظم في سلا، وبعض مظاهر التبادل العلمي والأدبي، قدمها بعض العلماء أمثال : الدكتور عباس الجراري، والدكتورة جودية حصار، والدكتور محمد حجي، والدكتور أحمد توفيق، والأستاذ الصغير مبروك، وغيرهم، وقد طبعت بحوث هذه الندوة في كتاب تحت عنوان : **الذكرى الألفية للمسجد الأعظم بسلا، منشورات جمعية أبي رقراق للتنمية المستدامة بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بمطبعة الكرامة بالرباط، 2004م.**

ومن الدراسات المتعمقة التي أفدت منها في إعداد هذه الدراسة ما قدمه، الدكتور عبد الهادي التازي، حول جامع القرويين بفاس، في كتابه القيم : **جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، الذي صدر عن دار الكتاب اللبناني، عام 1972م**، (ثلاثة أجزاء)، أورد معلومات قيمة عن الفنون الزخرفية والتحف الفنية المحفوظة في الجامع، وسرد في ثنايا الجزء الأول معلومات حول إنارة جامع القرويين، وشرح الثريا الكبرى وما تحتويه من نقوش وكتابات، وتعرض بإيجاز

للثريا الصغرى أو ناقوس كنيسة وبذة، مستفيدا بما ذكره «H. Terrasse»، بالإضافة إلى التحف الخشبية والجصية بالجامع، كما أفرد في الجزء الثاني الحديث عن الثريات والنواقيس التي تحمل كتابات لاتينية قديمة، وذكر في الجزء الثالث المعلومات الخاصة بالثريات ووسائل الإنارة في جامع القرويين في عهد الدولة العلوية.

كما وضع الدكتور التازي، دراسة قيمة بعنوان : **الحروف المنقوشة بجامع القرويين، فصلة من مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد 14، 1960**، قدم فيها دراسة دقيقة عن النصوص التأسيسية الواردة بجامع القرويين مع تحليل النقوش الكتابية الواردة على ثريات هذا الجامع، وتعتبر هذه الدراسة من الدراسات الأولى التي عالجت النقوش والكتابات بجامع القرويين. واستفادت الدراسة من بحثه القيم المعنون بـ : **الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، وهو من منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983م**، كما استفادت الدراسة من هذا البحث في تفسير التاريخ المنقوش بالخط الفاسي على الدائرة السفلية من الثريا الكبرى بجامع القرويين، والذي يؤرخ لعام 1120هـ.

ومن مؤرخي المملكة المغربية الذين تميزوا في مجال الكتابات الأثرية المتعمقة السيد محمد المنوني، الذي كتب العديد من المؤلفات القيمة في هذا المجال، وقد استفادت الدراسة من كتابين من مؤلفاته، هما : **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ، 6، الرباط، 1977م، وكتاب ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1996**، حيث أفرد في الكتاب الأول فصول متنوعة حول العلوم والآداب والفنون خلال العصر الموحدي، أوضح فيه الفنون والصناعات المنتشرة خلال عهد الموحدين، وأهم الصناعات التي ازدهرت في تلك الفترة، وتناول في الكتاب الثاني الحضارة المرينية وفنونها المختلفة، والتي لاغني للباحثين عن الإطلاع علي الكتابين، كما استفادت الدراسة من بعض الابحاث العلمية لهذا العالم الجليل الموضحة في ثبت المراجع.

ويعتبر عبدالعزيز بنعبدالله، من العلماء الذين كتبوا بإسهاب حول الحضارة المغربية بصفة عامة، ومن مؤلفاته القيمة التي اعتمدت عليها، كتاب بعنوان : «**فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، صدر في عام 2001م، (جزآن)**»، وتناول في الجزء الأول منهما المعالم الحضارية والفنون الإسلامية التي تطورت في مدينة فاس، وتطرق إلى الحديث عن نواقيس الأندلس المعلقة في جامع القرويين. كما استفادت الدراسة من هذا الكتاب في المعلومات الخاصة عن مدينة فاس كأهم مركز من المراكز الصناعية في المغرب الأقصى خلال العصور الإسلامية.

كما كتب المؤرخ عبدالعزيز بنعبدالله، دراسات عديدة حول الحضارة الإسلامية في المغرب الأقصى، وأهم معالمها المعمارية والفنية، وقد استفادت هذه الدراسة من كتاباته القيمة مثل :

(سلا أولي حاضرتي أبي رقراق)، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، المغرب، 1989، و(رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة)، بإشراف عبدالكريم بناني ومصطفى الجوهري، منشورات جمعية رباط الفتح، 1990م، وموسوعة الرباط، ج 1، منشورات جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة، مطبعة بني يزناسن، سلا 2008، بالإضافة إلي عدد من بحوثه القيمة التي اعتمدت عليها وبخاصة في مجال العمارة والفنون الإسلامية في المغرب الأقصى مثل: **(الأثر الإسلامي في الفن المغربي)، مجلة الرسالة الخالدة، 1963م، و(الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال)، مجلة اللسان العربي، العدد 1، 1972، و(المغرب الأقصى يحتضن التراث الأندلسي)، مجلة التاريخ العربي، العدد 12، خريف، 1999م، و(ثلاثة قرون بين الشام والمغرب عبر الأندلس)، مجلة التاريخ العربي، العدد 14، ربيع 2000م.**

واستفادت الدراسة، من بحث الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش، بعنوان : **المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من عطاءات الحضارة الأندلسية، بحث منشور بندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، 1996م**، وبخاصة في مناقشة مسألة التسامح والتعايش بين المسلمين والنصارى داخل المجتمع الأندلسي، ولتفنيد المزاعم التي تحيط بالدولة الإسلامية في المغرب الأقصى حول اضطهادهم نصارى الأندلس من خلال النصوص والوثائق، وبيان المكانة الاجتماعية المحترمة التي احتلها النصارى داخل المجتمع الإسلامي.

ويعتبر كتاب الباحث المصري الدكتور عثمان عثمان إسماعيل، **تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، 5 أجزاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1992م . 1993م**، موسوعة عامة تتناول تاريخ العمارة والفنون الإسلامية في المغرب الأقصى.واستفادت الدراسة من هذا الكتاب في حصر التحف الفنية والفنون الزخرفية الإسلامية بالمغرب الأقصى، حيث خصص المؤلف الجزء الاول لمناقشة نشأة الفنون الإسلامية ومصادرها، وأفرد الجزء الثاني للحديث عن الفنون الإسلامية في الدولة المرابطين، ووصف المؤلف في الجزء الثالث من هذا الكتاب الثريات الموحدية، كما تناول وصف الفنون الإسلامية في الدولة المرينية ودولة بني وطاس، في الجزء الرابع من هذا الكتاب. وخصص الجزء الخامس والأخير للحديث عن تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى خلال عصر السعديين والاشراف العلويين.

ووضع المؤلف كتاباً قيماً بعنوان : **دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، صدر عن دار الثقافة 1977م**، واستفادت الدراسة من هذا الكتاب في شرح وتحليل العناصر الكتابية والزخرفية التي انتشرت على مواد الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى.

كما استفادت الدراسة من الكتابات القيمة التي دونها العالم الجليل المرحوم حسن الباشا، وأخص منها في هذا المقام، **كتاب الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، 1957م، وموسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مطبعة أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1999م.**

وأفادت الدراسة من كتابات العالمة الجليلة المرحومة سعاد ماهر، وأخص منها هنا، **كتاب الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986**، كما استفادت هذه الدراسة من كتاب المرحوم ربيع حامد خليفة، **الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، 1992**، حيث أفادت الدراسة من هذا الكتاب في الجزء الخاص بدراسة التحف المعدنية ووسائل الإضاءة اليمنية في تأكيد الوحدة الفنية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه وبخاصة طرق صناعة وسائل الإضاءة وأساليب زخرفتها.

واستفادت الدراسة من كتابات المرحوم العالم السيد عبدالعزيز سالم، العلمية في الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، منها **كتابه القيم بعنوان : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م**، والمجلد القيم الذي يضم، **بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، القسم الثاني، «بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية»، كما استفادت الدراسة من بحث : «التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة، ندوة العلاقات المغربية . المصرية، القاهرة، 1989م.**، الذي وضح فيه استخدام نواقيس النصارى التي غنمها المنصور بن عامر في غزوته لشنت ياقب عام 387هـ ثريات في زيادته بجامع قرطبة. وكتاب : **المساجد والقصور في الأندلس، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، 1986م. واستفادت الدراسة من كتاب : (تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي)، دار المعارف بمصر، ط 1، 1961م.**

واستفادت الدراسة كذلك من الكتابات العلمية القيمة التي كتبتها الدكتورة سحر السيد عبدالعزيز سالم، وبخاصة من كتابها القيم حول مدينة الرباط بعنوان : **(مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996م**، الذي تتناول فيه التاريخ السياسي لمدينة رباط الفتح زمن الموحدين وبني مرين، وأهم مظاهر الحضارة في رباط الفتح في العصرين الموحدي والمريني، كما ورد في هذا الكتاب معلومات قيمة عن أهم الآثار المعمارية الباقية في مدينة الرباط مع توضيح أوجه التشابه بين مدينتي الإسكندرية ورباط الفتح.

وأيضا من الدراسات التي تطرقت إلى مواد الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، ما قدمه الدكتور محمد محمد الكحلاوي، بعنوان **«ثريات من النواقيس في جامع القرويين بمدينة فاس»، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة 17، الرياض، المملكة العربية السعودية، رجب، شعبان،**

رمضان، 1412هـ/ 1996م. وعرض فيه مجموعة النواقيس المحولة إلى ثريات بجامع القرويين، مع ذكر ما ورد عليها من نقوش مختلفة. واستفادت الدراسة من كتابات الدكتور الكحلاوي، المتعلقة بالمغرب الأقصى، وبخاصة كتابه بعنوان : «**مساجد المغرب والأندلس في عصر الموحدين، القاهرة، (د.ت)**، في التعرف على الظروف التاريخية والأثرية للمساجد المغربية في العصر الموحدي المرتبطة بموضوع الدراسة، والبحث الذي كتبه بعنوان : (**السقايات المغربية بمدينتي فاس ومراكش)، دراسة أثرية مقارنة مع الأسبلة المملوكية بالقاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، العدد الرابع، 1995م، وكذلك من بحث آخر بعنوان : المدارس المغربية، مجلة العصور، مج 6، ج1، جمادى الثانية 1411هـ/ يناير 1991م.**

واستفادت الدراسة مما قدمه الدكتور محمد أبو رحاب، في أطروحته للماجستير : (**مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين : 869 - 668هـ/ 1464 - 1269م)، رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية الآداب بسوهاج جامعة جنوب الوادي، 1999م**، وبخاصة في الحديث عن الفنون الزخرفية في المدارس المغربية، من خلال الدراسة المقارنة والكشف عن علاقة هذه الزخارف المنقوشة على جدران العمائر ومثيلتها على مواد الفنون الإسلامية المغربية في العهد المريني، ولتحديد أوجه الشبه والاختلاف في طريقة التنفيذ والأساليب الفنية.

واستفادت الدراسة من بعض الدراسات العلمية التي نشرتها جمعية رباط الفتح للتنمية المستدامة، منها : كتاب للمؤرخ الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله، بعنوان : (**رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة، منشورات جمعية رباط الفتح، 1990م)**، و(**موسوعة الرباط، بإشراف عبدالكريم بناني، ومصطفى الجوهري**، و(**كتاب الرباط بين الأمس واليوم)، إشراف عبدالكريم بناني وفتح الله الحنصالي، وكتاب للأستاذ خليل جزوليت، بعنوان : (مدينة الرباط من خلال الوثائق والنصوص التاريخية)، بتقديم مصطفى الجوهري، الذي صدر في الرباط عام 2007م وطباعة أعمال : (الندوة العلمية حول الرباط وسلا)**، في جزئين، بالاشتراك مع جمعية أبي رقراق، وأعمال الندوة العلمية حول أسوار صفتي مصب نهر أبي رقراق، بالاشتراك مع وزارة الثقافة وجمعية أبي رقراق.

كما استفادت الدراسة مما أورده المؤرخ المغربي عبدالكريم كريم حول مدينة رباط الفتح، ونخص بالذكر كتاب : (**رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1999، وبحث بعنوان : رباط الفتح عاصمة الثقافة العربية 2003م، مجلة التاريخ العربي، العدد 26، الرباط، المملكة المغربية، ربيع 1424هـ/2003م.**، بالإضافة إلى الاستفادة من بعض الأبحاث العلمية القيمة التي نشرتها مجلة التاريخ العربي، التي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، من منها على سبيل المثال ثلاثة بحوث للمؤرخ المغربي عبدالعزيز

بنعبدالله، الأول بعنوان : (**المغرب الأقصى يحتضن التراث الأندلسي**)، **العدد 12، في خريف 1999م، والثاني المعنون بـ : (ثلاثة قرون بين الشام والمغرب عبر العصور)، العدد 14، في ربيع 2000م**، وقد استفادت الدراسة من هذه البحوث القيمة، التي تناولت بالحديث عن الحضارة الإسلامية في المغرب الأقصى عبر العصور.

كما استفادت الدراسة مما كتبه الدكتور عفيف البهنسي، في مجال العمارة والفنون الإسلامية، وبخاصة من كتابه : **الفن الإسلامي، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط 1، 1986.**

واستفادت الدراسة من كتاب جون بوزانسنو «Besonçenot»، المعنون بـ : **أنماط الملابس التقليدية في المغرب، قام بترجمته، محمد بوبو، ضمن منشورات وزارة الثقافة المغربية، مطبعة دار المناهل، 2004م**، وبخاصة في تأصيل الزخارف النباتية والهندسية، ومقارنتها بمثيلتها على التحف موضوع الدراسة.

واستفادت الدراسة من كتاباتي عن الفنون الإسلامية مثل كتاب **الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، جزآن، مركز الكتاب للنشر، القاهرة 1999م . 2000م**، في التعرف على الطرق الصناعية والوسائل الزخرفية الخاصة بصناعة التحف المعدنية الإسلامية، وكذلك من الكتابات التي خصصتها لدراسة العمارة والفنون الإسلامية في المغرب الأقصى مثل : (**كتاب روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى**)، **مركز الكتاب للنشر القاهرة، 2010م**، وموسوعة كتب للأطفال والناشئين بعنوان : **روائع الآثار المغربية، 10 أجزاء، دار نشر المعرفة، الرباط، المملكة المغربية، 2010م . 2012م**. وكتاب : **الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح، دار نشر المعرفة، الرباط، المملكة المغربية 2012م.**

وبالإضافة إلى الاستفادة من بعض بحوثي العلمية المُحكمة التي نشرت في بعض الدوريات العربية والأجنبية، والتي تناولت دراسة النقود الذهبية في المغرب الأقصى في العصور الإسلامية مثل **بحث بعنوان** : (**دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن على، وابنه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف**)، **محفوظة في متحف الرباط، بالمملكة المغربية، بحث منشور بمجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، 2006م**، وبحث آخر بعنوان: (**نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضي أبو حفص، والخليفة الواثق بالله، محفوظة في متحف الرباط بالمملكة المغربية**)، **بحث منشور بمجلة العصور، الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلد السابع عشر، الجزء الأول، يناير 2007م.**

كما استفادت الدراسة من بحوث أخرى خصصتها لدراسة العمارة والفنون الإسلامية منها على سبيل المثال : (**منشآت الرعاية الاجتماعية المرينية الباقية بالعدوتين الرباط وسلا**)، دراسة

أثرية معمارية وفنية، بحث منشور بحوليات المعهد الوطني لعلوم الآثار، الرباط، المملكة المغربية، ع 21، 2009م. وبحث بعنوان «The Architectural Styles of Islamic Domes in Morocco» بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي «Domes in the World» بمدينة فلورانسا في إيطاليا في الفترة من 19 إلى 23 مارس 2012م، وبحث بعنون : **النقوش التسجيلية في الفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى خلال العهدين الموحدي والمريني**، بحث منشور بمجلة وقائع تاريخية، يصدرها مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب ـ جامعة المنيا، العدد 18 يناير 2013م، وبحث بعنوان: **الأمداء النبوية في الدولة العلوية بالمغرب الأقصى، دراسة أثرية فنية**، مجلد 16 - مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة.

ثانيا: الدراسات الأجنبية

تعتبر كتابات الباحث الفرنسي «Henri .Terrasse» مصدراً رئيساً في معالجة هذا الموضوع، حيث يعتبر من أوائل الرواد الذين تخصصوا في عمارة وفنون المغرب الأقصى، وكتب العديد من الكتب والبحوث العلمية المتعلقة بالعمارة الإسلامية وتراثها الفني الزخرفي في المغرب الأقصى، كما تطرق الباحث إلى دراسة التحف الفنية المحفوظة في العمائر الإسلامية في المغرب الأقصى مثل المنابر والمحاريب، والساعات الشمسية، والساعات المائية، والثريات، والنقوش الكتابية وغيرها من مواد الفنون الإسلامية، ضمن دراساته القيمة التي وجهها لدراسة العمارة الإسلامية في المغرب الأقصى، وما تضمه هذه العمائر من عناصر معمارية، ومواد فنية، فقد وصف «Terrasse H» التحف الفنية والتطبيقية المحفوظة في جامع الأندلسيين بمدينة فاس عند وصف العناصر المعمارية والفنية لهذا الجامع، فأصدر عام 1942، كتابا قيماً عن جامع الأندلسيين بعنوان : (La mosquée des Andalous à Fès, éditions d'art et d'histoire, Paris, 1942). وتناول فيه التحف الفنية المحفوظة بهذا الجامع، وتعتبر المعلومات التي أوردها في هذا المجلد على درجة كبيرة من الأهمية، لأنها أولى الدراسات التي وجهت الأنظار إلى مواد الفنون الزخرفية في عمارة المغرب الأقصى، كما أصدر كتابه الثاني، في عام 1968، وخصصه لدراسة جامع القرويين وما يشتمل عليه من وحدات معمارية وعناصر زخرفية فريدة، وأفرد المؤلف العديد من الصفحات في هذا الكتاب لدراسة ووصف التحف الفنية والثريات والنواقيس المستخدمة لإنارة هذا الجامع، وقد تتبع هذه الأدوات وقام بتعيين أماكنها وشرح كتاباتها وزخارفها المختلفة، وأصدر هذه الدراسة، بعنوان : La mosquée al-Qaraouiyin à Fès, librairie C. Kincksieck, Paris, 1968. ويمكن القول بأن النواة الأولى لهذا الكتاب كانت عبارة عن مقال عن جامع القرويين صدر في عام 1947 بعنوان :
La mosquée d'al-Qarawiyyîn à Fès et l'art des Almoravides, in Arts Orient, T. II, 1947, P. 135-147.

كما أصدر «Terrasse H» كتاباً ثالثاً عن المسجد الجامع في مدينة تازا في عام «1971»، شرح فيه إلى جانب عناصر الجامع المعمارية والزخرفية، التفاصيل الفنية للثريا الكبرى المعلقة في بلاطة محرابه والتي تُعَدُّ من أكبر الثريات المعدنية، في العالم الإسلامي، وكذلك شرح الثريا الناقوسية المعلقة في نفس البلاطة في المسجد، والكتاب بعنوان :

La grande mosquée de Taza, les éditions d'art et d'histoire, Paris, 1971

ويمكن القول بأن هذا الكتاب القيم كانت نواته في عام «1942»، عندما نشر «Terrasse H» معلومات قيمة عن الثريا المعلقة بالمسجد الكبير بمدينة تازة، وقد نشر هذا البحث في حوليات «Bulletin de l'Enseignement Public» في العدد رقم «N°171» بعنوان :

.Taza notice historique et archéologique, Bulletin de l'Enseignement Public, n°171,1942

ومن جهة أخرى يمكن الاستفادة في دراسة هذا الموضوع من الكتابات القيمة الأخرى التي وجهها «Terrasse.H» إلى بعض زخارف الوحدات المعمارية في العمائر الإسلامية في عصر بني مرين خصوصا في التعرف على سمات تلك العناصر الزخرفية التي ظهرت على عمائر المرينيين ومقارنتها بمثيلتها على التحف الفنية وأدوات الإضاءة في العصر المريني، منها على سبيل المثال وليس الحصر ما خصصه عن دراسة الباب والمدرسة المرينية بمدينة فاس الجديدة وتوضيح تتطابق زخارفهما المختلفة مع زخارف التحف الفنية وأدوات الإضاءة في نفس الفترة الزمنية، وهما :

Une porte mérinide de Fès Djdid, in Annales de l'Institut des Études, Orientales, T. VI, 1947, P. 53-65.. و La médersa mérinide de Fès jdid, in Al-Andalus, T. XXVII, 1962, P. 246-253.

ومن بين الدراسات القيمة التي تعرضت لموضوع التحف الفنية ووسائل الإضاءة في عمارة المغرب الأقصى، ما كتبه «Michel Terrasse» الذي استفاد من ميراث أبيه «Henri. Terrasse» في هذا النوع من البحوث العلمية، وقد أثرى «Michel Terrasse» المكتبة العربية والأجنبية بهذه الدراسة الوافية التي نشرها في «Bulletin d'archéologie Marocaine» في عام 1976، بعنوان :

.Le mobilier liturgique mérinide», in B.A.M., T. X, 1976

وتناول فيها بالشرح والتوصيف الثريات المرينية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، كما عرض في هذه الدراسة لموضوع نقل النواقيس من الكنائس الإسبانية وتحويلها إلى وسائل إضاءة، ووصف الثريات المعلقة بجامع القرويين وجامع الأندلسيين بفاس، وثريا الجامع الأعظم بمدينة تازا التي وضعت فيه عام 693 هـ/ 1294م، واعتبرها أكبر ثريا في الفنون

الإسلامية، وأتم بهذا العمل ما بدأه أبوه من دراسات عن عمارة المساجد المغربية في مدينتي فاس وتازا، وبخاصة دراسة التحف المنقولة في هذه العمائر .

كما تعتبر كتابات الباحث الفرنسي «Henri Terrasse» مصدراً رئيساً في معالجة الفنون الزخرفية المغربية، واستفادت الدراسة من كتابه القيم الذي أصدره مع «Hainaut Jean»، بعنوان: «Les arts décoratifs du Maroc, éd. H. Laurens, Paris, 1925»، والذي يتتبع فيه بأسلوب منهجي تاريخ تطور الفنون الزخرفية في المغرب الأقصى منذ نشأة الفن البربري (الأمازيغي)، ومروراً بالفنون الإسلامية في العصر المرابطي، فالعصر الموحدي، ثم العصر المريني وصولاً إلى الفنون الإسلامية في عصر السعديين والعلويين، وقد صدرت الطبعة الأولى في عام 1925م، عن دار نشر «Afrique Orient»، وأعيد طبعه في عام 1988م، تحت نفس العنوان. واستفادت الدراسة من الحديث عن الأبواب القديمة في المغرب من بحثه القيم :
«Le décor des portes anciennes du Maroc, in Hesperis, T. III, 1923 »

وتعتبر المراجع الأجنبية التي تعرضت إلى دراسة العمارة والفنون الإسلامية في المغرب الأقصى بصفة عامة، والعمارة الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح بصفة خاصة على درجة كبيرة من الأهمية، ويمكن اعتبار كتاب الباحث «Caillé Jacques»، المعنون بـ La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire,» : MICMXLIX.» من أفضل ما ألف لحد الآن عن تاريخ مدينة رباط الفتح، وإن كان ينقصه مثل معظم الدراسات الأجنبية أن المؤلف لم يعتمد على الوثائق المغربية سواء في كتابه هذا الكتاب، أو في مقالاته وكتاباته الأخرى حول مدينة الرباط، وهذا ما جعل كتاباته تتسم بالنظرة الأحادية. والكتاب يقع في مجلدين، يضم الأول منهما : المتن الذي يحتوي على 593 صفحة، يناقش فيها الظروف التاريخية لنشأة مدينة رباط الفتح في العهد الموحدي، ويشرح بإسهاب إلى الحديث عن قصبة الأوداية، ثم يتتبع العناصر المعمارية والزخرفية للمدينة العتيقة، مخصصا جزءا كبيرا لدراسة مسجد حسان، كما يتعرض إلى مناقشة تطور مدينة رباط الفتح في العهد العلوي وأهم الآثار الباقية من هذا العهد من المساجد والأسوار والأبراج والزوايا التي بقيت من القرنين التاسع عشر والعشرين، ويتضمن الجزء الثاني الأشكال واللوحات الموضحة للمتن.

ومن الدراسات القيمة التي استفادت الدراسة منها ما كتبته السيدة «Benslimane Hassar J.»، بعنوان : «Le passé de la ville de Salé dans tous ses états : histoire, archéologie, archives, éditions Maisonneuve et Larose, Paris, 1992.» حيث قامت بمناقشة عدة موضوعات قيمة حول مدينة سلا منها ما يتعلق بموقعها الجغرافي، وتاريخها منذ النشأة، وتطورها عبر العصور، كما تناولت الباحثة بالحديث العمائر الحربية من الأبواب والأسوار والسقالات، وغيرها من العمائر

الحربية في مدينة سلا، كما تعرضت إلى العمارة الدينية في مدينة سلا، وخصصت الحديث عن المسجد الأعظم بها، وتقع هذه الدراسة القيمة في 294 صفحة بالإضافة إلى الأشكال واللوحات الموضحة للمتن.

واستفادت الدراسة من البحوث العلمية التي ناقشت التفاصيل المعمارية والزخرفية في زاوية النساك في سلا، ونخص منها بالذكر الدراستين التالتين :

Meunie Jacques, La Zaouiat en Noussak une fondation Merinite aux Abords de Sale, Mélanges d'histoire et d'archéologie, Tom II, 1948., ETTAHIRI Ahmed S., Nouvelles remarques sur la zawiya mérinide d'al-Nussak à Salé,(En cours d'impression dans Bulletin d'archéologie marocaine, n° 21, 2007).

ومن الكتب العامة المهمة التي لا غنى عنها في دراسة الموضوعات المتعلقة بالعمارة والفنون الإسلامية بصفة عامة، والتحف الفنية ووسائل الإضاءة في عمائر المغرب الأقصى في العصر الإسلامي بصفة خاصة منها ما يلي: «Marçais G., L'architecture musulmane d'Occident: Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1954.: والبحث الذي قدمته الأستاذة بنسليمان بعنوان : «Hassar Benslimane Joudia, Note a propos d'un Bronze Arabe trouve au Chella (Rabat), in B.A.M., T. X, 1976».

ومن الكتب العامة المهمة التي لا غنى عنها في دراسة الموضوعات المتعلقة بالعمارة والفنون الإسلامية :

- Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne, paris, 1924., Maslow B., Les mosquée de Fès et du Nord du Maroc, les éditions d'art et d' histoire, Paris, 1937.

وقد صدر في الثمانينات من القرن المنفرط مجموعة قيمة من الكتب والبحوث العلمية التي عالجت موضوعات متنوعة في العمارة والفنون الإسلامية في المغرب الإسلامي، وتطرقت إلى موضوع الدراسة سواء من قريب أو بعيد منها ما يلي :

- Paccard André, Traditional Islamic Craft in Moroccan Architecture, 2 Vol., Saint-Jorioz, 1980.. و Hoag John D ., Western Islamic Architecture, New York, 1983..

وكتاب : Ettinghausen R. Originality and conformity in Islamic Art and Archaeology, Collected Papers, Berlin, 1984..و Azzedin Rhaddioui, Le Mihrâb au Maroc, le Mihrâb dans l'architecture et la religion Musulmanes, New York, 1988.

وصدرت خلال النصف الأول من التسعينات مجموعة من الدراسات والكتب التي تفيد في دراسة عمارة وفنون المغرب الأقصى، والتي تعتبر على درجة كبيرة من الأهمية، منها ما يلي :

- Collectif, Six mille ans d'art au Maroc : de l'empire romain aux villes impériales, Le Plessis-Robinson, Paris-Musée, Paris, 1990., Sijelmassi Mohamed, Fès cité de l'art et du savoir, ACR édition, Fondation ONA, Paris, 1991.. و Al-Andalus, The Art of Islamic Spain, Ed. Jerrilynn Dodds, New York,1992.. و M. Barrucand & A. Bednorz, L'architecture maure en Andalousie, Taschen, Cologne, 1992.. و A. Maghnia, La Qarawiyine, carrefour du savoir, in Autrement, série Mémoires, n. 13, 1992.. و Hedgecoe John, Samar Damluji Salma, Zillîg, l'art de la céramique marocaine, Garnet, 1993. و Hillenbrand Robert, Islamic Architecture, Newyork, 1994

ويعتبر بحث «Fernandez Puertas A» بعنوان تصنيف الثريات البرونزية في الأندلس وبلاد المغرب، من أهم البحوث التي تطرقت إلى موضوع وسائل الإضاءة بصفة مباشرة، حيث ناقش الباحث في بداية مقاله بعض مما ورد من كتابات المؤرخين عن الثريات في المغرب والأندلس، ثم شرح نماذج من الثريات في المغرب وبلاد الأندلس، وزود الدراسة برسوم تفصيلية لتوضيح الفروق الجوهرية بين أشكال الثريات في خلال العصرين الموحدي والمريني، كما عرج إلى ذكر موضوع تحويل النواقيس المسيحية إلى ثريات، وبيانات هذا المقال على النحو التالي :

Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce de al-Andalus y el Maghreb, Miscellanées de Estudios Arabes y Hebraicos, Secion Arabe-Islam, 48, Grenade, 1999, PP.379-392.

كما صدر مجموعة من الكتابات باللغة الإسبانية، كالتالي :

-Zozaya J., Lampara, Art islámico en Granada, Propuesta para un museo de la Alhambra, Grenade, n° 187, 1995, pp. 434 – 439.

-Canto de Gregorio, A., "Al-Andalu s: sus monedas" in El Zoco. Vida economica y artes tradicionalesen al-Andalus y Marruecos, Lumberg et El Legado andalusi, Barcelone, 1995, p. 35-41.

-Acién Almansa Manuel et alii, Evolución de los tipos cerámicos en el S.E de Al-Andalus, Actes du 5e colloque sur la céramique médiévale, Rabat, INSAP, 1995, p. 125-139.

-Retuerce, M., La ceràmica andalusî de la Meseta, Madrid, 1998.

وصدرت مجموعة من الدراسات والبحوث القيمة التي تفيد الباحثين في دراسة عمارة وفنون المغرب الأقصى بصفة عامة، منها عدة بحوث قيمة حول العمارة الإسلامية وفنونها في المغرب الأقصى، ودراسة بعض مواد الفنون الإسلامية مثل الجص في المغرب الأقصى العصور الوسطى، استفادت منها الدراسة منها فيما يخص التحف الفنية ووسائل الإضاءة المعلقة بالعمائر الإسلامية بمدينة فاس مثل جامع القرويين، والأندلسيين، وجامع فاس الجديدة ومدرسة العطارين، وأفرد للعمارة المرينية بحوث يمكن أن يستفيد منها الباحثين في مجال مواد الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، ويمكن عرضها على النحو التالي :

- ETTAHIRI Ahmed S., L'art de paraître au Maroc médiéval entre historiographie et Archéologie, dans L'art de paraître, Ministère de la Culture et de la Communication, Rabat, 2002, p. 31-36

- Worked Bone Tools : linking metal artisans and animal processors in medieval Islamic Morocco, dans Antiquity, vol. 76, N° 292, 2002, p. 447-457 و Fès : destinée et vocation d'un patrimoine universel , dans Héritages culturels du Maghreb : histoire et mémoire, Prologues, N°29 - 30, 2004, p. 47-50 .

- Le Maroc : creuset d'héritages, dans Héritages culturels du Maghreb : histoire et mémoire, Prologues, N°29 - 30, 2004, p. 51-54.

- L'esthétique musulmane au Maroc : Remarques sur l'art décoratif des medersas mérinides de Fès, dans Bulletin d'Archéologie Marocaine, N° 20, 2004, p. 367-385.

وصدرت مجموعات قيمة من الكتب والبحوث الأثرية العامة المتفرقة، لعدد من المتخصصين والباحثين وعلماء الآثار والفنون الإسلامية، تناولت بالشرح والدراسة مواد الفنون الإسلامية في المشرق والمغرب وتطور زخارفها بشكل عام، ويمكن الاستفادة من هذه الإصدارات في تتبع الزخارف الفنية على مواد الفنون الإسلامية للوقوف على تأريخ وتأصيل الزخارف المختلفة المنفذة على مواد الفنون الإسلامية وعلى وسائل الإضاءة في عمائر المغرب الأقصى في العصور الإسلامية موضوع الدراسة، بالإضافة لكون هذه الكتابات مراجع رئيسة للباحثين في مجالي العمارة والفنون الإسلامية، ونعرض منها ما يلي :

- Hassar Joudia Benslimane, Les relations entre art Mérinide et art Nassride, Granada, 1995.

-Northedge Alastair, Les origines de la céramique à glaçure polychrome dans le monde musulman, VIe Congrès sur la céramique médiévale en Méditerranée, Aix-en-Provence, 1997, p. 213–223.

-Peltre Christine, Orientalism in Art, New york, 1998.

-Gonzalez Valérie, Beauty and Islam : Aesthetics in Islamic Art, London, 2001.

- Stierlin Henri, Islam de Bagdad à Cordouue des origines au XIIIe Siècle, Taschen, 2002.

-Ettinghausen R., Grabar O. and Marilyn, Islamic Art and Architecture 650 / 1250, The Yale University Press, July 2003.

وصدرت مجموعة من الإصدارات التي عالجت موضوعات متنوعة من فنون وعمارة المغرب الأقصى، مثل دراسة الفنون التقليدية المغربية، وعرض قصة الحضارة المغربية وبخاصة فيما يخص الفنون الإسلامية، ودراسة نشأة المدارس في العصور الوسطى وتخصيص فصلاً كاملاً عن أهم المدارس المغربية من حيث النشأة والتطور وأهم الزخارف والتحف الفنية المنقولة المحفوظة فيها، بالإضافة إلى دراسات حول الملابس والحلي في المغرب، والفخار، وعمائر مدينة الرباط وسلا، وغيرها من الدراسات القيمة التي تفيد الباحثين في دراسة الموضوعات المتعلقة بعمارة وفنون المغرب الأقصى، وأفادت موضوع الدراسة في الوقوف على أهم الزخارف الفنية السائدة في الفنون الإسلامية المغربية، نذكر منها ما يلي :

Sijelmassi Mohamed, Khatibi A., et Moujahid H., Civilisation marocaine, Art et Cultures, Editions Oum Actes Sud / Sindbad, 1996.، وGolvin Lucien, La madrasa médiévale, Edisud, 1995.، و Rachida Alaoui, Castumes et parures du Maroc, ACR Edition, Paris, 2003.

كما صدرت عدة مجلدات عن مجموعة من المعارض التي نظمت في السنوات الأخيرة التي عكست أهم خصائص الفنون الإسلامية المغربية، وأوضحت العديد من ملامح التطور في فنون المغرب الأقصى عبر العصور، ومن تلك المنشورات ما يلي :

-Maroc, Les trésors du royaume, Cat. Exp. Petit Palais, Paris, 1999.

-Splendeurs du Maroc, Cat. Exp. Musée royal de l'Afrique centrale, Tervuren, 1998.

-Las Andalucias de Damasco a Cordoba, Exposicion presentada en Instituto del Mundo Arabe del 28 de npviembra de 2000 al 15 de abril de 2001, Hazan, 2001.

-Les Andalousies, de Damas à Courdoue, Cat.Exp., Institut du Monde Arabe, 2001.

-Le calife, le prince et le potier, Les faïences à reflets métalliques, Cat. Exp. Musée des Beaux_Arts, Lyon, 2002

منهج الدراسة

تشتمل دراسة: التراث الفني الإسلامي في المغرب، على قسمين رئيسين، يضم الأول منهما: مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة، بالإضافة إلى قائمة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي اعتمدت عليها الدراسة. ويضم القسم الثاني اللوحات، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

تبدأ الدراسة بتقديم للأستاذ الدكتور عبدالحق المريني، مؤرخ المملكة المغربية، ومحافظ ضريح محمد الخامس من سنة 2010، والناطق الرسمي باسم القصر الملكي من سنة 2012، ورئيس اللجنة العلمية لجامعة مولاي علي الشريف، والذي تذخر المكتبات العربية والأجنبية بالعديد من مؤلفاته العلمية القيمة، منها على سبيل المثال وليس الحصر: كتاب «الجيش المغربي عبر التاريخ» سنة 1968، صدر في طبعتين جديدتين منقحتين ومزيدا فيهما سنة 1997، وسنة 2011، صدرت له ترجمة بالفرنسية سنة 2000، وكتاب شعر الجهاد في الأدب المغربي (جزآن)، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (1996). وطبع «منشورات الزاوية» سنة 2010، وكتاب لمحة تاريخية عن الحركة الدستورية في العهدين العزيزي والحفيظي، ومن خلال الخطب الملكية لأصحاب الجلالة الملوك محمد الخامس والحسن الثاني ومحمد السادس (2011-1906) المطبعة الملكية (2011)، وكتاب محطات في تاريخ المغرب المعاصر (1956-1894) منشورات الزمن قضايا تاريخية عدد 13، (2011). الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة(2012)، وكتاب ملحمة محمد الخامس. طبع وزارة الثقافة (2013)، وكتاب ببليوغرافيا مفصلة حول محمد الخامس (1961-1927)، المطبعة الملكية (2014)، و«ديوان الحسنيات» في ثلاثة أجزاء (1983-1979-1975)، وكتاب : «قال جلالة الملك الحسن الثاني» في 3 أجزاء(1977-1983-2000)، وكتاب «مجموعة الخطب الملكية والرسائل المولوية والأوامر اليومية الموجهة إلى وحدات القوات المسلحة الملكية» في 4 أجزاء (2011-1999-1989-1978). وكتاب «جلالة الملك الحسن الثاني الإنسان والملك» (1985)، وكتاب» محمد الخامس دراسات وشهادات» (1988)، وكتاب « دليل المرأة المغربية» في 5 أقسام، وكتاب : «مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني» طبع وزارة الشؤون الثقافية (1996)، و«ثريا الشاوي أول طيارة بالمغرب الكبير» (1956) أعيد طبعه سنة (2009)، وله عدة كتب وثائقية حول الرحلة الملكية السنية لأربع دول خليجية وللمملكة الأردنية الهاشمية (1433هـ 2012م) المطبعة الملكية (2012)، والرحلة الملكية السامية لثلاث دول إفريقية (السينغال والكوت ديفوار والغابون). المطبعة الملكية (2013)،

والزيارة الملكية السامية للجمهورية المالية، المطبعة الملكية (2013)، وزيارة عمل الرسمية الملكية للولايات المتحدة الأمريكية. المطبعة الملكية (2013)، وله عدة مساهمات أدبية وتاريخية وإسلامية نشرت بمختلف المجلات المغربية، أعيد نشر أول مجموعة منها في الجزء 57 من سلسلة «شراع» تحت عنوان : «الشاي في الأدب المغربي» (1999)، وثانية ضمن «منشورات زاوية» بعنوان : «قضايا مغربية» (2006)، وثالثة بعنوان : «قضايا ووجوه ـ نظرات وتأملات» (مطبعة دار النشر المغربية – 2007).

وقد حصل العالم الجليل الدكتور عبدالحق المريني على جوائز عديدة منها : جائزة المغرب لسنة 1968 عن كتابه : «**الجيش المغربي عبر التاريخ**»، «وبالوسام الذهبي للمؤرخ العربي» من الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب وجمعية المؤرخين المغاربة سنة 1996، وبجائزة عبد الله كنون للآداب سنة 1997 عن كتابه : «شعر الجهاد في الأدب المغربي»، و«بجائزة الاستحقاق والتقدير» من جامعة الحضارة الإسلامية المفتوحة ببيروت سنة 2007.

وتناولت المقدمة أهمية موضوع دراسة التراث الفني الإسلامي بالمغرب، من الفتح العربي إلى نهاية العصر السعدي، وتضمنت على دراسة نقدية لأهم الكتابات العربية والأجنبية التي تطرقت إلى هذا الموضوع، وانتهت المقدمة بعرض المنهج العلمي المتبع في الدراسة. ثم تطرقت الدراسة إلى الإطار التاريخي والجغرافي للتراث الزخرفي الإسلامي في المغرب منذ الفتح العربي، وحتى أواخر العصر السعدي.

الفصل الأول، يناقش هذا الفصل نشأة التراث الفني الزخرفي في الفترة المبكرة من تاريخ المغرب الأقصى، حيث يتناول شرح التحف الفنية التي صنعت في عهد الدولة الأدريسية، وبخاصة المنابر الخشبية الأولى في المغرب، كما يتتبع مظاهر الفنون الزخرفية الإسلامية في تلك الفترة في جامع القرويين بفاس، ويلقي الضوء على التحف المعدنية، وكذلك السكة التي ضربت في عهد الأدراسة. وتناول هذا الفصل دراسة الفنون الزخرفية الإسلامية في عهد المرابطين، حيث ألقى الضوء على أهم المنابر الخشبية المرابطية الباقية، وبخاصة منبر جامع القرويين، بفاس، ومنبر جامع الكتبية في مراكش، كما عرجت الدراسة إلى تتبع العناصر الفنية والزخرفية التي تعود إلى العصر المرابطي، مع ذكر السكة التي ضربت في هذا العصر، وأهم خصائصها.

الفصل الثاني، خصص هذا الفصل لدراسة التراث الفني الزخرفي في عصر الموحدين، حيث ناقش تطور الفنون الزخرفية في عهد الخليفة عبدالمؤمن بن علي، وأبنائه وأحفاده، في محاولة لكشف الغموض المحيط بموقف الخليفة عبد المؤمن بن علي، من الفن من خلال تتبع الإشارات الواردة عنه في المصادر التاريخية، من جهة، وما وصل إلينا من مواد الفنون الزخرفية الإسلامية التي صنعت في عهده، سواء من التحف التطبيقية الباقية أو المندثرة، كما تعرض هذا الفصل إلى

حتمية إصدار الدينار المؤمني، وتداعياته في المجال السياسي والاقتصادي. وتطرقت الدراسة إلى مواد الفنون الزخرفية الخاصة بأبناء وأحفاد عبدالمؤمن بن علي، وأبرزت دورهم كرعاة للفنون، مع تسليط الضوء على أهم مواد التراث الفني الزخرفي التي تم صناعاتها بأمر منهم، مما يضيف إلى سجل هؤلاء الحكام، إلى جانب انتصاراتهم الحربية، وأعمالهم المعمارية، تفوقهم في صناعة روائع الفنون الزخرفية الإسلامية، والتي تميزت بالثراء الزخرفي، مما انعكس أثره على إنتاج التحف الفنية المخصصة للمساجد والعمائر الإسلامية مثل : المنابر الخشبية، والثريات المعدنية، والابواب المصفحة، والعنزات وغيرها من التحف الفنية الثابتة والمنقولة، والتي لا تزال بعضها محفوظة في متاحف المملكة المغربية، وعمائرها الإسلامية، واختتم هذا الفصل بدراسة مواد الفنون الزخرفية والعملة الذهبية في أواخر عهد الدولة الموحدية في الفترة من (610 هـ 668 هـ/ 1213م ـ 1269م).

ويتناول **الفصل الثالث**، الحديث عن التراث الفني الزخرفي في عصر بني مرين والوطاسيين، حيث تصدى إلى شرح الفنون الزخرفية الإسلامية في المراحل التاريخية للدولة المرينية، فالمرحلة الأولى، التي شهدت صناعة روائع من تحف الفنون الزخرفية الإسلامية جمعت في خصائصها الفنية وأساليبها الصناعية بين السمات الفنية التي كانت سائدة في عصر الموحدين، والتطور الزخرفي الذي ابتكره الفنان المريني، وقد بدأت هذه المرحلة من عهد السلطان يعقوب بن عبدالحق سنة 668هـ/1269م، وانتهت في عهد السلطان أبي الربيع سليمان سنة 710هـ/ 1311م، كما تناولت الدراسة بالشرح والتفصيل عصر ازدهار الدولة المرينية في الفترة التي تبدأ من عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب سنة 710 هـ / 1311م، وتنتهي بنهاية عهد السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن سنة 759هـ/ 1358م، كما تعرضت الدراسة إلى تتبع مواد الفنون الزخرفية في أواخر الدولة المرينية في الفترة من (759هـ/ 1358م ـ 869 ـ 1465م)، والتي تبدأ من عهد السلطان أبي زيان محمد بن أبي عنان سنة 759/1358م، وتنتهي بنهاية دولة بني مرين سنة 869هـ/1465م، وهي الفترة التي شهدت تراجعا ملحوظا في الصناعات الفنية، حيث ندرت فيها صناعة روائع فنية متميزة.

وقد خُصص الجزء الأخير من هذا الفصل لإلقاء الضوء على التراث الفني الزخرفي في عهد الوطاسيين في محاولة للكشف عن الغموض الذي ساد دولة بني وطاس بصفة عامة، والحياة الفنية على وجه الخصوص، وذلك بسبب ندرة المصادر المادية التي وصلت إلينا من تلك الفترة، وتسعى الدراسة إلى الوقوف على بعض مظاهر الفنون الزخرفية الإسلامية في عهد بني وطاس، وذلك من خلال تتبع كتابات المؤرخين ووصف الرحالة المعاصرين لتلك الفترة الزمنية.

ويتعرض **الفصل الرابع** إلى شرح التراث الفني الزخرفي في عصر السعديين الذين اشتهروا بشغفهم بالبناء والتعمير حيث ازدانت البلاد على عهدهم بالعمائر المتنوعة الزاخرة بمفاخر الفنون الزخرفية الإسلامية، بالإضافة إلى دراسة النقود الذهبية في عصر السعديين، والتي بلغت مكانة عالية، وأصبحت عاملا أساسيا في السياسة الخارجية، والميادين الاقتصادية والاجتماعية والفنية، وبخاصة منذ عهد أحمد المنصور المعروف بأحمد المنصور الذهبي، وحتى أواخر العصر السعدي.

وتناول **الفصل الخامس**، دراسة النقوش الكتابية على مواد الفنون الزخرفية الإسلامية بالمغرب الأقصى، من خلال تتبع النقوش التسجيلية والزخرفية، وتوضيح مدلولاتها التاريخية والأثرية، وتتبع الأسماء والألقاب الواردة عليها، بالإضافة إلى شرح العناصر الزخرفية والهندسية على مواد الفنون الزخرفية الإسلامية، وإلقاء الضوء على أهم المراكز الصناعية لمواد الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، وأشهر صناعها، وإضافة أسماء صناع مغاربة برعوا في صناعة مواد الفنون الإسلامية إلى قوائم الصناع في العالم الإسلامي، وما يمثله ذلك من إضافة جديدة تساهم بشكل فعال في معالجة العديد من الحوادث التاريخية والقضايا السياسة، والاجتماعية التي تطرحها النقوش في المغرب الأقصى، مع مقارنة ما تثيره من إشكاليات بما ورد في كتابات المصادر التاريخية عن المغرب الأقصى عبر العصور الإسلامية، وأيضا إلقاء الضوءعلىأهم دور ضرب السكة بالمغرب الأقصى في العصور الإسلامية، وأهم التأثيرات المتبادلة في العمارة والفنون التطبيقية المغربية، سواء المشرقية أو الأندلسية.

وتم تُذيل الدراسة بالخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج، وبقائمة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، بالإضافة إلى تزويدها بكتالوج من الصور الموضحة للمتن.

وفي الختام، أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة لانجاز هذه الدراسة، وأخص منهم : معالي الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام لمنظمة الإيسيسكو، وإلى العالم الجليل معالي الأستاذ الدكتور عباس الجراري، وإلى معالي الأستاذ الدكتور عبدالحق المريني، مؤرخ المملكة المغربية، وإلى سعادة الأستاذ إيهاب أحمد جمال الدين، سفير جمهورية مصر العربية في المملكة المغربية، وإلى الأستاذ سمير زهيري، والأستاذ عادل مدكور بدار نشر المعرفة بالرباط وإلى كل معاونيهما على جهودهما القيمة، لتوثيق التراث المغربي، وإلى كل من مد لي يد العون والمساعدة لإخراج هذا الكتاب في شكل يليق بعراقة التراث الفني الإسلامي في المغرب.

فلله الحمد وهو من وراء القصد خير معين.

الأستاذ الدكتور

عبدالعزيز صلاح سالم

الرباط عاصمة المملكة المغربية،

الجمعة : 27 رمضان 1435هـ/ 25 يوليو 2014م

المقدمة

• الإطار التاريخي والجغرافي



الإطار التاريخي والجغرافي

كان للفتح الإسلامي في المغرب الأقصى نتائج عميقة، شملت العديد من مناحي الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية والفنية[1]، وبدخول الإسلام إلى المغرب رسميا على يد عقبة بن نافع[2] عام 62 هـ/681م، وجعلها عاصمة للمغرب الكبير[3]، زحف إلى المغرب الأقصى، ومضى يحتل مواقعه من طنجة إلى سوس، واستنزل زعماءه على طاعته، والدخول في دولة الخلافة الإسلامية تبعية وحكماً، وتوالى بعد عُقبة بن نافع، على تدبير شؤون المغرب ولاة متعددون طوال العهد الأموي ثم العهد العباسي[4].

وتعتبر دولة الأدارسة أول دولة إسلامية، تأسست في إقليم المغرب الأقصى سنة 172هـ[5]، وذلك بعد أن بايعت قبائل البربر إدريس بن عبدالله العلوي بالإمامة وكان إيذاناً بمولد دولة علوية على أرض المغرب الأقصى سنة 172 هـ/ 788م[6].

---

(1)- راجع : إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ص 9

(2)- هو عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري، وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة، وكان عمرو بن العاص (وهو أمير على مصر)، قد استعمل عقبة على أفريقية، وفي سنة 50 هـ/ 670م في عهد معاوية ولاه على أفريقية استقلالاً، وبعث معه عشرة آلاف فارس، فدخل عقبة أفريقية، وشيد مدينة القيروان، وبعث يزيد بن معاوية، عقبة بن نافع واليا على المغرب في عام 62هـ/ 681م، ولما ارتحل حسان بن النعمان إلى المشرق قدم موسى بن نصير، وعندما استقرت القواعد لموسى بالمغرب كتب إلى طارق بن زياد وهو بطنجة يأمره بغزو الأندلس فغزاها، وصعد الجبل المنسوب إليه المعروف بجبل طارق يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة 92هـ/ 711م. راجع : الناصري أحمد بن خالد السلاوي، كتاب الاستقصا للأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، تحقيق، أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية، 2001، ص 89 ـ 119.

(3)- عندما ولاه يزيد بن معاوية على الشمال الإفريقي، في ولايته الثانية التي بني فيها مدينة القيروان . راجع : عبدالله كنون، الإسلام في المغرب، معلمة المغرب، ج 2، نشر مطابع سلا، المغرب، 1989م، ص 434.

(4)- راجع : عبدالله كنون، الإسلام في المغرب، معلمة المغرب، ج 2.، ص 434.

(5)- تنسب إلى الإمام إدريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، بويع له بمدينة وليلي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومائة/ 5 فبراير 789م، ثم خرج برسم غزو من كان من قبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية، وفي منتصف رجب خرج برسم غزو تلمسان، ودخلها وأمن أهلها، وبنى مسجد تلمسان، وأتقنه . راجع : ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999، ص 32.

(6)- فر المولى إدريس ناجياً بنفسه من وقعة فخ قريباً من مكة سنة 169 هـ/785م، إذ أنَ فشل ثورة الحسين بن علي أمام قوات العباسيين ومقتل العديد من أفراد آل البيت، دفعت إدريس بن عبدالله والذي كان مشتركا في الثورة ـ إلى الاختفاء في موسم الحج ثم الهروب مع مولاه راشد قاصداً مصر ومنها استطاعا الوصول إلى مدينة وليلي بالمغرب الأقصى، وفي مدينة وليلي، اتصل إدريس بزعيم قبيلة أوربة،راجع : حسن علي حسن، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الشباب، القاهرة، بدون تاريخ، ص 63.

وتُعدُّ دولة المرابطين، الدولة الثانية بعد الأدارسة، والذين حكموا المغرب والأندلس حوالي سبعة وثمانين عاماً (454 ـ 541هـ/ 1062 ـ 1142م)[7]. حيث تعتبر البداية الحقيقية لدولة المرابطين[8] في سنة 454هـ/1062م، بتنازل أبي بكر بن عمر اللمتوني[9] بأغمات لابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني[10] وفي نفس العام شيد يوسف بن تاشفين مدينة مراكش، واتخذها عاصمة للمرابطين[11]، ولقب نفسه بأمير المؤمنين وناصر الدين، وقضى يوسف بن تاشفين أكثر من نصف قرن في الجهاد وتدعيم أركان دولة المرابطين، وعندما توفي في سنة 500هـ/ 1106م، ترك البلاد لولي عهده علي بن يوسف الذي نهج سيرة أبيه، ولكن ابتداء من سنة 518هـ/ 1124م، أخذت أمور البلاد تختل وكثرت المشاكل، واستبد الأمراء والفقهاء، والقضاة بالأندلس[12].

وظهرت دولة الموحدين بالمغرب في أواسط القرن السادس الهجري، واستمرت إلى أوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وقد امتد نفوذها على المغرب الإسلامي بكامله من المحيط غربًا إلى خليج سرت شرقاً، ومن أعماق الصحراء جنوباً إلى أواسط شبه الجزيرة الإيبيرية شمالاً، فكانت أعظم وأوسع دولة في تاريخ الغرب الإسلامي. ويرجع أصل التسمية بالموحدين إلي المهدي بن تومرت[13] مؤسس الحركة الذي اعتبر أتباعه الموحدين الحقيقيين

(7)- كان نجاح عبدالله بن ياسين في إثارة حركة دينية إصلاحية واسعة النطاق في المغرب، ثم تمهيده الطريق لقيام دولة صنهاجية استطاعت أن تخلص الصنهاجيين من استبداد الزناتيين، حافزا لفقيه مغربي آخر من إحدى قبائل مصمودة على محاولة القيام بدعوة مماثلة لصالح القبائل المصمودية، وهي الكتلة الكبرى من البرانس، ومواطنها في المغرب الأقصى كله. راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج 2، ج2، دولة المرابطين والموحدين والحفصيين، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م، ص 63.

(8)- عرفت هذه الدولة بأسماء أخرى كدولة الملثمين نسبة إلى اللثام الذي اشتهر بوضعه على وجوههم منذ أن كانوا مجرد قبائل رحل ينتقلون في الصحراء الكبرى جنوب المغرب الأقصى، كما عرفوا أيضا بالدولة اللتمونية نسبة إلى قبيلة لمتونة أكبر قبائل صنهاجة وأقواهم شوكة وهي التي أقامت الدولة وانتسب غليها جميع ملوكها. راجع : رشيد السلامي، المرابطون، معلمة المغرب، ج21، ص 7065 ـ 7066.

(9)- بعد وفاة ابن ياسين عين مكانه سليمان بن حدو للقيام بالدعوة الدينية، بينما استمر أبو بكر بن عمر منذ سنة 447هـ، يدير دفة الشؤون السياسية والحربية، على أن سليمان بن حدو توفي في سنة 451هـ، فلم يعين له خلف في الشؤون الدينية التي اضيفت إلى مهام أبي بكر بن عمر، وكان الأمير أبو بكر رجلاً صالحاً متورعاً، وجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللتموني. راجع : ابن أبي زرع : روض القرطاس .، ص 162.، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص 160.

(10)- هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ...، وكنيته أبو يعقوب. راجع : ابن أبي زرع : روض القرطاس .، ص 172.

(11)- وفي بعض الكتابات في سنة 462هـ/1070م. راجع : رشيد السلامي، المرابطون، معلمة المغرب، ج21، ص 7065 ـ 7066.

(12)- راجع : رشيد السلامي، المرابطون، معلمة المغرب، ج21، ص 7065 ـ 7066.

(13)- محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي، أصله من هرغة من بطون المصامدة، ولد سنة 485هـ/ 1092م. راجع: أبي بكر بن علي الصنهاجي المُكنا بالبيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 2004م، ص 16 ـ 63.، ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، وهو القسم الآخر من التاريخ الكبير المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج1، راجعه وصححه، البارون دسلان، طبع في دار طباعة الدولة في المغرب، سنة 1851م، ص 274.

لله، غير أن المهدي توفي سنة 524هـ/ 1130م، قبل قيام دولة الموحدين، بعد هزيمة أتباعه في معركة البحيرة خارج مراكش أمام المرابطين، فتزعم الحركة تلميذه وصاحبه عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي[14] الذي اتبع خطة عسكرية جديدة تقتضي مطاولة الحرب مع المرابطين، وإبعادهم عن مركز الدولة[15].

وقد امتدت المرحلة الأولى من سنة 541 هـ/1146م إلى سنة 610 هـ/1213م، تولى خلالها الحكم أربعة خلفاء هم : عبد المؤمن، وابنه يوسف، ثم يعقوب المنصور بن يوسف ثم الناصر بن المنصور. وقد تسمى عبد المؤمن بالخليفة وأمير المؤمنين ليقطع بذلك أي ارتباط بالخلافة العباسية، على عكس ما كان عليه الحال أيام المرابطين. لكنه بعد فتح مراكش انشغل بالثورات التي عمت معظم المغرب الأقصى، ولقد قضى عبد المؤمن كسائر مؤسسي الدولة معظم فترة حكمه في العمل العسكري، ولكنه أعطى أهمية أيضاً لوضع بعض التنظيمات الضرورية ليستمر عليها خلفاؤه من بعده فقد حول نظام الحكم الشورى الذي وصل بفضله إلى الإمارة، إلى نظام وراثي بتعيين أكبر أبنائه وليا للعهد، وأنشأ مدرسة بمراكش لتكوين أطر الدولة من الولاة والعمال وكان منهم أبناؤه فوزعهم على الولايات. كما أعاد تنظيم البريد الرسمي بشكل يجعل انتقال المراسلات والأخبار تتم بسرعة بين العاصمة والولايات، وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة عام ثمانية وخمسين وخمسمائة، ونقل إلى تينملل يوم الجمعة غرة شعبان المكرم عام ثمانية وخمسين وخمسمائة، وكانت مدة خلافته اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر[16].

والثابت من المصادر التاريخية، أن فترة حكم عبد المؤمن بن علي، (524 ـ 558 هـ/ 1130ـ 1163م)، بلغت أربعا وثلاثين سنة (524 ـ 558 هـ/1130ـ 1163م) كانت هذه المدة فاتحة أزهى عصور التاريخ المغربي في العصور الوسطى[17]، فقد ورث عبد المؤمن عن المهدي بن تومرت قوة

(14)- عبد المؤمن بن على بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر .. بن عدنان، كانت بيعته يوم الخميس الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وهي البيعة الخاصة، بايعه العشرة أصحاب المهدي، وبويع بيعته العامة يوم الجمعة الموفي عشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمائة، بعد وفاة المهدي بسنتين بعد صلاة الجمعة. راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 235 ـ 239.

(15)- راجع : أحمد عزاوي، الموحدون، معلمة المغرب، مطابع سلا، 2005م، ص 7304 ـ 7305.

(16)- راجع : ابن القطان المراكشي (أبي محمد حسن بن علي بن محمد عبدالملك الكتامي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمو علي مكي، دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص 204 ـ 209.

(17)- من أعمال عبد المؤمن بن علي « أنه أمر ببناء المسجد الجامع في تينملل في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (548هـ/ 1153م)، وأمر ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش، في العشر الأول من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة(10 ربيع الثاني 553هـ/ 10 مايو 1158م)، كما أنه أمر ببناء الجزء القديم الموحدي بمسجد تازة حوالي عام 542هـ، وكذلك أمر ببناء حصون جبل الفتح 555هـ وزوده بالقصور، وكان ابتداء البناء به في تاسع ربيع الأول من سنة 555هـ / 19 مارس 1160م. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 3، ص 109.

عسكرية وسياسية ضخمة، فعرف كيف يستخدمها في إنشاء أكبر دولة عرفها تاريخ المغرب[18]، امتدت من الأندلس إلى وادي درعة في جنوب المغرب، وترامت من المحيط الأطلسي إلى طرابلس، وقد أبدى الرجل نشاطاً واسعاً وذكاءً كبيراً في إنشاء هذه الدولة[19].

ويعتبر الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[20] من أعظم خلفاء الدولة الموحدية، وبالرغم من أنه لم يحقق في ميادين الحرب والسياسة نتائج عظيمة كالتي حققها أبوه الخليفة عبد المؤمن، أو ولده الخليفة يعقوب المنصور، فإنه يعتبر مع ذلك، ولاسيما من النواحي الإدارية والعمرانية، ثاني هؤلاء الخلفاء الثلاثة الذين بلغت الدولة الموحدية في ظلهم أوج قوتها وعظمتها[21].

وقد ورث أبو يعقوب يوسف عن أبيه مملكة واسعة الأطراف مستقرة الأحوال عموماً رغم ما شابها في أول عهده من منافسة بعض الإخوة على السلطة، وبعض الثورات خاصة في جبال غمارة، وقد تمكن من الانتقال إلى الأندلس وإنهاء إمارة ابن مردنيش في الشرق المتحالف مع الأسبان، واسترد جملة من الحصون والمدن التي سقطت في يد البرتغاليين، واستغل وجوده في اشبيلية بين سنتي 567 و571 هـ، ليقوم بإنجازات عمرانية متنوعة ويقيم مجالس علمية كان يحضرها بعض أقطاب العلم في دولته، غير أنه من ناحية التخطيط العسكري كان أقل نجاحاً من أبيه، فكان هذا أهم أسباب فشله في حصار مدينة شنترين سنة 580 هـ/ 1184م، والذي كان سبباً في وفاته جريحاً[22].

وكان الخليفة أبو يعقوب مهتما بالمشاريع الإنشائية العظيمة، وقام بإنشاء مجموعة من المنشآت العمرانية الهامة، والصروح الجليلة التي خلدت اسمه، وجعلته في مقدمة خلفاء الموحدين، ويكفي الإشارة إلى ما قام به في أشبيلية حاضرة الأندلس، وما قام به من توسيع مراكش وتجميلها[23].

وتولى أبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي[24]، بعد والده، وتعتبر السنوات الخمس عشرة التي حكمها أبو يوسف يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين العصر الذهبي للدولة

(18)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 3، ص 41.

(19)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.، مج 2 ج 2، ص 101.

(20)- راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس .، ص 269 ـ 273.

(21)- راجع : محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس.، ص 20.

(22)- راجع : أحمد عزاوي، الموحدون.، ص 7304 ـ 7305.

(23)- راجع : محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس.، ص 137

(24)- كان مولده في العشر الأواخر من ذي الحجة سنة أربع وخمسين بويع بالمحلة بعد وفاة والده ورجه بالناس إلى أشبيلية فاستكمل البيعة، واستوزر الشيخ أبا محمد عبدالواحد بن الشيخ أبي حفص. راجع: الزركشي (أبي عبدالله محمد بن إبراهيم)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص 15.

الموحدية[25]، حيث شرع الخليفة المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي[26] في سك نقد جديد يتجاوز في قيمته ما عرف سابقاً بالمغرب، وذلك لإبراز عظمة دولته بعد قيامه بعدة مشاريع عمرانية[27]. وفي نفس العام الزاخر بمشاريع الإصلاح والإنشاء 581هـ/ 1185م، اتخذ الخليفة خطوة في ميدان الإصلاح المالي، وذلك هو إقدامه على مضاعفة وزن الدينار الموحدي، وأخرجت دار السكة الموحدية بمدينة فاس، فكان لذلك الإجراء أثر بالغ في بث الطمأنينة المالية واستقرار التعامل بين الناس[28].

كما يعتبر الخليفة الثالث يعقوب المنصور بن يوسف أشهر خلفاء الدولة الموحدية نظراً لأعماله المتنوعة ولانتصاره الكبير على القشتاليين في معركة الأرك سنة 591هـ/ 1195م، فرغم ظهور حركة بني غانية في إفريقية انطلاقاً من جزر شرق الأندلس التي كانوا لا يزالون معتصمين بها، فإن المنصور تمكن من تجميد هذه الحركة لينشغل بالأندلس ويفرض على القشتاليين هزيمة ساحقة مكنت من إحداث توازن بين الطرفين. أما الجانب الآخر الذي اشتهر به المنصور فهو الأعمال المعمارية الاجتماعية والدينية وما ارتبط بها من أعمال عمرانية واهتمام بالعلم والعلماء ورجال التصوف[29].

والمعروف أن الخليفة المنصور استغل عودته ظافراً من بعض غزواته بالأندلس، فعين ابنه أمير المؤمنين أبا عبدالله محمد، خلفاً له من بعده، وذلك سنة 587هـ/ 91ـ1192م[30].

(25)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج 2، ج 2، ص 110.

(26)- المنصور بالله يعقوب بن يوسف : هو أمير المؤمنين، عبدالله، يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، ولقبه المنصور بفضل الله، وكنيته أبو يوسف، بويع يوم الأحد التاسع عشر لربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسمائة في بيعة خاصة، وتأخرت بيعة العامة بسبب كتم الوفاة إلى يوم السبت الثاني من جمادي الأولى من نفس السنة بويع البيعة العامة، وتوفي في يوم الخميس الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ودفن في تينمل. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص285.

(27)- مثل جسر أشبيلية، وقصور البحيرة الواقعة خارج باب جهور بأشبيلية والقصور المقامة خارج باب الكحل بها ونقل الماء على قنوات تحملها قناطر ذات حنايا من قلعة جابر إلى باب قرمونة بأشبيلية، وتخطيط بناء رباط الفتح وإقامة العديد من العمائر الدينية والمدنية بالأندلس، وكذلك بناء القصبة الكبرى، ومنارة الكتبيين بمراكش، وجامع حسان برباط الفتح، وإتمام بناء المسجد الأعظم بأشبيلية، وغيرها من المشاريع الحضارية. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 3، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م، ص 109.

(28)- راجع : محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964م، ص 143ـ144.

(29)- راجع : أحمد عزاوي، الموحدون .، ص 7304 ـ 7305.

(30)- تؤكد ذلك قطعة فضية مربعة الشكل ضربت على عهد الخليفة المنصور، تحمل اسم ولي العهد، وكتب على وجهها : (ومابكم من نعمة/ فمن الله / حسبي الله / وحده)، وكتب على ظهرها : (ولي العهد الأمير أبو عبد/ الله بن الامرا) . راجع: عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، وابنه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف، محفوظة في متحف الرباط، بالمملكة المغربية، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، ع 11، 2007م. ص 127 ـ 162.

وتعتبر هذه البيعة هي محاولة من الخليفة المنصور لقطع الطريق أمام الطامعين في السلطة من ذوي القرابة، تفادياً لظهور أية معارضة أو قيام صراعات حول منصب الخلافة. ولذلك لما توفى الخليفة في العشر الأخير من ربيع الأول سنة 595هـ/ 1199م، وبويع ابنه أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بيعة العامة بعد أسبوع من وفاة أبيه، كانت خلافته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً، أولها يوم الجمعة الثالث والعشرون لربيع الأول من سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وآخرهما يوم الثلاثاء العاشر لشعبان سنة عشرة وستماية[31].

وقد كانت الفترة الأخيرة من تاريخ الموحدين، مرحلة تراجع، حيث شهدت استبداد الوزراء على الخلفاء بالتعيين أو العزل أو القتل بدأت بتعيين المستنصر[32] بن الناصر سنة 610هـ/ 1213م، وانتهت بتولي المأمون[33] بن المنصور زمام الحكم خاصة بعد دخوله مراكش أواخر سنة 626 هـ/ 1229م، أو أوائل السنة اللاحقة، وقد ضعفت خلالها السلطة المركزية وانتشر قطاع الطرق وزحفت القبائل بني مرين نحو بوادي مدينة فاس، وفترة ثانية دشنها المأمون بمحاولة ترميم السلطة المركزية بالقضاء على كبار الأشياخ المصامدة المتلاعبين بالخلفاء، وبإلغاء المذهب التومرتي الذي يعتزون به، فكانت النتيجة عكسية، حيث بدأت الانفصالات في أنحاء الدولة من الأندلس إلى تلمسان إلى سبتة وإلى جنوب مصمودة، مما جعل ابنه الرشيد يحاول التصالح مع المصامدة، ويعود إلى تبني المذهب التومرتي، فحصل نوع من الهدوء النسبي سرعان ما انتهى بعجز خلفه وأخيه السعيد[34] عن علاج الوضع ووفاته سنة 646 هـ/ 1249م. ففي هذه السنة أنشأ بنو مرين إمارتهم بفاس، وأخذوا يزحفون تدريجياً نحو مراكش إلى أن فتحوها أول سنة 668هـ/1269م، وانتهت بذلك أعظم دولة مغربية في العصر الوسيط[35]، على أيدي بني مرين الذين جعلوا دأبهم وضع نهاية لما بقى من بناء محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي[36].

(31)- راجع : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ط 1، 1985م، ص 236.

(32)- يوسف بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور، بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، لقبه المنتصر بالله، وكنيته أبو يعقوب. راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 317.

(33)- إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، كنيته أبو العلاء، ولقبه المأمون. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص327.

(34)- علي بن إدريس المأمون ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، وكنيته أبو الحسن، ولقبه السعيد، وسمي بالمعتصم بالله. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس .، ص 336.

(35)- راجع : أحمد عزاوي، الموحدون.، ص 7304 ـ 7305.

(36)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.، مج 2، ج 3، ص 12

تعتبر الدولة المرينية واحدة من أهم دول الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. وهي رابع دولة حكمت المغرب الأقصى بعد الأدارسة والمرابطين والموحدين، وأطولهم مدة إذ استمرت من منتصف القرن السابع الهجري إلى منتصف القرن التاسع الهجري[37]. وتذكر الكتابات التاريخية أن السبب في دخول بني مرين أرض المغرب الأقصى، أنه لما كانت وقعة العقاب[38] بالأندلس سنة تسع وستمائة (609هـ/ 1212م)[39]، وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية المغرب، ثم حدث بعد ذلك الوباء العظيم وهلك الناصر سنة عشر بعدها (610هـ/ 1213م)،وبايع الموحدون ابنه يوسف المستنصر[40]، وهو يومئذ صبي حدث لا يحدث التدبير، وشغلته مع ذلك أحوال الصبا ولذات الملك عن القيام بأمر الرعية فتضافرت هذه الأسباب على الدولة الموحدية[41].

وتنسب الدولة المرينية إلى بني مرين إحدى أهم قبائل زناتة[42]، وهي الدولة التي قامت في المغرب، في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وظلت حتى سقوطها سنة (869هـ/1465م)، تقدم للعالم الإسلامي في جناحه الغربي عطاءها السياسي والحضاري، متأثرة ومؤثرة في شعوب المغرب الإسلامي، وبصفة خاصة في بلاد الأندلس حيث حمل المرينيون على أكتافهم مسؤولية الدفاع عن الجناح الغربي للعالم الإسلامي ضد الزحف الأسباني على ممتلكات المسلمين في الأندلس[43].

ويعدُّ الزعيم المريني أبو محمد عبدالحق[44] بم محيو الذي تقلد رئاسة القبائل المرينية، بعد استشهاد والده، أول من قاد المرينيين إلى دخول بلاد المغرب الأقصى، ولم يفكر المرينيون في

(37)- راجع : رشيد السلامي، المرينيون، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2005م، ص 7102.

(38)- خرج أمير المؤمنين من مدينة جيان، فالتقى هو والأدفنش بموضع يعرف بالعقاب، بالقرب من حصن يدعى حصن سالم، فعبأ الأدفنش جيوشه وكانت الهزيمة الكبرى على المسلمين، يوم الاثنين منتصف صفر الكائن في سنة 609هـ/ 1212م. راجع : أبو محمد عبدالواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت،2006م، ص 235ـ 236.

(39)- توفي الملك الناصر يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر شعبان سنة 610هـ/1212م، ودفن يوم الخميس. راجع : المراكشي، المعجب.، ص 236.

(40)- يوسف بن محمد الناصر الملقب بالمستنصر (610 ـ 620هـ/ 1213 ـ 1223م.) راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.، مج 2، ج 2، ص 110.

(41)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا، ج 4، ص 13.

(42)- راجع: اسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبدالوهاب ابن منصور، ط 2، 1992م، ص19.

(43)- راجع : محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، 1985، ص م.

(44)- هو الأمير أبو محمد عبدالحق ابن الأمير أبو خالد محيو ابن الأمير أبو بكر بن حمامة بن محمد بن وزير، بن فجوس، بن جرماط، بن مرين، فهو أمير بن أمير ابن أمير، إلى جده أمير. راجع : علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 30.

الدخول إلى بلاد المغرب الأقصى والاستقرار فيها بصفة نهائية إلا في سنة 610 هـ/1213م، في أعقاب الهزيمة الكبرى التي لحقت بالموحدين في بلاد الأندلس في معركة العقاب، حيث تولى الأمير عبدالحق بم محيو المريني بنفسه عملية الإشراف على تقدم المرينيين من إفريقية والمغرب الأوسط ودخولهم إلى بلاد المغرب الأقصى. وبدأ المرينيون في أعقاب دخولهم إلى المغرب الأقصى حركة انتشار واسعة، وقد بدأ المرينيون حياتهم السياسية بصراع طويل ومرير مع الموحدين استمر ثمانية وخمسين عاماً. وقد ظل المرينيون طيلة ثلاث سنوات متصلة حتى سنة 613 هـ/1216م، يوسعون رقعة نفوذهم في المغرب الأقصى، ولم يؤثر مقتل الأمير عبدالحق وولده إدريس في سلامة الجبهة المرينية، فقد تولى أمر بني مرين أبو سعيد عثمان بن عبدالحق[45] سنة 614هـ/1217م، وهو الذي أنهى الحرب الدائرة بين المرينيين وعرب رياح لصالح بني مرين، وأصبح المرينيون قوة يهابها الموحدون. وما أن حلت سنة 625هـ/ 1228م حتى قوي شأن المرينيين بالمغرب وخضعت لهم جميع قبائل المغرب، وتملكو جميع بوادي المغرب من وادي ملوية إلى رباط الفتح[46].

ولم يتوفر المرينيون على القوة والنظام اللذين كانا لدى الموحدين، وهذا من الأسباب التي جعلت بني مرين لا يستطيعون استعادة المملكة الموحدية بشمال إفريقيا والأندلس، وإنما توزعت هذه الأمبراطورية بين الحفصيين بتونس، وبني عبدالواد بالجزائر. وفي ثاني محرم 668هـ/ 1269م، استولى يعقوب[47] بن عبدالحق[48] على مدينة مراكش حيث انقرضت الدولة الموحدية[49]، وبعد هذا أخذ يعقوب يتلقب بأمير المسلمين بدل لقب «الأمير» الذي كان يدعى به، ثم تابع يعقوب الاستيلاء على ما تبقى من الجهات خارجاً عن نفوذه إلى أن اتسق له سائر المغرب الأقصى[50].

والثابت تاريخيا أن أبو ثابت عامر، حفيد السلطان يوسف بن يعقوب (706هـ/1307م ـ 708 هـ/ 1308م)، حاول توطيد دولة بني مرين، وبعد وفاته تولى أخيه سليمان بن عبدالله (أبو الربيع)، الذي تولى في نفس يوم وفاة أخيه أبي ثابت في الثامن من صفر 708 ـ 710هـ/ 1308 ـ 1310م،

(45)- هو الأمير أبو سعيد عثمان بن عبدالحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن وزير بن فجوس بن جرماط بن مرين الزناتي المريني. راجع : أبي زرع، الذخيرة السنية.، ص 35

(46)- راجع : محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي.، ص 10ـ 12.

(47)- هو أمير المسلمين، وناصر الدين، عبدالله، يعقوب ابن الأمير عبدالحق بن محيو، أمه حرة زاكية مباركة أم اليمن بنت محلي البطوئي الزناتي، كان مولده في سنة تسع وستمائة، ولقبه القائم بالحق والمنصور راجع : أبي زرع، الذخيرة السنية.، ص 85 ـ 111

(48)- يكنى أبا يوسف، ويكتب بالقائم بأمر الله والمنصور به، وتلقب في أول أمره المؤيد بالله . راجع : إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين.، ص 26

(49)- قام أبو يوسف يعقوب بعد إعلان الدولة المرينية بجهود سياسية ضخمة، وكانت أهم أهداف هذه الجهود استكمال تاسيس الدولة الجديدة، وتدعيم أركانها، واظهار سطوتها وقوتها وسيطرتها الكاملة على كافة أقاليمها ومواطنيها. راجع: محمد عيسي الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي.، ص 37.

(50)- راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، رقم 20، الرباط، 1996، ص14ـ 15.

الذي رأى أن ينتقل من طنجة إلى فاس، وقد ظهرت آثار الجهود التي بذلها السلطان أبو الربيع سليمان، وأسلافه السابقون في مجال توطيد الدولة المرينية، واضحة جلية في عهده، فوصلت الدولة إلى حالة عظيمة من النضج والازدهار والتقدم. وتنافس الناس في البناء فعالوا الصروح واتخذوا القصور المشيدة بالضخر والرخام وزخرفوها بالزليج والنقوش وتنافسوا في لبس الحرير واقتناء الحلي من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والترف[51].

وقد كان للسلطان أبي سعيد عثمان[52] (710 ـ 731 هـ / 1310 ـ 1331م) نشاط واسع لتوطيد دولة بني مرين، منذ توليه أمر بني مرين بعد وفاة السلطان أبي الربيع. وحرص أبو سعيد[53] على مباشرة أحوال الدولة وأمور الرعية بنفسه، وقامت حركة الإصلاح في عهده على أساس رفع المظالم عن الناس والتخفيف عنهم. وقد جرت سياسة بني مرين، منذ تولي أبو الحسن مقاليد الأمور في الدولة المرينية سنة 731هـ 1331م، على التوسع في بلاد المغرب الأوسط، وأفريقية.

وقد أمضى المرينيون قرابة الثلاثين عاماً في تنفيذ هذه السياسة التي استغرقت عهد اثنين من عظماء سلاطين بني مرين، وهما السلطان أبو الحسن علي بن عثمان[54]، وأبو عنان فارس بن أبي الحسن (752 ـ 759هـ/ 1351 ـ 1358م)، وقد استعاد بني مرين لنفوذهم في المغرب الأوسط وأفريقية في عهده، وبمقتله 759هـ/1358م، وكان لنبأ وفاة أبي عنان أثره البالغ في سائر أنحاء المغرب، وبذلك، انتهت الفترة المجيدة من حياة الدولة المرينية، باغتيال أبي عنان المريني، فقد كان هذا الملك الشاب مغرما بالتشييد والبناء والعمل على التطوير، وهو من الملوك الذين تفرغوا للنشاط المدني من غير إهمال وتقوية الجهاز العسكري، وجل الملوك من بعده خلعوا أو اغتيلوا، حيث كانت هذه المرحلة مرحلة مؤامرات ونزاع حقيقي على السلطة بين الملوك ووزرائهم، وكان هؤلاء الملوك ضحايا لوزرائهم[55].

وأصبحت هذه الأحداث تشكل نهاية عصر سلاطين بني مرين الأقوياء، وبداية مرحلة جديدة، السمة الغالبة منها على الدولة هي الضعف، وتغلغل نفوذ الوزراء، مما سيؤدي في النهاية إلى سقوط الدولة بمقتل عبدالحق بن أبي سعيد آخر سلاطين بني مرين في الثامن والعشرين من رمضان

(51)- راجع : محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي .، ص 81 ـ99.

(52)- نفسه.

(53)- ولد أبو سعيد في 675هـ/ 1276م، وامه عربية حرة اسمها عائشة بنت أمير عرب الخلط أبي عطية مهلهل بن يحيي، ويكنى أبا سعيد، ويلقب بالسعيد بفضل الله. . راجع: محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي .، ص 100.

(54)- هو أمير المسلمين علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق، يكنى ابا الحسن . راجع : إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين.، ص 26

(55)- راجع : إبراهيم حركات، معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب على عهد بني مرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ع. 2، لسنة 1977، ص 212.

869هـ/ 1465م، نهاية الدولة المرينية، التي عاشت في بلاد المغرب بعطائها السياسي والحضاري الغزير زهاء مائتي عام[56].

وتذكر المصادر التاريخية أنه ليس من اليسير تحديد أصل بني وطاس، لأن بني مرين لم يكونوا قبيلة واحدة، بل كانوا قبائل متعددة، كما أن بني وطاس ينتمون إلى صنهاجة، وبالتالي إلى لمتونة: «من لولد وطاس بن المعز بن يوسف بن تاشفين، ملك المغرب بأسره، والأندلس بأسرها»[57]، ويرجع «وغست كور» نسب بني وطاس إلى علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، الذي ادمج أبناء السلطان في بني وطاس الذين دخلوا بدورهم في الكتلة المرينية عن طريق المصاهرة، ولم يعد في الإمكان التفريق بينهما[58]. كما يذكر المؤرخ «الناصري» أن بني وطاس فرقة من بني مرين، غير أنهم ليسوا من بني عبدالحق، ولما دخل بنو مرين المغرب، واقتسموا أعماله، كان لبني وطاس بلاد الريف. فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم[59]. وسواء كانت دولة بني وطاس امتداداً لدولة بني مرين، أم محاولة لإعادة حكم الصنهاجيين، فقد كان بنو وطاس يرمون إلى محاولة إنقاذ البلاد من الفوضى، والأخطار الخارجية (الأسبان والبرتغال)، وكانت رغبتهم صادقة في توحيد صفوف المغاربة تحت إدارة مركزية يخضع لها الجميع، حتى يمكنها مجابهة الأخطار الخارجية[60].

وقد عاش المغرب الأقصى تحت حكم أواخر المرينيين في فوضى عارمة من الصراعات بين الأمراء المتنافسين على العرش، ويعتبر تاريخ مقتل السلطان عبدالحق آخر ملوك المرينيين في يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة 869هـ/1465م، هو تاريخ انتهاء دولة بني مرين[61]، واضطراب دولتهم بفاس، حيث اجتمع أهل المدينة على مبايعة أبي عبدالله محمد الشريف الإدريسي نقيب الأشراف بفاس إلى أن حاصره محمد الشيخ الوطاسي وضيق عليه، ودخل فاس

(56)- راجع : محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي .، ص 81 ـ99.

(57)- راجع : مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص 22

(58)- يرجع ذكر أسرة بني وطاس إلى ما بعد المراحل الأولى للفتوحات الإسلامية بالمغرب مباشرة، وهي فرع من القبائل الزناتية التي تكونت من : بنو واسين، ومغراوة تستوطنان الهضاب العليا، والجانب المجاور للصحراء شمال غرب أفريقيا.راجع : أوغست كور، دولة بني وطاس، ص 9.

(59)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 4، ص 158 ـ 163.

(60)- راجع : إبراهيم حركات، المغرب عبر العصور.، ج 2، ص 168 ـ 169.

(61)- يرجع تاريخ بداية الدولة الوطاسية إلى بداية وصاية أبي زكريا الوطاسي خلال فترة حكم عبدالحق المريني آخر سلاطين بني مرين، ثم امتدت الدولة الوطاسية حوالي مائة وأربعين سنة، حمل الوطاسيون خلالها اللقب السلطاني خلال التسعين سنة الأخيرة. راجع: أوغست كور، دولة بني وطاس، ترجمة محمد فتحة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010، ص 9.

875هـ/1470م فاستولى على الحاضرة وصفا له ملك المغرب، وأصبح أول ملوك الوطاسيين بالمغرب الأقصى[62].

والثابت تاريخيا، أن أبي زكريا يحيي كان أحد أفراد أسرة بني وطاس، وكان يتوفر على نفوذ قوي بسلا ومكناس، وحينما توفي أبو سعيد عثمان المريني زادت الاضطرابات، وبايع الوزير الوطاسي وهو لم يتجاوز عمره سنة واحدة، وهو عبدالحق، ونصب نفسه وصيا على عرش المغرب. ثم انفرد بحكم مملكة فاس باسم السلطان عبدالحق، وتوطد مركز أبي زكريا يحيي الوطاسي وأصبح صاحب السلطان الفعلي، واختار لمعاونته رجلا يسمى أبا الحسن علي بن أبي الحجاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي ليكون سندا له في الحكم ووريثا في المستقبل[63]، واعتمد الوطاسي على دعم المتصوفة في مواجهته للنصارى الذين اجتاحوا أغلب سواحل المغرب، وقد استمر هذا التعاون بين الوصي والزوايا ما يزيد عن ثمان وثلاثين سنة، اعتبرها المؤرخون العصر الذهبي للزوايا في المغرب الأقصى، وخلال هذه الفترة تم تأسيس عدد كبير من الزوايا[64].

وقد لقي أبو زكريا حتفه في سنة 852هـ/1448م، ودفن في قبور المرينيين بفاس، واعتبر محمد الشيخ نفسه أحق بالملك من غيره منذ مقتل السلطان عبدالحق سنة 869هـ/1465م واعترف أهل فاس بسلطانه في عام 875هـ/1470م، ودام ملكه خمسا وثلاثين سنة منذ مبايعته سلطانا في فاس، حاضرة المرينيين، (876 ـ 910هـ/ 1471 ـ 1505م) ،وقد عمل على الاستفادة من السياسة الدينية التي اتبعها والده، وانتهى الأمر بمحمد الشيخ وخلفائه إلى تبني لقب الشريف في عوائدهم المخزنية، وخلف محمد الشيخ ابنه محمد البرتغالي[65]، (910ـ 932هـ/1505ـ 1524م) ، الذي وجه عنايته بجهاد البرتغاليين، وتولى الحكم من بعده أخوه أبو الحسن بن علي بن محمد الشيخ المعروف ببوحسون، لكن أبا العباس أحمد بن محمد البرتغالي قبض على عمه بوحسون، وتم خلعه في سنة 932هـ/1526م، وبويع أبو العباس أحمد (932 ـ 956هـ/ 1524 ـ 1548م) رسميا من طرف فقهاء فاس[66].

وكان أخر سلاطين بني وطاس هو أبو الحسن بن محمد الشيخ الوطاسي، الذي أقيل بعد بضعة أيام على مبايعته من طرف ابن أخيه أحمد الوطاسي، وحينما وقع السلطان أحمد الوطاسي في يد الشريف السعدي، ولم تكن وضعية بوحسون بعد انفراده بحكم مملكة فاس أحسن من وضعية محمد

(62)– راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 4، ص 158 ـ 163.

(63)– راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب الإسلامي.، ج 2، ص 78 ـ 80.

(64)– راجع :أوغست كور، دولة بني وطاس.، ص 145 ـ 147

(65)– جاءت التسمية نتيجة اقامته مدة طويلة أسيراً بالبرتغال. راجع : أوغست كور، دولة بني وطاس.، ص 147

(66)– راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب الإسلامي.، ج 2، ص 78 ـ 80.

الشيخ المستقر بمراكش، فقد أعلن سكان الأطلس استقلالهم وكانت خزينة الدولة فارغة،وسقط آخر سلاطين الوطاسيين تحت ضربات السعديين، وكان ذلك إيذانا بظهور دولة جديدة[67].

وقد امتد حكم الدولة السعدية[68] في المغرب الأقصى حوالي قرن ونصف من الزمان، ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل أساسية، امتدت المرحلة الأولي من سنة (915 ـ 964هـ/ 1510 ـ 1556م)، وشملت حكم كل من محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله (915 ـ 923هـ/ 1510 ـ 1517م)، أبو العباس أحمد الأعرج (923 ـ 946هـ/ 1517 ـ 1540م)، ومحمد المهدي الشيخ (946 ـ 964هـ/ 1539 ـ 1556م)،وقد قضاها هؤلاء الملوك الأوائل في تحرير الثغور المحتلة، والقضاء على حكم بني وطاس والوحدات الانفصالية السياسية في البلاد، ومحاولة بسط النفوذ[69].

والمرحلة الثانية، وهي مرحلة الازدهار، والتي امتدت من (964 ـ 1012هـ / 1556 ـ 1603م)، وتعتبر هذه المرحلة فترة الاستقرار السياسي والازدهار الحضاري، وشملت حكم كل من : أبو محمد عبدالله الغالب بالله (964 ـ 981هـ/1556 ـ 1573م)، وأبو عبدالله محمد المتوكل (981 ـ 983هـ/1573ـ 1075م)، وأبو مروان عبدالملك المعتصم (983 ـ 986هـ/ 1575 ـ 1578م)، ثم أحمد المنصور الذهبي (986 ـ 1012هـ/ 1578 ـ 1603م).

ويعتبر السلطان أبو العباس أحمد المنصور الذهبي واسطة عقد السعديين وعهده أزهى عهود هذه الدولة رخاء وعلما وعمرانا وقوة وجاها، وهو الذي بدأ ربط العلاقات السياسية والاقتصادية مع الأوروبيين وخاصة انجلترا ومهد بلاد السودان سنة 999هـ/1591م، وانتشر نفوذه إلى حوضي النيجر والسينغال. وقد تولى أحمد المنصور الحكم عشية يوم معركة وادي المخازن[70]، بويع باسم الخليفة المنصور تخليدا لانتصار المسلمين حيث وصف المؤرخ الفشتالي ذلك بقوله : (بويع أيده

(67)- راجع :إبراهيم حركات، المغرب عبر العصور.، ج 2، ص 168 ـ 175.

(68)- السعديون : نسبة لم تكن معروفة لهم في القديم، فلم تظهر في ظهائرهم ولا في سجلاتهم وصدور رسائلهم، ويقال أنهم من بني سعد بن بكر، وربما سموا بذلك لأن الناس سعدوا بهم. أوهم أسرة شريفة حكمت المغرب خمسين ومائة عام (915ـ1658-1509/1069) وتعد الدولة المغربية السادسة بعد الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينينوالوطاسين.وكانوا أيام ملكهم يدعون بالشرفاء الزيدانيين الحسنيين،نسبة لجدهم زيدان بن أحمد بن قاسم هذا أتى به الدرعيون من ينبع بالجزيرة العربية في أواخر القرن السابع (13م)كما أتى أهل سجلماسة من بعده بأخيه الحسن الداخل جد الشرفاء العلويين لتصلح ثمارهم وتسلم من العاهات.ولم تطرح قضية نسب السعديين إلا في أواخر دولتهم لما ضعفوا وثار عليهم العلويون وغيرهم في مناطق متعددة . راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 13.، محمد حجي، السعديون، معلمة المغرب، مطابع سلا، 2002، ص 4984.

(69)- راجع :إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1987م، ص 290 ـ 299.

(70)- اشتد المرض على المعتصم ليلة المعركة الحاسمة التي جرت في تاريخ المغرب يوم الاثنين 30جمادى الأولى عام 986هـ، الموافق 4 أغسطس 1578م، والتي عرفت بمعركة وادي المخازن أو معركة القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاثة، ففي صبيحة يوم هذه المعركة مات عبد الملك، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين. راجع : عبدالكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، ط 3، 2006م، ص 105، عبدالكريم كريم، معركة وادي المخازن من خلال الوثائق التاريخية، مجلة التاريخ العربي، العدد الثالث، الرباط، صيف 1997م، ص61.

الله عشية الاثنين الآخر من جمادى الأولى بمشهد الفتح الذي حضرته ملائكة الرحمن ...وكانت ولادته على رأس الثلاثين سنة من ولادته)[71]. وبايعته بعد ذلك حواضر المغرب وبواديه بعد الفراغ من قتال النصارى بوادي المخازن يوم الاثنين من سلخ جمادى الأولى سنة ست وثمانين وتسعمائة، واستمر ملكه ستا وعشرين سنة، واجتمع عليها من حضرة فاس يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة. وجددت له البيعة بها، ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن ثم بعث إلى مراكش وغيرها من حواضر المغرب وبواديه، فأذعن الكل للطاعة وسارعوا إلى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة[72].

ولقد أضطلع أحمد المنصور[73] بأعباء الدولة في أعقاب معركة وادي المخازن[74] وجنى هو ثمرة الظفر فبويع في ساحة القتال ملقبا بالمنصور يوم الاثنين متم جمادى الأولى سنة 986هـ/4 غشت 1578م[75].

وقد رفع هذا النصر المغرب الأقصى في أنظار أهل أوربا، فامتنع الطمع فيها أو في أراضيها، وسعت الدول في إقامة علاقات طيبة معها، وكل ذلك زاد في جلالة المنصور وهيبته، وكان فيه ميل إلى الفخامة فسعي إلى تجميل عاصمته مراكش بالمباني، واستقدم لإنشائها أهل الهندسة والفن من البلاد الإسلامية والأوربية[76].

وقد واجه أبو العباس المنصور بالله مخلفات الفتن والحروب التي عمت البلاد طوال ثلاث سنوات وما نشأ عنها من انقسامات وزعامات بين القبائل والأندلسيين المهاجرين إلى الأخطار الخارجية المزمنة المتمثلة في الدولتين القويتين المجاورتين : الأسبان والأتراك، حيث جاءته التهنئة بفاس من مختلف الدول الإسلامية والمسيحية حاملة إليه الهدايا الفاخرة منذ الأيام الأولى لتوليته، وبذل له البرتغاليون إضافة إلى الغنائم العظيمة التي استحوذ عليها في المعركة ما احتوت عليه خزائنهم من ذخائر لفداء نبلائهم الأسرى، كما بدت كفاية أحمد المنصور السياسية، وحنكته

(71)- راجع : الفشتالي، مناهل الصفا.،ص 25 ـ 52.

(72)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 95 ـ 98 .

(73)- راجع : أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تحقيق: إبراهيم بو طالب وأخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 2011م، ص 26 ـ 37،

(74)- عرفت عند الأوربيين بمعركة الملوك الثلاثة، حيث مات فيها ثلاثة ملوك هم: سباستيان ومحمد المتوكل وأبو مروان عبد الملك. راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته .، ج 2، ص 189.

(75)- راجع : محمد حجي، أحمد المنصور الذهبي، معلمة المغرب، ج 1، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، 1989م، ص 173 ـ 175.

(76)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته .، ج 2، ص 190

العسكرية في السنتين الأوليين حيث تمكن من تتبع رؤوس الفتنة وتمهيد البلاد لخلق أرضية سلمية إن لم تكن ودية بين المغرب والخلافة العثمانية مع موقف متبصر تجاه الأسبان ورثة الإمبراطورية البرتغالية المنهارة(77).

وقد اشتهر المنصور بغناه ووفرة أمواله، فصار يعرف بالمنصور الذهبي وقد بدأ ذلك بالمغانم وفدية الأسرى الذين صاروا إليه من معركة وادي المخازن، وقد أحبه الجند لما كان من تركه أموال ما استولوا عليه من المغانم، فنظم الجيش تنظيما دقيقا، وتوسع في النفقة عليه، وكان بطبعه رجلا كريما سخي اليد، وقد استخدم الجيش في جمع الخراج فكثر ماله، ثم انه كان يشجع التجارة والتجار، ويساهم في الأعمال التجارية فكثرت أمواله وحملته على بلاد تيكورارين وتوات في ذاتها كان هدفها الحقيقي الوصول إلى الأراضي التي يصل إليها التبر القادم مع التجار من بلاد السودان الغربي(78).

وكان من موارد الدولة في عهد المنصور، الخراج وأموال الفداء عن أسرى وادي المخازن، ودخل السودان الذي عاد على الدولة بثروة طائلة، بالإضافة إلى مستفاد السكر والتجارة الخارجية والجمرك، بما في ذلك جمرك سبتة الذي كان له جاب خاص يقيم عند مدخل المدينة، وكانت تفرض الغرامات الباهظة على الثوار الذين تتغلب عليهم الدولة، وفي هذا العهد كان الجباة يعينون مباشرة من الملك، وكانوا يختارون من ذوي الثراء حتى لا يطمعوا في مال الدولة(79).

أما المرحلة الثالثة : تبدأ هذه المرحلة بنهاية حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي في سنة (1012 ـ 1069هـ/ 16069 ـ 1658م) بداية المرحلة الثالثة، والأخيرة في حياة الدولة السعدية،

ولما مات المنصور اجتمع أهل الحل والعقد من أعيان فاس وكبرائها، بعد أن فرغ الناس من دفن المنصور(80)، على بيعة ولده زيدان، وقالوا أن المنصور استخلفه في حياته، ومات في حجره، فبايعه الحاضرون يوم الاثنين، السادس عشر من ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وألف (16 ربيع الأول 1012/ 24 أغسطس 1603م)(81)، وعندما اتصل بأهل مراكش خبر الوفاة، وكتب إليهم أهل فاس

(77)- راجع : محمد حجي، أحمد المنصور الذهبي، معلمة المغرب، ج 1.، ص 173 ـ 175.

(78)- اشتهر عند شعراء المغرب وتجارهم بالفخامة وجلال المظهر خاصة وكان هم نفسه شديد العناية بذلك، فكان يظهر بأفخر الملابس وجنوده من حوله في أزياء باهرة الألوان مزينة رؤوسهم بريش النعام، فسعى إلى مصادقته ملوك الغرب وأرسلوا إليه الهدايا القيمة. راجع : حسين مؤنس،تاريخ المغرب الإسلامي.، ص 194 ـ 196.

(79)- راجع : إبراهيم حركات، المغرب عبر العصور، ج 2، ص 362.

(80)- توفي الخليفة المنصور أبو العباس أحمد الذهبي السعدي، سنة اثنتي عشرة وألف (ربيع النبوي 1012/ أغسطس 1603م)، ودفن بإزاء مقصورة الجامع الأعظم، وحضر جنازته ولده زيدان، وقدم للصلاة عليه مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها الفقيه أبو عبد الله، محمد بن قاسم القصار. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 201 .

(81)- راجع : الإفراني (محمد الصغير)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبداللطيف الشادلي، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 282.

بمبايعتهم لزيدان امتنعوا، وبايعوا أبا فارس عبد الله، الذي تلقب بالواثق بالله، لكونه خليفة أبيه بدار ملكه التي هي مراكش، وكانت بيعة أبي فارس بمراكش، يوم الجمعة، أواخر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة وألف (أواخر ربيع الأول 1012 هـ/ أوائل أكتوبر 1603م)، وهو شقيق الشيخ المأمون[82]. وبذلك تسرب الضعف إلى البلاد في هذه الفترة، وتأزمت الأوضاع، واختل النظام، بسبب النزاع والصراع بين الأخوة على العرش مما أدى في النهاية إلى سقوط الدولة السعدية[83]. وحكم المغرب الأقصى بعد السعديين الأشراف العلويون 1075هـ/1664م.[84]

وحيث إن الدولة العلوية قد خلفت لنا العديد من المآثر التاريخية، والمعالم الحضارية، والتحف الفنية التي تزخر بها ربوع المملكة المغربية، سنخصص بحول الله تعالى دراسة علمية مستقلة قادمة عن روائع التراث المعماري والفني في المغرب في عهد الدولة العلوية، وذلك لإبراز السمات الفنية الفريدة في عمارة وفنون الدولة العلوية.

(82)- أمهما أم ولد اسمها الجوهر، ويقال الخيزران. راجع : أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا .، ج 5، ص 222.

(83)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 95 ــ 138.

(84)- راجع : إبراهيم بوطالب، معلمة المغرب، ج 18، ص 6168 ــ 6170.

الفصل الأول

التراث الفني الإسلامي

من الفتح العربي إلى نهاية عصر المرابطين

- مظاهر الإشعاع الفني في الفترة المبكرة بالمغرب
- ازدهار الفنون الإسلامية في عصر المرابطين

مظاهر الإشعاع الفني

في الفترة المبكرة بالمغرب

الثابت تاريخيا أن المغرب الأقصى قد عرف الفنون الزخرفية وبناء المساجد مع دخول الإسلام، في منتصف القرن الهجري الأول، وإذا كان أول جامع أسس في منطقة المغرب الكبير هو جامع عقبة بن نافع[85] الذي بناه في ولايته الأولى على أفريقية وسط مدينة القيروان عام 50هـ/670م[86]، فإنه بعد توغل الفاتح العربي عقبة بن نافع في ولايته الثانية عام 62هـ/682م ووصوله إلى المحيط الأطلسي، بنى في جنوب المغرب الأقصى المسجد الجامع المنسوب إليه المعروف بمسجد عقبة أو رباط عقبة بضاحية مراكش، وكذلك المسجد الجامع المنسوب لأحد أصحابه «شاكر»، وهو مسجد شاكر أو رباط شاكر على ضفاف وادي تانسيفت[87]، كما أسس موسى بن نصير جامعه المعروف باسم جامع البيضاء أو جامع الملائكة[88]، على ربوة عالية في قبيلة بني حسان جنوبي مدينة تطوان، ويوجد جامع ثالث ينسب إلى فاتح الأندلس طارق بن زياد على مقربة من مدينة شفشاون[89].

(85)- راجع : ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق : شارلز توري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر 50، مطبعة شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص 193 ـ 200.

(86)- جامع القيروان: هو جامع عقبة بن نافع الذي أسس سنة 50 هـ. ويعود الفضل لزيادة الله الأول في رسم ملامحه وتخطيطه النهائي 221-223هـ. وأضاف أبو إبراهيم أحمد سنة 248 هـ المجنبات وقبة البهو. وهو يشتمل على 17 بلاطة وثمانية أساكيب ويستمد تخطيطه من الجوامع الأمويّة مع الإقتداء بمثال جامع الرّسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة. راجع : أحمد الطويلي، تاريخ القيروان الثقافي والحضاري، تونس، 2001، ص 35ـ 45، .Maoudoud (Khaled): Kairouan, Tunis, 1991, pp. 18- 28

(87)- راجع : محمد حجي، الجامع، معلمة المغرب، ج 9، ص 2862 ـ 2863.

(88)- هو مسجد صغير، مربع الشكل، طوله نحو خمسة أمتار، وعلوه لا يتجاوز الأربعة أمتار، وسقفه بالقبو في نحو نصف دائرة، طول محرابه متر ونصف على 70 سنتميترا عرضا، وهو محكم البناء، بني بالجير والحصى الدقيق (الطابية) وأرضه حصباء، ويقال : إن الناس كانوا يدفنون فيه أمواتهم عند الفزع، وفي معتقداتهم أن كل من أخذ منه شيئا لابد أن يصاب بسوء، ولازال يتبرك به إلى الآن. وقد سقط سقف مدخله، وتلاشت أبوابه، وجزء من الواجهة الخارجية.، وقد أدخلت عليه بعض الإصلاحات عبر عصور التاريخ. راجع : سعيد أحمد أعراب، مسجد موسى بن نصير، مجلة دعوة الحق، العددان 78 و79، لسنة 1965م، ص 90

(89)- راجع :عبدالعزيز الدرويش، اتجاهات معمار المساجد المغربية، ندوة خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية، الرباط، 18 يونيو 2007م، ص 49.

وكان من أبرز مظاهر الاشعاع الفني في المغرب الأقصى هو انبثاق مساجد وجوامع تتسم بطابع عربي أصيل، حيث توجد بأفريقية العناصر الأولية للفن الإسلامي فمدينة القيروان هي أول حاضرة أسسها العرب بعد فتح عقبة بن نافع الفهري، وقد برزت في القرن الثاني الهجري أهمية هذه المدينة التي أصبحت عاصمة المغرب الإسلامي في عهد عبيد الله بن الحبحاب، والذي استعمل على طنجة العامل عمر بن عبدالله المرادي، في أواخر عهد الأمويين وأوائل العصر العباسي. وتعتبر إمارة نكور الواقعة بالريف على شاطئ البحر الابيض المتوسط أول مملكة عربية بالمغرب الأقصى، حيث ترجع إلى عصر الوليد الأموي، وتعرف بإمارة صالح بن منصور الحميري، ومنذ العقود الأولى للفتح الإسلامي للمغرب الأقصى اتجهت الجهود لبناء رباط في عهد الأمير سعيد ابن صالح، يحتوي على مسجد مستوحى تصميمه من مساجد الإسكندرية، وكان أسلوبه الفني بسيطا تبعا للفن الشرقي الإسلامي، كما بني على نفس الطراز مسجد أغمات غيلانة في عام 85هـ/704م[90].

وقد احتفظ المغرب الأقصى بسمة خاصة نظرا لكون العباسيين لم يملكوا ما وراء المغرب وتلمسان، ولم تستمر الوحدة السياسية بين المغرب والأمويين سوى عقود من السنين عندما ولي هشام بن عبدالملك عبيد الله بن الحبحاب مصر وأفريقيا والأندلس، فكان له من العرائش، وطنجة إلى سوس الأقصى والأندلس وما بين ذلك. وفي نفس الوقت الذي تأسست فيه دولة الأغالبة وبني رستم في كل من أفريقية والمغرب الأوسط، تركز الأدارسة بالمغرب الأقصى[91]، فظهور العباسيين بالمشرق قد حدا بالأمويين إلى تأسيس مملكة اتخذوا لها قرطبة حاضرة، وبالرغم من احتكاك القبائل العربية المستقرة بالأندلس واستفحال حركة التمرد بانضمام البربر وتدخل المسيحيين لم تتوقف مراحل ازدهار الفنون. وقد نتج عن حركة الربضيين الثورية التي شبت في ربض قرطبة بعد تأسيس فاس هجرة عائلات أندلسية من مختلف الطبقات إلى خارج الأندلس، وقد استفادت حاضرة المغرب الإدريسية من الأفواج القرطبية التي توافدت للسكن فيها. فكان لهؤلاء أثرهم في توجيه الحركة الفكرية والمآثر الفنية. كما أن الاستقرار السياسي الذي استتب في عهد الناصر والحكم الثاني قد فتح المجال في وجه الأدباء والشعراء والفنانين، فأقيمت دعائم نهضة فنية جديدة تجلت معالمها الرائعة في البنايات التي تنافست العناصر المختلفة من سكان الأندلس في وضع أسسها، مما أدى إلى تأصيل نواة وصفت فيما بعد بالفن الأندلسي المغربي[92].

(90)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، الأثر الإسلامي في الفن المغربي.، مجلة الرسالة الخالدة، 1963، ص 34ـ 36.

(91)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال، مجلة اللسان العربي، العدد 1، 1972، ص 239.

(92)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، الأثر الإسلامي في الفن المغربي.، ص 36.

ويمكن القول بأن الحديث عن المساجد الجامعة[93] الأولى في المغرب الأقصى لا يزال يكتنفها نوع من الغموض، وذلك نظرا إلى ندرة المعلومات التاريخية والمعطيات الأثرية عن نشأة المساجد الأولى في العصر الإسلامي المبكر بالمغرب الأقصى[94]. وتعتبر المعلومات التي أوردها الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، هي معلومات مختصرة تتعلق ببعض المساجد الموجودة في أصيلة والبصرة[95]، وفاس، وأجراوة[96] مكناسة[97].

ويذكر أن المسجد الأعظم بأصيلة بني بأمر من الوالي الإدريسي بالبصرة[98] وطنجة، القاسم بن إدريس الثاني، داخل أسوار المدينة، وكان يتألف من خمس بلاطات بالقرب من البحر، كما

(93)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، موسوعة الرباط، الجزء الأول، منشورات جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة، 2008، ص 138.

(94)- نذكر من الدراسات التي اهتمت بالمساجد في المغرب الأقصى ما يلي

Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine à Fès, Archéologie méditeranéenne, III, C. Clincksieck, Paris, 1968., Terrasse H., La mosquée des Andalous à Fès, éditions d'art et d'histoire, Paris, 1942., Terrasse H., La grande mosquée de Taza, les éditions d'art et d'histoire, Paris, 1971., Abdeltif El Khammar, mosquées et oratoires de Meknès (Ixe – XVIIIe siecles) : géographie religieuse, architecture et problème de la Qibla, Faculté de géographie, histoire, histoire de l'art et tourisme, Université Lumière, Lyon II, 2005., B. Maslow, Les mosquée de Fès et du Nord du Maroc, les éditions d'art et d'histoire, Paris,1937., Caillé Jacques, La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire, MICMXLIX.

(95)- راجع : إبراهيم حركات، حضارة الأدراسة، مجلة دعوة الحق، العدد 38، لسنة 1961م، ص 45 ـ46.

(96)- تقع جراوة في الشمال الشرقي من المغرب، بناها إدريس ابن محمد بن سليمان أو لوده عيسى الملقب بابي العيش في سنة 237 وكانت تحتوي على جامع من خمس بلاطات، وعلى خمسة حمامات، وكان لها أربعة أبواب ويسكن حولها بنو يزناسن، وزواغة وزناتة، كما كان يقع بقربها قرى مدغرة على البحر المتوسط.راجع : إبراهيم حركات، حضارة الأدراسة، مجلة دعوة الحق، العدد 38، لسنة 1961م، ص 44، عبدالعزيز توري، وآخرون، نظرة حول التنظيم المكاني للمساجد المغربية، ندوة خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية، الرباط، 18 يونيو 2007 من ص 21 ـ 23.

(97)- أسست سنة 259هـ/872م، على يد الأمير الأدريسي أبي العيش عيسى بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن الحسن. وموضع أجراوة مكناسة شرق مدينة فاس على الطريق الرابط بين فاس والقيروان. راجع : المصطفى بنفايدة، مكناس جولة في التاريخ والمعالم، شركة الطباعة مكناس، ط 2، مكناس، 2008.م، ص 10 ـ 16.

(98)- البصرة: مدينة مغربية أسسها إدريس الثاني بن إدريس الأول بسهل الغرب، وقد بنيت مدينة البصرة في أواسط القرن الثالث الهجري، وأول من تولاها من الأدارسة إبراهيم بن القاسم بن إدريس، وتقع بين أصيلة والعرائش بعيدة عن البحر. وكانت البصرة في تعداد المدن التي ضربت بها النقود باسم المولي إدريس الثاني في فترة كفالة مولاه راشد وفي فترة ملكه بعد رشده، وبعد وفاة هذا الإمام سنة 213 هـ/ 828م آلت البصرة إلى ابنه القاسم، قبل أن تنزع منه سنة 216هـ لتقع تحت حكم أخيه عمر، ثم تعود إليه في عهد ابن أخيه يحيي بن محمد إلى أن توفي سنة 254هـ. مابين هذا التاريخ و 347هـ تاريخ دخول جوهر الصقلي واستيلائه على المدينة. ثم في سنة 362هـ دخلت البصرة تحت حكم أموي الأندلس لما دخلها قائدهم الغالب. وفي سنة 368 عاد إليها الحكم الفاطمي بقيادة أبي الفتوح يوسف ابن زيري المكني ببولكين الذي هدم جانبا من أسوار البصرة، وأزال عنها بصفة نهائية دور العاصمة الإقليمية الذي كان لها فيما قبل، لتستمر كمدينة تجارية نشيطة إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وسميت بالبصرة تذكيرا ببصرة العراق، وهي تنعت بالحمراء من كونها على تربة تضرب إلى الاحمرار، وتعرف أيضا بمدينة الكتان، لأن أهلها كانوا يقايضون به في أكثر أعمالهم التجارية. راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس،.ص 63، عبدالعزيز توري، البصرة، معلمة المغرب، مطبعة سلا، 1991م، ص 1253 ـ 1255.، أحمد الشرقاوي إقبال، البصرة، معلمة المغرب، ص 1255 .

بني في البصرة مسجد يتكون من سبع بلاطات، وبني في أجراوة مكناسة مسجد يتألف من خمس بلاطات تستند أقواسها إلى أعمدة من الحجارة[99].

وقد أسس الطراز المغربي على نمط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وقد تميز الطراز المغربي بخصوصياته من اتساع بيت الصلاة الذي يتكون من بلاطات عمودية أو موازية لجدار القبلة، وصحن مكشوف، وكثرة الأعمدة أو الأكتاف الحاملة للسقوف، بالإضافة إلى الأسقف الهرمية، والمآذن المربعة، والتوسع في استعمال الأقواس المدببة أو حدوة الحصان، وتزيين الجدران بالجص المنقوش مع الاهتمام بالرواق المؤدي إلى المحراب، والاكتفاء بعدد قليل من القباب الصغيرة فوق الرواق الأوسط[100].

وقد وردت بعض الإشارات عن مساجد فاس مثل مسجد الأشياخ[101]، ومسجد الشرفاء[102]، وجامع القرويين[103]، الذي يرجع بناؤه إلى عهد أول دولة إسلامية أسست بالمغرب، وهي مملكة الأدارسة التي اتخذت مدينة فاس عاصمة لها[104]، حيث وهبت السيدة فاطمة بنت عبدالله الفهري القيرواني (أم البنين)، كل ما ورثته من أموال في بناء المسجد الذي تم الشروع فيه يوم السبت مستهل رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين/ 30 نوفمبر 859م[105].

وقد نصبت قبلة جامع القرويين على نحو قبلة جامع الشرفاء الذي أسسه الإمام إدريس بن إدريس، وبني من أربع بلاطات من قبلة إلى جوف في كل بلاط اثنا عشر قوساً من الشرق إلى

(99)- راجع : عبدالعزيز توري، وآخرون، نظرة حول التنظيم المكاني للمساجد المغربية،، ص 21 ـ 23.

(100)- راجع : عبدالعزيز الدرويش، اتجاهات معمار المساجد المغربية،، ص 50 ـ 51.

(101)- بني مسجد الأشياخ على يد المولى إدريس الثاني (187 ـ 213هـ/ 803 ـ 829م)، في عدوة الأندلسيين القديمة بفاس، ووضعت نواته الأولى 129هـ/807م وكان هذا المسجد يتألف من ستة بلاطات متعامدة مع جدار القبلة، وصحن كبير. راجع : محمد حجي، الجامع، معلمة المغرب، ج 9، ص 2862 ـ 2863.

(102)- أسس مسجد الشرفاء على يد المولى إدريس الثاني في المدينة العتيقة بفاس في موضع يعرف بالقرمدة، ويرجع تاريخ تشييده سنة 193هـ/ 808م، وكان يحتوي على ثلاثة بلاطات متعامدة مع جدار القبلة، وفي عهد الوالي الفاطمي أبي عبدالله الشيعي أصبح مسجد الأشياخ مجرد مسجد حي، ووقف به إقامة صلاة الجمعة وخطبتها بسبب ضيق مساحته، ونقلت خطبته إلى جامع القرويين. ومسجد الشرفاء الذي به الضريح الإدريسي، حيث أقبر الإمام إدريس الثاني بهذا المسجد، وقد اندثر اسم القرمدة ولم يبق له وجود. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 47، علي الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م، ص 25.

(103)- راجع : عبدالعزيز توري، وآخرون، نظرة حول التنظيم المكاني للمساجد المغربية، ص 21 ـ 23.

(104)- راجع: حسن علي حسن، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 63.

(105)- يذكر المؤرخون أن هذه المدينة التاريخية قد عرفت في ذلك العهد نزوح وهجرة بضعة آلاف من عرب القيروان، حيث عمل أميرها على إسكانهم بالضفة الشرقية من وادي فاس، وسماها عدوة القيروانيين، ولكثرة الاستعمال خُففت فأصبحت القرويين. راجع : ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 68.

الغرب[106] وجعل محرابه بمقدم البلاط الذي أمام الثريا الكبرى الآن وجعل بمؤخره صومعة حيث العنزة الآن[107]. وبذلك كان جامع القرويين الأول في عهد الأدراسة يشتمل على أربعة بلاطات تسير في موازية القبلة تشغل مساحة عمق المسجد بين القبلة الواقعة جنوباً وبين العمق في الجهة الشمالية[108].

كما كان بيت الصلاة يشتمل على اثني عشر قوساً يبلغ اتساعها الأفقي الموازي لجدار القبلة بامتداد حائط المحراب، وعندما تولى أحمد بن أبي بكر الزناتي زاد فيه أربعة بلاطات من الغرب وخمسة من الشرق، وثلاثة من الجوف في موضع الصحن الذي كان فيه، وجعل بمؤخره الصحن، وفي غربي هذا الصحن بلاطتان، وفي شرقيه كذلك وفي جوفه بلاط واحد بعد أن هدم الصومعة التي كانت فيه، وبني منارته[109].

وأصبح تخطيط جامع القرويين في العصر الزناتي فيما بين عصري الأدراسة والمرابطين عبارة عن بيت للصلاة يشتمل على 21 بلاطة عمودية على القبلة تتجه بين القبلة والصحن[110]، كما يشتمل على سبعة بلاطات عقودها موازية لحائط القبلة بعد أن كان يشتمل على أربعة في عهد الأدارسة ثم زود بصومعته الحالية بعد هدم الأصلية لقدمها. أما القبة التي على العنزة[111] فإنها من بناء المظفر بن المنصور ابن أبي عامر حاجب الخليفة المؤيد بناها عندما تغلب على فاس

(106)- راجع : حسن السائح، التاريخ العلمي لجامعة القرويين، منشورات الإيسيسكو، الرباط، 1997م، ص 15

(107)- تكمن القيمة التاريخية والأثرية لهذا النقش الذي يحمل تاريخ انتهاء العمل في المسجد، وهو « شهر ذي القعدة من سنة ثلاثة وستين ومائتين» وبذلك تكون أعمال البناء قد استغرقت ثلاث عشرة سنة. والنقش يحمل سراً آخر حيث ينصف عاهلاً إدريسياً مرت عليه الكتب مرور الكرام بالرغم من أنه ظل المسيطر الحقيقي طيلة الفترة التي عاشتها فاس بعد توزع الأمر بين بني ادريسن هذا العاهل هو داود بن إدريس الذي كان عاملا على إقليم تازة من قبل أخيه محمد. راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، فصلة من مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد 14، 1960، ص 62.

(108)- هذا لا يتعارض مع اللوحة الخشبية التي عثر عليها بناحية البلاط الذي كان فيه المحراب القديم نقش عليها بالخط الكوفي « إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، شهد الله أنه لا إله إلا هو سبحان الله العظيم، بني هذا المسجد في شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وستين ومائتي سنة، مما أمر به الامام أعزه الله داود بن إدريس أبقاه الله وأكرمه ونصره نصراً عزيزاً، وفتح له فتحا مبينا». راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 1، ط 1، الرباط، 1992م، ص 267.

(109)- ابن أبي زرع، روض القرطاس .، ص 70.

(110)- بعد أن كانت 12 بلاط في عهد الأدراسة

(111)- العنزة بفتح النون حاجز من خشب، والعنزة اصطلاح مغربي يقصد به المحراب الرمزي الذي يقام في الصحن عند نهاية بلاط المحراب. والعنزة و الحربة أو اللواء الذي يركزه شيخ القبيلة في الصحراء قبل قيام الأعراب للصلاة ليحدد موضع المحراب من الفضاء ومقام الإمام من المصلين. راجع: أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج 1، دار المعارف، القاهرة، 1965م، ص 142.

سنة 388 هـ/998م، وبنى السقاية والبيلة المستطيلة التي على يسار الخارج من باب الحفاة الجوفية وجلب لها الماء من وادي حسن بأعلى المدينة من ناحية باب الحديد[112].

وعلى الرغم من ندرة ما تبقى لنا من التحف الفنية والنقوش التسجيلية التي تعكس تطور الفنون الزخرفية في هذه الفترة المبكرة من العصر الإسلامي بالمغرب الأقصى، إلا أن الإشارات التاريخية الواردة، توضح اهتمام الإمارات الأولى (الأدارسة، والزناتيين ...) بالفنون الإسلامية في تلك الفترة المبكرة، وخير مثال على ذلك، المنابر الخشبية الأولى التي أُسست في المغرب الأقصى، والتي تعكس الازدهار الفني والصناعي في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المغرب الأقصى الإسلامي.

ويعتبر المنبر الأول الذي وضع في جامع القرويين من التحف الفنية الرائعة التي صنعت في العصر الإسلامي المبكر في المغرب الأقصى، وبخاصة بعد نقل الخطبة من مسجد الأشراف إلى جامع القرويين بفاس، ففي عام 305هـ/917م، تم عقد الصلح بين يحيي بن إدريس بن عمر بن إدريس وعبدالله المهدي، واتفق بمقتضاه على أن يخطب باسم عبدالله المهدي على المنابر، وأصبح المغرب حليفا للفاطميين، وبلغت فاس أوجها على عهد الإمام يحيي بن إدريس من البناء والعمران. وبعد الصلح استجاب والي مدينة فاس في سنة 307هـ/919م، لرغبة الفقهاء والعلماء في نقل الخطبة من مسجد الأشراف إلى جامع القرويين، وصنع الوالي منبرا من خشب الصنوبر، وخطب عليه للفاطميين. ولم يمض على المنبر الفاطمي ثمانون سنة، حتى استدعى تعويضه بآخر من قبل بني أمية، بعد صراع طويل تمكن فيه عبد الملك المظفر من دخول مدينة فاس في سلخ شوال عام 387هـ/ 4 نوفمبر 997م. وقام المظفر بن المنصور بن أبي عامر بتأسيس المنبر الجديد، المنبر الأموي لجامع القرويين، بعد فتحه فاس سنة 387هـ/ 997م[113].

وبذلك اختفى المنبر الفاطمي المصنوع من الصنوبر، واستبدله المظفر بالمنبر الأموي، المصنوع من عود الأبنوس والعناب، والذي انطلقت من فوقه بيعة المغرب باسمه واسم والده والعاهل الأموي. وكان يوجد فوقه نقش تاريخي كامل يقرأ بنحو: «بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما، هذا مما أمر بعمله الخليفة المنصور سيف الإسلام

(112)- لا تزال تلك الصومعة المربعة، ويصعد لها على مئة درجة، وجعل بابها من جهة القبلة وغشيت بعد ذلك بصفائح النحاس الأصفر، وتم العمل في بنائها على يد أحمد بن أبي بكر الزناتي في شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثلاث مئة وفق ما كتب في التربيعة المنقوشة بها من جهة الصحن، وجعل في أعلاها قبة صغرى ووضع في زاويتها تفافيح مموهة بالذهب في زج من حديد وركب في الزج المذكور سيف الإمام إدريس بن إدريس وجعل تحت القبة قبة أكبر منها لجلوس المؤذنين ومبيت المراعي منهم لأوقات الليل وانصداع الفجر لإقامة الأذان. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 1، ص 268.

(113)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج 1، ص 58 ـ 59، ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 73.

الامام عبد الله هشام المؤيد بالله أطال الله بقاءه على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور بن أبي عامر وفقهم الله تعالى وذلك في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة»[114].

والثابت تاريخيا أن المظفر بن المنصور بن أبي عامر أسس المنبر في عام 388 هـ/998م، وصنعه من عود الأبنوس والعناب وغيرهما، وخطب عليه إلى أيام علي بن يوسف بن تاشفين[115]، وهو ما تؤكده المصادر التاريخية، حيث كان المنبر يخطب عليه إلى أيام لمتونة، ولم يزل الأمراء والملوك يهتمون بالزيادة في الجامع المكرم وإصلاح ما تهدم منه تبركا به وابتغاء ثواب الله تعالى حتى قام المرابطون بالمغرب، وملكوا جميعه[116].

ويعتبر المنبر الذي عمله الحاجب المنصور سيف دولة الإمام عبد الله هشام المؤيد أبو عامر محمد في جامع الأندلس، من أروع الأعمال الفنية في تاريخ الفنون الإسلامية، فقد شهد ثلاثة عصور من الصنع والإصلاح على مدى أكثر من قرنين مما يمنحه وزنا خاصا. وفضلا عن التفاصيل التاريخية التي يرويها المنبر، فيكفي أنه الأثر الوحيد الباقي الذي دارت حوله أحداث المغرب قرنا كاملا بين الفاطميين والأمويين، وليس ذلك فقط من ناحية الأحداث التاريخية والتنافس وإنما من ناحية الصناعة والفن التي بدأت منذ القرن الرابع وعاشت مدى قرون واضحة جلية[117].

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لا تفصح بمعلومات كثيرة حول المنابر الخشبية الأولى في المغرب التي تعود إلى الفترة المبكرة، إلا أنه ولحسن الحظ لا تزال بعض حشواته الخشبية باقية[118]، ويستنتج من خلال الدراسة التطبيقية لهذه القطع الخشبية الأثرية الخمسة الباقية أن هذا المنبر هو أول منبر خشبي يعود إلى المغرب الأقصى[119]، حيث يحمل كتابات دينية وتسجيلية مؤرخة في سنة 357 هـ/ 985 م، تتضمن اسم الحاجب ابن أبي عامر محمد، الذي ظهر في عهد الخليفة الأموي الأندلسي هشام الثاني، حيث تم عمل هذا المنبر عندما خضعت فاس للزناتيين،

(114)- راجع : الجزنائي، زهرة الآس.، ص 55.

(115)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، من مظاهر الهندسة المعمارية في المساجد، مجلة دعوة الحق، ع 53، لسنة 1962م، ص 8.

(116)- راجع : ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 73.

(117)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون .، ج 1، ص 316 ـ 317.

(118)- راجع : عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، فصلة من مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد 14، 1960، ص 62.

(119)- يعتبر هذا المنبر ثاني أقدم منبر باق بالمغرب العربي الكبير بعد منبر مسجد عقبة بالقيروان. راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج 1، ص 44.

واستعمل هذا المنبر بجامع الأندلسيين بفاس منذ بنائه إلى سنة 1934م[120]، والمنبر مصنوع من خشب الأرز المنحوت والمخروط والمنقوش، وعليه أثر صباغة متعددة الألوان[121]. (لوحة 1)، ويمكن قراءة النقوش الكتابية المحفوظة على القطع الباقية من هذا المنبر كالتالي :

1- " **بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن يرفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال..**" سورة النور، آية 36.

2- " بسم الله الرحمن الرحيم عمل هذا المنبر في شهر شوال سنة تسعة وستين وثلاث مائة من التاريخ". (أبريل - ماي 979م)

كما يمكن أن نقرأ على المسند الأموي المؤرخ بعام 357 هجرية/985 ميلادية على طول العقد :

3- «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر بعمله الحاجب المنصور سيف الدولة الإمام عبد الله هشام المؤيد بالله أطال الله بقاه أبو عامر محمد**».

4- نقرأ في الجانب الأفقي : «**ابن أبي عامر وفقه الله في شهر جماد الآخر سنة خمسة وسبعين وثلاث**»[122]. (أكتوبر - نوفمبر 925م)

ونستنتج من دراسة القطع الباقية من هذا المنبر أنه كان يحمل تاريخين الأول 369هـ/979م، وذلك تاريخ صنع هيكل المنبر، أما الثاني فيكون تاريخ نقش وزخرفة ظهر المنبر، وهو عام 375هـ/986م، وتعكس هذه القطع الخشبية الباقية التاريخ السياسي والديني خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فالجوانب ترتبط بالمرحلة الزيرية، في فترة هشام الثاني، حيث تم عمل هذا المنبر سنة 375 هـ/986 م، عندما خضعت فاس للزناتيين[123].

وقد تأثرت زخرفة الجوانب بصناعة الخشب بمصر، وكان الشكل الطولي للألواح، التي تحيل على محاريب صغيرة ذات عقود مؤطرة بإفريز من الكتابة الكوفية المزهرة، كما يشير النقش

(120)- أسس المولى إدريس الأكبر منبرا بالمسجد الذي شيده بمدينة تلمسان، نقش عليه نص يقرأ كالتالي : « هذا ما أمر به الامام ادريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة». راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج 1، ص 44.

(121)- نقلت الأجزاء الباقية من هذا المنبر إلى متحف البطحاء للفنون والتقاليد بفاس في سنة 1934، رقم الحفظ MBF :08-00-01.

(122)- راجع : Terrasse H., la mosquée des Andalous à Fès, paris, 1942, pp. 35-44.

(123)- ويذكر عثمان إسماعيل: أن صناعة هذا المنبر تمت بأمر بولقين بن زيري بن مناد الصنهاجي عند دخوله إلى فاس سنة 369هـ/980م، ثم أصلح وزود بظهر جديد باسم ابن أبي عامر والخليفة هشام الثاني بدخول قواتهم حي الأندلسيين سنة 375هـ/986م. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 1، ط 1، الرباط، 1992م، ص 267.

الغائر، وطابع الأشكال الزخرفية إلى تأثيرات شرقية عباسية، وربما وصل هذا الشكل إلى المغرب عن طريق الفن الطولوني بمصر، خاصة وأن الطولونيين كانوا موالين للعباسيين. أما تنظيم الزخرفة الداخلية للتجويفات فيحيل على الشكل الزخرفي المنتشر بإفريقية الأغلبية. ويشكل محور متناظر يحمل زخارف نباتية تتكون من خلق ترتيب دقيق للزخرفة بواسطة أشكال تتكون من أنصاف سعيفات. وهو ما يذكر بمحراب الجامع الكبير بالقيروان. أما المسند، فقد انتظمت زخرفته حسب تصميم هندسي يعطي الانطباع على أنها تغطي المجال كله. وهي بذلك أقل حركية من زخرفة الجوانب. ويمكن تقريبه من العمارة الأموية بالأندلس، كنموذج الجامع الكبير بقرطبة. أما الطابع المزهر للحروف الكوفية، فيجعل من هذه النقيشة نموذجا للخط الكوفي الفاطمي المرتبط بالشرق الإسلامي، كشأن الشكل المدرج الذي يزين وسط المسند[124]. والجدير بالذكر أن هذا المنبر لم يعرف تدميرا من طرف الأمويين والزناتيين رغم كون صناعة الأول من الزيريين والفاطميين، بل وقع إتمامه فجاء تحفة تجمع الفن المغربي بالفن المشرقي، والشيعي بالسني، والفاطمي بالأموي، في انسجام متكامل[125]. (لوحات : 2 ـ 3)

وتشير الكتابات التاريخية إلى بعض التحف الفنية التي صنعت في تلك الفترة، منها، ما أحدثه المظفر بن المنصور ابن أبي عامر عند باب الحفاة بجامع القرويين بفاس، على يمين الداخل، بيلة[126] مغشاة بالرصاص طولها حوالي ستة أمتار تقريبا، رتبت في قسمها الأول مقاعد ثابتة يجلس عليها المتوضئون، أما القسم الباقي منها فإن الماء ينساب فيه إلى ساقية افترشت برخام متعدد الألوان : الأزرق، والأخضر، والأحمر، وكذلك فقد أحدث خارج باب الحفاة سقاية مستطيلة[127]، وأعد ميزابا[128] في مكان بجانب السقاية للسقي والشرب، كما عهد إلى البلاط الأوسط بتزينه بالقباب، فابتدأ بقبة العنزة التي كسيت بخطوط مضلعة، مثل القبة الموازية لها التي تقع على مدخل باب الصفر الموالي لباب الحفاة، ويظهر أنه كان يريد أن يقضي على كل أثر من آثار الشيعة قبله، حيث صنع بعض التماثيل والطلاسم التي نصبت على قبة المحراب، وقد ظلت هذه الطلاسم إلى العهد الموحدي[129].

(124)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 1، ص 267.

(125)- راجع : منتصر لوكيلي، روائع الفنون التطبيقية بالمغرب، المنابر الخشبية، مجلة الرافد 2009، ص 15.

(126)- أصل البيلة كلمة إسبانية وهي صهريج من الرخام مستطيل ملاصق للأرض، يشتمل على الحوض الذي يتجمع فيه الماء.راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين.، ص ـ66ـ 67.

(127)- هما من بناء المظفر بن المنصور ابن أبي عامر وجلب لهما الماء من وادي حسن الذي بأعلا المدينة من باب الحديد. راجع : الجزنائي، زهرة الآس.، ص 55.

(128)- الميزاب : كلمة فارسية تعني القناة. راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.ن مج 1، ص 64

(129)- راجع : الجزنائي، زهرة الآس.، ص 54.

ويذكر «ابن أبي زرع» ذلك بقوله : «بنى المنصور بن أبي عامر القبة على رأس العنزة في وسط الصحن، حيث كان المنار القديم، ونصب على أعلاها طلاسم وتماثيل، كانت قبل ذلك على رأس القبة فوق المحراب مما صنعه الأوائل، ومنه ما صنع في أيام الشيعة، فجعل الطلاسم على أعمدة من حديد فوق القبة، منها طلسم للفأر، فكان الفأر لا يدخلها، ولا يعيش فيها، ولا يفرخ فيها، وإن دخلها افتضح وقتل. ومنها طلسم للعقرب، وهو صورة طائر في منقاره شبه ذنب عقرب، فالعقرب لا يدخل الجامع .....»[130] .

وتؤكد الدراسات الأثرية والفنية أن أقدم ثريا في عمائر المغرب العربي بصفة عامة، هي ثريا جامع القيروان[131] التي عثر عليها في مخزن ملحق بالمسجد الجامع بالقيروان[132]. وهي عبارة عن ثريا كبيرة بارتفاع 51,6 سم، وقطر البدن 48,5 سم، والبدن على شكل مخروطي، ويدور حول الرقبة شريط ضيق من الكتابات الكوفية، وتزخرف أسفل القاعدة شريط كتابي تسجيلي يقرأ : «عمل محمد ابن علي القيسي الصفار للمعـ[ز]»[133]. وتؤرخ هذه الثريا، فيما بين (421 ـ 443 هـ/ 1028 ـ1051م)[134] إلى الأمير المعز ابن باديس[135]، من بني زيري[136]، الذي قام بأشغال واسعة النطاق في جامع القيروان[137]، اشتملت على إعادة سقوفه وإقامة المقصورة، التي نقش اسمه عليها[138].

(130)- راجع : ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 72.

(131)- راجع: أحمد الطويلي، تاريخ القيروان.، ص 35ـ 45، 28 -18 .Maoudoud (Khaled) : Kairouan., pp.

(132)- راجع : صباح عبداللطيف مشتت، وعبدالعزيز أحمد الكباب، المداخل في العمارة الإسلامية، منشورات الإيسيسكو، 2001، ص 75.

(133)- راجع : .Rice D. S., Studies in islamic Metalwork – V, BSOAS, 1955, XVII/2, pp.214-215

(134)- أعلن المعز بن باديس أمير الزيريين القطيعة مع الفاطميين سنة 441هـ/ 1049م، وضرب نقوداً تخلي فيها عن الشعارات الشيعية وعن اسم الخليفة الفاطمي المستنصر، ونقش عليها «الإمام عبدالله أمير المؤمنين»، والآية رقم 84 من سورة آل عمران، ولكنه لم ينقش اسمه، بل اكتفى بالإشارة إلى تاريخ ومكان الضرب . راجع : حسن حافظي علوي، جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد الثالث والعشرون، 1999، ص 127.

(135)- راجع : مراد الرماح، ملاحظات حول ضرب السكة بالقيروان، أفريقية، المعهد الوطني للتراث، عدد 19، تونس، 2002، ص13.

(136)- راجع : زكي محمد حسن، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط 1، 1948، ص 523.

(137)- قرأ « Rice» الكلمة الأخيرة، بنحو « المغربي»، و الثابت أن الصانع يحمل لقب النسبة إلى بلده عندما يكون خارجها، وربما كان « محمد ابن علي» الذي امتهن صناعة التحف المعدنية وورد اسمه بلفظة « صفار»، من مدينة القيس في صعيد مصر، ثم هاجر إلى تونس هو وأسرته، وأقام فيها وزاول عمله فيها، وعلم حرفته لولده من بعده، حيث كانت تونس في ذلك الوقت جزءاً من الدولة الفاطمية وكان الصناع يتنقلون في أرجائها دون قيد أو شرط راجع : .Rice D. S., Studies in islamic-V., 216، عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة ببيروت، د.ت، ص 176 ـ 177.

(138)- راجع : سليمان مصطفى زبيس، الفنون الإسلامية في البلاد التونسية، المعهد القومي للآثار والفنون، 1978م، ص 125 ـ 126.

بالإضافة إلى وجود ثلاثة نصوص تسجيلية بمصحف حبس على جامع القيروان[139]، يحمل اسم فاطمة حاضنة باديس[140].

وعلى الرغم من أنه لم يصل إلى أيدينا ثريات معدنية تنسب إلى المغرب الأقصى قبل العصر الموحدي، إلا أن ذلك لا يعني عدم معرفة المغرب الأقصى لصناعة الثريات، والدليل على وجودها قبل العصر الموحدي تلك الإشارات البسيطة أوردها بعض المؤرخون مثل «على ابن أبي زرع الفاسي[141]، وعلي الجزنائ[142]، وأحمد ابن القاضي المكناسي[143]، وغيرهم في معرض حديثهم عن الثريا الكبرى بجامع القرويين التي صنعت في العصر الموحدي أنه كان بموضعها ثريا مثلها في الجرم اندثرت وتكسرت وصنعت موضعها الثريا الموحدية الحالية[144].

ويمكن القول بأن أهل المغرب عرفوا صناعة الثريات المعدنية منذ العصور الإسلامية الأولى، واعتبروها من أهم وسائل الإضاءة، وساهموا في تنوع أشكالها ومواد صناعتها خلال العصور الإسلامية المتعاقبة، حيث أن الصناع المغاربة ورثوا فن صناعة هذه الأدوات من تراثهم التقليدي السائد متأثرين في مراحل تطوره بالطرق الصناعية والأساليب الفنية الوافدة من مشرق العالم الإسلامي، بالإضافة إلى المؤثرات الفنية الوافدة من بلاد الأندلس، التي نهضت فيه صناعة المعادن بصفة عامة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، حيث ظهر العديد من التحف المعدنية ذات الزخارف الكتابية والنباتية[145].

(139)- يقرأ النص الأول بنحو: «حبس على جامع مدينة القيروان مما أمرت به فاطمة حاضنة باديس في سنة عشرة وأربعمائة ابتغاء وجه الله الكريم وطلب مرضاته»، ويقرأ النص الثاني: بسم الله الرحمن الرحيم قالت فاطمة الحاضنة حاضنة أبي مناد باديس حبست هذا المصحف بجامع مدينة القيروان رجاء ثواب الله ... وذلك في شهر رمضان من سنة عشر وأربعمائة «أما النص الثالث، يقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم كتب هذا المصحف وشكله ورسمه وذهبه وجلده علي بن أحمد الوراق للحاضنة الجليلة حفزها الله على يدي حرة الكاتبة سلمها الله ...» . راجع: Rice D. S., Studies in islamic-V.., 216.

(140)- فاطمة حاضنة باديس: كانت حاضنة لابيه وهي سيدة مسيحية اعتنقت الإسلام، وسميت فاطمة وخدمت في بيت بني زيري ثم أصبحت حاضنة للمعز بن باديس، وتوفيت عام 420هـ/ 1030م، واشتهرت باسم فاطمة حاضنة باديس أو فاطمة حاضنة أبي مناد باديس. راجع: Rice D. S., Studies in islamic-V.., 216.

(141)- راجع: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 81.

(142)- راجع: علي الجزنائي، زهرة الآس.، ص 69.

(143)- راجع: ابن القاضي « أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، القسم الأول، 1973من ص 69.

(144)- راجع: ابن أبي زرع: روض القرطاس .، ص 81.

(145)- من أجمل أمثلة الثريات التي تعود إلى بلاد الأندلس، ثريا من البرونز عثر عليها في مسجد قصر الحمراء، تحتوي على كتابة بخط مغربي باسم أبي عبد الله الثالث، وهو من سلاطين بني نصر 705 هـ/ 1305م. راجع: سعاد ماهر، كتاب الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 152.

وعرف العصر الإسلامي المبكر بالمغرب الأقصى الصناعات الزخرفية، حيث تكشف التنقيبات الأثرية بمدينة القصر الصغير في شمال المغرب عن بعض أنواع الخزف المغربي المبكر الذي يرجع إلى النصف الثاني من القرن التاسع للميلاد[146].

كما عرف المغرب الأقصى النقش على الرخام، ومما يؤكد ذلك حوض من الرخام الأبيض مؤرخ في عام 392 ـ 398هـ/ 1002 ـ 1007م، يبلغ ارتفاعه 70سم، واتساعه 82سم،[147] وقد كان هذا الحوض يستخدم نافورة للوضوء في صحن مدرسة ابن يوسف في مراكش لسنوات عديدة منذ 1921م، وتشتمل جوانبه على نقوش منحوتة من الزخرفة الكتابية والرسوم النباتية والحيوانية والهندسية المنفذة بطريقة الحفر العميق في الرخام،[148] كما يحمل نقش بالخط الكوفي يمتد بطول الحوض، يحمل اسم الآمر بالصناعة عبد الملك بن المنصور أبي عامر، وتاريخ الصناعة في عام 392 ـ 398هـ/ 1002 ـ 1007م، (لوحة 4)، يقرأ على النحو التالي :

« بسم الله بركة من الله ونصر وتاييد للحاجب سيف الدولة ناصر الدين وقامع المشركين أبي مروان عبدالملك بن المنصور أبي عامر أطال الله بقاءه مما أمر بعمله .. وثلاث مائة»[149].

ويحمل هذا الحوض زخارف متنوعة من الزخارف النباتية والحيوانية والنقوش الكتابية، منها زخارف حيوانية عبارة عن رسوم ظباء، على جانبين بينهما زخرفة نباتية، وهو الرسم الشائع في الفن الساساني، والذي استمر في الفن الإسلامي في العصور المبكرة، وبخاصة في المشرق الإسلامي، ويذكرنا أيضا بزخارف حوض آخر من الرخام محفوظ في متحف قصر الحمراء في غرناطة. كما يلاحظ تنوع الزخارف النباتية من أوراق نباتية، ورسوم عقود من سعف النخيل وغيرها في تكوين هندسي بديع، يذكر بزخارف التحف العاجية المحفوظة في متحف اللوفر بباريس، وكذلك بزخارف بالجامع الكبير في قرطبة.[150]

وقد أحيط الغموض بالسكة في المغرب الأقصى في فجر الإسلام، ويذكر أن الخلفاء تركوا حرية التصرف في إصدار السكة على الطراز المحلي في يد الولاة، حتى أصبحت نقود المغرب العربي

(146)- راجع : أحمد المكناسي، دراسة تمهيدية عن الخزف الإسلامي القديم في المغرب، مجلة تمودة، 1957، ص 161 ـ 164، ومجلة تطوان، 1957م، ص 168ـ 163

(147)- محفوظ بمتحف دار سي سعيد بمراكش منذ 16 اكتوبر 1992م، تحت رقم: (1) : 1071/92 (2) : MAR. 0.03/1071/92 (3)

(148)- راجع : Galloti, J., Sur une cuve de marbre datant du Khalifat de Cordoue », in Hespéris, III, fasc. 3, Rabat, 1923, p. 363-391.

(149)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون .، ج 1، ط 1، ص 339.

(150)- راجع : Galloti, J., Sur une cuve de marbre ., PP. 363-391.

بصفة عامة لها شخصية مستقلة عن نقود المشرق في عصر الانتقال. ومن الثابت أن الولاة في شمال أفريقيا وبلاد الأندلس سمحوا بتداول نفس السكة القديمة ذات الكتابات اللاتينية والشارات أول الأمر ثم اتبعوا بعد ذلك خطوات إصلاحية تدريجية تضمنت تسجيل شهادة التوحيد والبسملة، وبدأ تسجيل مثل هذه العبارات الإسلامية باللاتينية منذ فتح حسان بن النعمان قرطاجنة للمرة الثانية فيا بين سنتي 79 ـ 84 للهجرة/703-698م[151].

ولم تعرف للأدارسة عملة ذهبية لعدم ثراء الدولة الإسلامية بالمغرب أو لأنهم تركوا ذلك الامتياز لخلفاء العباسيين في بغداد، أما العملة الفضية فكانت على الطراز العباسي تحمل اسم الأمير الحاكم وأحيانا يضاف إليها اسم «علي بن أبي طالب»، أو اسم الموظف المكلف بالإشراف على إدارة ضرب العملة، وكانت تحمل التاريخ بالأرقام، ونادرا ما تحمل اسم المصنع. ولم تحمل عملة الآدارسة أيام المولى إدريس الأول ألقابا، وذلك احتراما لخلفاء بغداد وقرطبة، وجاء المولى إدريس الثاني فاستعمل لقب «العادل» ثم استعمل الإمام محمد بن إدريس الثاني لقب «أمير الأمين» أو «المنتصر بالله». وكانت العملة البرونزية نادرة، وتحمل اسم دار الضرب في «وليلة»، ويبلغ وزنها ثلاثة جرامات. وتعددت دور ضرب السكة في الدولة الإدريسية فكانت مدينة فاس، وليلي، وتدغة، والعالية (عدوة القرويين)[152].

ويشير «الجزنائي» إلى أن أحمد بن أبي بكر الزناتي، مؤسس صومعة القرويين سنة 345هـ/ 956م، قد ركب على رأسها بأعلى القبة الصغرى تفاحات صغيرة مموهة بالذهب في زج من الحديد تنتهي بسيف الإمام إدريس بن إدريس[153]. كما شاع استخدام الساعات والمواقيت في العصور الإسلامية المبكرة في المغرب الأقصى،حيث كان للمؤذنين بصومعة القرويين بلاطات رخام موضوعة بالحكمة، وفي وسط كل بلاطة قائم يستدل بامتداد ظله على خطوط البلاطة بطول أزمان النهار ومرور ساعاته، وقد نصبها أهل العلم بالهيئة عن نظر وموافقة[154].

وقد كان لروح التبادل التي سادت بين الشرق والغرب بعد قيام الدولة الأموية في الأندلس أثرها العميق في طبع أبسط المعالم في الحضارة المغربية الأندلسية. والخليفة الناصر الأموي هو الذي وسع جامع القرويين بعد بنائه بقرن مضيفا بصورة رسمية على مدينة فاس أول طابع فني

(151)- راجع : عبدالرحمن فهمي، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، فجر السكة العربية، مطبعة دار الكتب، 1965م، ص 78 ـ 86.

(152)- كان وزن العملة الفضية الإدريسية يتراوح بين جرامين إلى 2,45مج، ويبلغ القطر من 20 إلى 23 سم. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون .، ج 1، ط 1، ص 318 ـ 319.

(153)- راجع : عبد الهادي التازي، جامع القرويين.، ج 1، ص 58.

(154)- راجع : الجزنائي، زهرة الآس.، ص 68-67 .

أندلسي، وقد كان لفاس أثرها القوي حتى في أفريقيا، وأصبح جامع القرويين ذو شهرة واسعة بين علماء الإسلام بإفريقيا، ويرجع فضل هذه النهضة إلى المولى إدريس الثاني حيث أمد حاضرة العلم بأولى مؤسساتها، واستمرت التقاليد الفنية بالمغرب عقب انهيار الدولة الإدريسية في القرن الثالث الهجري، وظل كبار الأمراء يؤسسون من الشمال إلى الجنوب حواضر صغرى تنافس حاضرة فاس في اقتباس مظاهر الحضارة الإسلامية ونشر معالمها الرائعة. وكانت البصرة مثلا في ذلك العصر مركزا نشيطا لانتاج الكتان، كما تسربت عناصر جديدة من حضارة الأندلس وفنونها إلى المغرب الأقصى في عهد بني عامر، وبني زيري، وتغلغلت في جبل الأطلس إلى ناحية فازاز على يد قرطبيين من مهاجري الربض، وكان جنوب المغرب آنذاك زاهرا بالمدن، كأغمات عاصمة الآدارسة في الجنوب[155].

(155)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، الفن المغربي.، ص 240ـ 241، عبدالعزيز بنعبدالله، الأثر الإسلامي في الفن المغربي.، ص 36ـ 39.

ازدهار الفنون الإسلامية
في عهد المرابطين

استمرت الفنون الزخرفية في المغرب الأقصى خلال الدولة المرابطية، حيث نستشف من الكتابات التاريخية بعض الإشارات التي تؤكد ازدهار الفنون الإسلامية في عهد المرابطين، والثابت تاريخيا أنه عندما ازدهرت فاس في عصر المرابطين، وكثر العمران بعدوة القرويين وازدحمت المدينة، اجتمع الفقهاء والأشياخ، وخاطبوا قاضي القضاة في هذا الأمر، فاستأذن القاضي أبي محمد بن عبدالحق بن عبدالله بن معيشة الغرناطي أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في إجراء زيادة بالمسجد، فأذن له بالشروع فيها في سنة 528هـ/1132م. وأخذ في بناء الزيادة ثلاث بلاطات عرضية، أضيفت إلى السبعة القديمة، فكملت به عشر بلاطات من صحنه[156] وغشيت الأبواب بصفائح النحاس الأصفر بالعمل المحكم وأمر بعمل المنبر[157].

ويصف الجزنائي ذلك بقوله : «.... ثم أخذ في البناء في هذه الزيادة فكملت به عشر بلاطات من صحنه إلى قبلته وأخذ في عمل القبة التي بأعلى المحراب، وما يحاذيها من وسط البلاطتين المتصلين بها فعمل ذلك بالجبص المقربص (المقرنص) الفاخر الصنعة، ونقش على المحراب ودائر القبة التي عليه، ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد وأصناف الأصبغة وركب في الشمسيات (القمريات) التي بجوانب القبة أشكال متقنة من أنواع الزجاج وألوانه وتم ذلك على أحسن ما يريد ثم أخذ في تغشية بعض أبواب الجامع بصفائح النحاس الأصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن وأمر بعمل المنبر الذي به الآن . وكان الفراغ من هذه الزيادات في شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة. »[158].

ويعكس هذا النص مستوى الرقي والازدهار الذي وصل إليه الفن الإسلامي في العصر المرابطي، وقدرة الصانع في تلك الفترة على استخدام الجبص المقرنص الفاخر الصنعة، وتفوقه في التنوع في تنفيذ النقوش سواء على المحراب أو في القباب المقربصة، وزخرفتها بالذهب واللازورد،

(156)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 672.

(157)- راجع : الجزنائي، زهرة الآس، ص 68-67 .

(158)- نفسه.

والأصناف الأخرى من الأصباغ المتقنة، وكذلك تفوقه في الصناعات الزجاجية، وبخاصة في تركيب الشمسيات التي بجوانب القباب بجامع القرويين، بأشكال متقنة من أنواع الزجاج، بالإضافة إلى مقدرة الصانع المغربي في صناعة الأبواب الخشبية في العصر المرابطي، وطرق تصفيحها بالنحاس الأصفر، وصناعة المنبر الخشبي بجامع القرويين، والذي يُعدُ من المنابر الأثرية المهمة التي تعود إلى الدولة المرابطية، وهو المنبر المحفوظ حاليا بجامع القرويين، (لوحة 5)، والذي عوض المنبر الأموي، الذي كان بديلا للمنبر الفاطمي المندثر[159].

ويعتبر هذا المنبر من أروع التحف الفنية الإسلامية[160]، وقد صنع في مدينة فاس نفسها، وتولى العمال المغاربة تركيب أطرافه، وهو يحتوي على تسع درجات، يصعدها الخطيب بين ساريتين من عود ثمين أدكن، وهو أقدم مثل للمنبر المغربي، وقد حليت جوانبه برسوم هندسية في غاية الدقة والروعة[161].

ويذكر «الجزنائي» أن هذا المنبر صنع على يد القاضي عبدالحق بن عبدالله بن معيشة الغرناطي، ولم يتم في أيامه، وتمم بعد صرفه عن قضاة فاس على يد الفقيه القاضي بعده عبدالملك بن بيضاء القيسي، وصنع من عود الصندل والابنوس، والناريج، والعناب، وعظم العاج، وكان الذي صنعه ونجره الشيخ الأديب أبو يحيي العتاد[162]، وكان جملة النفقة فيه من مال الأحباس المستخرج من النظار عليه ثلاثة آلاف دينار وثمانمئة دينار وسبعة أعشار دينار فضة، وكان له غشاءان أحدهما من جلد معزي، والثاني من مقيرة كتان يزالان عنه كل يوم جمعة، وذلك في شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة حسبما كتب في أعلا ذروته بالعاج[163].

وقد نقشت على مدخل المنبر آيات قرآنية مطرزة بالخط النسخي بالعاج على عود الأبنوس، يقرأ منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا

(159)- راجع : Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine à Fès, Archéologie méditeranéenne, III, C. Clincksieck, Paris, 1968, pp 19 -20

(160)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة والفنون.، ج 2، ص 152.

(161)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، مج 1، ص 75.

(162)- عاش العالم أبي يحيى العتاد أكثر من مائة عام وتتلمذ على يديه العديد من طلبة فاس. راجع : الجزنائي، زهرة الآس.، ص 55-56.

(163)- راجع : الجزنائي، زهرة الآس.، ص 55-56.

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[164].

كما يوجد نقش بالخط الكوفي لآيات قرآنية يقرأ منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا. يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[165].

ويعتبر منبر جامع القرويين من أجمل المنابر الخشبية في العصر المرابطي، وقد تم صنعه في سنة 538هـ/1145م[166]، ويشتمل على عناصر زخرفية وتشابكات رائعة متعددة الضلوع قوامها أشكال نجمية ذات ثمانية رؤوس ويشبه في ذلك منبر جامع الكتبية بمراكش الذي صنع بقرطبة. ويحدد التشابكات المذكورة أشرطة من العاج، وتزدان الحشوات النجمية بتوريقات نخيلية معروقة وفقاً للأسلوب الأندلسي المغربي. أما ظهر المنبر وعقده الأمامي، فمرصعان بالعاج والأخشاب الثمينة ذات الألوان الهادئة[167].

وقد ظل هذا المنبر محل عناية زائدة من سائر الملوك الذين مروا بتاريخ المغرب، وكان محل تنافس بين رجال العلم والدين. ويتكون المنبر حاليا من ثماني دروج (سلالم) نلج إليها عبر عقد ذي خمسة فصوص تؤطره نقيشة بخط نسخي وتذكر زخرفة مسنده وجانبيه بزخرفة منبري جامع الكتبية بمراكش والجامع الكبير بالجزائر. ويصل طوله إلى 2,75 م، وعرضه 91 سم، وارتفاعه 3,60 سم[168]. وزينت واجهة المسند بأغصان تنبعث منها زخرفة نباتية تتكون أساسا من سعيفات متناظرة بفص سفلي حلزوني، وتتمثل خلفية هذه اللوحة في الخشب المرصع أو المطعم الذي لم يتبق منه إلا بعض الأجزاء الصغيرة، ويؤطرها عقد متعدد الفصوص، تم بناء أجزائه بمناوبة خشب الأبنوس والعاج، يشبه في شكله قوس دخول الخطيب إلى درج المنبر. أما ركنيتا هذا القوس فممتلئة بأغصان سعيفات. يشبه جانبي منبر الكتبية بمراكش، ومنبر جامع قرطبة من حيث التشبيكات النجمية والتشكيلات النباتية الرقيقة. فقد تم رسم الطابع العام للوحات بواسطة أشرطة من الخشب المقطعة بدقة تشكل نجمات ذات ثمانية نقاط واثني عشر رأسا، مستطيلة

(164)- قرآن كريم، سورة الحشر: آيات 18 ـ 24

(165)- قرآن كريم، سورة الإنسان: آيات 5 ـ 7.

(166)- راجع : ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1976م، ص 45

(167)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،، ص 675.

(168)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين،، مج 1، ص 76.

ومتعددة الأضلاع تنتهي بحافة بارزة من جهة ومقعرة من جهة أخرى أو أشكال ممدة سداسية الأضلاع. وتحتوي هذه الأشكال المختلفة على سعيفات منحوتة وفق قاعدة التماثل[169].

يعتبر المنبر الخشبي المحفوظ بجامع تلمسان بالجزائر، والمؤرخ في 490هـ/1096م أول تحفة خشبية فنية باقية من العصر المرابطي، حيث يشتمل المنبر على زخارف عدية منها، حشوات خشبية تشتمل على زخارف نباتية أندلسية الطابع، وبالإضافة إلى حشوات خشبية تشبه الزخارف الجصية المحفوظة في قصر الجعفرية بسرقسطة 441 ـ 474هـ/ 1046 و 1047 ـ 1081م، ويلاحظ أن الزخارف على منبر جامع تلمسان بالجزائر تتشابه مع زخارف المقرنصات الموجودة بقباب جامع القرويين بفاس والتي يعود تاريخها إلى 529هـ/1135م[170].

بيد أن أهم أثاث خشبي يعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري، هو منبر جامع الكتبية بمراكش، الذي يُعدُّ من التحف الشهيرة التي تنسب إلى العصر المرابطي، ويبلغ ارتفاع منبر الكتبية حوالي : 3,86م، وطوله : 3,46م، واتساعه : 87 سم، ويشتمل على تسع درجات في السلم، ذات المدخل المعقود، والمنبر غني بحشواته ذات الرسوم النباتية الدقيقة والأشكال المتنوعة المتباينة، ففي حشوات منبر الكتبية نجوم مثمنة الأطراف، كما نرى أن معظم الحشوات عبارة عن رسوم هندسية مثلثة الجوانب، ونجمية الأشكال، وكانت سدايب الخشب تحبس الحشوات مرصعة بالعاج والأخشاب النفيسة المتعددة الألوان، ونقش على المنبر بالخط الكوفي البسيط حينا والمورق حينا آخر، آيات من القرآن الكريم، (من سورتي الأنفال، والأعراف)، وتبدو الثروة الزخرفية في رسوم الحشوات، قوامها المراوح النخيلية ذوات العروق الدقيقة، ولكنها مختلفة في كل حشوة عنها في الحشوات الأخرى[171]. (لوحات : 6 ـ 9)

وقام المؤرخ الفرنسي «Souvaget J.» بدراسة هذا المنبر، وأرخه إلى العصر المرابطي، من خلال عناصره الزخرفية وبقايا نقش تسجيلي بالخط الكوفي المورق، قرأ منه العبارة التالية : «**اللهم أيد أمير ... ابن تاشفين ثم ولي عهده ....**»، واعتمادا على هذا النقش، ومقارنة زخارفه مع منبر المسجد الجامع في الجزائر[172] الذي يحمل نقشا تسجيليا بالخط الكوفي[173]، داخل إطار

(169)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، مج 1، ص 75.

(170)- راجع: ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1976م، ص45

(171)- راجع : زكي حسن، فنون الإسلام.، ص 491.

(172)- منبر المسجد الجامع في الجزائر مصنوع من خشب قابل للحركة، وترتبط زخارفه بالعناصر الزخرفية الجصية بسرقسطة ومالقة، راجع: ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي .، ص 12 ـ 13.

(173)- راجع : Souvaget J., Sur le minbar de la kutubiy de Marrakech, Hespéris, Tome XXXVI, 1949, PP. 313-319.

يقرأ كالتالي: «**بسم الله الرحمن الرحيم، أتم هذا المنبر في أول شهر رجب الذي من سنة تسعين وأربعمائة عمل محمد**»[174]. وبذلك يمكن تأريخ هذا المنبر الخشبي إلى العصر المرابطي، وبالتحديد في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين[175].

وهذا المنبر مصنوع في قرطبة، حيث يعتبر طابعه الفني وليد الطراز القرطبي المتوارث منذ قرون، وصدى لأسلوب المنبر المشهور في جامع قرطبة، ورأي «أمبروسيو دي موراليس» بقايا هذا النقش بعد ذلك بستة قرون، ووقف على الأشرطة التي تحدد الأشكال المستوية والمنحنية في الزخارف الهندسية، وحشواته الخشبية، ورقائق من العاج والخشب بديع الصنع مختلف الألوان، تدور في خطوط عاجية دقيقة ثبتت فوق الألواح في أسلوب فني راق، أما تقطيعاته المثبتة بين الاشكال فرقيقة الصنع فائقة الجمال[176].

وأتفق مع تأريخ منبر جامع الكتبية[177] إلى العصر المرابطي، وبخاصة في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (534 ـ 538هـ/ 1139 ـ 1143م)[178]، حيث تتشابه بعض العناصر الزخرفية في منبر الكتبية مع العناصر الزخرفية في كل من منبر المسجد الجامع في الجزائر، ومنبر جامع القرويين في فاس، والمرجح نسبتهما إلى العصر المرابطي[179].

وقد أشارت الكتابات التاريخية إلى أنه حينما أمر عبد المؤمن بن علي ببناء جامع آخر في قصر الحجر، وهدم الجامع الذي كان قد بناه علي بن يوسف باني المدينة[180]، فلما أكمل بناؤه، وجعل فيه ساباطا يتردد عن طريقه بين القصر والجامع[181]، نقل إليه منبراً عظيما كان قد أمر بصنعه

(174)- راجع : زكي حسن، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م، ص 491.

(175)- ذكر عبارة أخرى نقشت على الظهر بالخط الكوفي، تشير إلى أنه صنع في قرطبة، والتي محي منه تاريخه واسم الملك الذي أمر بصنعه، وهو بلا ريب علي بن يوسف، راجع : Souvaget J. , Sur le minbar de la kutubiy, PP.313-319.

(176)- الذي أمر صنعه الحكم المستنصر في نهاية القرن 4هـ / 10م. راجع: ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي .، ص 56 ـ 69.

(177)- محفوظ حاليا في قاعة خاصة في قصر البديع بمراكش.

(178)- راجع : Souvaget J., Sur le minbar de la kutubiy, PP.313-319.

(179)- ظل الغرب الإسلامي مخلصا للتقاليد والممارسات التي كانت متبعة في المشرق الإسلامي في العصور الإسلامية الأولي، وهذه القيم لم تمنع الصناع من ابتكار طرز فنية جديدة تتميز بالبراعة والغنى الفني في صناعة المنابر، والتي ظهرت في منبر القرويين والكتبية، والتي تجاوزت روعة منبر القيروان. ولا تزال المساجد في المغرب الأقصى تحتفظ ببعض المنابر التي تعكس الطراز المغربي الأندلسي. راجع : Terrasse, H., « Minbar ancien, P.167.

(180)- عندما فتح الموحدون مراكش أفتى الفقهاء بتطهيرها بهدم جوامعها وبناء جوامع أخرى، فهدمت جوامعها لأجل تشريقها وتحريفها عن القبلة وإمالتها إلى المشرق. راجع : البيذق (أبي بكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، راجعه عبدالوهاب ابن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 2004م، ص 66.

(181)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.، ص 757 ـ 758.

في الأندلس، منبر في غاية الإتقان، قطعه من عود وصندل أحمر وأصفر، وصفائحه من الذهب والفضة[182]، فجاء المنبر قطعة فريدة وتحفة فنية[183].

وأشارت الكتابات التاريخية إلى ذلك في معرض الحديث عن بناء جامع الكتبية في بمراكش في عهد عبدالمؤمن بن علي، بالقول: «وفي خلال هذه المدة، أمر عبد المؤمن ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله. فبدئي ببنائه وتأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة (10 ربيع الأخر 553 هـ/ 10 مايو 1158م)[184]، وكمل في منتصف شعبان من السنة المذكورة على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة، وأحكم البناء والنجارة، وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياج المقصورة»[185].

وتعتبر العنزة[186] المرابطية بجامع القرويين من التحف الخشبية الفنية المفقودة، والتي لم تفصح عنها الكتابات التاريخية، ولم يصل إلينا عنها إلا إشارات قليلة، حيث كانت عبارة عن ألواح بسيطة زخرفت ببعض النقوش الكتابية التسجيلية، يقرأ منها النص التالي: « صنعت هذه العنزة في شهر شعبان المكرم سنة أربع وعشرين وخمسمائة»[187]. (لوحة 10)

ويحتفظ متحف البطحاء بفاس، بمجموعة من الأفاريز الخشبية التي تعود إلى العصر المرابطي، والتي يظهر عليها بجلاء السمات الفنية والزخرفية للأخشاب المرابطية، سواء في الأشكال الهندسية من رسوم المربعات والمستطيلات والرسوم النجمية، أو التكوينات النباتية، التي قوامها ورقة نباتية بسيطة أو ثلاثية داخل رسوم جامات أو رسوم دائرية، بالإضافة إلى استخدام الخط الكوفي في الزخارف الفنية على القطع الخشبية. ويتضح على هذه الزخارف والتكوينات التأثير الاندلسي على الاخشاب المرابطية. كما شهد العصر المرابطي صناعة الابواب الخشبية وتصفيحها بالبرونز، وخير دليل على ذلك باب الجنائز في جامع القرويين بفاس، والمؤرخة في القرن 6هـ/ 12م[188]،

(182)- راجع: مؤلف أندلسي، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل ذكار وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،1979م، ص 144.

(183)- راجع: Terrasse H., la mosquée al-Qaraouiyan.,P ;49

(184)- ذكر « Terrasse, H.»، «أنه شاهد المنبر الموحدي الذي كان في المسجد الجامع في تينملل، الذي ظل في الجامع حتى عام 1923م، ثم اختفى بعد ذلك. راجع: Terrasse, H., « Minbar ancien du Maroc », in M. H.A.O.M, vol. II, Alger,1957,PP.159-163

(185)- راجع: الناصري، كتاب الاستقصا،، ج 3، ص 78 ـ 79، و أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت،، ص 16 ـ 63، وابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، ص 274، مؤلف أندلسي، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 54...، البيدق، أخبار المهدي بن تومرت،، 66.، وابن أبي زرع، روض القرطاس،، ص 269 ـ 273.

(186)- راجع: أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج 1، ص 142.

(187)- راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين،، مج 1، ص 73.

(188)- محفوظ حاليا في متحف البطحاء بفاس.

ويظهر عليه بوضوح الزخارف النباتية والهندسية من رسوم نجمية ومستطيلات وجامات وغيرها، والتي تحمل السمات الفنية للفن الإسلامي في العصر المرابطي[189]. كما كان يعلو قاعة الصلاة سقف من القراميد يتألف من منحدرين متقابلين، ولا شك أن هذا السقف تعرض لعدة إصلاحات وتغييرات، بَيْدَ أن التصميم القديم للسقف ظل هو الشكل المحتفظ به، ومما يؤكد تطور الصناعات الخشبية في العصر المرابطي تعدد الأبواب في جامع القرويين، والتي كانت تتميز بوجود مقارع من حلقات معدنية كبيرة، بالإضافة إلى صفوف أفقية من مسامير حديدية ذوات رؤوس نصف كروية.[190]

كما وصل إلينا أسطرلاب ينسب إلى مدينة فاس في العهد المرابطي، ويحمل هذا الأسطرلاب كتابة كوفية يقرأ منها : «صنعه الذمي يعقوب بن موسى طافيدة من مدينة فاس أمنها الله سنة سيتو للهجرة» والمقصود وفق حساب الجمل سنة 506هـ[191]. ومما يدلل على انتشار الفنون المعدنية في المغرب الأقصى خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، الصفائح النحاسية التي تغطي المصراعين الخشبيين بباب جامع القرويين بفاس، والمؤرخ لسنة 531هـ/ 1136م، وتحلي الباب مضلعات نجمية قليلة البرونز ومسامير مفصصة الرؤوس وضبتان كبيرتان مستديرتان[192].

واستمرت صناعة الخزف المزجج في عصر المرابطين، وصنع الخزف غير المموه المختوم بالقوالب والمزخرف بالنقوش الهندسية والنباتية، وكانت الصدارة للأندلس في إنتاج الخزف في غرب العالم الإسلامي، فقد كانت سائر بلاد المغرب تستورد منها أنواع الخزف الجميل، أما ما كان ينتج في الجزائر ومراكش فكان خزفا شعبيا للاستعمال العادي[193].

واستمرت صناعة المنسوجات في العصر المرابطي، ولم يتوقف صنعها إلا عندما استولى الفونسو السابع على مدينة المرية سنة 547هـ/1147م، وخير دليل على ذلك ظهور اسم السلطان علي بن يوسف (500 ـ 527هـ/ 1106 ـ 1143م) الذي يحمله ثوب القداس الذي كان يرتديه القديس خوان دي أورتيجا، والمحفوظ في كنيسة كينتا أورتونيو (برغش)، مما يحمل على الظن بأن الثوب قد نسج بمصانع النسيج الأندلسية[194].

(189)- راجع : CAMBAZARD-AMAHAN Catherine, le décor sur bois dans l'architecture de Fès, paris, 1989, PP. 33-59

(190)- راجع : عبد الهادي التازي، جامع القرويين.، ج 1، ص 91.

(191)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية.، ج 2، ص 210.

(192)- راجع : ليوبولدونوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ص 62 ـ 63.

(193)- راجع : زكي محمد حسن، فنون الإسلام.، ص 332.

(194)- راجع : ليوبولدونوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ص 62 ـ 63 .

وكان الدينار المربطي ذو شكل دائري، يحمل على صفحتيه ثلاث دوائر، الدائرة المركزية، وهي أكبر الدوائر قطرا، وتكون محاطة بدائرة خطية. ثم التي تقع إلى الأعلى منها، وتعرف بالداير، ويحيط بها دائرة خطية أيضا. ثم الدائرة الثالثة، وهي أقل من سابقتيها قطرا، مكونة من حبات زخرفية متماسة، وينعدم وجود الداير في نصف الدينار، وتشتمل كتابات الوجه على أربعة اسطر متوازية، أما كتابات الظهر، فتشتمل على ثلاثة أسطر. أي عكس ما هو عليه الحال في الدرهم الذي يشتمل الوجه منه على ثلاثة أسطر والظهر على أربعة. وتمت الكتابة على النقود المرابطية بحروف كوفية مزهرة تختلف خصائصها عن خصائص حروف الكتابات على النقود في المشرق الإسلامي[195].

وأما بخصوص العبارات المسجلة على الدينار المرابطي، فيمكن قراءة دينار علي بن يوسف بن تاشفين، على النحو التالي، يقر مركز الوجه (لا اله إلا الله / محمد رسول الله / أمير المسلمين / بن يوسف)، ويقرأ الهامش بنحو: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ سورة آل عمران، آية 85، أما مركز الظهر فيقرأ: (الإمام / عبد / الله / أمير المؤمنين)، والهامش يقرأ: **بسم الله ضرب هذا الدينار بأغمات سنة اثنان وخمس ماية**)[196].

ويمكن القول، أنه كان لاستيلاء المرابطين على مدينتين هامتين في تجارة الذهب هما: أودغست وسجلماسة (446 – 447هـ/1054 – 1055م)، أثر كبير في ضرب دنانير ذهبية ذات عيار ممتاز في سجلماسة، ثم في أغمات وفاس ونول لمطة وتلمسان، مما ساعد على انتشار الدنانير المرابطية وتداولها خارج بلاد المغرب الإسلامي، فاكتسبت بذلك شهرة دولية بين مدن الغرب الاوربي ابتداء من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الميلاديين، ولعل السبب في ذلك أن الدنانير المرابطية ضربت من ذهب كان يتمتع بشهرة دولية آنذاك[197].

وقد كان الخط الكوفي أكثر استعمالا من سواه على فنون العصر المرابطي، وفيه ما يظهر عليه طابع القدم كالحال في الخطوط التي في داخل قبة المحراب بجامع القرويين بفاس، على أن أكثرها يقوم على ساق طويلة مشجرة، وكثيرا ما يملأ الفضاء بين الحروف بأشكال تحاكي النخل، الأمر الذي بلغ بالخط الكوفي قيمته في التوازن والتناسق. وإذا كانت الكتابة الكوفية قد سيطرت

(195)- راجع: حسن حافظي علوي، جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع 23، 1999، ص110.

(196)- راجع: صالح قربة، انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحي في القرون الوسطى، ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط 1، 1995م، ص 175 ـ 177.

(197)- راجع: صالح قربة، انتشار المسكوكات المغربية، ص 175.

على معظم المناطق الزخرفية، فإن خط النسخ احتل درجة ثانوية، حيث اقتصر على بعض المناطق في القبة المربعة الموازية للمحراب والقبة المستطيلة بجامع القرويين[198].

وقد تعددت دور السكة بالمغرب في العهد المرابطي، وكان عدد الدور النشيطة في سك العملة الذهبية عشرون دارا، وهي حسب أولويتها بالمغرب : سجلماسة، وأغمات، ومراكش، وفاس، وسلا، وتلمسان، والولجة على وادي ورغة، أما الدور التي ضربت العملة الفضية فأهمها مكناسة، وسبتة، وطنجة، وسلا، وسجلماسة، وفاس[199].

وتعتبر زخارف قبة الباروديين بمراكش من أروع آثار المرابطين، التي تعكس ازدهار التراث الفني الإسلامي في عهد علي بن يوسف[200]، وهي من أروع زخارف القباب المرابطية الباقية[201]، ويقوم غطاؤها الكروي على مرحلة انتقال في أركان المثمن ذات زخارف جصية من الأوراق النباتية والقواقع المروحية. وفي تكوينات العقود المتقاطعة تختلط الخطوط في تصميم مربع الشكل، وينغلق هذا التكوين بإفريز الأضلاع ليحدد طبقة أخرى من العقود، وطول ضلع القاعدة حوالي 3,80 م، وقد بنيت القبة بالآجر، وكسيت بالجص وحفرت الفجوات بين العقود مؤلفة توريقات شبيهة بتلك التي في جامع تلمسان حول محارات كبيرة وزخرفة مثالية من توريقات مخططة[202]. وهي تشبه في تصميمها عقود قبة جامع قرطبة، وتتألف من فصوص وأقواس دائرية وزوايا قائمة، ويزخرف معظم المناطق المحصورة بين عقودها بزخارف نباتية رقيقة من الجص المقطع تدور بأصداف كبيرة[203]. (لوحة 11)

وتشير الكتابات التاريخية إلى أنه عندما أعيد بناء الباب الغربي الكبير المعروف بباب الفخارين بجامع القرويين، وسمي باب الشماعين، أقيم على هذا الباب قبة بداخلها نقش يقرأ كالتالي : (صنعت هذا الباب والقبة وكلف بالبناء والتركيب في شهر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة)، وكان الفراغ من هذه الزيادات سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[204]. ويذكر «الجزنائي» أنه لما تم بناء الباب عمل بأعلاه قبتان أحداهما من جبص بداخله، والثانية من خشب الأرز

(198)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، مج 1، ص 70.

(199)- كانت دور الضرب بالأندلس: قرطبة، وغرناطة، وألمرية، ولوشة، والجزيرة الخضراء، وإشبيلية، ومالقة، وبلنسية، ودانية، ومرسية، وجيان. راجع : حسن حافظي علوي، جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود.، ص 110ـ 118.

(200)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 666.

(201)- راجع : مينة المغاري، جدار القبلة وبلاط المحراب الدلالات والوظائف، ندوة خصوصيات معمار المساجد.، ص 44.

(202)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية.، ج 2، ص 152.

(203)- راجع : ليوبولدونوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ص 47.

(204)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية.، ص 273.

بخارجه، ثم قدر أن اضطرمت نار بجهة باب السلسلة فاحترقت وذلك في جمادي الآخرة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، ثم جدد خارج الباب والقبة التي احترقت، وصنعت القبة من الجبص.. على يد أحد عمال الموحدين في شعبان سنة ستمئة..»[205].

وبعد أن احترقت القبة التي كانت من الخشب، واحترق أكثر الباب سنة 671هـ/1272م، جددت القبة والباب على يد السيد أبي حفص بن أمير المسلمين يوسف بن عبد المؤمن بن علي وبأمره سنة ستمائة[206]. واكتملت عمارة جامع القرويين بالزيادة المرابطية، وظهرت لأول مرة في هذه الزيادة التي أضيفت فيه في عهد المرابطين، قباب مقربصة، تتمثل في البلاطة الوسطى المؤدية إلى المحراب، وقبة مسجد الجنائز تقوم على قاعدة مربعة من المقربصات، رصعت بقبيبات صغيرة مفصصة[207]، وتحمل نفس المؤثرات الأندلسية التي ظهرت في قبة جامع تلمسان بالجزائر، المأخوذة عن القباب المبنية بجامع قرطبة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، والتي فرغ من بنائها سنة 530هـ/ 1135م، وحدث نفس التأثر في عقود قبة مصلى الجنائز بجامع القرويين الذي وسعه علي بن يوسف سنة 531هـ/ 1136م، فأسلوبها متأثر بأسلوب عصر الخلافة من خلال الفن المعماري في عصر الطوائف[208]. أما قباب البلاطة الوسطى فكلها مقربصة وتكسوها زخارف نباتية في غاية الروعة والجمال، وكانت هذه الزخارف مغطاة بطبقة من الجص، أزيلت عنها تدريجيا[209].

وبذلك فقد أضيفت زيادات معمارية وعمرانية أخرى في عهد المرابطين مع الاحتفاظ بالخصائص العامة لما كان عليه جامع القرويين، غير أنه إذا كان الطابع العام للجامع قبل العصر المرابطي يتسم بالبساطة في المعمار والبناء فإنه في عهد المرابطين كان هنالك إبداع كبير في صنع القباب ووضع الأقواس وكتابة الخطوط والكلمات المنقوشة من آيات قرآنية وعبارات دعائية وغير ذلك، ويمكن القول، أنه بهذه الزيادة المرابطية اكتملت عمارة المسجد، واشتمل على حدوده التي نراها اليوم، وأصبح محور جامع القرويين بفاس من الداخل عبارة عن بلاطة وسطى فسيحة، تعلوها القباب المقرنصة الست، ومن الخارج يقطع صفوف الأسقف المنشورية الشكل بحذاء جدار القبلة، جوسق منشوري الشكل، عمودي على جدار القبلة، يزيد ارتفاعه على ارتفاع الأسقف[210].

(205)- راجع: الجزنائي، زهرة الآس، ص 66.

(206)- راجع، عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية.، ج 2، ص 137.

(207)- راجع: Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine à Fès., pp. 34 - 35.

(208)- راجع : ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي.، ص 20 .

(209)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.، ص 674.

(210)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج 1، ص 274.

الفصل الثاني

التراث الفني الإسلامي
في عصر الموحدين

- الخليفة عبد المؤمن بن علي، المؤسس والرائد الاقتصادي وراعي الفن
- بواعث النهضة الفنية في عهد أبي يعقوب يوسف وابنه يعقوب المنصور
- روائع التحف الفنية من عهد محمد الناصر إلى أواخر الدولة الموحدية



التراث الفني الإسلامي
في عصر الموحدين

مدخل :

إن الموحدين لم يجدوا المغرب الأقصى بلاداً قاحلة من المعارف والفنون والصناعات، بل على العكس وجدوها قد بلغت شأنا كبيرا في هذا الميدان، فقاموا بتشجيع الكثير من العلوم والآداب والمعارف، وأسسوا المدارس، وجلبوا لها كبار العلماء، وقاموا بتدوين الكتب، وجمعوا المجامع العلمية المتنوعة، وأسسوا خزائن الكتب، وقاموا بتأسيس المستشفيات والمدارس العديدة، والمكاتب العامة، وأظهروا الاهتمام الواسع بالعلوم والآداب والفنون، بالإضافة إلى اهتمامهم بميدان الحرب والإدارة[211].

فهل اهتم حكام الدولة الموحدية بالفن؟ وهل ساهموا في تطور مواد الفنون الإسلامية، وتطوير الطرق الصناعية والوسائل الزخرفية في ذلك العصر؟ وما هي العناصر الفنية الجديدة التي ابتكروها؟ وصارت من السمات الرئيسة للفنون الإسلامية الموحدية؟ خاصة مع الإشارات التاريخية العديدة عن مظاهر التقشف التي فرضت على الدولة الموحدية منذ أيام المهدي بن تومرت، واستمرت إلى بداية عهد الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي.

كل هذه الاستفسارات وغيرها، ستقوم هذه الدراسة بالإجابة عليها، من خلال حصر مواد الفنون الزخرفية في عهد خلفاء الدولة الموحدية، والتعرف على الطرق الصناعية والأساليب الزخرفية المستخدمة في تلك الفترة المهمة من تاريخ المغرب الأقصى، التي وصل فيها الفن الإسلامي إلى درجة كبيرة من التطور والازدهار، مما تعكسه النهضة المعمارية في شتى العمائر الإسلامية الموحدية، كما حظيت مواد الفنون الإسلامية بانتشار واسع سواء في العملات الذهبية أو التحف الفنية المصنوعة من المعادن، والأخشاب، والنسيج، والأحجار، والجص، والفخار،

(211)- راجع : محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م، ص 10 ـ 19.

والخزف، وتذهيب المصاحف الشريفة، وتزويق المخطوطات، وغيرها من مواد التراث الفني الزخرفي التي ذاعت خلال العصر الموحدي[212].

كما تتعرض الدراسة إلى كشف الغموض المحيط بموقف الخليفة عبد المؤمن بن علي، من الصناعات والفنون الزخرفية، وذلك من خلال تتبع الإشارات الواردة في المصادر التاريخية، من جهة، وما وصلنا من تحف تطبيقية باقية أو مندثرة ومن العمائر الإسلامية الموحدية من جهة أخرى، وتتناول الدراسة مناقشة إصدار الدينار المؤمني، وتداعياته في المجال السياسي والاقتصادي، والتعرض إلى مواد الفن الإسلامي التي صنعت في عهده، وفي عهد أبنائه وأحفاده، مع تسليط الضوء على الإصلاح النقدي الذي أجراه الخليفة المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وما أثير حوله من إشكاليات لم تنل حقها من الدراسة والبحث والتحليل، وشرح ما تحمله من نقوش ورموز وزخارف متنوعة، وذلك للكشف عن حقائق جديدة تساهم بشكل فعال في معالجة العديد من الحوادث التاريخية والقضايا السياسة، والنقدية، التي تطرحها هذه العملة، مع مقارنة ما تثيره من إشكاليات بما ورد في كتابات المصادر التاريخية لدولة الموحدين.

ويمكن عرض موضوع التراث الفني الإسلامي في عصر الموحدين، وفق المحاور التالية:

- الخليفة عبد المؤمن بن علي، المؤسس والرائد الاقتصادي وراعي الفن
- بواعث النهضة الفنية في عهد أبي يعقوب يوسف وابنه يعقوب المنصور
- روائع التحف الفنية من عهد محمد الناصر إلى أواخر الدولة الموحدية

(212)- راجع : أحمد عزاوي، الموحدون، معلمة المغرب، مطابع سلا، 2005م، ص 7304 ـ 7305.

الخليفة عبد المؤمن بن علي

المؤسس والرائد الاقتصادي وراعي الفن

يعتقد البعض أن عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي[213]، لم يعرف الفنون المختلفة، بسبب التقشف الذي فرض على الدولة منذ أيام المهدي بن تومرت، واستمر في عهده، ويأتي هذا الشعور من بعض الإشارات التاريخية، وبخاصة الأخبار التي وردت عند زيارته إلى مدينة فاس والصلاة في جامع القرويين يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة، حيث خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن ينتقد عليهم الموحدون ذلك النقش والزخرف الذي كان فوق المحراب لأنهم قاموا بالتقشف، فقيل لهم أن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي يدخل غداً المدينة مع أشياخ الموحدين برسم صلاة الجمعة بالقرويين، فخافوا لذلك، وقاموا بتغطية النقوش وأعمال التذهيب الذي بأعلى المحراب ودائرة القبة بجامع القرويين بالكاغد وعمل عليه الجص[214]، وكانت نقوشا بديعة مطلية بالذهب واللون الأزرق وبألوان أخرى، وبلغ جمال هذا الأثر الفني أنه كان يشغل المصلين عن صلاتهم ويجتذب انتباههم بلمعان ألوانه[215].

وإذا كان عبد المؤمن بن علي قد اجتهد في بداية الأمر بالتزام التقشف ما أمكن له ذلك، فإنه عندما تحول من تابع لداعية إلى خليفة قائم بأمره لم يكن له بد من أن يسير في خطى المرابطين في هذا المجال، فسكن القصور واتخذ الخدم والحشم وآلات الحضارة في معيشته. وإذا كنا لم نعثر على آثار قصر من قصوره العديدة فإنه خلف لنا مساجد كثيرة حافلة بالنقوش والزخارف الأندلسية، والتي كان محمد بن تومرت يمنع استخدامها، ولا زال مسجد الكتبية الجديد الذي أنشأه في مراكش شاهداً على ذلك، ولقد أنشئ هذا المسجد مرتين، إذ أنه بعد الفراغ من إنشائه في المرة الأولى تبين أن قبلته غير محررة نحو الكعبة تحريراً دقيقاً، فهدم وأعيد بناؤه على طراز أندلسي خالص مثقل بالزخارف والنقوش والألوان، وكذلك الحال مع جامع تينملل الذي بني ليكون

(213)- راجع : أحمد عزاوي، الموحدون.، ص 7304 ـ 7305.

(214)- راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 76.

(215)- راجع : ليويولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ص 12 ـ 13.

روضة، لمحمد بن تومرت وخلفاء الموحدين في تلك البلدة، فأصبح عملاً فنياً ومثالا أندلسي الروح للفن المعماري الموحدي في تينملل الموغلة في بطون جبال الأطلس[216].

وقد أصبح الخليفة عبد المؤمن بن علي وخلفائه من أنصار فنون التزويق والزخرفة، ويتجلى هذا الصنف من الفن في المباني والكتب، ولا تزال تلك المباني لحد الآن شاهدة عيان على فنون الزخرفة، ناطقة بذوق الموحدين في هذه الفنون، التي تجمع إلى رقة الأندلس فخامة الشرق، وتنطق باللطف والقوة. كما بلغ فن تزويق الكتب جانبا كبيرا من اعتناء الموحدين، يظهر ذلك بوضوح في فن تزويق المصاحف، بالصحائف والأغشية[217].

والثابت من الناحية التاريخية والأثرية، أن الزعيم الروحي لحركة الموحدين المهدي بن تومرت[218]، لم يضرب النقود باسمه[219]، ومن ثم منح حق ضربها إلى عبد المؤمن بن علي، ويعزز هذا الرأي تسميته لعبد المؤمن بـ «إمرة المؤمنين»[220]. والمعروف أن أول من ضرب السكة الموحدية هو عبد المؤمن بن علي، في مراكش سنة 541 هـ/1147م، حيث كان استقرار دولة الموحدين في عهده بعد وفاة المهدي بن تومرت[221]. وأن الموحدين أنفسهم لم يستعملوا الدراهم المربعة إلا بعد وفاة زعيمهم ابن تومرت[222]، واستقرار أحوالهم بقيام الدولة في عهد الخليفة عبد المؤمن بن

(216)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته .، مج 2، ص 176 ـ 177.

(217)- راجع : محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون.، 267 ـ 268.

(218)- راجع : أبي الحسن علي ين يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، ط 2، 1986م، ص 68.

(219)- على اعتبار أن وضعه يشبه تماما الدور الذي قام به عبدالله بن ياسين الزعيم الروحي للمرابطين. راجع: صالح يوسف بن قربة، شخصية عبدالمؤمن بن على من خلال نقوده، مجلة التاريخ العربي، العدد 25، الرباط، المملكة المغربية، 2003م، ص 168ـ169.

(220)- راجع : Brethes J.D., contribution à l' histoire du Maroc, par les recherches numismatiques, monnaies inédites. ou très pares de notre collection, Casabalanca, 1939, p.143.

(221)- راجع : صالح ابن قربة، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين و الحفصيين و المرينيين خلال القرون السادس و السابع والثامن للهجرة – الثاني عشر و الثالث عشر و الرابع عشر للميلاد، دراسة حضارية، مخطوط دكتوراه، 1994 /1995 م، ص 40 .

(222)- راجع : عبد الواحد العسري، مدخل لدراسة كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت، مجلة كلية الآداب بتطوان، عدد 1، سنة 1986م، ص 69ـ 95.

على[223]، الذي يعتبر أول من سك النقود الفضية والذهبية المربعة الشكل[224]، ملقباً عليها بأمير المؤمنين[225]، حيث كان أساس العملة الموحدية الدينار الذهبي[226]، والدرهم الفضي[227]. ومما يؤكد ذلك الدنانير الذهبية التي تحمل أسمائه وألقابه.[228]

ويمكننا من خلال دراسة النقود مناقشة الإشكالية الأساسية الخاصة بنشأة الدينار الموحدي في عهد عبدالمؤمن بن علي، وتوضيح نظريته الاقتصادية في تخفيض وزن مثقال ديناره، مع التعرف على النتائج السياسية والاجتماعية والنقدية لإصدار الدينار المؤمني[229].

وإذا كان إصدار أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي للدينار الذي عرف بالدينار المؤمني، يعتبر محاولة لوضع حد للفوضى النقدية التي كانت شائعة حينئذ فإن ظهوره كذلك استجاب لمجموعة من الاعتبارات التي تهتم بها الدول سواء في تمييز عملتها عن العملات السابقة أو المعاصرة لها، أو في إبراز سيادتها وشخصيتها المستقلة. كما يعتبر ظهور الدينار المؤمني حدثاً بارزاً في تاريخ المسكوكات الإسلامية في الغرب الإسلامي، وانعكاسا لمرحلة جديدة في تاريخ الدولة الموحدية، وهي المرحلة التي اتسمت بنوع من الاستقرار السياسي والاقتصادي بعد سلسلة من الاضطرابات التي كان المغرب الأقصى مسرحا لها[230].

(223)- يذكر ابن خلدون، أن المهدي سك الدرهم مربع الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملأ أحد الجانبين تهليلاً وتحميداً ومن الجانب الآخر كتبا في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون. راجع : ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر وما عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة البهية المصرية بالأزهر، مصر، بدون تاريخ، ص 184.

(224)- راجع : Bel Alfred, Contribution à l'étude des dirhems de l'époque almohade d'après un groupe important de ces monnaies, récement découvert à Tlemcen, Hespéris, Tome XVI,1933, p.9.

(225)- راجع : Berchem M.V., Titres Califiens d'occident : à propos de quelques monnaies Merinides et Ziyanides, SD, p. 279.

(226)- لفظ دينار مشتق من اللفظ اليوناني اللاتيني « Denzrius-aureurs» وهو اسم وحدة من وحدات السكة الذهبية، وقد عرف العرب هذه العملة الرومانية فاستعملوها قبل الإسلام، ولم يمس الإصلاح النقدي الذي قام به عبد الملك عيار هذه السكة الذهبية، وإنما عمل على ضبطها. راجع : عبد الرحمن فهمي محمد، صنج السكة في فجر الإسلام، مطبعة دار الكتب المصرية، 1957م، ص 28.

(227)- راجع : ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبدالهادي التازي، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة كتب التراث، 68، العراق، 1979م،ص 55.

(228)- محفوظة في مخزن متحف الرباط تحت أرقام سجل (253، 2333، 2292، 2347، 2322، 2323، 254، 2325، 911).

(229)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن على، وابنه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف، محفوظة في متحف الرباط، بالمملكة المغربية، بحث منشور بمجلة كلية الآثار جامعة القاهرة 2006م، ص 127 ـ 162.

(230)- راجع : عبدالرحيم شعبان، الإصلاح النقدي الموحدي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 23، 1999، ص 139.، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، رسالة جامعية غير منشورة نوقشت لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب الرباط، المملكة المغربية، 95ـ 1996، ص 45ـ 48.

ويمكن من خلال دراسة الدنانير الخاصة بعبد المؤمن بن علي، الوقوف على أهم سماتها الفنية والتعرف على أنواع كتاباتها، وتحليل نقوشها، وتفسير القضايا المتعلقة بأوزانها، على النحو التالي :

أولا : الشكل

تأخذ دنانير عبد المؤمن بن علي، الشكل الدائري، الذي يحيطه دائرتان على الوجهين، الدائرة الخارجية خطية، أما الداخلية فعبارة عن نقط متراصة بداخلها مربع تمس زواياه الأربع محيط تلك الدائرة، مكونة بذلك أربع مضلعات متساوية شغلت بكتابات بخط الثلث المغربي[231]. (لوحة 12)

ثانيا : الكتابات

تقرأ الكتابات الواردة على دينار عبد المؤمن بن علي، كالتالي، يقرأ مربع الوجه بنحو : (**لا اله الا / الله محمد / رسول الله / مدينة**)، وتقرأ الأضلاع بنحو : (**بسم الله الرحمن الرحيم/ صلى الله على محمد/ واله الطيبين / الطاهرين**)، أما مربع الظهر فيقرأ بنحو : (**المهدي امام / الامة القائم/ بامرالله / فاس**)، وتقرأ أضلاع الظهر بنحو : (**ابو محمد عبد / المومن بن على / امير المومنين / الحمد لله رب العالمين**)[232]. (لوحة 13)

ونستخلص من ذلك تقسيم هذه الكتابات إلى نوعين رئيسين :

1ـ كتابات دينية

تتميز كتابات وجه دنانير عبدالمؤمن بن علي باحتوائها على العبارات الدينية في وسط المربع، حيث تشتمل على الشهادتين ﴿ **لا اله إلا الله محمد رسول الله** ﴾، في ثلاثة أسطر، كما تحتوي الأضلاع الأربع، على البسملة، والصلاة على الرسول وآله الطيبين الطاهرين على نحو : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم/ صلى الله على محمد/ وآله الطيبين/ الطاهرين** ﴾[233].

(231)- كان الدينار في العصر المرابطي عبارة عن شكل دائري يحمل على صفحتيه ثلاث دوائر: الدائرة المركزية وهي أكبر الدوائر قطرا، وتكون محاطة بدائرة خطية، ثم التي تقع إلى الأعلى منها وتعرف بالداير، وتحيط بها دائرة خطية أيضا، ثم الدائرة الثالثة وهي أقل من سابقتيها قطرا، لنقش خط دائري زخرفي مكون من حبات متماسة. راجع : حسن حافظي علوي، جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد الثالث والعشرون، 1999، ص 110ـ 111.

(232)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن، ص 131.

(233)- عثر على نقود فضية مربعة الشكل نقش في أحد وجهيها : «الله ربنا محمد رسولنا المهدي إمامنا وفي الوجه الآخر: « لا اله الا الله الامر كله لله لا قوة الا بالله «. وهذه النقود خالية من التاريخ ألا أن مرجعها يعود إلى سنة 550 هجرية 1166م . راجع : أحمد عبدالسلام البوعياشي، الريف بعد الفتح الإسلامي، معهد مولاي الحسن، ج 1، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1954، ص 51ـ53.
Brethes J.D., contribution à l'histoire du Maroc., pp.143-144

2ـ كتابات سياسية تتعلق بألقاب المهدي بن تومرت واسم الخليفة

تتميز كتابات ظهر دينار عبد المؤمن بن علي، باحتوائه على كتابات سياسية تتعلق بألقاب المهدي بن تومرت، واسم الخليفة أبو محمد بن عبد المؤمن، فقد نُقش على مربع الظهر عبارة : (**المهدي إمام / الأمة القائم / بأمر الله**)[234] في ثلاثة أسطر، واحتوت الأضلاع على اسم الخليفة وألقابه متبوعة بعبارة ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾[235]، التي أصبحت علامة الموحدين. وتقرأ كتابات أضلاع الظهر، كالتالي : (**أبو محمد عبد/ المؤمن بن على/ أمير المؤمنين**[236]/ **الحمد لله رب العالمين**)[237].

ومن خلال دراسة مجموعة دنانير عبد المؤمن بن علي، يلاحظ أن الخط المستخدم هو خط الثلث المغربي اللين، الذي يتميز بتداخل وتشابك وامتداد في الحروف الأخيرة أسفل أو أعلى الكلمات، مثل حرف اللام في كلمات «رسول» و«المهدي»، وحرف الهاء في كلمة «الله»، وكلمة «الأمة»، وحرف الراء في كلمة «بأمر». كما يلاحظ نقش اسم دار الضرب «مدينة فاس» بحروف صغيرة في المساحة ما بين الجزء العلوي من المربع المكون من النقط، والمربع الخطي الخارجي.

ويمكن التأكيد على التطابق سواء من حيث الشكل العام أو أسلوب الكتابات، والنصوص والزخارف، مع الأخذ بعين الاعتبار إلى وجود بعض الاختلافات البسيطة، مثل ظهور كلمة « مدينة» أعلى مربع الوجه بدلا من أسفله، على الدينار رقم (2347)، (لوحة 14) في حين ظلت كلمة (فاس) أسفل مربع الظهر، كما هو متبع في بقية الدنانير المؤمنية. وفي الوقت الذي يتطابق فيه الدينارين رقمي : (2322) و(2323) (لوحة 15 و 16)، مع الدنانير السابقة، فإن ذلك لم يمنع ظهور مكان الضرب بطريقة مغايرة، فقد كتبت كلمة « فاس» أسفل مربع الوجه، وكلمة «مدينة» أسفل مربع الظهر، وهو عكس الدنانير السابقة التي دونت فيها كلمة « مدينة « أسفل مربع الوجه وكلمة «فاس»، أسفل مربع الظهر. ونلاحظ أن الدينار رقم (2325)، (لوحة 17)، لا يحمل الإشارة إلى مكان

(234)- راجع : Vega Martín, M., Salvador Peña Martín, & Manuel C. Feria, Elmensaje de las monedas almohades : Numismática, traducción y pensamiento islámico, Universidad de Castilla-La Mancha, Cuenca, 2002, pp. 182-201.

(235)- عبارة «الحمد لله» من العبارات التي نفذت داخل تكوينات زخرفية مثل العبارات الموجودة في الحشوات الجصية أسفل القبة التي تعلو محراب جامع تينملل أو التي نقشت على صومعة جامع الكتبيين بمراكش. راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين بمدينة فاس، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة 17، الرياض، المملكة العربية السعودية، رجب، شعبان، رمضان، 1412هـ/ 1996م، ص 135.

(236)- في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة (528هـ/ 1134م) تسمى عبدالمؤمن بأمير المؤمنين. راجع. أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا.، ص35.

(237)- اتخذ الموحدون عبارة «الحمد لله وحده « علامة لهم اقتداء بالمهدي حيث وجدت هذه العبارة في مخاطباتهم، ففي رسالة عبدالمؤمن إلى ولده يوسف والي اشبيلية وردت علامة الموحدين «الحمد لله وحده « في الرسالة المؤرخة في سنة 555 هجرية، وبأولها : «بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده ....» . راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 3 .، ص 301.

الضرب، وقد حل مكانها حرف يشبه (ع أوغ)، بالإضافة إلى أن الدينار رقم (911)، خالي من الإشارة إلى مكان الضرب[238]. (لوحة 18)

ومن خلال مقارنة الدينارين السابقين مع بقية المجموعة، يلاحظ التطابق الواضح في كافة الجزئيات، باستثناء الإشارة إلى مكان الضرب سواء بالحروف على الأول أو اختفائها على الآخر، مما يجعلنا نرجح نسبة ضرب هذين الدينارين إلى مدينة فاس، مع تفسير حرف (ع أوغ) المدون في الدينار (2325)، إلى اختصار كلمتي (عالي أو غاية) التي تعني الإشارة إلي جودة العيار المتعارف عليها في صناعة السكة الإسلامية[239].

وعلى الرغم من التشابه الواضح في مجموع القطع النقدية الخاصة بالخليفة عبدالمؤمن بن على، والتي تم ضربها في كل من فاس ومراكش، وسلا، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض الفوارق في بعض القطع النقدية الذهبية الأخرى، مثل عدم وجود كلمة « مدينة « في القطع التي ضربت في فاس، مع الأخذ في الاعتبار أن مجموعة القطع النقدية المذكورة تتميز بوجود ثقبين في أغلب قطعها الذهبية، مما يدل على استخدامها كحلي في العصور اللاحقة على العهد الموحدي[240]. كما تم التعرف على أحد قطعها النقدية التي تحمل رقم سجل 254 من ضرب مدينة سلا، (لوحة 19)، بالإضافة إلى ذلك هناك حروف تتخذ أشكالا توحي ببعض النماذج الزخرفية المعروفة في المعمار الموحدي، وأحسن مثال لذلك حرف «الميم» النهائية لكل من كلمتي «بسم» و «إمام» التي تأخذ شكلا ثعبانيا عموديا، وهو نفسه السائد في أسفل أقواس العمارة الموحدية[241].

ثالثا: الوزن

يتراوح وزن دنانير عبدالمؤمن بن علي، مابين 2,30 جرام، 2,35 جرام، وقطرها ما بين 19م، و20 ملم، ويمكن القول بأنه يعترض دارس النظم الاقتصادية بالمغرب الإسلامي مشكلة قلة المعلومات الدقيقة عن أدوات الوزن والكيل التي تدخل إلى جانب العملة كأدوات ضرورية لضبط قيمة السلع وتحديد حجمها[242].

(238)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي، وابنه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف، محفوظة في متحف الرباط، بالمملكة المغربية، مجلة كلية الآثار، ع 11، لسنة 2005 ـ 2006 نـ مطبعة جامعة القاهرة، 2007م، ص 130.

(239)- شعار الضرب الجيد في دار السك بلفظي (عال ـ غاية) أي أن عيار هذه المسكوكات عال جدا وفي غاية الجودة. راجع: عبدالرحمن فهمي، المسكوكات، كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، 1970، ص 543.

(240)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن ..،ص 131 ـ 136.

(241)- راجع : عبدالعزيز توري، حول كنز صغير حديث الاستكشاف، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، العدد 30، الرباط، المغرب، شوال 1404/ يوليو 1984م، ص 280 و 283.

(242)- ذكر "Brethes" أن قطر الدينار بحوالي 28 ملم. راجع : Brethes J.D., contribution à l' histoire du Maroc., p.144.

ويُعدُّ تحديد الأوزان والمكاييل والنقود من أصعب المهام المنوطة بالتاريخ الاقتصادي للمغرب الإسلامي وأدقها[243]، ولا تخفي الأهمية الكبيرة لهذه الأدوات في المعايش العادية، وفي المعاملات الدينية المرتبطة بتقدير النصب الشرعية لمقدار الزكاة والدية والصداق، وغيرها[244].

وهنا ينبغي الإشارة إلى الخلط السائد حول نوع الدنانير المنسوبة إلى أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، وكيفية معرفة الفرق بين الدينار والنصف الدينار، خاصة مع وجود ظاهرة جديدة تتلخص في انخفاض الوزن النقدي لهذه الدنانير، ومن خلال هذه الدراسة، يمكن وضع أهم الفروق بين الدينار ونصفه في عهد عبد المؤمن بن علي، بإحدى الطريقتين التاليتين :

1: طريقة الوزن والقطر

من خلال هذه الدراسة، حيث يتضح أن وزن دينار عبد المؤمن بن علي، يتراوح مابين 2,30 جرام، و2,35 جرام، ويتراوح قطره مابين 19م، و20 ملم، في حين يتراوح وزن النصف دينار من هذا النوع مابين 1,13جرام و 1,16جرام، وقطره مابين 14، 15 ملم[245].

ومن المفيد هنا، أن نناقش الأسباب التي دعت عبد المؤمن بن علي، إلى تخفيض وزن ديناره إلى وزن يقل بشكل واضح عن وزن المثقال الإسلامي،إذا كان السبب الرئيس لانخفاض وزن الدينار في عهد عبدالمؤمن بن علي، يكُمن في ندرة وقلة كميات الذهب المتاحة لضرب العملة وهو الأمر الذي أقرته المصادر والكتابات التاريخية. فإنه من المستبعد أن يكون هذا العامل فقط وراء هذه الظاهرة[246].

لذا تهدف الدراسة إلى الكشف عن الجديد لتفسير تلك الظاهرة الهامة في تاريخ الدولة الموحدية، ويمكن القول بأنه من المعروف أن المصادر المعدنية التي تضرب منها النقود المعدنية

(243)- اشتمل التراث الإسلامي على العديد من النظريات الاقتصادية، وتعتبر إسهامات ابن خلدون، والمقريزي، من طليعة الدراسات التي اهتمت بمسألة النقود، وإذ لم تكتف مساهماتهم بنقل أفكار من سبقهما من الفقهاء والمفكرين، بل استطاعا أن يضعا نظريات وآراء في غاية الأهمية. راجع : محمد أبايا، مسألة النقود في الفكر الاقتصادي الإسلامي، الحوليات المغربية للاقتصاد، العدد 7، شتاء 1993م، ص 50.

(244)- راجع : محمد الشريف، مسألة سك العملة بين ابن حزم وأبي العباس العزفي من خلال مخطوط مغربي جديد حول النقود والأوزان والمكاييل، مجلة تاريخ المغرب، العددان السابع والثامن، الرباط، مايو 1998، ص 11.

(245)- يرجع تفسير عدم الدقة في ضبط مقاييس الدنانير إلى أسباب مرتبطة بصناعة النقود، فعلى الرغم من حرص دور السكة على تحقيق صناعة الدينار وإتقان شكله الدائري حتى يكون متساويا مع غيره من الدنانير وذلك عبر مراحل صارمة ومتعددة، نلاحظ أن هذا النوع من النقود كان عرضة أيضا إلى تشوهات وهي عبارة عن تحريفات ونتوءات مست شكلها العام، إلى جانب هذه العيوب التقنية نضيف أن بعض الدنانير تعرضت بعد إصدارها إلى تدخل الإنسان من جديد عن طريق الدق والتطريق بهدف تحويلها إلى حلي. راجع: رشيد السلامي، قراءة في النقود المرينية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 23، 1999، ص 196.

(246)- أصبح وزن الدينار الشرعي منذ سنة 76هـ ـ 77هـ، هو 4,25 جرام (66 حبة تقريبا). راجع : عبدالرحمن فهمي محمد، صنج السكة، ص 28.

تتلخص في ثلاثة مصادر: خام المعدن (تبر الذهب)، والعملات المتداولة التي يتم سحبها وإعادة ضربها، وما يرد إلى البلاد من العملات نتيجة ميل ميزان المدفوعات التجاري لصالحها [247].

ومن هنا يمكن التأكيد على أن هناك عوامل اقتصادية متضافرة أدت إلى ندرة معدن الذهب الخاص بأمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي، منها قلة المعادن النقدية التي كانت بحوزة الموحدين، وخاصة الذهب، ذلك أن تجارة الذهب مع السودان قد واجهت صعوبات كثيرة خلال العصر الموحدي، فصحراء صنهاجة التي كانت فيما مضى ممرا للقوافل التجارية الرابطة بين المغرب وبلاد السودان، أصبحت في بداية العصر الموحدي ملجأ للثأثرين من صنهاجة أيام عبدالمؤمن بن علي. وساهم تعدين الذهب من جنوب غانة إلى منطقة مالي إسهاما كبيرا في هذا التحول. بالإضافة إلى محاولة تقليص نفوذ الدينار المرابطي الذي ظل متداولا في الأسواق، ويحظي باحترام الناس وثقتهم رغم سقوط المرابطين[248].

وحاول الخليفة عبد المؤمن إصدار عملة تقل قيمة أو وزنا من الدينار المرابطي، وذلك لزحزحة هذا الدينار عن مكانته، ونتيجة لقلة الذهب الذي كان بحوزته، تعمد إصدار دينار يزن أكثر من نصف الدينار المرابطي ليدفع الناس للتخلص مما بحوزتهم من العملة القديمة[249].ولم يكن ينتج الذهب بالقدر الذي يسمح بالاستمرار في سك عملة ذهبية محلية[250]، وأن المنجم الوحيد المعروف ببومعدن قرب تازة كان ضعيف الإنتاج ويستغل في صناعات متعددة منذ القدم. وأمام هذا الخصاص الكبير شكل ذهب السودان حتى القرن الثالث عشر الميلادي، المزود الرئيسي لدور السكة المغربية خاصة في عهد المرابطين والموحدين[251]. وهذه العوامل مجتمعة أدت إلى ندرة معدن الذهب. أما القول، بأن عبد المؤمن بن علي[252]، خالف الوزن الشرعي للدينار، فهذا مبالغ فيه، ويمكن الرد عليه كالتالي :

(247)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن، ص 133.

(248)- يتراوح وزن الدينار المرابطي مابين 3,9 جرام و 4,20 جرام، ومن ثم فإن وزنه يقل عن الدينار الشرعي الذي يزن 72 حبة الشعير أي 4,25 جرام بـ 0,386 جرام، ويبلغ قطره في غالب الأحيان 25 ملم. راجع : راجع : حسن حافظي علوي، جوانب من تاريخ المرابطين، ص 116ـ 117.

(249)- راجع : عبد الرحيم شعبان، الإصلاح النقدي الموحدي.، ص 158.

(250)- راجع: محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، (بدون تاريخ)، ص 14.

(251)- راجع : رشيد السلامي، قراءة في النقود المرينية.، ص 183ـ184.

(252)- راجع : علي محمد محمد الصلابي، دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، 1992، ص 96.

أولا : أن ما أثير عن أن وزن الدينار 4,25 جرام، هو الوزن الشرعي ومرتبط بالشريعة الإسلامية غير صحيح فما ذلك إلا إصلاح نقدي قام به عبد الملك بن مروان[253]. وحدث في بلدان عديدة وأقره ابن خلدون بأنه قد وقع اختيار أهل السكة في الدول على مخالفة الوزن الشرعي[254].

ثانيا : أن الإجراء الذي قام به عبد المؤمن بن علي، كان موفقا في منع العملات الأعلى في الوزن مثل العملة المرابطية، وغيرها من التداول في الأسواق[255].

ثالثا : نجاح عبد المؤمن بن علي في تحقيق التؤامة بين القيمة المتزايدة للذهب نتيجة ندرته وبين وزن هذا الدينار الذي قام بضربه، وبذلك نجح عبدالمؤمن في تثبيت التوازن في القوة الشرائية، والأسمية لعملته الجديدة، ولو لم يتم هذا الإجراء لقام الأهالي أنفسهم بقص العملات الذهبية المتداولة لتتوافق قيمتها الأسمية مع قوتها الشرائية[256].

ونخلص من ذلك، إلى حقيقة أن الخليفة عبد المؤمن بن علي، بما قام به من إجراء لتخفيض وزن ديناره، يُعدُّ رائدا من رواد الإصلاح الاقتصادي بالإضافة لكونه مؤسسا سياسيا للدولة الموحدية، وأنه كان موفقا في إجرائه هذا الإصلاح النقدي للدينار الموحدي، وسبق بذلك ما قام السلطان الأشرف برسباي في عام 829هـ/ 1426م، عندما أصدر أوامره بإبطال التعامل بالنقود الذهبية البندقية وجمعها وصهرها وإعادة ضربها دنانير أشرفية على نفس وزن الدوكات البندقية، واستطاع السلطان برسباي بذلك أن يحقق السيادة للدينار الإسلامي على النقود الأجنبية في مصر منذ سنة 829هـ/ 1426م والتي استمرت حتى نهاية العصر المملوكي الجركسي[257].

(253)- راجع : عبدالرحمن فهمي محمد، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، فجر السكة العربية، مطبعة دار الكتب، 1965، ص 38، 41.

(254)- راجع : ابن خلدون، المقدمة .، ص 184.

(255)- يستخلص من إشارة ابن جبير أن الدينار المصري في العصر الأيوبي كان يوازي اثنين من الدنانير المؤمنية. راجع: ابن جبير، رحلة أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير، ط 2، ليدن، مطبعة بريل، 1907، ص 23.

(256)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن .،،ص 134.

(257)- كان من أهم عوامل انتشار الدوكات البندقية في أسواق الشرق العربي دقة سك هذا النوع من النقود الذهبية من حيث استدارة القطعة تماما، ووزنها الثابت الذي بلغ 3,45 جرام، وعيارها المرتفع، وفي نفس الوقت كانت النقود الذهبية المملوكية المعاصرة لها مختلفة الوزن والعيار، ولذلك كان من السهل على التجار عند التعامل استلام الدوكات بالعدد، عكس الدنانير المملوكية التي كان يضطر المتعاملون بها إلى وزنها.، ولإعادة الثقة في النقود المملوكية لجأ السلطان برسباي إلى تشجيع البنادقة على سك نقودهم الأفرنتية في دار السك السلطانية بالقاهرة كتمصير للنقود الإيطالية الرائجة في الأسواق، وقد نجح في ذلك وضربت الدنانير الأشرفية بنفس وزن الافرنتي 3,45جرام. وفي شهر صفر 829هـ/ 1426م، أصدر أوامره بإبطال التعامل بالدوكات البندقية. راجع: رأفت محمد النبراوي، السكة الإسلامية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ط 1، القاهرة، 1993م، ص 239-254.

2: بواسطة النصوص الكتابية

يمكن من خلال هذه الدراسة التعرف على الدينار ونصف الدينار في عهد عبد المؤمن بن على، بواسطة النصوص الكتابية، فنظرا لاختلاف الوزن في عهد عبدالمؤمن بن علي، كما سبق توضيح ذلك، يصبح التعرف على الدينار ونصفه بالغ الصعوبة إلا من خلال الوزن الدقيق لقطع النقد الذهبي، ولذلك تحاول الدارسة وضع وسيلة أخرى محددة للتعرف الدقيق على الدينار ونصف الدينار المؤمني دون اللجوء إلى عملية الوزن، وذلك من خلال النصوص الكتابية، فالملاحظ أنه في الوقت التي تتحد فيه كتابات مربعي الوجه والظهر بين دينار عبدالمؤمن بن علي، ونصف ديناره، يوجد اختلاف واضح في الكتابات المدونة على أضلاع الوجه بينهما، حيث تقرأ في الدينار بنحو : (بسم الله الرحمن الرحيم / صلى الله على محمد/ واله الطيبين / الطاهرين)، أما في نصف الدينار فتقرأ بنحو : ﴿ **بسم الله /الرحمن الرحيم /صلى الله على محمد / خاتم النبيين**﴾ [(258)].

ونخلص من ذلك، إلى أن النصوص الكتابية المسجلة على نصف الدينار المؤمني الذي يتراوح قطره 14، 15 ملم، ووزنه حوالي : 1,13ج أو 1,16ج، قد حدث فيها اختلاف في بعض العبارات عن نصوص الدينار، فتتوافق كتابة مركزي مربعي الوجه والظهر مع كتابات مركزي مربعي وجه وظهر الدينار، وتختلف نصوص أضلاع الوجه، حيث اختفت عبارة (**اله الطيبين الطاهرين**)، وحلت محلها عبارة (**خاتم النبيين**)[(259)].

واستناداً إلى رواية ابن أبي زرع، أنه في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ولى عبد المؤمن ولده محمد العهد بعده، وأمر بذكره في الخطبة بعده، وكتب بذلك إلى جميع عماله. ونستدل على ظهور اسم ولي العهد «**محمد**» على بعض مسكوكات أبيه على قوة شخصية الخليفة عبد المؤمن وسعة نفوذه، كما يذكر أنه خلعه من ولاية العهد، ففي حوادث سنة ثمان وخمسين وخمسمائة أنه عندما اشتد بالخليفة عبد المؤمن المرض وخاف أن يفاجئه الموت أمر بإسقاط ولده محمد من الخطبة، وعزله عن العهد لما ظهر من العجز عن القيام بالخلافة[(260)]، وذلك يوم الجمعة الثاني من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة[(261)]، وكتب بذلك إلى جميع بلاده[(262)].

---

(258)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن، ص 135.

(259)- راجع : صالح يوسف بن قربة، شخصية عبد المؤمن بن على من خلال نقوده، ص 175ـ 176.

(260)- راجع : ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن بالإمامة .،ص 217 ـ 221.

(261)- جاء في كتاب الاستقصا حول عزل ولي العهد أنه كانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوما، وفي شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، والذي سعى في خلعه أخويه أبا يعقوب بن يوسف، وأبا حفص عمر ابني عبد المؤمن. راجع: الناصري، كتاب الاستقصا.، ص 95.

(262)- توفي ليلة الجمعة الثامن من جمادى الأخر من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وسنه يوم توفي ثلاث وستون سنة، وقيل أربع وستون سنة، وحمل إلى تينملل ودفن بها إلى جنب قبر الأمام المهدي، فكانت أيام ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 265ـ 266.

والملاحظ أن العبارات التي كتبت على دينار ولي العهد محمد بن عبد المؤمن أصبحت موزعة بشكل جديد ومخالف لتوزيع كتابات والده عبد المؤمن بن علي، حيث أصبح مربع الوجه يضم عبارات دينية موزعة على أربع أسطر، تضم البسملة داخل مربع الوجه بدل من المضلعات، وتحولت عبارات «المهدي إمام الأمة» التي كانت تكتب في السطر الأول من مربع الظهر على الدينار المؤمني إلى السطر الرابع من مربع الوجه عقب البسملة والشهادتين، أما مضلعات الوجه فقد أصبحت تحمل الآية القرآنية الكريمة : ﴿والهكم/إله واحد/لا إله إلا هو/الرحمن الرحيم﴾ سورة البقرة، آية 163، كما أصبح مربع الظهر يحمل اسم ولقب مؤسس الأسرة المؤمنية عبد المؤمن بن علي، وأضلاعه على اسم ولقب وكنية ولي العهد[263].

وتشير الشواهد الأثرية والكتابات التاريخية إلى أن الموحدين نالوا مكانة مرموقة في تاريخ الفن الإسلامي[264] تفوق ما كان للمرابطين في هذا المجال، وذلك رغم معارضة المهدي بن تومرت[265] مؤسس الدولة الموحدية لبعض مظاهر الفن كالموسيقى[266] والسماع والزخارف والنقوش، غير أن البلاط الموحدي ما لبث أن تلألأت في ربوعه مجالات الفن منذ أيام أول خلفاء الدولة الموحدية الخليفة عبدالمؤمن بن علي[267] الذي أقام العمائر الرائعة، وأضفى رواه في مجالسه روائع من مساجلات الشعراء[268].

كما أن عبد المؤمن بن علي الذي أخذ عن علي بن يوسف جلوسه للشعراء. أصبح يستدعيهم ويطلب إليهم أن يمدحوه ويجيزهم على ذلك بالأموال. وحدث ذلك في أوائل أيامه وبعد عبوره الأول إلى الأندلس وإنشائه مسجد الفتح على صخرة جبل طارق، فقد جلس للشعراء جلوساً مشهوداً واحتشد فيه الشعراء للتهنئة حتى أنه لم يكن ليُسمح لأي شاعر بأن يلقي أكثر من مستهل قصيدته ببيت واحد ثم يمضي ويأتي غيره[269].

(263)- را جع : عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط.، ص 63.

(264)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر، 2010م، ص 59 ـ 79.

(265)- راجع : أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت .، ص 16 ـ 63،، ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب .، ص 274.

(266)- راجع : محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون.، ص 238 ـ 239.

(267)- راجع : ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس.، ص 235 ـ 239.

(268)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال، مجلة اللسان العربي، عدد 1، 1972 من ص 246 .

(269)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته .، مج 2، ص 176 ـ 177.

وبالإضافة إلى اهتمام عبد المؤمن بن علي بسك العملة، التي حملت العديد من القضايا سواء في أوزانها النقدية، المغايرة للوزن الشائع والمتداول في العالم الإسلامي أو في كتاباتها التسجيلية والدعائية السابق الإشارة إليها[270]، فإن الخليفة عبدالمؤمن بن علي، قد حرص على رعاية الفنون الزخرفية بشكل كبير، ويتضح ذلك من الشواهد الرئيسة التالية :

أولاً: نقل عبدالمؤمن بن علي المنبر المرابطي من مسجده الأول، ووضعه في جامع الكتبية الثاني، رغم الثراء الزخرفي والمواد النفيسة من صفائح الذهب والفضة المصنوع منها، حيث يعتبر منبر جامع الكتبية في مراكش من أجمل المنابر الخشبية في الفنون الإسلامية في الغرب الإسلامي إلى جانب منبر المسجد الجامع في قرطبة[271]. فقد اتفقت المصادر التاريخية، على أن منبر قرطبة ومنبر الكتبين بمراكش أحفل منابر المعمورة صناعة، وأن أهل المشرق لم يجد لهم في بنائهم احتفال في نقش الخشب[272].

ثانيا : صناعة المقصورة الآلية العجيبة بجامع الكتبية بمراكش، والتي كان يصلي فيها الخليفة عبدالمؤمن وتتحرك بطريقة ميكانيكية عند حضوره، فقد أشارت الكتابات التاريخية إلى المقصورة التي صنعت لمسجد الكتبية بمراكش، الذي أنجز على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع، وأفسح المساحة، وأحكم البناء والنجارة، وفيه شمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياج المقصورة»[273]. وقد صنعت هذه المقصورة من خشب لها ستة أضلاع بحيث تستطيع أن تستوعب أكثر من ألف شخص، وقد صنع المقصورة على حركات هندسية المهندس الحاج يعيش المالقي[274]، باني جبل الفتح لعبد المؤمن، وقد تم العثور بجامع الكتبية الأولى، الذي لا زالت آثاره ظاهرة للعيان شمال الكتبية الثانية، على ثماني حفرات ذات أبعاد مختلفة في بيت الصلاة وشمال المحراب مباشرة،

(270)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن على.، ص 127 ـ 162.

(271)- ذكر عثمان عثمان إسماعيل أن أهل المشرق الإسلامي لم يحذقوا الحفر في الخشب كما حذقه أهل المغرب، والواقع أن التحف الخشبية التي صنعت في مشرق العالم الإسلامي لا تزال دليل واضح على تفرد أهل المشرق في صناعة روائع التحف الخشبية المتنوعة، وهذا لا يقلل من قيمة التحف الخشبية المغربية. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 3، ص 260.

(272)- راجع : ابن مرزوق (محمد التلمساني) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 403.

(273)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ص 78 ـ 79.

(274)- هذه المقصورة العجيبة كانت من صنع المهندس الأندلسي الكبير الحاج يعيش المالقي، الذي ينسب إليه كذلك صنع أول رحى هوائية لطحن الأقوات بجبل طارق، لما كان مكلفا بتحصينه وبناء قصوره، وينسب إليه كذلك بناء خزان ماء اشبيليه يوزع الماء على مختلف أحيائها، وكذلك تجهيزه لجامع إشبيلية بنظام دقيق لإجراء الماء وتوزيعه عليه في قنوات تحت أرضه يثير الإعجاب. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا .، ص 159 ـ 163، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة.، ص 139، هامش 1.

حيث كانت تخرج من هذه الحفر ألواح خشبية تكون في مجموعها مقصورة يصلي فيها الخليفة عبدالمؤمن وتتحرك هذه الألواح بطريقة ميكانيكية عند حضور الخليفة[275].

وقد وضعت المقصورة على حركات هندسية ترفع بها لخروج عبد المؤمن بن علي، وتخفض لدخوله، كما ورد وصفها في «**كتاب الحلل الموشية**» بالقول : وكيفية هذه المقصورة أنها وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه، وتخفض لدخوله، وذلك أنه على يمين المحراب باب داخله المنبر، وعن يساره باب داخله دار فيها حركات المقصورة والمنبر، وكان دخول عبدالمؤمن وخروجه منها، فكان إذا قرب وقت الرواح إلى الجامع يوم الجمعة، دارت الحركات بعد رفع البسط عن موضع المقصورة، فتطلع الأضلاع به في زمان واحد لا يفوت بعضها بعضا بدقيقة، وكان باب المنبر مسدوداً، فإذا قام الخطيب ليطلع عليه، انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة، بحركة واحدة، ولا يسمع له حس، ولا يرى تدبيره[276].

ووصف «ابن مجبر الفهري»[277] هذه المقصورة قائلاً :

طورا تكون بمن حوته محيطة فكأنها سور من الأسوار

وتكون طورا عنهم مخبوءة فكأنها سر من الأسرار[278]

وكأنها علمت مقادير الورى فتصرفت لهم على مقدار

فإذا أحست بالأمير يزورها في قومه قامت إلى الزوار

يبدو فتبدو ثم تخفي بعده فتكون كالهالات للأقمار[279]

ثالثا : عناية الخليفة عبد المؤمن بن علي بمصحف عثمان بن عفان الذي أهداه له أهل قرطبة، حيث جمع عبدالمؤمن بن علي الصناع المتقنين من سائر بلاد المغرب والأندلس لصناعة كسوته. وتؤكد الإشارات التاريخية الواردة عن عناية الخليفة عبد المؤمن بن علي بمصحف عثمان بن عفان

(275)- راجع : مصطفى أعشي، نماذج من الفن المعماري الموحدي بالمغرب، ص 16.

(276)- راجع : مؤلف أندلسي، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 54.

(277)- الكاتب أبو بكر يحيي بن مجبر الفهري، من أهل بليش، (ت بمراكش 582هـ). راجع : مؤلف أندلسي، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 145.

(278)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا .، ص 78 ـ 79.

(279)- راجع : مؤلف أندلسي، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 54.

الذي أهداه أهل قرطبة[280] إليه على مدى الاهتمام الكبير الذي ولاه الخليفة الموحدي الأول للفنون الزخرفية الإسلامية بصفة عامة، ويتضح ذلك من خلال حرصه على جمع الصناع من سائر المدن المغربية وبلاد الأندلس لعمل كسوة فنية رائعة مطعمة بالذهب والفضة وبالأصناف العديدة من الأحجار الكريمة. وقد كان المصحف العثماني بالجامع الأعظم بقرطبة، واستمر بها حتى أهداه أهل قرطبة إلى الخليفة عبدالمؤمن بن علي، حيث نقل إلى مراكش ليلة السبت الحادي عشر من شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة / 16 نوفمبر 1157م[281].

ويؤكد «ابن مرزوق» أن هذا المصحف الكريم هو مصحف عثمان بن عفان ومما خطه بيمينه، وهو أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار مكة والبصرة والكوفة والشام، وكان له عند أهل الأندلس شأن عظيم واحتفاء شديد[282]، وقد حمله عبدالمؤمن بن علي معه لأول مرة لزيارة قبر المهدي سنة 553هـ/1152م، واستمر المصحف العثماني عند الموحدين إلى أيام المعتضد بالله: علي بن إدريس بن يعقوب المنصور حين توجه إلى تلمسان سنة 645هـ/1247م، حيث قتل ثم عثر بنو عبد الواد على المصحف، وملكه بعد أبو الحسن المريني إلى أن كانت حادثة البحر سنة 750هـ/1349م، وضاع في جملة ما ضاع من فرائد[283].

والثابت تاريخيا أن عبدالمؤمن بن علي شرع في انتخاب كسوة المصحف، واختيار حليته، فحشر الصناع المتقنين مما كان بالحضرة وسائر بلاد المغرب والأندلس، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة من المهندسين، والصواغين، والنظامين، والجلائين، والنقاشين، والمرصعين، والنجارين، والزواقين، والرسامين، والمجلدين، وعرفاء البناء. ولم يبق من يوصف ببراعة، أو ينسب إلى الحذق في صناعة إلا أحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه. وبذلك فقد صنعت له أغشية بعضها من السندس، وبعضها من الذهب والفضة، ورصع ذلك بأنواع اليواقيت وأصناف الأحجار الغريبة النوع والشكل

(280)- كان بجامع قرطبة في بيت منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي خطه بيده، وعليه حلية ذهب مكللة بالدور والياقوت. راجع: المقري، مختصر كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1، اختصار وتقديم أحمد مهدلي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2007م، ص 193- 194.

(281)- راجع : الناصري، الاستقصا.، ج 3، ص 77 ـ 79.

(282)- راجع : ابن مرزوق، المسند الصحيح.، ص 455 ـ 460

(283)- راجع : ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة.، ص 439، هامش 1.

العديمة المثال. واتخذ للغشاء محمل بديع مما يناسب ذلك في غرابة الصنعة وبداعة الصبغة. واتخذ للمحمل كراسي على شاكلته، ثم اتخذ للجميع تابوت[284] يصان فيه على ذلك المنوال[285].

ويصف «**ابن صاحب الصلاة**» زخارف هذا المصحف بالقول: «**والمصحف المكرم منظم حول حفاظه بالجوهر النفيس[286] والياقوت الأحمر، والأصفر، والأخضر الغريب، والزمرد الأخضر النفيس العجيب، قد جلبت أحجار الياقوت والزمرد والجوهر إلى الخليفة الأول الرضي خليفة المهدي، ثم لابنه أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، ونظم بها حفاظا هذا المصحف المكرم، وكلل بها جوانبه إكليلاً ..**»[287].

ويدل ذلك على كثرة الصناع والصناعات بالمغرب الأقصى حينئذ، بما يفيد أيضا اهتمام الموحدين بجلب الصناع للمغرب من خارجه، ليتعاونوا مع الصناع المغاربة في بعض المناسبات[288]، ويُعدُّ ذلك من الشواهد على إتقان الصناعات الفنية، حيث حظيت الفنون الإسلامية باهتمام واسع في عهد الخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن بن علي، وحتى وفاته في شهر جمادى الآخرة عام ثمانية وخمسين وخمسمائة[289].

وتعتبر الفترة الموحدية العصر الذهبي لصناعة الورق حيث ازدهرت فيها صناعة التسفير، وقد أورد «**ابن صاحب الصلاة**» اسم أحد النظامين للجواهر في المصحف العثماني السابق الإشارة إليه، هو عمر بن مرجي الأشبيلي[290]، كما نبغ وراقون مغاربة مجيدون، وكان بينهم بعض

(284)- كان التابوت قطعة فنية ناطقة بما كان لهذه المهنة حينئذ من الرقي العظيم، وكان عبارة عن صندوق كبير منقوش أيضا ومزخرف، له دفتان، ويتم فتحه بمفتاح خاص، بمجرد إدارته فيه تنفتح الدفتان إلى الخلف، وينسحب الكرسي إلى الخارج حاملا المصحف، من دون الحاجة إلى لمسه بالأيدي، ويغلق أيضا بالطريقة نفسها. ولا شك أنها طريقة رائعة لحفظ المصحف الشريف من كثرة اللمس والتحريك، وما يترتب على ذلك من إضعاف رقوق المصحف وتعريضها للتلف، وفي داخل الصندوق أيضا موضع خاص وضع فيه مصحف المهدي بن تومرت، إمام الموحدين. راجع: محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون.، ص 262.

(285)- وقد بلغ الاحتفاء بالمصحف درجة كبيرة، فقد كان الموحدون يحملون هذا المصحف الكريم بين أيديهم أنى توجهوا على ناقة حمراء، عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة ما يعدل أموالا طائلة، وقد جعلوا تحته بردعة من الديباج الأخضر يجعلونه عليها، وعن يمنية ويساره عصيان عليهما لواءان أخضران، وموضع الأسنة شبه تفاحتين. راجع: المراكشي، المعجب .، ص 186.، و محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون.، ص 269.

(286)- راجع: المراكشي، المعجب .، ص 186.

(287)- راجع: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة.، ص 439 ـ 440.

(288)- راجع: محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون.، ص 237

(289)- راجع: ابن القطان المراكشي، نظم الجمان .، ص 204 ـ 209.

(290)- راجع: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة.، ص 440

المصحفيين والملتزمين لمنتسخات بعينها، كما تفنن أفراد في تنويع الخطوط وتفريغها إلى عدة طرائق مغربية ومشرقية، وظهر بعض المزخرفين للكتب والمجيدين للتسفير[291].

وكان من بواعث نهضة الخطاطة أن الخلفاء الموحدين أنفسهم لهم اهتمام خاص بهذه الناحية، وكان الخلفاء الموحدين أنفسهم يجيدون الكتابة بأكثر من خط ويوقعون المنشورات الرسمية بيدهم بخط الثلث المشرقي وبالمداد الأحمر[292].

وأبلغ دليل على ازدهار صناعة الورق وفنون التسفير في العصر الموحدي، أن مدينة فاس كانت تشتمل وحدها على 400 مصنعا لإنتاج الورق أيام يعقوب المنصور وابنه الناصر محمد، كان هذا الحي يعرف بالكاغدين[293]، وقد خربت هذه المصانع أواخر العصر الموحدي، ومن أهم ملامح استمرار هذه الصناعات في فاس وجود باب الوراقيين[294] بجامع القرويين وكانت دكاكين الرقاقيين أسفل باب الجنائز[295].

(291)- ورد اسم أحد المسفرين من العصر الموحدي، وهو أبو عمرو بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمي الأشبيلي، نزيل فاس ومراكش، والمتوفى عام ثمانية أو تسعة وعشرين وستمائة راجع : ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 104 ـ 105.

(292)- راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 2، 1991م، ص 27 ـ 34.

(293)- كان يوجد عند حي الحمراء مع مقربة من وادي الزيتون. راجع: محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 27 ـ 34.

(294)- صار هذا الباب يحمل اسم باب الأولياء ثم بعد ذلك أطلق عليه اسم باب الشماعين. راجع محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية.، ص 27 ـ 34.

(295)- الرقاقين : الذين يعملون في ترقيق جلود الغزلان ونحوها، حتى تكون صالحة للكتابة فيها. راجع محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 27 ـ 34.

بواعث النهضة الفنية
في عهد أبي يعقوب يوسف
وابنه يعقوب المنصور

ازداد الفن روعة في عصر أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف[296] (558-580 هـ/ 1163 - 1184م) الذي زخر بلاطه بالأطباء والفلاسفة أمثال ابن رشد، وابن طفيل، وابن زهر، وأبي مروان القرطبي[297]. وفي عصره جمعت لخزانة الموحدين الألوف من الكتب حتى ازدهرت في عهده، حيث كان شغوفا بالعلم وطلبه، وجمعت بأمره فروع العلوم الفلسفية كتب في حجم مكتبة قرطبة في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي[298].

وعندما شرع أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في ضرب العملة في عهده، لم يجد أفضل من النموذج الذي أصدرته دور السكة الموحدية بالمغرب والأندلس في عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، عندما أقدم على إقامة حكم ملكي وراثي، وضرب ديناراً يحمل اسم ولي عهده[299].

---

(296)- هو أمير المؤمنين يوسف بن الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، ولد يوم الخميس من شهر رجب من سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وبويع يوسف بعد وفاة أبيه، في يوم الأربعاء الحادي عشر لجمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وتوفي شهيدا في غزاة شنترين من بلاد غرب الأندلس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة، وهو ابن سبع وأربعين سنة، وكانت أيامه في الملك إحدى وعشرين سنة وأشهراً وأياماً ودفن في تينمل إلى جانب قبر أبيه. :راجع ابن أبي زرع، روض القرطاس .، ص 269ـ 273.

(297)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، الفن المغربي.، ص 246.

(298)- راجع : أحمد شوقي بنبين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة مصطفى طوبي، ط 1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2003م، ص 52.

(299)- ذكر بن أبي زرع، أن أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن بويع بعد وفاة أبيه، وذلك في غدوة يوم الأربعاء الحادي عشر لجمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، كما ذكر الناصري، أن بيعة الجماعة لأمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن يوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين وخمسمائة / يناير 1162م، وذلك بعد وفاة والده عبدالمؤمن لسنتين، وتمت تجديد البيعة له في سنة ثلاث وستين 563هـ/1167م، حيث اجتمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف بن عبدالمؤمن ولقب بأمير المؤمنين. وليس هناك تضارب فالناصري يقصد بيعة الجماعة، وهو ما أكده ابن أبي زرع . راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 273، الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 3، ص 99 ـ 100.

وتفيدنا النقوش التسجيلية الخاصة المنقوشة على السكة الموحدية الخاصة بالخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[300]، في التعرف على لقب «**الأمير الأجل**»[301] الذي حمله هذا الخليفة في بداية عهده، وهو ما يعكس الحقبة التي شهدت تذمر بعض الإخوة من توليه منصب الخلافة، والتي استمرت حتى سنة 563هـ/67ـ1178م[302]، عندما بويع الخليفة يوسف بالبيعة العامة. وحينئذ تمكن من حمل لقبه الخلافي «**أمير المؤمنين**» وهو ما تؤكده النقوش التسجيلية على مسكوكاته[303].

وقد ضرب الخليفة أبي يعقوب يوسف نقوده على النموذج الذي أصدرته دور السكة الموحدية بالمغرب والأندلس في عهد أبيه[304]. ونلاحظ من خلال دراسة دنانير أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف[305]، أنه استخدم نموذج جديد في شكل دينار والده السابق ذكره، وهذا النموذج الذي أصبح النموذج العام لجميع المسكوكات الموحدية فيما بعد[306]. وتقرأ كتابات دنانير أبو يعقوب يوسف[307] على النحو التالي: (لوحة 20 و 21)

يقرأ مربع الوجه بنحو:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم/ لااله الا الله / محمد رسول الله / المهدي امام الامة﴾، أما الأضلاع فتقرأ كالتالي: **﴿والهكم / اله واحد / لا اله الا هو/ الرحمن الرحيم﴾**. ويقرأ مربع

(300)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 3، ص 102 ـ 104.

(301)- الأمير الأجل: الأجل أفعل التفضيل من جليل بمعنى عظيم وهو لقب شائع الاستعمال في العالم الإسلامي، واستخدم منه « السيد الأجل» و «الوزير الأجل» و «القاضي الأجل»، و «المجلس السامي الأجلي»، كما تفرع اللقب على «الأمير» فأطلق على بعض الأمراء، كما ورد لقب « الأمير الأجل الكبير» الذي استمر إلى العصر الأيوبي، واحتفظ هذا اللقب بمدلوله من حيث الإشارة إلى الاستئثار بالسلطة الحكومية، وربما حمل هذا المعني عندما أطلق على بني عبدالمؤمن في مراكش، وعلي بني حفص في تونس، على النقود وفي الوثائق. راجع: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، 1957م، ص 126ـ 134.

(302)- را جع: عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، (524 ـ 668 هـ/ 1129 ـ 1269م)، رسالة جامعية، شعبة التاريخ، كلية الآداب، الرباط 1995/1996م.ص 143.

(303)- راجع: نور الدين مفتاح، فهرس المسكوكات المغربية من العهد الإدريسي إلى العهد السعدي، مجموعة السيد رشيد الصبيحي، ج 1، بحث نهاية دبلوم السلك الثالث لعلوم الآثار والتراث بالمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، 2001ـ 2002م، ص 192.

(304)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن، ص 138.

(305)- ومن أهم أعمال أمير المؤمنين يوسف بن الخليفة أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي، المعمارية في المغرب الأقصى، أنه في سنة ست وستين وخمسمائه (566 هـ/ 1170م)، أمر أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن ببناء قنطرة تانسيفت، وكان الشروع في بنائها يوم الأحد ثالث صفر من السنة المذكورة (3 صفر 556هـ / 16 أكتوبر 1170م)، وفي سنة سبع وستين وخمسمائة شرع أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن في بناء جامع أشبيلية. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 3، ص 102 ـ 104.

(306)- راجع : نور الدين مفتاح، فهرس المسكوكات المغربية من العهد الإدريسي إلى العهد السعدي، مجموعة السيد رشيد الصبيحي، ج 1 ، ص 192.

(307)- أرقام السجل : 2338، 2326، 2255، 904.

الظهر بنحو: (**القائم بامر الله / الخليفة ابو محمد / عبدالمؤمن بن على/ امير المؤمنين**)، أما أضلاع الظهر فتقرأ كالتالي: (**امير المؤمنين / ابو يعقوب/ يوسف/ابن الخليفة**)[308].

ويعتبر الخليفة الثالث يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن، أشهر خلفاء الدولة الموحدية[309]، حيث بلغت الدولة الموحدية في عهده أوج قوتها وعظمتها، وظهرت على يديه روعة الملك وفخامته، في أبهى حللها[310] نظراً لأعماله المعمارية المتنوعة ولانتصاره الكبير على القشتاليين في معركة الأرك سنة 591هـ/ 1195م، فرغم ظهور حركة بن غانية في إفريقية انطلاقاً من جزر شرق الأندلس التي كانوا لا يزالون معتصمين بها، فإن المنصور تمكن من تجميد هذه الحركة لينشغل بالأندلس ويفرض على القشتاليين هزيمة ساحقة مكنت من إحداث توازن بين الطرفين، وبالتالي هدنة استمرت حوالي 15 سنة لم يتجرأ الأعداء على خرقها إلا عندما تغيرت الظروف لصالحهم، وكانت أهمية القوة البحرية الموحدية في عهده عاملاً في استنجاد الأيوبيين بأسطوله ضد الأساطيل الصليبية[311].

وعلى الرغم من قلة المعلومات الواردة عن التحف الفنية المصنوعة في عهد الخليفة يعقوب المنصور، فإن الدراسة تستشف من الكتابات التاريخية عن أعماله المعمارية من جهة، وما وصل إلينا من تحف أثرية وقطع نقدية ذهبية ما يكمل الصورة حول عصر الخليفة يعقوب المنصور الزاخر بالأعمال المعمارية والفنية، حيث تشير الكتابات التاريخية بوضوح إلى أنه لما عزم على المسير إلى الأندلس بقصد الجهاد، أوصى نوابه ووكلائه ببناء قصبة مراكش، والاعتناء بتشييد قصورها، وأمرهم ببناء الجامع الأعظم بها، وتشييد مناره، ومنار جامع الكتبيين. وأمر ببناء رباط الفتح، فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وأكمل سورها، وركبت أبوابه، وأمر ببناء المسجد الأعظم بطالعة سلا، وأمر ببناء جامع حسان ومناره، كما أتم بناء جامع أشبيلية، وتشييد مناره، ولما رجع من الأندلس إلى مراكش، وجد كل ما أمر به من الأبنية قد تم على أكمل حال، مثل القصبة والقصور والجامع والصوامع، وأنفق على ذلك كله من أخماس الغنائم[312].

(308)- راجع: عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن.، ص 138 ـ 139.

(309)- المنصور بالله يعقوب بن يوسف: هو أمير المؤمنين، عبدالله، يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن على، ولقبه المنصور بفضل الله، وكنيته أبو يوسف، بويع يوم الأحد التاسع عشر لربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسمائة في بيعة خاصة، وتأخرت بيعة العامة بسبب كتم الوفاة إلى يوم السبت الثاني من جمادي الأولى من نفس السنة بويع البيعة العامة، وتوفي يوم الخميس الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ودفن في تينمل. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 285.

(310)- راجع: محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق 2، ص 238.

(311)- راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.، ص 110.

(312)- راجع: أحمد عزاوي، الموحدون.، ص 7304 ـ 7305.

واشتهر المنصور بالأعمال الاجتماعية والدينية وما ارتبط بها من أعمال عمرانية واهتمام بالعلم والعلماء ورجال التصوف[313]. وعلى الرغم من أن المنشآت الموحدية، كانت حتى عهد الخليفة يعقوب المنصور تقتصر على مراعاة الروعة والمتانة، ولا تميل إلى الزخرف والزينة، فقد أصدر الخليفة يعقوب المنصور أمره، بأن تزود صومعة الجامع الأعظم بأشبيلية بتفافيحها الذهبية الشهيرة، التي يصفها « ابن صاحب الصلاة» بقوله : « **فلما وصل أمير المؤمنين، وهزم الله أذفونش، أمر في مدة إقامته بأشبيلية بعمل التفافيح الغريبة الصنعة، الكبيرة الجرم، المذهبة الرسم، الرفيعة الاسم والجسم ..... وكان عدد الذهب الذي طليت به هذه التفافيح الثلاثة الكبار والرابعة الصغرى، سبعة آلاف مثقال كباراً يعقوبية، عملها الصياغ بين يدي أمير المؤمنين وحضوره ....وبمحضر ابنه وولي عهده أبي عبدالله السعيد الناصر لدين الله، وجميع بنيه وأشياخ الموحدين والقاضي ... وذلك يوم الأربعاء عقب ربيع الآخر بموافقة التاسع عشر من شهر مارس العجمي عام أربعة وتسعين وخمس ماية**»[314] .

وقد قام بالإشراف على صنع هذه التفافيح الذهبية، ورفعها إلى أعلى المنار، المعلم «أبو الليث الصقلي»، وأن هذه التفافيح قومت يومئذ بمائة ألف دينار من الذهب. ويمكن القول بأن المنارة العظيمة التي أمر بإنشائها الخليفة أبو يعقوب يوسف لجامع أشبيلية الأعظم، وأتمها ولده يعقوب المنصور، وزودها بتفافيحها الذهبية الرائعة، والتي تحمل اسمها الإسباني لاخيرالدا «La Giralda» ما زالت تحتفظ بكثير من روعتها الإسلامية القديمة، وما زالت تعتبر من أعظم الآثار الأندلسية الباقية[315] .

وكان أول ظهور للخزف المموه في المغرب في منارة جامع الكتبية بمراكش، حيث غطيت الأجزاء العليا أسفل شرفات بأفاريز من بلاطات الخزف المموه المثبتة بمسامير فوق ألواح من الخشب غشيت جدران المنارة، وهي عبارة عن أشرطة خزفية عريضة بيضاء فوق أرضية زرقاء فيروزية في تصميم بسيط يتكون من مربعات ومسدسات، وهي بذلك تفوق بالبلاطات الخزفية المستخدمة في منارة جامع القصبة بمراكش، والتي تتألف من أفاريز من البلاطات البيضاء والزرقاء،وقطع الآجر في تصميم هندسي يشبه البلاطات الخزفية في منارة جامع الكتبية[316] .

(313)- نجح يعقوب المنصور في استقطاب عدد مهم من المتصوفة عندما افتتح حكمه بمجموعة من المبادرات الإصلاحية مثل بسط العدل، وقطع المناكر، ومباشرة الأحكام لتحقيق شرائع الإسلام، وتحرك في ميادين المتصوفة. راجع: التميمي، أبي عبدالله محمد بن عبدالكريم التميمي الفاسي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، ق 1، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ط 1، الرباط، 2002م، ص 64 ـ 74.

(314)- المقصود آخر ربيع الآخر 594 هـ/ 19 مارس 1198م. راجع : ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة.، ص 484.

(315)- راجع : محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق 2، ص 232 ـ 233.

(316)- راجع : ليوبولدوتورس بالياس، الفن المرابطي والموحدي، ص 52.

وتعتبر النقوش التسجيلية المدونة على مواد الفنون التطبيقية الإسلامية في عهده[317]، خير دليل على رعايته للفنون، ومن بين النقوش التسجيلية النادرة التي وصلت إلينا، وتنسب إلى فترة حكم الخليفة يعقوب المنصور نقش بالخط النسخ المغربي على السطح الخارجي للبدن المثمن لفوهة بئر من الفخار، يقرأ بنحو: «**وهذا ما عمل في دار الحاج بلقين يوم الـ... سلخ شهر ربيع الآخر.. وثمانين وخمس مائة**»[318]. (لوحة 22 و 23)

وقد نقش النص بآلة حادة في الفخار بخط نسخي كبير يحقق الوضوح دون الرشاقة والجمال، بحروف كبيرة خالية من التعقيد واسعة العروات واضحة البداية والنهاية، ومن الجدير بالذكر هنا أن النقش تضمن اسم الصانع واسم المصنع وتاريخ الصناعة، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

1ـ النقش التسجيلي يدل على المكانة العالية التي وصلت إليها صناعة الخزف وصناعها في العصر الموحدي، وبخاصة في عهد يعقوب المنصور.

2ـ الإشارة إلى المكان الذي صنعت فيه التحفة وهو (دار الحاج بلقين)، يدل على تعدد دور الصناعة في عصر يعقوب المنصور، مما جعل الصانع يذكر مكان الصناعة، بالإضافة إلى تاريخ الصناعة، مما يفيد في التعرف على السمات الفنية لصناعة الخزف في تلك الفترة، وأساليب النقش على الفخار في عصر يعقوب المنصور الموحدي.

ويُعدُّ تعديل الخليفة أبي يعقوب المنصور الموحدي للأمداء النبوية، وفقا للنصوص التسجيلية هو التعديل الثاني للأمداء النبوية بعد التعديل الذي تم في العهد الإدريسي، على يد الشريف أحمد بن علي الإدريسي، وهو ما تثبته النقوش التسجيلية المنقوشة على الصاع النبوي المؤرخ في سنة 1124هـ/1712م، والذي يقرأ عليه العبارة التالية: «والكل انتهى سنده على تعديل مد أمير المؤمنين أبي الحسن المريني ابن أمير المؤمنين أبي سعيد بن أمير المؤمنين أبو يوسف بن عبدالحق المريني وهو أمر بتعديله على مد أمير المؤمنين أبي يعقوب المنصور الموحدي»[319].

كما شرع الخليفة المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ في سك نقد جديد يتجاوز في قيمته ما عرف سابقا بالمغرب، وذلك لإبراز عظمة دولته بعد قيامه بعدة مشاريع

(317)- راجع: ابن أبي زرع: روض القرطاس.، ص 303 ـ 317، المراكشي، المعجب.، ص 226.

(318)- محفوظة بمتحف تطوان. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 3، ص 300 ـ 301.

(319)- محفوظ في متحف البطحاء بفاس تحت رقم 451442

عمرانية[320]. وفي نفس العام الزاخر بمشاريع الإصلاح والإنشاء 581هـ/ 1185م، اتخذ الخليفة خطوة في ميدان الإصلاح المالي، هو إقدامه على مضاعفة وزن الدينار الموحدي، وأخرجت دار السكة الموحدية بمدينة فاس، الدينار الجديد بوزن أربعة جرام وسبعين في المائة من الجرام، فكان لذلك الإجراء أثر بالغ في بث الطمأنينة المالية واستقرار التعامل بين الناس[321].

ويذكر المؤرخ « ابن عذاري المراكشي»، في قوله: « ولم تزل همة المنصور تتبع جزئيات المملكة بالتفخيم، ويحيل النظر فيما بقي منها للتكميل والتتميم. فرأى أن الدينار القديم يصغر عن مرأى ما ظهر بالمملكة من المنازع العالية، وأن جرمه يقل عما عارضه من المناظر الفخمة الجارية، فعظم جرمه، ورفع قدره بالتضعيف، فجاء من النتائج الملوكية والاختراعات السرية، جامعا بين الفخامة والنماء والطيب وشرف الانتماء ...»[322].

ولعل أهم استنتاج قد نخرج به من قراءة هذه النصوص هو أن الدينار اليعقوبي شكل تحولا كبيراً في النظام النقدي الموحدي، خاصة من حيث الوزن إذ أصبح يزن في المتوسط 4,72ج، أي ما يعادل وزن 84 حبة من وسط حب الشعير، وهو بذلك يعادل تقريبا ضعف الدينار الموحدي الذي كان يعادل قبل زمن يعقوب المنصور وزن 42 حبة أي 2,36ج.

وقد تضمن دينار أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي عبارات تتوزع على خمسة أسطر في مربع الوجه والظهر بدل أربعة في القطع النقدية السابقة، كما أضيفت عليه عبارات دينية أخرى. ويحتوي الظهر على كتابات تسجيلية نصها : **(أمير المؤمنين/ابو يوسف يعقوب/بن أمير المؤمنين/ بن امير المؤمنين) (القائم بأمر الله الخليفة / ابو محمد عبدالمؤمن / بن على أمير المؤمنين / امير المؤمنين ابو يعقوب / يوسف بن امير المؤمنين)**[323].

والقول بأن إجراء المنصور لإصلاحه النقدي للدينار المؤمني كان السبب في تدارك الموحدين نفس السمعة التي كان يحظى بها الدينار المرابطي في الأسواق النقدية، سواء في

(320)- مثل جسر أشبيلية الموصل إلى ربضها القبلي، وقصور البحيرة الواقعة خارج باب جهور بأشبيلية والقصور المقامة خارج باب الكحل بها ونقل الماء على قنوات تحملها قناطر ذات حنايا من قلعة جابر إلى باب قرمونة بأشبيلية، وتخطيط بناء رباط الفتح وإقامة العديد من العمائر الدينية والمدنية بالأندلس، وكذلك بناء القصبة الكبرى، ومنارة الكتبيين بمراكش، وجامع حسان برباط الفتح، وإتمام بناء المسجد الأعظم بأشبيلية، وغيرها من المشاريع الحضارية. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية .، ص 109.

(321)- راجع : محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس.، ص 143-144.

(322)- راجع : ابن عذاري المراكشي، البيان المغْرب .، ص 182.

(323)- راجع : عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، رسالة جامعية، ص 60.

العالم الإسلامي أو العالم المسيحي[324]، فيه مبالغة وتقليل كبير من قيمة الدينار المؤمني الذي يزن 2,40 جرام، والذي يمثل نصف هذا الدينار المضاعف، والدليل على ذلك أن الدينار الذي ضربه عبدالمؤمن بن علي، نال احترام الدول الإسلامية والأوربية المجاورة، فقد انتشر في الغرب الأوربي باسم «La Masmodina»[325]، ووردت الإشارة إلى هذا المصطلح الجديد في النصوص خارج شبه جزيرة إيبيريا الأقاليم الجنوبية لفرنسا، وفي أوائل القرن الثاني عشر الميلادي وعد قنصل مدينة مونبيلي «Montplellier» البابا اينوست الثالث أن يبعث حصته إلى مقر القديس بالعملة المصمودية، وهذه الإشارة توضح الارتباط الاقتصادي بالعملة الذهبية الموحدية في عصر عبدالمؤمن بن علي التي أصبحت متداولة في جميع الأحوال[326].

ولم يقتصر تأثر أبي يوسف يعقوب المنصور بالحضارة الأندلسية على المباني والمنشآت، ولكنه تأثر أكبر التأثر بالفلسفة، وكان هذا الخليفة الموحدي الذي تربع على عرش دولة قامت على فكرة سلفية تدعوا إلى التخلي عن مباهج الحضارة وبدعها، وتقصر العلم على علوم الدين، صاحب فضل كبير على أعمال خالدة من أعمال المسلمين في ميدان الفلسفة[327].

(324)- راجع : عبدالرحيم شعبان، الإصلاح النقدي الموحدي، ص 59.

(325)- كلمة «La masmodina» مشتقة من «Mazmudina» المشتقة أصلاً من اسم قبائل المصامدة التي قامت على عاتقها دولة الموحدين. راجع : ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب.، ج 1، ص 274.

(326)- راجع : صالح بن قربه، انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحي في القرون الوسطى، ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط 1، 1995م، ص 187ـ 189.

(327)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.، مج 2، ص 177.

روائع التحف الفنية

من عهد محمد الناصر إلى أواخر الدولة الموحدية

تشكل مجموعة التحف الفنية المنسوبة إلى الخليفة محمد الناصر لدين الله[328] سمة متميزة من سمات الفنون الزخرفية في العصر الموحدي، فإلى جانب الكتابات التسجيلية التي تحملها مسكوكاته[329]، عرف المغرب الأقصى ازدهارا كبيرا في مجال الفنون تمثله مجموعة التحف الفنية التي وصلت إلينا، والمنسوبة إلى الخليفة محمد الناصر لدين الله، والمعروف أن الخليفة المنصور استغل عودته ظافرا من بعض غزواته بالأندلس، فعين ابنه خلفا له من بعده، وذلك سنة 587هـ/ 91ـ1192م[330].

وتعتبر البيعة هي محاولة من الخليفة المنصور لقطع الطريق أمام الطامعين في السلطة من القرابة، تفاديا لظهور أية معارضة أو قيام صراعات حول منصب الخلافة. ولذلك لما توفى الخليفة في العشر الأخير من سنة 595هـ/ 1199م، وبويع ابنه أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بيعة العامة بعد أسبوع من وفاة أبيه، في العشر الأخير من ربيع الأول سنة خمس وتسعين، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما، أولها يوم الجمعة الثالث والعشرين لربيع الأول من سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وأخرهما يوم الثلاثاء العشر لشعبان سنة عشرة وستماية[331].

وكان الخليفة محمد الناصر لدين الله، آخر ذلك الثبت من الخلفاء الموحدين الذين اقترنت بعصرهم بعض الأحداث الضخمة الحاسمة، وكان أهم تلك الأحداث تحطيم ثورة بني غانية في إفريقية، وهو ألمع حادث في عهده، ويقترن بذلك فتح الموحدين لميورقة، ثم نكبة العقاب التي هزت أركان الدولة الموحدية بالمغرب والأندلس. ولم يقع في عهد الناصر شئ يذكر من الأعمال

(328)- بويع بعد أسبوع من وفاة أبيه، في العشر الأخير من ربيع الأول سنة خمس وتسعين، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما. راجع : ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب .، ص 236.

(329)- راجع: محمد المنوني، نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، العدد 4، ص 241.

(330)- تؤكد ذلك قطعة فضية مربعة الشكل ضربت على عهد الخليفة المنصور، تحمل اسم ولي العهد، وكتب على وجهها : (وما بكم من نعمة/ فمن الله / حسبي الله / وحده)، وكتب على ظهرها : (ولي العهد الأمير أبو عبد/ الله بن الامرا) . راجع : عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، رسالة جامعية غير منشورة، ص 145ـ147.

(331)- راجع : ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب، ص 236.

المعمارية التي امتاز بها عهد أبيه وجده، ولم يكن الناصر على شئ خاص من أنواع العلوم والمعرفة، ولم يجتمع في بلاطه أحد من أولئك العلماء المبرزين، الذي اجتمعوا حول أبيه[332].

ومع كل ذلك فإن الشواهد الأثرية تضيف إلى الخليفة الناصر مجالاً آخر للتفوق، وهو المجال الفني الزخرفي، وبخاصة في صناعة التحف التطبيقية، ورعايتها والاهتمام بها، حيث عرف المغرب الأقصى ازدهارا كبيرا في مجال الفنون الإسلامية في عهد الخليفة الناصر لدين الله[333]، (595 ـ 610 هـ/ 1199 ـ 1213م)، تعكسه مجموعة من النقود الذهبية والتحف الفنية التي وصلت إلينا، والمنقوش عليها اسمه وألقابه[334].

وتعتبر الكتابات التي يحملها الدينار الذي ضربه محمد الناصر[335] استمرارا لنفس الكتابات الواردة على الدينار اليعقوبي، بحيث لا تختلف عنها إلا في كتابات أضلاع الظهر، حيث استبدلت النصوص القرآنية بذكر اسم الخليفة الحاكم : (**أمير المؤمنين / أبو عبدالله محمد/ بن الخلفا / الراشدين**)[336]، وهو ما يؤكده هذا الدينار[337]. (لوحة 24)

كما عرف المغرب الأقصى في عهد الخليفة الناصر لدين الله، صناعة الثريات[338] المعدنية والشمعدانات[339]، واعتبرهما من أهم وسائل الإضاءة حيث تنوعت أشكالهما ومواد صناعتهما، من خلال ما ورثه الصناع المغاربة في فن صناعة هذه الأدوات من تراثهم التقليدي السائد متأثرين في

(332)- راجع : محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق 2، ص 325.

(333)- بويع بعد أسبوع من وفاة أبيه، في العشر الأخير من ربيع الأول سنة خمس وتسعين، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما. راجع: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب .، ص 236.

(334)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر، 2010م، ص 59 ـ 79.

(335)- أمير المؤمنين محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، ولقبه الناصر لدين الله، بويع الناصر في حياة أبيه، وجددت له البيعة بعد وفاته، وذلك يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه. وكانت وفاته مسموما يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من عام عشرة وستمائة. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 303 ـ 317.

(336)- لما استقرت الدولة المرينية عمل يعقوب بن عبدالحق سنة 674هـ/ 1275ـ 1276م على تنظيم السكة المغربية تنظيما جديدا، واختار من جيد النقود التي كانت جارية آنذاك بالمغرب النقد المحمدي المنسوب لمحمد الناصر رابع الخلفاء الموحدين، وضرب عليه النقد المريني الجديد. راجع: محمد المنوني، نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، العدد 4، ص 241.

(337)- محفوظ بمتحف الرباط، رقم السجل 2327

(338)- يذكر ابن منظور، أن الثريا من الكواكب، وسميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل، لا يتكلم به إلا مصغراً، وهو تصغير على جهة التكبير، والثريا من السُرج على التشبيه بالثريا من النجوم، والثريا ماء معروف، وورد في المنجد، الثريا، منارة عديدة الأنوار تعلق في البيوت. راجع : ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج 14، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 112، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان 1997، ص 70.

(339)- حفظت لنا تصاوير المخطوطات التي زوقت في المغرب والأندلس صور بعض أدوات الإضاءة، و المعروف أن أهل المغرب والأندلس استمعوا إلى مقامات الحريري، وأعجبوا بها فنشروها في بلادهم بعد أن أضافوا إليها وطوروا فيها، وغدت المقامة في بلاد المغرب والأندلس قصصية الطابع شعبية الأسلوب، يستعرض مؤلفوها عن طريقها صورا بديعة للمجتمع الأندلسي. راجع : ثروت عكاشة، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري، دار المعارف بمصر1974م، ص 6.

مراحل تطوره بالطرق الصناعية والأساليب الفنية الوافدة من مشرق العالم الإسلامي، بالإضافة إلى المؤثرات الفنية الوافدة من بلاد الأندلس[340]، التي نهضت فيه صناعة المعادن بصفة عامة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، حيث ظهرت كثير من التحف المعدنية ذات الزخارف الكتابية والنباتية[341].

وقد برع الصناع المغاربة في تلك الفترة في صناعة الثريات وتفوقوا كثيراً في إنتاج الأحجام الكبيرة والمتوسطة منها[342]. وعلى الرغم من قلة ما وصل إلى أيدينا من الثريات المعدنية في المغرب الأقصى خلال عهد الخليفة الناصر الموحدي، إلا أن المساجد المغربية قد حفظت لنا مجموعة نادرة من هذه الثريات التي تعتبر تحفا فنية ذات قيمة فريدة[343].

تعتبر الثريا الكبرى بجامع القرويين بمدينة بفاس[344] المؤرخة في عام 600 هـ/ 1202م،والتي تنسب إلى الخليفة الناصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن[345]، أقدم ثريا في عمائر المغرب الأقصى[346]، (لوحة 25)، وهي معلقة بالقبة الخامسة، وهي القبة التي تتوسط امتداد البلاطة الثريا الكبرى، وهي من أشهر ثريات العصر الموحدي، فقد صنعت بأمر الخليفة الناصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف لجامع القرويين بفاس في 1203م[347] من بقايا ثريا

(340)- من أجمل أمثلة الثريات التي تعود إلى بلاد الأندلس، ثريا من البرونز عثر عليها في مسجد قصر الحمراء، تحتوي على كتابة بخط مغربي باسم أبي عبد الله الثالث، وهو من سلاطين بني نصر 705 هـ/ 1305م. راجع : سعاد ماهر، كتاب الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 152.

(341)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، مج 1، دار الكتاب اللبناني، 1972، ص 80 ـ 81.

(342)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.،ج 4، ص 393.

(343)- تؤكد التحف موضوع الدراسة عدم صحة ما ذكره «ديماند» عن التحف المعدنية في شمال أفريقيا بقوله : « أما شمال أفريقية فلم تصل التحف المعدنية إلى مستوى فني محترم. راجع : ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد عيسى، مراجعة أحمد فكري، دار المعارف، ط 3، 1982م، ص 162 ـ 163.

(344)- بادرت فاطمة الفهرية أم البنين فأسست بمالها عام 245 هـ / 869م جامع القرويين الأول الذي أصبح أقدم جامعة في العالم بعد أن أجتمع لفاس حاضرة المغرب علوم وفنون القيروان ومصر والعراق، وتراث قرطبة وما وراءها بحواضر الأندلس، وتم الشروع فيه يوم السبت مستهل رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومئتين/ 30 نوفمبر 859م. راجع : ابن أبي زرع : روض القرطاس.، ص 38-34.،. عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، فصلة من مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد 14، 1960، ص 62، عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 1، حسن السائح، التاريخ العلمي لجامعة القرويين، منشورات الإيسيسكو، الرباط، 1997م، ص15.

(345)- راجع : ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 303 ـ 317.، المراكشي، المعجب.، ص 226.

(346)- راجع : Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce de al-Andalus y el Maghreb, Miscellanées de Estudios Arabes y Hebraicos, Secion Arabe-Islam, 48, Grenade, 1999, P.383.

(347)- راجع : Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique nord et en Espagne, Paris, 1924,pp.298-299.

قديمة بعد صهرها من جديد وإضافة البرونز إلى مادة النحاس[348]، وباقتراح من القاضي الخطيب أبي عبدالله ابن موسى المعلم[349] الذي جمع لصنعها مهرة صناع فاس، في الفترة من 1202 إلى 1219هـ، وتكلفت 717 ديناراً فضية[350].

ويصفها المؤرخ علي الجزنائي بقوله : «**وفيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن**[351]، **وفي زنتها سبعة عشر قنطاراً وربعا قنطار، وربعا ربع قنطار، وفي دورها اثنان وثلاثون شبراً، وعدد مراكز قناديلها خمس مئة وعشرون مركزاً، والذي يملأ قوارير سرجها من الزيت خمس قلل، وكانت تسرج كلها في ليالي رمضان، وتارة لا تسرج**»[352]، وقد أمر السلطان يوسف المريني[353] أن تسرج كلها في ليلة السابع والعشرين من رمضان ويسرج بعضها في سائر ليالي العام[354].

وتقع هذه الثريا في ملتقى البلاطتين الوسطى الممتدة من المحراب للعنزة وبلاط باب الصالحين من الناحية الغربية وباب السبع من الجهة الشرقية تحت القبة المضلعة الخامسة من المحراب، ويبلغ قطرها 2,25م[355]، (لوحة 26)، وعلقت الثريا بواسطة ساق تحتوي على مجسم ذي ست زوايا وكرتين في قاعدته شبه شمعدان يحمل المصابيح. وشكل الثريا العام عبارة عن مخروط يحتوي على اثني عشر دوراً أكبرها السفلي وأصغرها العلوي، وتحتوي كل دورة على إطار بارز ركبت عليه مساند القوارير الزجاجية التي بلغ عددها في الدورة الأولى أربعة وخمسين قارورة، وفي الدورة

(348)- راجع : Terrasse H. et Hainaut J., Les arts décotatifs au Maroc, Editions Afrique Orient, 1988,pp.127 -140.

(349)- بعد وفاة الفقيه موسى المعلم في العشرين من شهر صفر عام تسعة وتسعين وخمسمائة، ولي بعده ولده الفقيه عبدالله بن موسى المعلم وسنه يوم ولي المحراب ثماني عشرة سنة، ولم يزل إماماً وخطيباً إلى أن توفي يوم الأحد الحادي عشر من رجب الفرد عام أحد عشر وستمائة. راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 89 ـ 90.

(350)- راجع : - Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine., p.57

(351)- راجع : محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون، ص 257

(352)- ويضيف على الجزنائي قائلا : « إلى أن ولي الشيخ الفقيه محمد بن أبي الصبر قضاء المدينة فرأى أنه إن أسرجت كل ليلة من رمضان قد يكون ذلك سرفاً في مال الجامع، وإن لم تسرج قد يكون ذلك تعطيلاً لما أريد بها. فاقتضى نظره أن استشار في ذلك أمير المسلمين مولانا أبا يعقوب وأنهى إليه أمرها، فأمره أن يأخذ في ذلك بالأوسط من الأمور، وأن تسرج كلها في كل ليلة من ليالي السابع والعشرين من رمضان، ويسرج بعضها في سائر ليالي العام، فدام العمل على ذلك إلى الآن (أيام علي الجزنائي حوالي عام 766هـ). راجع : الجزنائي، زهرة الآس.، ص 69.

(353)- هو أمير المسلمين يوسف ابن يعقوب بن عبدالحق : يكنى أبا يعقوب، أمه أم العز بنت محمد بن حازم العلوي، بويع في غرة صفر سنة 685، وقتل 26 في ضحى يوم الأربعاء السابع لذي القعدة عام 706هـ، وله 66 سنة، ودفن بشالة، وكانت دولته 21 سنة، و9 أشهر، و25 يوماً. راجع : إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين، ص 30ـ 31.

(354)- أول النقوش المرينية المحفوظة على خشب العنزة تؤرخ لسنة سبع وثمانين وستمائة، حيث قام العاهل المريني الثاني أبو يعقوب بتعويض الألواح القديمة التي عرفت منذ ايام المرابطين بهذه اللوحة الفنية الرائعة المزخرفة بالخط الكوفي والنسخي، منها تسعة أبيات تتضمن التاريخ. راجع : عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة.، ص67.

(355)- راجع : Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine à Fès.,pp.57 -59

الثانية تسعة وأربعين قارورة، وفي الثالثة خمسة وأربعين، وفي الرابعة تسعة وثلاثين، وفي الخامسة ستة وثلاثين، وفي السادسة ثلاثين، وفي السابعة خمسة وعشرين، وفي الثامنة تسع عشرة، وفي التاسعة أربع عشرة، وفي العاشرة عشر قوارير، وفي الحادية عشر أربع قوارير، وفي الثانية عشر قارورتين، والمجموع ثلاث مئة وسبعة وعشرون. وحدد مسطحها بإكليل مسنن، وتظهر من داخلها قبة مضلعة من اثني عشر جناحاً، وازدانت زوايا القاعدة بفصوص ناتئة، وتتصل القاعدة بمساند ذات نقوش مزهرة، لا يوجد جزء من أقسامها، حتى الداخلية منها، خلوا من الزخرف، من غير أن يحجب ذلك أشكال الكتابات أو الزخارف النباتية. ونلحظ على قطع الإكليل الذي يحيط بأسفلها زخارف متنوعة فيه خطوط كوفية[356]. (لوحة 27)

ويتوسط الثرية قبة من النحاس المشغول، زخرفت إطاراتها بزخارف نباتية قوامها مراوح نخيلية، وأنصاف مراوح نخيلية يتخللها نقوش كتابية مكتوبة بالخط النسخ المغربي نفذت بطريقة الحفر[357]. وتشكل مجموعة النقوش الكتابية المنقوشة على هذه الثريا آية من آيات الفن الموحدي، حيث تضمنت نقوشها الكتابية عبارات انفردت بها الفنون الموحدية مثل عبارات : «العظمة لله»، «العزة لله»، بالخط الكوفي، وعبارة أخرى مثل : «السعادة والإقبال» بالخط النسخ[358]. وبجانب هذه الدوائر أفاريز نقشت عليها آيات قرآنية تقرأ على النحو التالي :

الشريط الأول : شغل الشريط الأول بكتابات بالخط الكوفي على مهاد نباتي يقرأ كالتالي :

أعود بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[359]. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ

(356)- راجع : عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة.، ص 80 ـ 81.

(357)- راجع : Fernandez Puertas A., Topología de lámparas., P.387

(358)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين بمدينة فاس، مجلة الدارة، العدد 4،، 1412هـ، ص 125.

(359)- سورة لقمان، آية 33-34.

لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[360]، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[361].

الشريط الثاني : وشغل هذا الشريط بكتابات بالخط الكوفي المجوهر على مهاد نباتي يقرأ كالتالي : **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[362] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[363]

الشريط الثالث : يحتوي هذا الشريط على اثني عشر جناحاً، يتخذ كل جناح شكل مربع ناقص ضلع، بحيث يحتوى كل جانب من هذه الجوانب الست والثلاثين على كتابات قرآنية بالخط الكوفي، تقرأ كالتالي : **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلي على محمد وآله،** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ. رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ . فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ . لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

(360)- سورة الحشر، آيات 21، و22، و23، 24.

(361)- سورة الأحزاب، آية 56.

(362)- سورة النور، آيات 35 ـ38.

(363)- سورة التوبة آية 18.

وَبِئْسَ الْمِهَادُ .لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[364].

وتشتمل الدائرة السفلية على كتابات تسجيلية بالخط النسخي تقرأ على النحو التالي : **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا/ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا / وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ/لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن/ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا / إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً / لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[365] **/ جددت هذه الثرية السعيدة عن أمر / مولانا أمير المؤمنين المتوكل على ر / ب العالمين مولانا اسماعيل الشريف / الحسني أيده الله ونصره سنة 1121هـ)**[366].

ومن الثابت تاريخيا أن السلطان إسماعيل الذي حكم في الفترة من (10 ذو الحجة 1082 ـ 27 رجب 1139 هـ/ مارس 1672 فبراير1727م)، قد أصدر أمره بإنزال هذه الثرية وتنظيفها وإعادة صنع القطع التي تهددت فيها بتلف أو ضياع، ثم إعادتها إلى مكانها بعد أن نقش اسمه عليها[367].

واستنادا إلى نهاية النص التسجيلي السابق ذكره، الذي ينتهي بحروف من الخط الفلكي المغربي، وفي سنة 1960 أرخ السيد عبد الهادي التازي هذه الكتابات إلى سنة ثلاثين ومائة وألف[368]، وفي سنة 1972 أعاد القراءة وصححها في كتابه «**جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس**» المجلد الثالث، إلى سنة 1120 هـ، واعتمد عليه في ذلك السيد عثمان عثمان إسماعيل، في كتابه «**تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى**»[369].

ويمكن القول من خلال الدراسة التطبيقية لهذا النص وفحص جميع الحروف المنقوشة، ومطابقتها بأبجدية حروف الخط الفاسي، بأن القراءة السابقة أهملت الحرف الأول من التاريخ

(364)- سورة آل عمران، آيات : 190 ـ 200.

(365)- سورة فاطر آيات : 29 ـ 31.

(366)- راجع : عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 64.

(367)- السلطان أبو النصر إسماعيل المظفر بالله ابن المولى محمد بن علي الشريف (10 ذو الحجة 1082 ـ 27 رجب 1139هـ/ مارس 1672 ـ فبراير 1727م)، وهو الابن الثالث للشريف محمد بن علي بن يوسف بن علي بن حسن. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا، ج 6، ص 67ـ 113، حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج 2، ص 237 ـ 284.

(368)- راجع : عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة، مج 1، ص 74.

(369)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج 3، ص 654 ـ 655، عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 5، ص 388.

المدون بهذا الخط الذي يشبه حرف «اللام» في اللغة العربية، وهو يساوي رقم الآحاد «1» في الحروف العددية في الخط الفاسي أو القلم الرومي، وعليه يمكن تأريخ النص التسجيلي على النحو التالي :

الحرف الأول من اليمين إلى اليسا = 1

الحرف الثاني = 20

الحرف الثالث = 100

الحرف الرابع = 1000

وبذلك يمكن تاريخ هذا النص إلى عام 1121 هـ.

والمعروف أن الدولة العلوية استعملت منذ بداية ظهورها الأشكال السرية لتنفيذ خططها ومناهجها، ويلاحظ ذلك بالنسبة لفصول بعض المعاهدات التي اتفق على أن تبقى سراً بين الدولتين، هذا إلى ما دأب المغاربة على استعماله مما يدخل في إطار «التعميمات» من رسم الأرقام بالخط الفاسي أو القلم الرومي، نقلا له عن الكتابة الإغريقية القديمة، وذلك عند قسمة الميراث أو في بعض حجج الوقف المعروفة في المغرب تحت اسم «الحوالات الحبسية». ولقد ابتكروا هذه الكتابة واستعملوها لهدفين اثنين :

أولا : الاختصار وتقليص مساحة الورق.

ثانيا : تعمد تعمية الأسرار على العامة في الميراث.

وقد حمل هذا الخط اسم «الخط الفاسي» لأنه كاد يكون استعماله مقتصرا على هذه المنطقة ومن اتصل بها في المغرب، وليس القصد إلى أن أهل فاس هم الذين اخترعوه، فلقد استعاروه من الكتابات الإغريقية القديمة[370].

ويعتبر هذا النص التسجيلي أقدم نقش حفظ في جامع القرويين للدولة العلوية[371]. كما يشتمل داخل قبة الثريا على دائرة من اثنتي عشر ضلع تضم كتابات قرآنية بالخط النسخ، تقرأ على النحو

(370)- راجع : عبدالهادي التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، 1983م، ص 42 ـ 44.

(371)- وأبرز ما يرجع إلى عهد السعديين بجامع القرويين ساريتان رخاميتان متقابلتان بالقبة التي توجد تحت الصومعة والتي تنسب للسعديين .. وكتب موزعاً على أربع زوايا هذه الفقرات : «أمر ببناء هذه القبة السعيدة عبدالله علي أمير المسلمين، ابن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد، بن يعقوب، بن عبدالحق، فكملت سنة خمس وأربعين وسبعمائة». كما قام السعديون بإصلاحات في سارية الزاوية الغربية الجنوبية من القرويين حيث نقش على السارية الجنوبية : «أمر بعمل هذه السارية مولانا السلطان أبو فارس عبدالعزيز عام سبعين وسبعمائة». أما الأشراف العلويون فقد انصرفت همتهم في القرويين إلى المحافظة على التراث، وبعد المولى إسماعيل أتى دور السلطان محمد الرابع 1281 هـ الذي أصدر أوامره بإصلاح العنزة الحالية. ثم توجهت العناية للقيام بإصلاح القرويين أيام المولى الحسن، وكذلك عصر جلالة الملك محمد الخامس الذي أمر بإصلاح جميع الثريات. راجع : عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين.، ص 68ـ 75.

التالي : (**أعوذ بالله بم الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلي على محمد وآله ﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾** سورة التوبة، آية 108، **﴿يأيها اللذين امنوا أركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم﴾**[372].

وتعتبر ساق الثريا الكبرى بجامع القرويين على درجة كبيرة من الأهمية، حيث تشتمل على اسم الخليفة الذي أمر بصناعتها، ومكان وتاريخ صنعها،(لوحة 28) وتقرأ على النحو التالي :

النص الأول : يقرأ : «**هذا ما أمر به الخليفة أمير المؤمنين أبو عبدالله ابن الخليفة الامام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تاييدهم وعزهم**»[373].

النص الثاني : يوجد هذا النص أسفل النص التسجيلي السابق، ونقشت عليه الآية القرآنية الكريمة :**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ / وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ صدق الله العظيم ﴾**[374].

النص الثالث : نقش هذا النص التاريخي الهام على ساق الثريا أسفل الآية الكريمة السابقة، وهو عبارة عن كتابات تسجيلية هامة تشير إلى تاريخ ومكان صناعتها، تقرأ كالتالي : «**صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة**».

النص الرابع : نقش أسفل النص التسجيلي السابق الذي يشير إلى مكان وتاريخ صناعة الثريا، عبارات قرآنية تقرأ كالتالي : **﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ صدق الله. لا إله إلا الله. محمد رسول الله**[375].

يلي ثريا الخليفة الناصر الكبرى بجامع القرويين، ثريا أخرى كبيرة ترجع إليه معلقة في الجامع الأعظم بمدينة مكناس، وتحمل تاريخ 604 هـ/1206م، وتقع هذه الثريا في ملتقى البلاطتين الوسطى الممتدة من المحراب للعنزة وبلاطة الباب الشمالي تحت القبة المضلعة السادسة من المحراب، ويبلغ قطرها 2,25م تقريباً.

ويتكون جسم الثريا من هيئة مخروط ذي ثلاثة طبقات حيث نجد أن كل طبقة أو درجة محاطة بجسم دائري لحمل القناديل التي كان يسرج بها الزيت، كما يحمل المستوى الخارجي تتويجاً ذي

(372)- سورة الحج، آية 77 ، راجع: عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 65 - 66.

(373)- راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 3، ص 274.

(374)- سورة الحج، آية 77.

(375)- سورة الجن، آية 18، راجع : عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين.، ص 66 ـ 67.

شرفات مسننة، ويشتمل هذا الجزء على ثلاثة أدوار أكبرها السفلي وأصغرها العلوي. وتحتوي كل دورة على إطار بارز ركبت عليه مساند القوارير الزجاجية التي بلغ عددها في الدورة الأولى تسعاً وثلاثين مصباح، وفي الدورة الثانية أحد وثلاثين مصباح، وفي الثالثة سبعة عشر مصباح، ويملأ الفراغ الداخلي قبة مضلعة ذي أثني عشر ضلعاً[376]. (لوحة 29) كما يتوج هذه الثرية قبة صغيرة من النحاس المشغول ذات فصوص وتزدان الشبكة المعرقة بحشوات نباتية مقصوصة ومحفورة، وتجلس تلك القبة فوق منشور متعدد الزوايا حيث عملت الجوانب أيضاً من حشوات نباتية الزخرفة، وقد ربطت القاعدة بالمخروط بواسطة صينية دائرية تحمها كوابيل زهرية.

وتشتمل الصينية على أربعة أشرطة زخرفية دائرية زخرفت إطاراتها بزخارف نباتية قوامها مراوح نخيلية، (لوحة 30) وأنصاف مراوح نخيلية يتخللها نقوش كتابية بالخط الكوفي والنسخ المغربي، يمكن وصفها كالتالي :

الشريط الأول : يدور الشريط الأول حول حافة الصينية الخارجي ويشتمل على آيات قرآنية بالخط الكوفي، تقرأ كالتالي : **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[377]. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ .هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾[378].

الشريط الثاني : يلي الشريط السابق، ويشتمل على زخارف نباتية نفذت بطريقة التفريغ قوامها أشكال مراوح نخيلية، وأنصاف المراوح النخيلية[379].

الشريط الثالث : يشتمل هذا الشريط على آيات قرآنية بالخط الثلث على مهاد نباتي تقرأ كالتالي : **(أعوذ بالله العظيم من الشيطان الغوي / الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم صلى / الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا** ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا

(376)- راجع : عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية .، ص 67-68.

(377)- سورة لقمان، آيات 33-34.

(378)- سورة الحشر، آيات 21، و 22، و 23.

(379)- الدراسة التطبيقية أكتوبر 2006م.

وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ / وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ/ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ / حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ / مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ / وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا / الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[380]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[381]

الشريط الرابع : يعتبر هذا الشريط الزخرفي أوسع الأشرطة، ويشغل الحافة الداخلية للصينية، ويملأ بتكوينات نباتية مفرغة قوامها أوراق نباتية ثلاثية البتلات يتوسطها جامات مفصصة شغلت بعضها بزخارف نباتية، أما البعض الآخر فقد كتب بداخله كلمات بالخط النسخي تقرأ كالتالي : «محمد»، «رسول»، و«الله».

وتعتبر هذه الثريا من التحف المعدنية الهامة بالمغرب الأقصى، التي احتوت على شريط تسجيلي بالخط الكوفي المورق على الدائرة السفلية، يمكن قراءته على النحو التالي : «**صنعت هذه / الثرية بمدينة فاس / حرسها الله لـ / جامع مكناسة / شرفه الله بذكره**[382] / **وكان الفراغ من عملها/ في العشرين من / شهر ذي القعدة / سنة أربعة وستمائة**»[383]. (لوحة 31 و 32)

وقد علقت الثريا بواسطة ساق يحتوي على مجسم ذي ست زوايا من النحاس الأصفر، وكرتين في قاعدته شمعدان يحمل ستة مصابيح. وقد عرف المغرب الأقصى صناعة الثريات[384] المعدنية واعتبرها من أهم وسائل الإضاءة وتنوعت أشكالها ومواد صناعتها خلال العصور الإسلامية، حيث أن الصناع المغاربة ورثوا فن صناعة هذه الأدوات من تراثهم التقليدي السائد متأثرين في مراحل تطوره بالطرق الصناعية والأساليب الفنية الوافدة من مشرق العالم الإسلامي، بالإضافة إلى المؤثرات الفنية الوافدة من بلاد الأندلس، التي نهضت فيه صناعة المعادن بصفة عامة خلال

(380)- سورة الحج، آية 77-78.

(381)- سورة الأحزاب، آية 56.

(382)- راجع : محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون.، ص 257

(383)- عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 68.

(384)- يذكر ابن منظور، أن الثريا من الكواكب، وسميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل، لا يتكلم به إلا مصغراً، وهو تصغير على جهة التكبير، والثريا من السُرج على التشبيه بالثريا من النجوم، والثريا ماء معروف، وورد في المنجد، الثريا، منارة عديدة الأنوار تعلق في البيوت. راجع : ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج 14، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 112، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان 1997، ص 70.

القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، حيث ظهرت كثير من التحف المعدنية ذات الزخارف الكتابية والنباتية[385].

وانتشرت الثريات خلال العصر الموحدي وتعددت أشكالها وأنواعها، فعرف منها، الثريات، والثريات الناقوسية، بالإضافة إلى الشماعد والمصابيح، والسوامر التي كانت تستخدم في الشوارع والحارات حول المسجد الجامع وفي محيط المدينة الإسلامية، وخصص للعناية بهذه الأدوات شخص يسمى الوقاد وأجري له جراية من أحباس المساجد، وهذا يدل على أهمية العناية بهذه الأدوات، وقد حفظت لنا العمارة المغربية مجموعة رائعة من تلك الثريات[386].

وإلي جانب الثريات التي كانت تصنع خصيصاً للمساجد والمدارس والتي كان يوقف عليها الكثير من الأوقاف لإنارتها، عرف المغرب الإسلامي وبخاصة المغرب الأقصى، نوعاً آخر من الثريات[387]، كانت تصنع من نواقيس الكنائس التي كان ينجح المسلمون في الحصول عليها بعد منازلة أعدائهم في بلاد الأندلس[388]. ويذكر «ابن صاحب الصلاة» عن هذه النواقيس التي أخذت من كنائس إسبانيا عند حديثه عن منازلة وبذة قوله : « .. **وهدمت بيعهم وأخذ فيها تسعة نواقيس»، ويؤكد أهمية هذه النواقيس حيث كانت أول الأشياء التي أمر الخليفة بتحميلها معه، حين يقول : « وأمر في الحين أبو الأصبع بن حكم القبطلي المقدم على الدواب أن يسوق دواب في ذلك الوقت على ما تحصل النواقيس التي أخذت في الكنائس »**[389].

وتحتوي بلاطة المحراب بجامع القرويين بفاس على خمس ثريات صنعت من النواقيس مختلفة الأحجام والأشكال والسعة، وزعت على خط مستقيم، في مجموعة القباب بدءاً من القبة الخامسة من جهة المحراب، وحتى القبة العاشرة الواقعة خلف العنزة، بالإضافة إلى ثريا ناقوسية معلقة

(385)- راجع: سعاد ماهر، كتاب الفنون الإسلامية.، ص 152.

(386)- راجع : ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن بالإمامة .، ص 533.

(387)- تمكن العرب المسلمون من معرفة خصائص المعادن وإدراك أساليب التصفية للفلزات المستخرجة من معادنها وتقنيات صهرها وقولبتها ومهارة في التفنن في صنع الأدوات النحاسية المنقوشة والمرصعة بأسلاك الفضة، والمزينة بالكتابات المرسومة عليها. راجع : محمد السويسي، العلوم والاستكشافات ودورها في تطوير الصناعات والفنون، كتاب الفن العربي الإسلامي، ج 1، تونس 1994م، ص 93.

(388)- حظي النصارى في ظل الدولة المرابطية بشكل من أشكال التسامح الديني رغم بعض المضايقات التي تعرضوا لها بسبب الوضعية الاقتصادية التي عرفتها الدولة في بعض السنين، كما أن الحروب الصليبية التي بلغت ذروتها في هذه الحقبة جعلت بعض الفقهاء يستغلونها ذريعة لاتخاذ مواقف متشددة، وحسبنا أن هدم كنيسة ألبيرة وقع في السنة نفسها التي استولى فيها الصليبيون على بيت المقدس. راجع : إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من عطاءات الحضارة الأندلسية، بحث منشور بندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، 1996م، ص 237.

(389)- راجع : ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة.، ص 533.

بباب الشماعين[390]، كما يحتفظ جامع الأندلسيين على بعض الثريات الناقوسية، ويعلق في الجامع الأعظم بمدينة تازة ثريا ناقوسية أخرى[391].

ومن بين هذه الثريات واحدة معلقة بالقبة الثانية من جهة العنزة بجامع القرويين، (لوحة 33) ينسبها «Terrasse H.» إلى العاهل الموحدي محمد الناصر، حيث يذكر أنه نقش على مقبض هذه الثريا على نحو ما نقش على الثريا الكبرى العبارة التالية: « **هذا ما أمر به الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبدالله بن الخليفة الامام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تأييدهم ونصرهم**»[392].

ويتكون البدن الداخلي لهذه الثريا من ناقوس يبلغ اتساع قطر فوهته 68 سم تقريباً، وقد كسي بثلاث حاملات للقناديل، وأغلقت فتحته السفلية بكرسي مسدس الزوايا، تحمل كل زاوية فيه قرصا، وقد نقش على الحدود الستة : ﴿ **صلى الله على سيدنا محمد/ لله العزة والرسول / صلى الله على محمد / العزة لله والرسول**﴾ كما نقش عبارات ﴿ **الملك لله / العزة لله** ﴾[393]. (لوحة 34)

وتتشابه هذه الثريا إلى حد كبير مع الثريا الثالثة التي تقع بالقبة السابعة من حيث عدد طوابقها الثلاثة، وكذلك من حيث أشكال القطع النحاسية الصغيرة المعقودة التي تشكل إطار كل طابق. وتتكون الثريا من ثلاث طوابق متطابقة ومتدرجة في السعة من أسفل إلى أعلى، ويؤازر الطابق الأول الحافة الخارجية لفوهة الناقوس بينما يؤازر الطابق الثاني وسط الناقوس والثالث رقبة الناقوس، وقد شكل الفنان الطوابق الثلاثة من قطع نحاسية صغيرة مدببة الشكل زخرفت صدورها بزخارف نباتية وهندسية دقيقة نفذت بطريقة التخريم[394].

أما فوهة الناقوس فقد سدت بواسطة صينية نحاسية يتوسطها مقعر الشكل بأسفل قاعدته يوجد كرسي الثريا، وهو دائري الشكل تنتهي قاعدته بشكل قمقم مقلوب. وقد ملأ الفنان كافة الأشرطة النحاسية المكونة للأطباق بزخارف نباتية قوامها مراوح نخيلية مزدوجة وأخرى منفردة نفذت جميعها بطريقة التخريم، وتتشابه الزخارف النباتية مع أمثلتها الموحدية، وبخاصة في

(390)- ذكرت بعض الدراسات السابقة عدد الثريات الناقوسية في بلاطة المحراب ستة ثريات، ومن خلال الدراسة التطبيقية يتضح أن عدد هذه الثريات خمسة ثريات ناقوسية بدءا من القبة الخامسة التي تلي الثريا الكبرى وحتى القبة التي تتقدم العنزة. راجع : محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس .، ص 129.

(391)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين .، مج 3، ص 654 ـ 655.

(392)- راجع : Terrasse H., la mosquée al-Qaraouiyine à Fès, ,p.103-104... عبدالهادي التازي، جامع القرويين .، ص 83.

(393)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 74.

(394)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج 1، 2001م، ص 424.

الزخارف التي تزدان بها الثريا الموحدية الكبيرة المعلقة في القبة الخامسة من بلاطة المحراب، وكذلك في الزخارف النباتية التي نفذت في الجص على نوافذ صومعة الكتبية[395].

ومن الثريات الناقوسية الأخرى التي ترجع إلى العصر الموحدي الثريا المعلقة في القبة السادسة من جهة المحراب، (لوحة 35) وهي القبة التي تغطي جزءاً من امتداد البلاطة الوسطى بظلة القبلة، وتتكون من بدن الناقوس، وهو من الحجم المتوسط إذ يبلغ اتساع قطر فوهته الدائرية من أسفل 58سم تقريباً. وقد شغل بدن الناقوس من الخارج ثلاث أحزمة متطابقة تؤازر جميعها بدن الناقوس والأحزمة الثلاثة تتدرج إلى أصغر كلما اتجهت إلى رقبة الناقوس. وتشتمل مجموعة الأحزمة على أذرع منكسرة الشكل تحمل أطرافها العليا سندات القوارير. أما فوهة الناقوس من الداخل فقد سدت بواسطة طبق نحاسي مستدير الشكل مكون من أجزاء منفصلة ثبتت عن طريق الأذرع المتصلة بالكرسي النحاسي الصغير، وقد ركبت في قاعدة الكرسي من أسفل أربع برامق نحاسية صغيرة، وتحتوي قمة الثريا على مقبض مستحدث[396]. وتحمل الثريا والناقوس بعض النقوش الكتابية، أقدم هذه النقوش المحفورة على بدن الناقوس الخارجي من جهة الرقبة، وهي عبارة عن نقوش تتضمن عبارات لاتينية تقرأ كالتالي : «vox dominisonatadominiromefecit»، ومعناها : «صوت الرب يجلجل في بيته، صنع هذا الجرس روميو»[397]. (لوحة 36)

وتضمنت النقوش العربية التي نقشت على الإطارات النحاسية آيات قرآنية، منها نقش بالخط النسخي على حافة الثريا يقرأ : (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.** ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**﴾، ويلي سورة الإخلاص نقش آخر يشتمل على البسملة منقوشاً بالخط النسخي، كما يوجد نقش آخر منقوشا على الطبق النحاسي بالخط النسخي المنفذ بطريقة الحز يقرأ : ﴿ **أعود بالله من الشيطان الرجيم**﴾، ويحتوي كرسي الثريا على نقوش كتابية تشتمل على عبارات دعائية نقشت بالخط النسخ تقرأ : «**الملك الدائم العز القائم**»[398].

ومن الملاحظ على النقوش الكتابية السابقة سواء المنفذة على بدن الناقوس بالحروف اللاتينية أو المنفذة على إطارات الثريا بالحروف العربية، أنها لم تشتمل على تاريخ الصناعة أو أسماء الحكام الذين أمروا بتصنيعها وتعليقها. وإن كان من المسلم به نسبة هذه النواقيس إلى العصر

(395)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 72-73.

(396)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين .، ص 132 ـ 135.

(397)- عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، مج 2، ص 329.

(398)- نفسه.

الموحدي، إلا أن عناصرها الزخرفية الحالية، وما تحمله من عبارات دعائية وبمقارنتها مع أشكال الخطوط والعبارات الموحدية علي العمائر الدينية الثابتة نجد أنها تختلف عن نقوش وكتابات العصر الموحدي، ومن هنا يمكن القول أن الثريا الموحدية أدخل عليها العديد من الترميمات الجوهرية التي استبدلت فيها النقوش والكتابات الموحدية بالنقوش والكتابات الحالية، مثل عبارة «الملك الدائم العز القائم»، كما يلاحظ أن الخطوط المستخدمة ليست الخطوط الموحدية المعروفة[399].

وأيضا الثريا التي تقع بالقبة السابعة من جهة المحراب، وهي تتدلى من القبة الخشبية. ويتكون هيكلها الداخلي من بدن الناقوس الذي يبلغ اتساع قطر فوهته 71سم، (لوحة 37)، وتعد هذه الثريا من ضمن الثريات التي نفذت بأسلوب فني متطور عن الثريات السابقة، حيث شغل الفنان بدن الناقوس بثلاث طوابق تؤازر جميعها بدن الناقوس من الخارج بشكل متدرج في السعة إذ تأخذ تلك الطوابق في الصغر كلما اقتربت من رقبة الناقوس. ويتوج حافة كل طابق شرفات نحاسية مدببة الشكل ثبتت في قمتها أذرع صغيرة ترتكز عليها قواعد نحاسية كانت تثبت فيها القوارير الزجاجية، أما الآن استبدلت بإضاءة حديثة. وقد شغل الفنان شرفات الطوابق الثلاثة للثريا بزخارف هندسية نفذت بطريقة التخريم، كما شغل الفنان الإطار الذي يرتكز عليه مجموعة الشرفات بالطابق الأول بزخارف نباتية دقيقة نفذت بطريقة الحفر[400].

أما فوهة الناقوس فقد سدت من أسفل بطبق من النحاس المجمع من عدة أجزاء ثبتت مع بعضها عن طريق أذرع نحاسية ثبتت أحد أطرافها في حافة الناقوس من الداخل، أما طرفها الثاني فقد تجمع حول الكرسي النحاسي الصغير الذي يتوسط قاعدة الطبق الذي يغلق على فوهة الناقوس. وقد ملأ الفنان جميع الأشرطة النحاسية المكونة للطبق والكرسي بزخارف نباتية دقيقة نفذت بطريقة التخريم. وقد حجبت الطوابق الثلاثة التي تلتف حول بدن الناقوس رؤية أجزائه الداخلية، وتعد النقوش العربية المحفورة على الثريا قليلة بالنسبة لحجمها إذ تحتوي الثريا على عبارتين : الأولى نقشت على الإطار الأول من أسفل بالخط النسخ المغربي، يقرأ: «اليمن والإقبال والسعادة»، بشكل متكرر على حافة الإطار. (لوحة 38)، أما الإطار الأوسط الذي يلي الإطار السفلي يحتوي على نقش كتابي يقرأ : «اليمن والإقبال والغبطة» بشكل مكرر بخط النسخ المغربي[401].

(399)- من المرجح أن تكون أعمال الترميم التي مرت على الثريا ترجع إلى العصر السعدي، وهو العصر الذي انتشرت فيه مثل هذه العبارات ويعزي ذلك إلى هجرات الأندلسيين بكثرة في ذلك الوقت حيث إن هذه العبارات كانت شائعة على التحف الأندلسية.راجع : محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين .، ص 132 ـ 135.

(400)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 75-76.

(401)- عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، مج 2، ص 329.

ونخلص من دراسة هذه الثريا الناقوسية والمميزات الفنية وأسلوب الكتابة ونصوص العبارات إلى نسبتها إلى العصر الموحدي.

كما توجد ثريا أخرى معلقة في القبة العاشرة الواقعة خلف العنزة مباشرة، (لوحة 39) وتتكون من بدن الناقوس الذي شغله الفنان من الخارج بأربعة إطارات تؤازر جميعها بدن الناقوس من الخارج، وهي على هيئة متدرجة في السعة أكبرها الإطار السفلي وأصغرها الإطار العلوي، وقد صنعت الثريا من ناقوس صغير الحجم، إذ يبلغ سعة فوهته 58سم، ويبدو على مظهرها الخارجي أنها قليلة الارتفاع، وذلك نتيجة شغل الفنان بدن ناقوسها الخارجي بأربعة من إطارات القوارير في حين شغلت النواقيس بثلاثة طوابق فقط. وقد شكل الفنان إطارات الطوابق من شرفات نحاسية صغيرة مدببة الشكل يرتكز على قمتها سندات صغيرة تركب عليها القوارير، أما فوهة الناقوس فقدت سدت بطبق نحاسي يتوسطه كرسي الثريا الذي تحتوي قاعدته على أربعة برامق صغيرة. وقد زخرفت جميعها بأشرطة نحاسية تحتوي على نقوش نفذت بالتخريم[402]. (لوحة 40)، أما إطار فوهة الناقوس الخارجية فقد توجها إطار من النحاس مسنن، وزخرف سطح الإطار الخارجي بزخارف هندسية باستخدام طريقة الحز، ويعلو قمة الثريا ثلاث تفافيح متدرجة في السعة أكبرهم السفلي وأصغرهم العلوي، وقد شغل الفنان أسطحهم الخارجية بتضليعات وتهشيرات. وتعد هذه الثريا من ضمن الثريات الموحدية برغم أعمال الترميم التي أفقدتها نقوشها الكتابية الموحدية.[403]

وتوجد ثريا رابعة معلقة في سقف دخلة باب الشماعين الواقع في الضلع الغربي من جامع القرويين، وتتكون من بدن الناقوس الذي يبلغ اتساع قطر فوهته 67سم، (لوحة 41)، وتتشابه هذه الثريا إلى حد كبير مع الثريا الثالثة المعلقة في القبة السابعة. وقد شغل الفنان بدن الناقوس بثلاثة إطارات شكل كل من قطع نحاسية صغيرة ذات حافة مسننة، وهذه القطع أكثر تطوراً من شرفات إطارات الثريا الثالثة والسادسة[404]. أما فوهة الناقوس فقدت سدت بطبق نحاسي مجمع من أجزاء صغيرة (لوحة 42)، ويتوسط الطبق من أسفل كرسي الثريا، وهو دائري الشكل ثبتت في قاعدته أربعة مسامير على هيئة برامق صغيرة. وقد شغل الفنان كافة أجزاء الثريا بدءاً من الشرفات التي تتوج حافة طوابقها الثلاثة، وكذلك الطبق والكرسي النحاسي بأشرطة نحاسية تحتوي على نقوش زخرفية بعضها مكون من عناصر نباتية، والبعض الآخر مكون من عناصر هندسية نفذت بطريقة التخريم، أما الصفيحة التي أغلقت فتحة الجرس، فقد نقش عليها عبارة البسملة والصلاة على النبي على

(402)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس .، ص 132 ـ 135.

(403)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 75.

(404)- نفسه.

النحو التالي : **﴿بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد﴾** وبأسفلها نقشت عبارة: **﴿العزة لله وحده﴾**، **﴿العظمة لله ولرسوله﴾**، وفي صفيحة أخرى نقش عبارة تقرأ : **﴿الملك لله، العزة لله ولرسوله﴾**[405]. وهذه العبارات تتفق مع العبارات الدينية التي شاع استخدامها في العصر الموحدي، سواء في العبارات التي نقشت على العمائر أو التحف المنقولة، وبأعلى هذه الثريا ركبت أربع تفافيح أكبرها السفلى وأصغرها العليا، نقشت عليها زخارف دقيقة. (لوحة 43) وهذه العبارات تتفق مع العبارات الدينية التي شاع استخدامها في العصر الموحدي[406]، سواء في العبارات التي نقشت على وجهات العمائر أو التحف المنقولة، وبأعلى هذه الثريا ركبت أربع تفافيح أكبرها السفلى وأصغرها العليا، نقشت على سطوحها زخارف دقيقة[407].

ويحتفظ المسجد الأعظم بتازة على ثريا من العصر الموحدي، (لوحة 44)، وتتكون هذه الثريا من بدن الناقوس الذي يبلغ اتساع فوهته 44 سم، ويحتوي بدن الناقوس[408] على ثلاثة إطارات أكبرها السفلي وأصغرها العلوي، وتطوي حافة الإطارات من الخارج على حلقات دائرية كانت تستخدم قديما في حمل قوارير الزيت، واستبدلت بإضاءة حديثة وضعت على سطح الإطارات من أعلى[409].

وزخرفت كافة الإطارات النحاسية بزخارف نباتية نفذت بالتخريم قوامها عناصر نباتية مكونة من مراوح نخيلية مزدوجة وأخرى من أنصاف المراوح، وربط بين كل مروحة كاملة بسيقان رفيعة تعطي شكل عبارة عن شبكة من السيقان المعقدة بتخللها تلك المراوح وهو أسلوب شاع استخدامه منذ عصر المرابطين والموحدين[410]، مما يؤكد أنها انحدرت عن مثال سابق موحدي[411]. وقد صممت الثريا الناقوسية بالمسجد الكبير بتازا طبقا للتقاليد المتبعة بعد مراعاة اتفاق تلك القواعد مع مقاييسها المصغرة. وينتهي ساقه القصير بحلقة ذات خمسة فصوص وضعت فوق زهيرة ويتشكل جسمه من ثلاثة أجزاء منشورية الشكل مسدسة الأضلاع[412]. (لوحة 45)

(405)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين .، ص 330 ـ 331.

(406)- اتخذ الموحدون عبارة « الحمد لله وحده «علامة لهم اقتداء بالمهدي حيث وجدت هذه العبارة في مخاطباتهم، ففي رسالة عبدالمؤمن إلى ولده يوسف والي أشبيلية وردت علامة الموحدين «الحمد لله وحده « في الرسالة المؤرخة في سنة 555 هجرية، وبأولها : « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده ....» . راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية.، ج 3، ص 301.

(407)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين، ص 143ـ144.

(408)- ربما يكون هذا الناقوس منقولاً من جامع القرويين حيث لم تذكر المصادر التاريخية شيئا عنه.

(409)- راجع : H. Terrasse, La grande mosquée de Taza , les éditions d'art et d'histoire, Paris, 1971, pp.63 -64.

(410)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين .، ص 143ـ145.

(411)- راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، 387

(412)- وتتشابه زخارف هذاه الثريا الناقوسية مع زخارف ثريا جامع القرويين المؤرخة في عصرمحمد الناصر الخليفة الموحدي الرابع . راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 4، ص 387

ويحتفظ المسجد الأعظم في تازة بناقوس صغير (لوحة 46) يعتقد أن هذا الناقوس صغير الجرم قد أتى بدون شك من بعض كنائس الريف الإسباني لكنة لا يحمل أي نقش كتابي يسمح لنا بتحديد المكان الوارد منه. ويتبين من دراسة هذا الناقوس أنه يقوم فوق ساق يشابه نظيره في الثريا الصغرى، وقد ارتقت الناقوس ثلاثة أطباق يشتمل كل من الطبقين الكبيرين منها على ستة عشر مقطعا من لوحات النحاس ذات الزخارف النباتية المخرمة في حين يشتمل الطبق الصغير العلوي على مقطعين فقط[413]. كما يدور بمحيط كل من تلك الأطباق نقش كتابي بخط النسخ، ويتوج ذلك إكليل صغير مكون من ثمانية أقواس زهرية وتقتصر الزخرفة البسيطة على الأوراق النخيلية الملساء[414].

كما تشتمل البلاطة الوسطى بجامع الأندلسيين[415] بفاس على أربعة ثريات واحدة من هذه الثريات ترجع أصولها إلى العصر الموحدي، وهي متوسطة الحجم حيث يبلغ قطرها حوالي مترا أما ارتفاعها فحوالي، 1,30م[416]. (لوحة 47) ويأخذ جسم الثريا شكل شجرة الزنبق الخزامية العريضة حيث يتكون بدنها من هيئة زهرة السوس. وقد استدار بالصحن الذي يرتكز عليه البدن إطار من شبه الشرفات المسننة. وتبدأ الثريا بصينية رائعة تشتمل على ساق طويلة تنتهي بثلاث كرات الأولى والثالثة ملساء، أما الثانية فحلزونية الشكل، ولا زال بأحدها علاقة من ثلاثة فصوص معدنية رائعة الصنع وقائم طويل، وكما يتضح أن الصينية المواجهة للأرض قد زخرفت بثراء كبير حيث يتفرع عن المركز اثنى عشر عموداً نحاسيا يتجه نحو الحافة الخارجية منتهيا بمجموعة زخرفية تتكون من زوج من الأوراق النخيلية المزدوجة المتدابرة[417].

ويتضح في كل قسم من الأقسام المحصورة بين الأشرطة النحاسية، التي زينت بزخارف قوامها عناصر نباتية وزهرية على هيئة أوراق نخيلية مزدوجة أخرى. ولسوء الحظ فقد تعرضت

(413)- راجع : Terrasse H, La grande mosquée de Taza ., pp.63-64

(414)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 77-78.

(415)- شرعت مريم بنت محمد بن عبدالله الفهري في بنائه سنة خمس وأربعين ومئتين بعد أن أشترت أرضه من مالها الخاص الموروث عن أبيها، واستمد اسمه من عدوة الأندلسيين العدوة الشرقية من فاس التي أنزل بها الإمام إدريس الوافدين عليه بعد حادث الربض قرب قرطبة. وظل جامع الأندلس كما هو منذ بنائه إلى أن رفعت الخطبة من جامع الأشياخ، وانتقلت إليه في عام 321هـ بأمر حامد بن حمدان والي فاس من قبل عبيد الله المهدي، وقد أفاد هذا الجامع من النزاع السياسي بين الفاطميين بالمهدية وبين الأمويين في سبتة، ويتجلى هذا النزاع في المنبر الذي وصل إلينا من هذا العصر، والسابق شرحه، راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 46.، السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب .، ص 764، عثمان عثمان، العمارة الإسلامية والفنون.، ج 1، ص 277.

(416)- راجع : Terrasse H., La mosquée des Andalous à Fès, éditions d'art et d'histoire, Paris, 1942 ,p. 32

(417)- راجع : Terrasse H., La mosquée des Andalous ., p. 32

الثريا لإضافات وتجديدات واسعة في وقت لاحق[418]. (لوحة 48) ومن المؤسف أن بعض البقايا الكتابية التي كانت محفورة بتلك الثريا لا تكفي لقراءة النقوش الخطية الكاملة حيث تدل الحالة الراهنة على أن تلك الثريا كانت تتوفر على نقشين بالخط النسخ المغربي حول حافة الصينية، وقد توفرت ذات الثريا على قاعدة هندسية الشكل سداسية الهيئة تعتبر في نفس الوقت قاعدة تجلس عليها قبة إشعاعية بديعة التنسيق كمرحلة انتقال بين هذه القاعدة وبين مركز الصينية الموزعة عليه اثنى عشر عموداً نحاسياً[419].

وقد خلص «Terrasse H.» من دراسته لهذه الثريا إلى أن تركيب تلك الثريا وزخارفها يجعلان منها مثالا أقدم عهدا من الثريات المرينية المعروفة بجامع تازة وبمدرسة العطارين، مما يجعله ينسبها إلى عصر الموحدين وإلى عصر الخليفة محمد الناصر بصفة خاصة[420].

وكان من أعمال الموحدين في صحن جامع القرويين،«خصة العين» التي تمتاز بوجود شباك من رخام أبيض يحتوي على مائة وأربعة وعشرين خاتماً، ويوجد تحت النافذة البديعة تاريخ الصنع بالخط النسخي على حجر أحمر، نصه بعد التسمية والصلاة على النبي : «وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار... كمل في شهر جمادى الآخرة سنة تسعة وتسعين وخمسمائة»، وهذه النقوش تؤرخ دخول الماء إلى صحن القرويين بعد أن كان يقتصر على باب الحفاة[421].

وبأمر الناصر الموحدي وإذنه للفقيه الصالح أبي محمد يسكر تم توسيع باب الحفاة وتجديده وفتح الباب المقابل لفندق ابن حيون من الجهة الشرقية من القرويين وأنشئت البيلة والخصة[422] ودار الوضوء. وقد صممها المهندس أبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة، وأنفق عليها من ماله الخالص أبو الحسن السجلماسي بعد استشارة الفقيه أبي محمد يشكر الجورائي إمام القرويين[423].

(418)- تذكرنا هذه النماذج بالتضفيرات الزهرية بجامع تينمل وباب الودايا. راجع : راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.،ج 3، ص 276.

(419)- راجع : Terrasse H., La mosquée des Andalous.,pp.30- 33

(420)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 78-79.

(421)- عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين.، ص 66 .67.

(422)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 117-118.

(423)- قدم لعمل البيلة والخصة اللتين في الصحن رجل من سجلماسة يعرف بالفقيه أبي الحسن بن عبدالله السجلماسي من أهل المعرفة بالبناء والهندسة فعمل البيلة وما حولها من الرخام الأبيض جعل طولها اثنى عشر شبراً وارتفاعها ستة أشبار وأدار بذلك تكفيف رخام وجعل شباكا من الرخام من مئة وأربعة وعشرين خاتما. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 1، ص 274

ومن آثار العصر الموحدي أبواب داخل المسجد تنفذ من قاعة الصلاة إلى جامع الجنائز، وتعرف هذه الأبواب باسم «أبواب الرواح»، فيها العليا التي تجاوز المحراب، والوسطى، ثم السفلى، وكل هذه الأبواب من خشب لكنها صارت لوحات فنية، فهي سلسلة من زهور ورسوم منحوتة، وتمتاز العليا من هذه الثلاثة بأن مصاريعها تحتوي على عدة آيات قرآنية، وبيتين من الشعر[424].

ومما تبقى من التحف التي تعود إلى عصر الخليفة محمد الناصر لدين الله الموحدي، عنزة جامع الأندلسيين[425]، التي تحتفظ بنقش تسجيلي، يقرأ منه ما يلي : «وكان الفراغ منها في شهر محرم عام ستة وستمائة »[426]. (لوحة 49 و 50)، ويذكر الجزنائي : أن المسجد ظل على حالته منذ أعمال أحمد بن أبي بكر الزناتي فيه، إلى أيام الخليفة محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين، الذي أعاد بناء جامع الأندلسيين كله، ولم يترك من الجامع القديم سوى المئذنة الأموية والمنبر، وحتى هذا المنبر نفسه لم يستثن من أعمال الترميم، فلقد كسا الناصر كتفيه بجانبين جديدين[427].

ويقول «ابن أبي زرع»، في أعمال الخليفة : «وأما جامع عدوة الأندلس، فلم يزل على ما بني عليه أولاً، ولم يزل فيه أحد زيادة إلى سنة ستمائة، فأمر أمير المؤمنين أبو عبدالله الناصر ببنائه وإصلاحه وتجديد ما تهدم منه، وأمر بفتح الباب الكبير الجوفي المدرج الذي بصحنه، وجعل بأسفله بيلة من رخام أحمر، وأمر بعمل السقاية والميضأت»[428].

ويشتمل متحف البطحاء بفاس على العديد من الأفاريز والحشوات الخشبية المجلوبة من بعض العمائر الإسلامية، والتي تنسب إلى العصر الموحدي، ويظهر على هذه الحشوات الخشبية السمات الفنية الرئيسة التي تميز التراث الفني الزخرفي في العصر الموحدي سواء في النقوش الكتابية المنفذة بالخط الكوفي على أرضية من الأوراق النباتية المتنوعة، أو الخط النسخ، وكذلك طريقة تنفيذ الزخارف النباتية التي انتشرت على مواد الفنون الإسلامية في العصر الموحدي، بالإضافة إلى التنوع الواضح في استخدام الزخارف الهندسية من المربعات والمستطيلات والأشكال

(424)- عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين.، ص 66.

(425)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب، ص 764

(426)- راجع : Terrasse H., La mosquée des Andalous.,pp.30- 33

(427)- راجع : علي الجزنائي، جنى زهرة الآس.، ص 69.

(428)- راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 92 ـ 93.

النجمية، وغيرها من الزخارف الشائعة على مواد التراث الفني الزخرفي خلال العصر الموحدي، كما يتضح عليها التأثيرات الفنية[429].

ومن التحف الفنية الباقية والتي تعود إلى أواخر أيام الخليفة الناصر لدين الله، قطعة من نسيج الحرير الموشى والمطرز بخيوط من الذهب والفضة، وطولها 330سم، وعرضها 220سم[430]، ربما كانت علم أو ستار من خيمة، وتعرف براية موقعة العقاب، (15 من صفر 609 هـ= 17 من يوليو 1212م). وقوام زخرفتها دائرة كبيرة صفراء في الوسط يحيط بها مربع ذو مقاطع أربعة، وقد ملئت الدائرة والمربع بنقوش عربية جميلة، ويحيط بهذا المربع من الجوانب الأربعة أحزمة بنية، نقشت عليها آيات قرآنية بخط أزرق، وفي ذيلها دوائر نقشت فيها أدعية مختلفة[431].

وتتميز بوجود رسوم نباتية وهندسية تشبه الصفحات المذهبة في بداية المخطوطات، وعليه خمسة أسطر من الكتابة الكوفية نصها، العلوي : (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم**) والأوسط : ﴿**يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم**﴾ سورة الصف، الآية 10، والأيسر: ﴿**ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات**﴾ سورة الصف، جزء من الآية 11-12، والأسفل : ﴿**تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم**﴾[432].

ومن المرجح أن هذا العلم لم يكن من الأعلام التي تحمل خلال المعارك العسكرية، وإنما كان من الأعلام التي تعلق بخيمة الخليفة، ومن ثم كان الاسم الذي يعرف به هو «معلق معركة العقاب»[433]، كما يُعدُّ من نماذج الأقمشة الموحدية المشهورة بالأندلس[434]. (لوحة 51)

(429)- راجع : CAMBAZARD-AMAHAN Catherine, Le décor sur bois., PP.107 - 129

(430)- محفوظة في معبد لاس ولغاس، متحف دو تلاس سييفالس بمدينة برغش تحت رقم Inv. 00652193

(431)- راجع : محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق 2، ص 317.

(432)- سورة الصف، الآية 12.

(433)- وتعرف هذه المعركة في الكتابات الإسبانية باسم «لاس نافاس دي تولوسا»، ويطلق عليها المؤرخون المسلمون اسم موقعة العقاب، نسبة إلى حصن أموي قائم بالقرب من المكان الذي دارت فيه المعركة، وانتهت بهزيمة جيش الموحدين، وفر الناصر من ساحة القتال مع مجموعة من رجاله، واستولى الأسبان على معسكر الموحدين بجميع محتوياته من العتاد والسلاح والخيام والبسط والأقمشة والدواب، ولا تزال بعض أعلام الموحدين وخيمهم في معركة العقاب محفوظة في إسبانيا. وقد فجع الموحدون بهذه الهزيمة القاسية التي راح ضحيتها الألوف من زهرة جنود المسلمين، مما أضعف دولة الموحدين، وأفقدهم هيبتهم وقوتهم، وبعد وفاة الناصر سنة (610 هـ : 1213 م) بدأ الضعف يتسلل إلى الدولة، ويتطرق إليها الخلاف والفرقة، مما أضعف الأندلس، وشجع النصارى على تصفية ما بقي للمسلمين من أرض، واختزلت دولتهم في مملكة غرناطة في جنوب الأندلس.راجع : محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق 2، ص 317.

(434)- راجع : زكي حسن، فنون الإسلام.، ص 392.، عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 3، ص 298.

وقد أثرت الأحداث التاريخية أواخر الدولة الموحدية على شتى مناحي الحياة بشكل عام، وعلى تطور مواد الفنون الإسلامية بشكل خاص، حيث اتسمت هذه الفترة بمظاهر الضعف التي لحقت بالدولة الموحدية خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، مما أدى إلى تدهور العلوم والآداب والصناعات[435]، وقد شهدت مدينة فاس أواخر الدولة الموحدية خاصة بعد وفاة الخليفة محمد الناصر لدين الله عام 610هـ/1213م، انتكاسات سياسية واقتصادية واجتماعية، أثرت عليها وجعلتها فريسة سهلة بأيدي القبائل المرينية فاضطربت الأحوال وسادت الفوضى بمدينة فاس، وبفضل الصراع الذي نشب بين الموحدين والمرينيين عانت الأسواق وكافة القطاعات الاقتصادية في المدينة. كما شهدت أسواق مدينة فاس تغييرات عديدة في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين، وتأثرت هذه الأسواق بالفتن السياسية، بالإضافة إلى الأمراض والأوبئة والمجاعات التي مرت بها مدينة فاس بداية من عهد المستنصر الموحدي (610 ـ 620هـ/ 1213 ـ 1223م)، إلى نهاية الحكم الموحدي[436].

وعلى الرغم من اختفاء الأعمال الفنية والمعمارية الرائعة التي ظهرت في النصف الأول من حياة الدولة الموحدية، إلا أن الشواهد الأثرية الباقية تؤكد على استمرار بعض فروع الفنون الزخرفية، حيث استمرت السكة الذهبية[437]، بنفس مثقال الوزن والعيار السابقين، مع استمرار العبارات الدينية والسياسية التي شاعت على النقود الذهبية منذ عهد الخليفة أبي العلي إدريس المأمون[438].

وظهرت ألقاب فخرية جديدة، على دنانير المأمون منها ما يرتبط باسمه، أو بأسماء بعض أسلافه مثل: (المجاهد المأمون / أمير المؤمنين أبو العلي / إدريس بن المنصور أمير المؤمنين / بن الخليفتين أميري المؤمنين)[439].

وتشير الكتابات التاريخية إلى أن المأمون قد أصدر مرسومه الشهير 627هـ/1229م – 1230م بإزالة اسم المهدي من الخطبة، ومن السكة، ومن المخاطبات الرسمية، وقطع النداء عند الصلوات بشعائره الأمازيغية، التي كان العمل جاريا بإتباعها منذ بداية الدولة الموحدية، ثم كانت خلافة

(435)- راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين.، ص 14.

(436)- راجع : هالة عبدالرازق، أسواق فاس في العصر المريني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2012م، ص 16.

(437)- راجع : محمد عبدالله عنان،عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق 2، ص 328.

(438)- الخليفة أبو العلي إدريس المأمون: هو أمير المؤمنين إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، كنيته أبو العلاء، ولقبه المأمون. ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص327.

(439)- راجع : عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، رسالة جامعية .، ص 72ـ75.

ابنه الرشيد[440]، فوقع تطور جديد في رسوم الخلافة الموحدية وأسسها الروحية، وذلك أن الرشيد أحس بأهمية مؤازرة أشياخ الموحدين، واتجه إلى استرضائهم، واستعادتهم إلى جانب الخلافة الموحدية، وقبل الزعماء الموحدون، أن يعودوا إلى سابق ولائهم، وتعاونهم مع الخلافة، على أن تعود رسوم الدعوة المهدية كما كانت، من ذكر المهدي في الخطبة والسكة، والنداءات الموحدية في الصلاة، وغير ذلك مما كان العمل جاريا عليه، قبل أن يصدر المأمون مرسومه بإلغاء الدعوة المهدية[441].

ويلاحظ على كتابات السكة في عهد الرشيد اختفاء علامة الموحدين (الحمد لله وحده) من مربع الوجه، والاحتفاظ بعبارة (المهدي إمام الأمة) في السطر الخامس على مربع الوجه، كما أن القطع النقدية الذهبية التي لا تحمل اسم المهدي تعود إلى المرحلة الأولى من حكم الرشيد التي تمتد من : (630 هـ/ 1232م ـ 631 هـ/ 1234م)، والتي تؤرخ لبداية العودة إلى المراسيم المهدية، أما دنانير المرحلة الثانية التي تمتد إلى سنة (640 هـ / 1242م)، تعدُّ كتاباتها مماثلة للكتابات الواردة على دينار والده المأمون[442].

وتقرأ النقوش الكتابية على دينار[443] أبي محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون، كالتالي : يقرأ مربع الوجه بنحو : ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم/ صلى الله على محمد واله/ لااله الا الله/ محمد رسول الله/ المهدي امام الامة** ﴾، وتقرأ الأضلاع بنحو : (**امير المؤمنين الرشيد/ ابو محمد عبدالواحد/ ابن امير المؤمنين المامون/ ابو[444] العلي امير المؤمنين المنصور**)، أما مربع الظهر فيقرأ كالتالي : (**القائم بأمر الله الخليفة / ابو محمد عبدالمؤمن بن علي/**

(440)- هو أمير المؤمنين عبدالواحد بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف الشهيد بن عبدالمؤمن بن على، كنيته، أبو محمد، ولقبه الرشيد، بويع بالخلافة ثاني يوم وفاة أبيه وهو يوم الأحد غرة محرم من سنة ثلاثين وستماية، وتوفى غريقا في صهريج يوم الخميس تاسع جمادى الأخرة سنة أربعين وستمائة. راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 285.

(441)- راجع : محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين.، ص 631

(442)- راجع : عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، رسالة جامعية .، ص 72ـ73.

(443)- رقم سجل 1670 بمخزن المتحف الوطني للآثار بالرباط.

(444)- قرأت بنحو «ابن» والصحيح على نحو : «أبو» .راجع : عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، رسالة جامعية، ص 72ـ73.

امير المؤمنين ابو يعقوب/ امير المؤمنين ابو يوسف/ ابن الخلفا الراشدين)، وتقرا أضلاع الظهر بنحو : **(المجاهد في سبيل الله / امير المؤمنين/ ابن الخلفا الراشدين/ ابن الخلفا الراشدين)**[445]. (لوحة 52)

ومن أهم التحف الفنية التي وصلت إلينا باسم الخليفة الرشيد الموحدي[446] ظهير مؤرخ في 21 شعبان سنة 637هـ/ 1240م[447]، من إنشاء أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، قاضي الرباط زمن الخليفة الموحدي الرشيد وأحد كتابه، والذي يقضي بإسكان جالية بلنسية، وجزيرة شقر، وشاطبة[448]، وغيرهم من بلاد شرق الأندلس إلى مدينة رباط الفتح[449].(لوحة 53)

ويعتبر هذا الظهير على درجة كبيرة من الأهمية، حيث أسهم بشكل مباشر في ازدياد أعداد المهاجرين الأندلسيين إلى القصبة ورباط الفتح، ولم يكن قد مضى على تأسيسها أكثر من أربعين عاماً[450].

(445)- راجع : عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، رسالة جامعية، ص 72ـ73.

(446)- أبو محمد عبد الواحد بن أبي العلا إدريس المأمون ابن أبي يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبدالمؤمن، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه أبي العلاء إدريس المأمون سنة 630هـ، وهو صغير السن، ويعتبر الخليفة الرشيد عاشر خليفة موحدي، ودولته دامت عشرة أعوام ونحو أربعة أشهر، وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من عام أربعين وستمائة. راجع : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ص 299.

(447)- الظهير محفوظ ضمن متن مخطوط : (زواهر الفكر وجواهر الفقر)، لأبي العلا محمد بن علي ابن المرابط المرادي (ت 663هـ)، في منتصف السطر رقم 15 من الورقة رقم 115 (ب)راجع : أبو العلاء محمد بن علي بن المرابط المرادي، زواهر الفكر وجواهر الفقر، دراسة وتحقيق د. أحمد المصباحي، الجزء الأول، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط 1، 2010، ص 226 ـ 231.

(448)- أصدر الخليفة الرشيد الموحدي هذا الظهير تضامنا مع الشعب الأندلسي مما كان يعانيه من ظروف صعبة رغم ما قاساه الموحدون من الأندلسيين أثناء ثورة ابن هود. راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ج 1، ص 227.

(449)- راجع : عبدالكريم كريم، دور المهاجرين الأندلسيين برباط الفتح في مواجهة الغزو الإسباني لمصب أبي رقراق (1609 ـ 1682)، بمناسبة مرور أربعة قرون على الهجرة الأندلسية إلى رباط الفتح (1609 ـ 2009م)، مجلة التاريخ العربي، العدد الثامن والأربعين، ربيع 2009م، ص 286 .

(450)- راجع : جعفر بن أبي أحمد الناصري، رباط الفتح وسلا أسطولهما وقرصنتها الجهادية، تحقيق أحمد بن جعفر الناصري، سلسلة تاريخ المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ج 1، 2006م، ص 19، عبدالله السويسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1979، ص 49، عبدالله العوينة، الرباط، معلمة المغرب، العدد 13، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001م، ص 4242.
Caillé Jacques, La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, Editions d'art et d'histoire, MICMXLIX, pp. 11- 21.

ويعدُّ وثيقة تاريخية واجتماعية مهمة، تعني مواطني شرق الأندلس، ومن غير المستبعد أن يكون وراءه «أبو المطرف»[451] الذي كان موجوداً في هذه المدة بمدينة سبتة[452].وكُتِبَ هذا الظهير في الحادي والعشرين من شهر شعبان من سنة سبع وثلاثين وستمائة.[453] ويقرأ كالتالي :

1-................................ ومما كتبه[454]عن أمير

2- المؤمنين الرشيد[455] بن أمير المؤمنين أبي العلى[456] ظهير[457] للمستوطنين

3- من أهل شرق الأندلس (في) رباط الفتح ما نصه

4- هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير

5- المؤمنين أيدهم الله تعالى بنصره وأمدهم بمعونته ويسره، للمنتقلين من أهل بلنسية[458]

(451)- أبو المطرف أحمد بن عبدالله بن محمد بن عميرة المخزومي، توفي في تونس 20 ذي الحجة عام 656 هـ، وله جملة من المؤلفات. راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر .، ص 145، و 227.

(452)- هو الابن الأندلسي البار الذي لم ينس أبداً محنة إخوانه الأندلسيين، حيث ولد في جزيرة شقر، واستقر في بلنسية، وانخرط في الحياة العامة في الغرب الإسلامي لمكانته الأدبية الرفيعة، وعمل بالتدريس، والقضاء، حيث نُصَب قاضياً في كل من شاطبة، وهيلانة بضواحي مراكش، والرباط، وسلا، ومكناسة، ثم اشتغل بالكتابة لدى الأمراء والخلفاء، وكتب لأهم أمراء منطقة شرق الأندلس في بلنسية، ومرسية إلى أن تدهورت الأوضاع فيها، فجاز إلى المغرب واشتغل فترة بالكتابة لدى الخليفة الرشيد الموحدي. راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر.، ج 1، ص 226 ـ 231.

(453)- راجع : عبدالكريم كريم، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1999م، ص 14، عبدالكريم كريم، دور المهاجرين الأندلسيين برباط الفتح في مواجهة الغزو الإسباني لمصب أبي رقراق، ص 286 ـ 2287.

(454)- يعود الضمير على أبي المطرف أحمد بن عبدالله بن محمد بن عميرة المخزومي (582 ـ 656هـ)،. راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ص 145، و 227.، عبدالكريم كريم، دور المهاجرين.، ص 287.

(455)- قضى سنوات حكمه العشر في حروب متواصلة ضد منافسه ابن عمه يحيي المعتصم، وفي عهده عادت أشبيلية إلى طاعة الموحدين بعد قتل ابن هود 635هـ، راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ص 227

(456)- أبو العلاء إدريس بن يعقوب الموحدي المأمون (581 ـ 630هـ)، دعا لنفسه بالخلافة في أشبيلية ضد أخيه العادل، انتقل إلى مراكش ليضمن نجاح دعوته فاصطدم بمعارضة ابن أخيه يحيي المعتصم مما تسبب في موته فجأة. راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر .، ج 1، ص 228

(457)- وردت في المخطوط بنحو (ظهيرا) راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر .، ص 227

(458)- بلنسية (Valencia) إحدى كبريات مدن شرق الأندلس، في غاية الخصب، لذا سماها الأندلسيون « بمطيب الأندلس» يشقها نهر شقورة. ولأهميتها الجغرافية والاقتصادية كانت على الدوام مطمع الطامعين، عرفت بلنسية ازدهارا اقتصاديا وأدبيا كبيرا في عهد الحكم العربي بوأها مكانة رفيعة بين باقي كبريات المدن الأندلسية. ومرت بلنسية في عهد المرابطين بمحنة قاسية عام 487هـ، وجاهد المرابطون لإرجاعها، وجعلها «أبو جميل زيان» إمارة مستقلة منذ عام 626هـ، واستمر بها إلى أن أخرجه منها «خايمي الأول» 636هـ/1238م، واستولى عليها الأرغونين بصفة نهائية. راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر .، ج 1، ص 77.

6- وجزيرة شقر[459] وشاطبة[460]، ومن جرى من سائر بلاد الشرق مجراهم وعراه من غير

7- الأيام ما عراهم، حين أنهى ذو الوزارتين الشيخ الأجل الأثير الأكرم الأعز الأفضل

8- أبو علي بن الشيخ الأجل الأكرم أبي جعفر بن خلاص[461] أدام الله أثرته وكرامته

9- ما أصابهم من الجلاء ودهاهم من أمر الأعداء وسعى لهم سعي من يقضي فيهم بالجوار

10- ويلتمس لهم مكاناً للقرار ومنزلاً لإلقاء عصا (عصى) التسيار، وعند ذلك أذن لهم

11- أعلى الله تعالى إذنه وجدد سعده[462] ويمنه في النقلة إلى رباط الفتح عمره الله تعالى

12- بقضيضهم وقضهم وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلاً من مساكنهم وأرضهم، ويعمروا

13- منه بلداً يقبل منهم أولى من قبل ويحملهم إن شاء الله تعالى، وخير البلاد ما حمل فإنه

14- مناخ للتاجر والفلاح وملتقى الحادي والملاح والمرافق من بره وبحره موجودة

15- في فصول السنة مؤذنة لقاطنه بالعيشة الهنية والحال الحسنة ولهم أفضل ما عهده

16- رعايا هذا الأمر العزيز أدامه الله تعالى من التوسعة على قويهم كي يزداد قوة

17- والرفق بضعيفهم حتى ينال يساراً وثروة، وأن يتوسعوا في الحرث ففي أرضه

(459)- جزيرة شقر: « Alcira» كان هذا الاسم يطلق أثناء الحكم العربي على الجزيرة الكبيرة الواقعة على نهر شقر « Jucar» قبل مصبه في البحر الأبيض المتوسط جنوبي بلنسية، أما اليوم فإسم الجزيرة « Alcira» يطلق على مدينة قريبة من الجزيرة المذكورة، وتقع شمال شاطبة بينها وبين بلنسية، وهي تابعة لولاية بلنسية، سقطت في يد خايمي الأول سنة 640هـ/ 1242م. راجع: ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر، ص 228.

(460)- شاطبة: « Jativa» مدينة تقع في شرق إسبانيا، تابعة لإقليم بلنسية، تبعد عنها بـ 56 كم في جنوبها الغربي، وهي من المدن الأندلسية القديمة، كانت تسمى في عهد الرومان ستيابيس « Saetabis» اشتهرت بصناعة الورق أثناء الحكم العربي، وبحكم تبعيتها لبلنسية خضعت أيام ملوك الطوائف لحاكم الناحية الشرقية «عبدالعزيز بن أبي عامر» ثم « لبني هود» فيما بعد. الذي عرفت نوعا من الحكم الذاتي أثناء ثورة «ابن هود» في ظل حاكمها «أبي الحسن يحيي الخزرجي» وظل أبناؤه يتوارثون حكمها إلى أن سقطت نهائيا في أيدي القوات الأرغونية في محرم 645هـ، الموافق 4 أبريل 1248م. راجع: ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر.، ج 1، ص 295.

(461)- أبو الحسن بن أحمد بن خلاص البلنسي المعروف بالسبتي والملقب بذي الوزارتين. بدأ حياته السياسية والي على أشبيلية من قبل ابن هود، وفي سنة 635هـ دخل في طاعة الخليفة الموحدي الرشيد، الذي منحه ثقته وولاه على سبته سنة 637هـ، فأحسن تدبير شؤونها، وكان ذو وفاء وإخلاص (على حد تعبير ابن عذاري) وعند وفاة الرشيد، استبد ابن خلاص بحكم المدينة لنفسه معلنا ولاءه للدولة الحفصية لمدة ثلاث سنوات، وتوفي ودفن في بجاية سنة 643هـ. راجع: ابن المرابط، زواهر الفكر.، ج 1، ص 229، ابن عذاري، البيان المُغرب.، ص 347.

(462)- قرآها عبدالكريم كريم: (مجده) راجع: عبدالكريم كريم، دور المهاجرين الأندلسيين برباط الفتح في مواجهة الغزو الإسباني.، ص 286-287.

18- هنالك متسع، ويتبسطوا في كل ما لهم منه معاش وبه منتفع ويغرسوا الكروم

19- وأنواع الشجر على عاداتهم ببلادهم ويتأثلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم

20- وأولاد أولادهم وكل ما يعمرون من الضياع ويقتنون من الأصول والرباع فله حكم

21- التسويغ على الإطلاق والدوام لا يلزمون فيه شيئاً من وجوه الإلزام ولا يطلبون بغير

22- حقوق الشرع التي جعلها الله تعالى في أموال أهل الإسلام وأقوالهم في مقاديرها

23- مصدقة وأمانيهم كلها لهم وللاّحقين بهم محققة والولاة والعمال حفظهم الله تعالى

24- مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى يلم بجانب من جوانبهم أو يعوق عن مأرب صغير

25- أو كبير من مآربهم وأن يكرموا غاية الإكرام نبهاءهم وأعيانهم ويولوهم من حسن

26- الجوار ما ينسيهم أوطانهم حتى تندفع عنهم كل شبهة من شبه الحيف ويجمع لهم

27- بين الرعاية لحرمة البلدي والعناية بحق الضيف إحساناً منه أعلى الله تعالى أمره

28- وأوزع شكره، ينسحب على جماعتهم وأفذاذهم ويحملهم على موجب اعتلاقهم بهذا الأمر

29- العلي أدامه الله تعالى وملاذهم فمن وقف عليه من الطلبة[463] والعمال أكرمهم الله تعالى

30- فليعمل بحسبه ولا يعدل عن كريم مذهبه إن شاء الله تعالى، وهو تعالى المستعان لا رب سواه»[464].

31- كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وستمائة[465] (لوحة 54)

كما يمدنا ظهير الخليفة الرشيد الموحدي بمعلومات دقيقة منها ما يلي :

1ـ إن سبب اختيار الخليفة الموحدي الرشيد لأهل شرق الأندلس (أهل بلنسية، وجزيرة شقر وشاطبة)، للانتقال للسكنى في مدينة رباط الفتح، يكُمن في أن هذه المدن كانت قد شهدت الزحف

(463)- الطلبة : مصطلح موحدي، كان يعني علماء الدولة الموحدية الذين كان لهم تأثير بين في توجيه الأحداث أثناء الحكم الموحدي، وهم المعرفون (بالأشياخ)، وكانت لهم أهمية كبيرة داخل الجهاز الموحدي. راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر.، ص 231.

(464)- راجع : محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 737، عبدالكريم كريم، رباط الفتح عاصمة الثقافة الإسلامية (2003م)، مجلة التاريخ العربي، العدد 26، الرباط، 2003م، ص 15.

(465)- السفر الثاني من كتاب زواهر الفكر وجواهر الفقر ما يتعلق بأخبار المتقدمين وينسق الفائدة في نظام الفائدة لابن عبدالله بن محمد الجنان، 196 ورقة، المخطوط محفوظ في مكتبة الأسكوريال بمدريد إسبانيا (ميكروفيلم رقم 1114 بالمكتبة الوطنية بالرباط المغرب)

المسيحي عليها في هذه الفترة، فبعد سقوط قرطبة عاصمة الدولة الأموية سنة 633هـ/1235م، تلتها بلنسية سنة 636هـ/ 1238م، وانعكس أثر ذلك على أهل تلك المناطق ما ورد في نص الظهير بعبارة : (**ما أصابهم من الجلاء ودهاهم من أمر الأعداء وسعى لهم سعي من يقضي فيهم بالجوار**).

2 ـ يعتبر السبب الرئيس لاختيار الخليفة الموحدي الرشيد مدينة رباط الفتح لانتقال الجاليات الأندلسية هو محاولته إحياء هذه الحاضرة الموحدية وتعميرها باستقطاب الجاليات الأندلسية والسماح لهم بالاستيطان بأراضيها، ويتضح ذلك في نصوص الظهير بنحو : (ويلتمس لهم مكاناً للقرار ومنزلاً لإلقاء عصا (عصى) التسيار، وعند ذلك أذن لهم / أعلى الله تعالى إذنه وجدد سعده ويمنه في النقلة إلى رباط الفتح عمره الله تعالى / بقضيضهم وقضهم وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلاً من مساكنهم وأرضهم، ويعمروا / منه بلداً يقبل منهم أولى من قبل ويحملهم إن شاء الله تعالى).

3ـ أوضح ظهير الخليفة الرشيد الأنشطة الاقتصادية التي يمكن مزاولتها في رباط الفتح في قوله : (**... وخير البلاد ما حمل فإنه / مناخ للتاجر والفلاح وملتقى الحادي والملاح والمرافق من بره وبحره موجودة / في فصول السنة مؤذنة لقاطنه بالعيشة الهنية والحال الحسنة ....وأن يتوسعوا في الحرث ففي أرضه هنالك متسع، ويتبسطوا في كل ما لهم منه معاش وبه منتفع ويغرسوا الكروم وأنواع الشجر على عاداتهم ببلادهم**).

4ـ أعطى ظهير الخليفة الرشيد حق الامتلاك الشرعي للمهاجرين الأندلسيين ولأولادهم بشكل ثابت، ويتضح ذلك في قوله : (.. **ويتأثلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم وكل ما يعمرون من الضياع ويقتنون من الأصول والرباع فله حكم التسويغ على الإطلاق والدوام لا يلزمون فيه شيئاً من وجوه الإلزام ولا يطلبون بغير حقوق الشرع** ..)

5ـ توفير كافة الضمانات الأمنية والتسهيلات المشجعة للجاليات الأندلسية الساكنة برباط الفتح، ويتضح ذلك في الظهير في قوله : (والولاة والعمال حفظهم الله تعالى مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى يلم بجانب من جوانبهم أو يعوق عن مأرب صغير أو كبير من مآربهم وأن يكرموا غاية الإكرام نبهاءهم وأعيانهم ويولوهم من حسن الجوار ما ينسيهم أوطانهم حتى تندفع عنهم كل شبهة من شبه الحيف ..) [466].

(466)- راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر ،، ج 1، ص 21، و335.

ويعطينا الظهير بشكل غير مباشر فكرة عن مدى ازدحام مدينة سبتة بالمهاجرين الأندلسيين في العقد الرابع من القرن السابع الهجري، حيث ضاقت بهم رحاب المدينة مما تسبب في غلاء المعيشة وانتشار المجاعة، ويذكر (ابن أبي زرع) أنه : في سنة خمس وثلاثين (وستماية) بايع أهل أشبيلية الرشيد، وبايعه أهل سبته، وفيها اشتد الغلاء والوباء بالعدوة (عدوة الأندلس)[467]، وانتقل هذا الغلاء والوباء من عدوة الأندلس إلى سبتة في السنة التالية، وفقا لراوية (ابن عذاري) في قوله : وفي سنة سبع وثلاثين وستماية كان الغلاء المفرط والمجاعة العظيمة بمدينة سبتة حتى عدم فيها الطعام بالكلية في هذا العام وكانوا يسمونه عام سبعة[468]. لذا بعث (ابن خلاص السبتي) إلى الخليفة الرشيد الموحدي خطابا يرجوه فيه باستصدار ظهير يطلب فيه من المغاربة عموما بحسن استقبال إخوانهم الأندلسيين أينما حلو خاصة في مدينة رباط الفتح[469].

ويعتبر عهد المرتضى أبو حفص من العهود المهمة في تاريخ المغرب، حيث تؤكد النقوش التسجيلية الواردة على أضلاع أوجه دنانير أمير المؤمنين المرتضى أبو حفص (646 ـ 665 هـ / 1248 ـ 1266م)، على وجود تحول سياسي على مستوى نظام تولية الحكم لأن هذا النظام كان نقيض انتقال السلطة من الآباء إلى الأبناء، حيث تولى الخليفة المرتضى منصب الخلافة بينما لم يكن والده خليفة، وهذا يفسر تسميته بالأمير، كما تدل الكتابات الهامشية على تعدد الألقاب الفخرية التي كان يحملها الخليفة المرتضي[470]. ويمكن من خلال هذه الدراسة، تقسيم دنانير أمير المؤمنين المرتضى[471] أبو حفص بن الطاهر أبي إبراهيم، وفقا لكتاباتها ومدلولاتها السياسية إلى ثلاثة طرز على النحو التالي :

(467)- راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 362.

(468)- راجع : ابن عذاري، البيان المُغرب.، ص351

(469)- راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر .، ص 227، هامش رقم 1.

(470)- بعد موت السعيد اجتمع الموحدون على بيعة السيد أبي حفص عمر بن السيد أبي إبراهيم اسحاق أخي المنصور، واستقدموه من سلا. راجع: ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب.، ص 251.

(471)- سبب بيعة أبو حفص المرتضي، أنه لما تحرك الخليفة السعيد إلى تلمسان ترك أبو حفص المرتضي واليا على مدينة سلا بعدما كان على أغمات واليا، وترك أخاه السيد أبا زيد واليا على مدينة مراكش، وكان أبو حفص شديد الورع قليل الطمع، فلما وصل الخبر إلى مراكش بوفاة السعيد وهزيمة عسكره وطائفته ونهب محلته وتفرق الموحدين اجتمع السيد أبو زيد مع من حضر من أشياخ الموحدين يتفاوضون في مصالح الأمور، فأراد بعضهم أن يقدم السيد أبا زيد، فامتنع وتورع وأراد آخرون تقديم غيره من بني عبد المؤمن، وكان في الوقت جماعة منهم حاضرون فقام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجنفيسي قائما، وقال: ما عقلتم يا جماعة الموحدين عن السيد أبي حفص في رغبتكم له في الولاية عليكم أمر الخلافة وتبايعونه لطهارته فضج الموحدون بالتلبية سمعا وطاعة فبايع من حضر من الموحدين لأخيه أبي زيد نيابة عن أخيه وكتبت البيعة لأبي حفص المرتضى بمراكش. راجع: ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب .، ص 388.

الطراز الأول : أمير المؤمنين المؤمن بالله المرتضى أبو حفص

يشتمل هذا الطراز على كتابات دينية في خمسة أسطر على مربع الوجه، تبدأ بالبسملة ثم الصلاة على النبي محمد وآله، وعلامة الموحدين (**الحمد لله وحده**)، يليها الشهادتين (**لا اله إلا الله، محمد رسول الله**)، وأحيانا يرد اسم دار الضرب (سبتة)، أما كتابات أضلاع الوجه فيظهر فيها ألقاب المرتضي كالتالي : (**أمير المؤمنين المؤمن/ بالله المرتضي أبو حفص/ ابن الأمير الطاهر أبي/ إبراهيم ابن الخليفة**)[472].

وتشير كتابات الظهر في خمسة أسطر على المربع، إلى المهدي إمام الأمة، القائم بأمر الله، الخليفة الإمام، أبو محمد عبد المؤمن، ابن علي أمير المؤمنين. كما تبين أضلاعه الإشارة إلى أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن الخليفة، ويتمثل الطراز الأول في القطع[473] التي تنعت الخليفة المرتضي بأمير المؤمنين المؤمن بالله،)، (لوحة 55، و 56)، ويمكن قراءة اسمه ولقبه في هذا الطراز كالتالي : (**أمير المؤمنين المؤمن/ بالله المرتضى أبو حفص / ابن الأمير الطاهر أبي / إبراهيم بن الخليفتين**)، كما يلاحظ من خلال الدراسة التطبيقية ظهور اسم دار الضرب «**مدينة سبتة**» أسفل مربع الوجه في بعض قطع الطراز الأول[474] واختفائها في بقية قطع المجموعة.

وتقرأ كتابات هذا الطراز على النحو التالي: يقرأ مربع الوجه بنحو : (**بسم الله الرحمن الرحيم / صلى الله على محمد واله**[475]/ **والحمد لله وحده/ لا إله إلا الله / محمد رسول الله / مدينة سبتة**)، وتقرأ كتابات الأضلاع بنحو : (**أمير المؤمنين المؤمن / بالله المرتضى ابو حفص / ابن الامير الطاهر ابي / ابراهيم بن الخليفتين**)، أما كتابات مربع الظهر فتقرا بنحو (**المهدي امام الامة / القائم بامر الله / الخليفة الامام / أبو محمد عبدالمومن / ابن علي أمير المومنين**)، **وكتابات اضلاع الظهر بنحو : (امير المومنين / ابو يعقوب / يوسف / ابن الخليفة)**[476].

(472)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص، والخليفة الواثق بالله، محفوظة في متحف الرباط بالمملكة المغربية، مجلة العصور، مج 17، ج 1، دار المريخ للنشر، لندن، يناير 2007م، ص 122.

(473)- أرقام السجل : 898، 899، 901، 900، 1871، 2082، 2084، 2087،2483، 2350، 1663. بالمتحف الوطني للآثار بالرباط، المملكة المغربية.

(474)- أرقام سجل : (898، 899، 901)

(475)- راجع : عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، رسالة جامعية غير منشورة .، ص 68.

(476)- رأرقام السجل : 2329 و 2089 و 2351 و2334)

الطراز الثاني : أمير المؤمنين المرتضي لأمر الله أبو حفص

يتميز هذا الطراز بنعت المرتضي بأمير المؤمنين المرتضي لأمر الله، ويتشابه هذا الطراز مع الطراز الأول في نصوص الكتابات الدينية بمربع الوجه، وكذلك كتابات مربع الظهر، ويختلف في كتابات أضلاع الوجه التي تحمل ألقاب المرتضى بنحو : (**أمير المؤمنين المرتضي لأمر/ الله أبو حفص بن الأمير/ الطاهر أبي إبراهيم/ ابن الخليفتين**)، التي يمكن قراءتها على النحو التالي : يقرأ مربع الوجه بنحو : ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم / صلى الله على محمد واله / والحمد لله وحده / لا إله إلا الله / محمد رسول الله**﴾، وأضلاع الوجه تقرأ بنحو : (**أمير المؤمنين المرتضي لامر / الله ابو حفص بن الامير / الطاهر ابي ابراهيم / ابن الخليفتين**)، كما يقرأ مربع الظهر بنحو : (**المهدي امام الامة / القائم بامر الله / الخليفة الامام / أبو محمد عبدالمومن / ابن علي أمير المومنين**)، أما أضلاع الظهر فتقرأ بنحو : (**امير المومنين / ابو يعقوب / يوسف /ابن الخليفة**)[477]. (لوحة 57 و 58)

الطراز الثالث : السيد بالله المرتضى أبو حفص (بن الخليفة)

أما الطراز الثالث فيلقب فيه المرتضى بلقب السيد بالله[478]،وتحتفظ المجموعة موضوع الدراسة بدينار نادر[479] (لوحة 59) يحمل ألقاب المرتضى أبو حفص بلقب السيد بالله المرتضى أبو حفص (بن الخليفة)، كما يتميز هذا الطراز بوجود كلمة «**عبدالمؤمن**» في سطرين الرابع والخامس، وإهمال كلمة (ابن علي)، وذلك خلاف المتبع في الطرازين السابقين التي كانت تكتب فيهما في السطر الرابع، وكلمة (ابن علي) في السطر الخامس، ومن جهة أخري كتبت على أضلاع الظهر نفس الكتابات التي وردت في الطراز السابق مع اختلاف بسيط في أماكن وجودها، وتقرأ «بن الخليفة يوسف أبو يعقوب أمير المؤمنين»، حيث وردت كلمة «بن الخليفة » بدون حرف الألف محل كلمة أمير المؤمنين، وكلمة يوسف محل أبو يعقوب، وكلمة أبو يعقوب محل كلمة يوسف، وكلمة أمير المؤمنين محل كلمة ابن الخليفة. ويقرأ الدينار كالتالي : يقرا مربع الوجه : (**بسم الله الرحمن الرحيم / صلى الله على محمد واله / والحمد لله وحده / لا إله إلا الله / محمد رسول الله**)، وأضلاعه بنحو : (**أمير المؤمنين المؤمن / بالله .. الأمير بن / أمير المؤمنين السيد / بالله المرتضي ابو حفص**)، أما مربع الظهر فيقرأ بنحو : (**المهدي امام الامة / القائم بامر الله /**

(477)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص.، ص 123 ـ 124.

(478)- عن لقب السيد راجع : حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، 1957، ص 345ـ 350.

(479)- رقم سجل : 1866

الخليفة الامام / أبو محمد عبد / المومن (أ) مير المومنين)، وأضلاعه بنحو : (**بن الخليفة / يوسف / ابو يعقوب /امير المومنين)**[480].

كما تشتمل المجموعة موضوع الدراسة على عدد من القطع الذهبية[481] الخاصة بأمير المؤمنين المرتضى أبو حفص من نوع النصف دينار[482]، (لوحة 60 و 62)، تقرأ على النحو التالي :

يقرأ مربع الوجه بنحو : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم/ لا إله إلا الله / محمد رسول الله / المهدي امام الامة / مدينة سبتة**﴾، وأضلاعه بنحو : (**أمير المؤمنين / أبو حفص ابن / ابن الامير الطاهر / ابي ابراهيم**)، أما مربع الظهر فيقرأ بنحو : (**القائم بأمر الله المهدي / الخليفة أبو محمد / عبدالمؤمن بن علي / أمير المؤمنين**)، وأضلاعه تقرأ بنحو : (**أمير المؤمنين أبو/ يعقوب يوسف / ابن الخليفة / امير المؤمنين)**[483].

وبدراسة هذه المجموعة، نخلص إلى السمات الرئيسة التي تتميز بها أنصاف وأرباع الدنانير في عهد الخليفة المرتضي أبو حفص، كالتالي :

1ـ تشتمل أنصاف دنانير المرتضي أبو حفص على 4 أسطر في كل من مربع الوجه والظهر بدلا من 5 أسطر الموجودة على دنانيره السابق دراستها.

2ـ اختفاء عبارة ﴿**صلى الله على محمد وآله**﴾ من السطر الثاني وحل محلها عبارة ﴿**لا إله إلا الله**﴾.

3ـ اختفاء عبارة ﴿**الحمد لله وحده**﴾ من السطر الثالث وحل محلها عبارة ﴿**محمد رسول الله**﴾.

4ـ ظهور عبارة (**المهدي إمام الأمة**) على مركز الوجه بدلا من وجودها بالسطر الأول من مركز الظهر.

5ـ ظهور اسم الخليفة أبو حفص بهامش مركز الوجه على النحو التالي : أمير المؤمنين أبو حفص ابن الأمير الطاهر بن أبي إبراهيم عوضا عن ذكره كاملا على دنانيره السابقة.

(480)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص،، ص 124 ـ 125.

(481)- تدون دار الضرب « مدينة سبتة » على القطعتين 903، و905.

(482)- أرقام سجل : 903، 905، 907، 908، 906،.902، 2335،

(483)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص،، ص 125

6ـ يلاحظ أسفل مربع الوجه على بعض أنصاف دنانير المرتضي أبو حفص الإشارة إلى دار الضرب (مدينة سبتة)، واختفائها على بقية المجموعة[484].

واستمرت النقوش التسجيلية على القطع النقدية الذهبية في عهد أمير المؤمنين أبو العلاء إدريس الواثق بالله (665 ـ 667 هـ / 1266 ـ 1269م)، وقد احتفظت القطع النقدية الذهبية الموحدية في عهد أخر الحكام الموحدين، أبي العلي إدريس بالخطوط العامة للطراز ونوع المأثورات ومضمونها وفق ما كان سائدا في عهد الحكام الموحدين الأوائل[485]. ويتضح من خلال هذه الدراسة أن الخليفة الواثق بالله أبو العلى[486] قد أصدر دنانيره بنفس أسلوب كتابات الخليفة المرتضي باستثناء كتابات هامش الوجه التي حملت اسمه ونسبه. ويمكن تقسيم دنانيره إلى طرازين رئيسيين :

أولاً: الطراز الأول : الواثق بالله أبو العلي بن سيد أبي عبدالله بن سيد إبراهيم بن الخليفتين

يتميز الطراز الأول من دنانير الخليفة الواثق بوجود أسمه ولقبه منعوتا بلقب «سيد»، ويوضح هذا الطراز حرص الواثق على ربط سلالة نسبه بمؤسس الأسرة المؤمنية عن طريق والده أبي عبد الله، وجده أبي حفص بن عبد المؤمن، وكلاهما لم يتوليا منصب الخلافة، ويعكس ذلك إصراره على استمداد شرعية حكمه من انتمائه إلى أسرة تنحدر من أصل الخلافة، وجميع الكتابات الواردة تحاول تأكيد شرعية الخليفة الواثق بالله للحكم، بالإضافة إلى ملاحظة أن كتابات دنانيره، قد أكتفت بدورها بذكر الخليفتين الأوليين عبد المؤمن ويوسف على هامش مربع الظهر، بينما أغفلت ذكر اسم الخليفة المرتضي الذي تولى الحكم قبله، وخصت هامش الوجه بذكر اسمه ونسبه الذي يتصل بالخليفة الأول عبد المؤمن بن علي عن طريق أبيه السيد أبي عبدالله وجده السيد أبي حفص[487].

وتحتفظ الدراسة بدينار[488] من الطراز الأول يحمل أسماء الخليفة الواثق بالله منعوتا بلقب «سيد»، بنحو (**أمير المؤمنين الواثق بالله أبو العلي بن سيد أبي عبد الله بن سيد إبراهيم بن**

(484)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص.، ص 125.

(485)- راجع : نور الدين مفتاح، فهرس المسكوكات المغربية، ص 193.

(486)- هو أبو العلاء إدريس بن السيد محمد عمر بن أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي، تسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالواثق بالله. دخل مراكش وأخذ البيعة يوم الأحد الثالث والعشرين لمحرم سنة خمس وستين وستمائة ثاني يوم دخوله المدينة. وقتل يوم الجمعة منسلخ شهر ذي الحجة من سنة سبع وستين وستمائة، وانقرضت بموته الدولة الموحدية. راجع: ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص 341 ـ 343.

(487)- راجع : شعبان عبدالرحيم، المسكوكات الموحدية، ص 69.

(488)- رقم سجل : 2117،

الخليفتين)، ويقرأ كالتالي : يقرأ مربع الوجه بنحو : **﴿بسم الله الرحمن الرحيم / صلى الله على محمد وآله/ والحمد لله وحده / لا إله إلا الله / محمد رسول الله ﴾**. وأما أضلاعه فتقرأ بنحو : **(أمير المؤمنين الواثق / بالله أبو العلى ابن / سيد أبي عبدالله بن / سيد إبراهيم بن الخليفة)**، أما مربع الظهر، فيقرا بنحو : **(المهدي إمام الأمة / القائم بأمر الله / الخليفة الامام / أبو محمد عبدالمؤمن / ابن علي أمير المؤمنين)**، وأضلاعه تقرأ بنحو : **(أمير المؤمنين / أبو يعقوب / يوسف / ابن الخليفة)**[489]. (لوحة 63)

ثانيا : الطراز الثاني : الواثق بالله أبي العلي بن الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن الخليفة

تضم المجموعة موضوع الدراسة دينار[490] من الطراز الثاني، (لوحة 64)، يتميز بوجود أسماء وألقاب الخليفة الواثق على نحو **(أمير المؤمنين الواثق بالله أبي العلي بن الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن الخليفة)**، وفي الوقت الذي يتشابه فيه مع الطراز السابق خاصة في كتابات مربعي الوجه والظهر، يحمل بعض الاختلاف في كتابات أضلاع الوجه، حيث تحل عبارة **(ابن الأمير الطاهر أبي)** في السطر الثالث محل عبارة **(سيد أبي عبدالله بن)**، وعبارة (إبراهيم بن الخليفة)، في السطر الرابع محل عبارة **(سيد إبراهيم بن الخليفة)**، في حين لا تتغير كتابات أضلاع الظهر فتستمر على نحو : **(أمير المؤمنين/ أبو يعقوب/ يوسف/ابن الخليفة)**[491]، ويمكن عقد مقارنة بين كتابات الطرازين السابقين على النحو التالي :

أولا : الوجه

أضلاع الوجه في الطراز الأول	أضلاع الوجه في الطراز الثاني
1ـ أمير المؤمنين الواثق	1ـ أمير المؤمنين الواثق
2ـ بالله أبو العلى ابن	2ـ بالله أبو العلى
3ـ سيد أبي عبدالله بن	3ـ ا بن الامير الطاهر ابي
4ـ سيد إبراهيم بن الخليفة	4ـ ابراهيم بن الخليفة

(489)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص.، ص 126 ـ 127.

(490)- رقم سجل : 2482

(491)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص، ص 126 ـ 127

والملاحظ أن الخليفة الواثق نقش اسم الخليفة يوسف على أنصاف دنانيره على الرغم من أن نسبه لا يمتد إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وإنما يتصل بأحد أخوة يوسف وهو السيد أبو حفص عمر، وأصدر الخليفة الواثق أنصاف دنانير تحمل اسمه وألقابه، وقد اشتملت هذه المجموعة على اثنين من أنصاف دنانير الخليفة الواثق بالله هما كالتالي :

الأول : يحمل لقب «الواثق بالله»

تضم المجموعة نصف دينار[(492)] يحمل ألقاب الخليفة الواثق على النحو التالي : (**أمير المؤمنين / الواثق بالله / الأمير الطاهر / بن أبي يوسف**)، (لوحة 65)، ويقرأ على النحو التالي : يقرا مربع الوجه بنحو : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم / لا اله الا الله / محمد رسول الله / المهدي امام الامة**﴾، وتقرأ أضلاعه بنحو : (**أمير المؤمنين/ الواثق بالله / الامير الطاهر/ بن ابي يوسف**)، ويقرأ مربع الظهر بنحو : (**القائم بأمر الله / الخليفة ابو محمد / عبدالمؤمن بن علي / امير المؤمنين**)، أما الأضلاع فتقرأ بنحو : (**أمير المؤمنين ابو/ يعقوب/ يوسف/ ابن الخليفة**)[(493)].

الثاني : يحمل لقب مجهول «المعتمد عليه»

يوجد قطعة نقدية نادرة من نوع النصف دينار للخليفة الواثق بالله[(494)]، (لوحة 66)، حيث تضيف هذه القطعة إلى الخليفة الواثق لقبا ظل مجهولاً لفترات طويلة من القابه، هو لقب «المعتمد عليه»، ورغم أن الدراسات السابقة[(495)] ذكرت أن من بين ألقاب الواثق، لقب «**المعتمد**» إلا أنها لم تنشر قطع نقدية تثبت ذلك، لذا تتميز هذه المجموعة النقدية بنشر نصف دينار باسم الخليفة الواثق تحمل لقب الواثق بالله بنحو ما ورد في بعض إشارات المصادر التاريخية، وهو لقب «**المعتمد عليه**» بنفس الصيغة التي أفصح عنها، «**ابن عذاري المراكشي**»، في ثنايا حديثه بقوله «**أن الخليفة الواثق تسمى باسمين من أسماء الخلفاء هما الواثق بالله والمعتمد عليه**»[(496)].

(492)- رقم سجل : 2245

(493)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص،، ص 127.

(494)- رقم سجل 909.

(495)- راجع : شعبان عبدالرحيم، المسكوكات الموحدية .، رسالة غير منشورة، ص 69

(496)- راجع : ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب، ص 447.

ويمكن قراءة نقوشها كالتالي، يقرأ مربع الوجه بنحو : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم / لا اله الا الله / محمد رسول الله / المهدي امام الامة** ﴾، وأضلاعه بنحو : (**أمير المؤمنين / الواثق بالله / المعتمد عليه / الواثق بن**)، كما يقرأ مربع الظهر بنحو : (**القائم بأمر الله / الخليفة ابو محمد / عبدالمؤمن بن علي / امير المؤمنين**)، وأضلاعه بنحو : (**أمير المؤمنين / أبو يعقوب / يوسف / ابن الخليفة**)[497].

وتميزت أواخر الدولة الموحدية بالعناية بالكتب، وأسهم الخلفاء أنفسهم في إثراء الخزانة الملكية، بما كانوا ينسخونه من كتب، وتذكر الإشارات التاريخية أن الخليفة الموحدي عمر المرتضى كان موسوعيا، وكان يحب أن ينسخ بيده ما يجده بمكتبة القصر من كتب. ومن ضمن المؤلفات التي قام بنسخها بيده نسخة من مؤطأ مالك في سفرين، حيث دون في صفحته الأولى عبارة : « وكان فراغه منه في التاريخ المرتسم فوق هذا بخطه المبارك نفعه الله تعالى بذلك، في السابع عشر من شعبان المكرم عام تسعة وخمسين وستمائة». ورسم هذا الخليفة أيضا مصحفا في عشرة أسفار. ووضعه في مكتبته، وحينما شيد المرتضى في مراكش مسجد السقاية فإنه حبس فيه هذا المصحف على الراغبين في تلاوة وترتيل القرآن الكريم. وبذلك تكونت الخزانة الملكية الموحدية، واغتنت بواسطة النساخة والمؤلفات الجديدة، ومصادرة المكتبات الخاصة، والهدايا القيمة، واقتناء الكتب الذي كان يتم بشكل منتظم[498].

(497)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص.، ص 128 ـ 129.

(498)- راجع : أحمد شوقي بنبين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب.، ص 55.

الفصل الثالث

التراث الفني الإسلامي
في عصر المرينيين والوطاسيين

- مظاهر الانتعاش الفني في النصف الأول من الدولة المرينية
- العصر الذهبي للحضارة المغربية في عصر بني مرين
- تدهور الفنون والصناعات من أواخر العصر المريني إلى نهاية العصر الوطاسي

التراث الفني الإسلامي

في عصر المرينيين والوطاسيين

مدخل :

يعتبر السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب (685 ـ 708 هـ/ 1286 ـ 1308م)، أول من هذب ملك بني مرين، وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك، وقد حرص السلطان أبو يعقوب على الاهتمام بشعبه منذ اللحظة الأولى، وكان أهم أهدافه تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع المريني، وأجرى أبو يعقوب تقليداً جديداً يتفق ومظاهر الأبهة والعظمة التي بدأت تظهر في البلاط المريني، فما أن تمت له البيعة حتى فرق الأموال على جميع قبائل مرين والعرب والأندلس وسائر الجند، وأحسن إلى الفقهاء والصلحاء، وأطلق سراح المسجونين في جميع البلاد[499].

وقد عرف المغرب الأقصى انتعاشاً معماريا وفنيا، بدءاً من منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، حيث بسط المرينيون نفوذهم ثلاثة قرون ونصف من تاريخ الإسلام ببلاد المغرب، وازدهرت مظاهر الحضارة والعمران في عهدهم عندما أصبحوا من أقوى ملوك أفريقيا الشمالية[500]. وخلفوا لنا آثارا عديدة، وشُيدت العديد من المباني المعمارية في معظم المدن المغربية[501]، وشارك المرينيون بنصيب وافر في العمارة والفنون، فقاموا ببناء المدن والقرى

(499)- كنيته أبو يعقوب ويلقب بالناصر لدين الله، وينتمي إلى الطراز القوي من سلاطين بني مرين، كان أبو يعقوب غائبا في بلاد المغرب عند وفاة والده أبي يوسف بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس، فأخذ له الوزراء وأشياخ بني مرين البيعة باعتباره وليا للعهد، ثم جددت له البيعة مرة ثانية عند حضوره إلى الجزيرة الخضراء 685هـ/ 1286م. راجع: محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس .، ص 81 ـ 99.

(500)- راجع : عبد العزيز بنعبد الله، الفن المغربي.، ص 254 .

(501)- منها قنطرة وادى النجاة وقنطرة ماريج على يد أبي يوسف يعقوب عام 680هـ/ 1281م، وعلى إثر السيل الذي اجتاح فاس في عام 725هـ/ 1325م، قام أبو سعيد عثمان بتجديد بناء عدد من القناطر في نفس العام، كقنطرة أبي طوبة، وقنطرة باب السلسلة التي تعرف اليوم بقنطرة الطرافين وبقنطرة سيدي العواد، وقنطرة الصباغين التي تعرف اليوم بقنطرة الخراشفين، وأنشأ أبو الحسن قناطر على وادي ردات، وقنطرة الوادي داخل فاس. راجع : محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين.، ص 68.

والقلاع، والمدارس الكثيرة، وكانوا في مجال فن البناء أحسن مثال للنقل عن الفن الأندلسي[502]، وقاموا بإنشاء المدارس التي تزايدت في عهدهم، واتسمت بطابع الدقة والروعة[503].

واهتم المرينيون بإنشاء البيمارستانات، فأنشأ أبو يوسف يعقوب، المارستان للمرضى والمجانين وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون إليه من الأغذية وغيرها، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية، وأجرى على الكل الإنفاق من بيت المال، وقد أشار بعض المؤرخين إلى تشييد البيمارستانات في المدن المغربية، مثل بيمارستان سيدي فرج بفاس[504].

وشهد الفن الإسلامي خلال العصر المريني بداية نهضة حقيقية زاهرة في المغرب الأقصى، حيث ظهر التنوع في المواد المستخدمة، سواء من الأحجار أو الجص أو الأخشاب أو الزليج والرخام أو المنسوجات أو التحف المعدنية وغيرها، بالإضافة إلى النقود المرينية التي تألفت من النقود الذهبية، والنقود الفضية، والنقود النحاسية، وسعى المخزن المريني لأن يبقى وفيا لوزن الدينار الشرعي أو قريبا منه[505]،والتي تعكس مدى ازدهار فنون العصر المريني والمستوى الفني الرفيع الذي حققه الفن الإسلامي على المواد التطبيقية المختلفة والمسكوكات[506]، وكذلك الابتكار في صناعة التحف المعدنية المصنوعة من استعمال ألواح مقطوعة أو منزوعة من كتلة المعدن[507].

ويمكن معالجة موضوع التراث الفني الإسلامي في عصر المرينيين والوطاسيين من خلال المحاور التالية:

- مظاهر الانتعاش الفني في النصف الأول من الدولة المرينية
- العصر الذهبي للحضارة المغربية في عصر بني مرين
- تدهور الفنون والصناعات من أواخر العصر المريني إلى نهاية العصر الوطاسي

(502)- راجع : إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 2، ص 130.

(503)- راجع :أحمد الطاهري، الجمالية المغربية على عهد المرينيين ملاحظات حول الفن الزخرفي بمدارس فاس، المناهل، مطبعة دار المناهل، الرباط، 1974، ص 66.

(504)- شيده السلطان أبي يعقوب يوسف عقب توليه الملك عام 685هـ/ 1286م، ثم أدخل السلطان أبو عنان المريني (749ـ 759هـ/ 1348 ـ 1357م) عليه زيادات عظيمة. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا، ج 4، ص 66، ومحمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين، ص 63 ـ 64

(505)- عرف النظام النقدي المريني عدة إصلاحات لمواجهة الأزمات النقدية التي شهدها المغرب في نهاية العصر الوسيط، وكان من أبرزها الإصلاح الذي قام به السلطان يعقوب بن عبدالحق سنة 674هـ. راجع: رشيد السلامي، قراءة في النقود المرينية،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع 23، لسنة 1999م، ص 190ـ 224.

(506) راجع: Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique nord et en Espagne, Paris, 1924,pp.170

(507)- راجع : عبدالعزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج 1، مركز الكتاب للنشر، القاهرة 1999، ص 96 ـ 104.

مظاهر الانتعاش الفني

في النصف الأول من الدولة المرينية

اهتم المرينيون الأوائل بالتراث الفني، وحرصوا على إنتاج المواد التطبيقية والزخرفية، التي لا تزال العمائر والمتاحف المغربية تحتفظ بالعديد من روائعها الفنية والزخرفية، المؤرخة في الفترة الأولى من الدولة المرينية، والممتدة من عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة 668هـ/1269م، إلى عهد السلطان أبي الربيع سليمان سنة 710هـ/ 1311م، والتي يغلب عليها التأثر بالطرق الصناعية والعناصر الزخرفية التي كانت سائدة في العصر الموحدي. وتشتمل هذه الفترة على مجموعة من التحف الفنية التي صنعت من مواد مختلفة، بالإضافة إلى مجموعة من النقوش التسجيلية التي تؤكد مكانة الفن الإسلامي في هذه الحقبة التاريخية المهمة. ويمكن توضيح ذلك كالتالي :

أولا : التحف الفنية المؤرخة في عهد يعقوب بن عبدالحق (668 ـ 685هـ/ 1269ـ 1286م)

وصلت إلينا مجموعة رائعة من مواد الفنون الزخرفية التي تنسب إلى عهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني[508] (668هـ/ 1269م إلى 685هـ/1286م)، والتي تضيف لنا العديد من المعلومات عن التطور الصناعي والفني والطرق الصناعية والأساليب الزخرفية للفن الإسلامي في عهده، ومن أهم هذه التحف الفنية ما يلي :

□ ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد (678هـ/ 1279 ـ1280م)

تذكر المصادر التاريخية أنه : «في سنة سبع وسبعين وستمائة (1278م) بني المسجد الجامع في فاس الجديد، وعلقت به ثرياه في يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول من سنة تسع

(508)- هو أمير المسلمين عبدالله يعقوب بن الأمير عبدالحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن ورزير بن فجوس بن جرماط بن مرين الزناتي المريني، امه حرة زاكية مباركة أم اليمن بنت محلي البطوئي الزناتي. ولد في سنة سبع وستمائة، وكان لقبه القائم بالحق والمنصور. وبويع له بالخلافة بحضرة فاس بعد وفاة أخيه أبي بكر، وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب سنة ست وخمسين وستمائة، وعمره يومئذ ست وأربعون سنة. وتوفي بالجزيرة الخضراء بالأندلس يوم الثلاثاء 22 محرم سنة 685هـ ودفن بجامع قصره من البنية، ثم نقل ودفن في شالة، وكانت دولته 29 سنة، و6 اشهر و22 يوماً. راجع: علي بن أبي زرع، الذخيرة السنية.، ص 85 ـ 87.، إسماعيل الأحمر، روضة النسرين.، ص27، و ابن القاضي، جذوة الاقتباس.، ق 2، ص 559ـ 558.

وسبعين وستمائة (1284م)، وأشاروا إلى وزن الثريا بأنه : «**سبعة عشر قناطر وخمسة عشر رطلا، وعدد كؤوسها مائتا كأس بالتثنية وسبع وثمانون كأساً**»[509]. (لوحة 67)

وتعتبر ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد أقدم التحف الفنية، والتي يعود تاريخها إلى سنة (678هـ/ 1279م)، وتُعد هذه الثريا نموذجا لصناعة الثريات المعدنية في مرحلة الانتقال بين فن الموحدين والفنون المرينية التالية لها حيث عكست صناعة الثريا خصائص تلك الصناعة في أعقاب دولة الموحدين وصدر الدولة المرينية[510]. وترجع هذه الثريا المعلقة حاليا بالجامع الكبير بفاس الجديد إلى عصر أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق المؤسس الحقيقي للدولة المرينية، ويتكون القسم الأسفل من الثريا من اثني عشر ضلعا كتلك التي بجامع القرويين، وإذا كانت المصابيح متشابهة في كل المثالين فإن الكوابيل الزهرية بفاس البالي قد استبدلت هنا بمساند مسطحة تفي بحاجة مخروط لا تتعدى طبقاته، ثمانية أطواق لحمل المصابيح[511].

وقد علقت الثريا ببلاط المحراب بالأسطوانة الثالثة جهة المحراب عند ملتقى الأسكوب الثالث مع بلاط المحراب، وذلك يوم السبت 27 ربيع الأول عام 679هـ، وكان بنطاقها الأسفل اسم يعقوب بن عبدالحق منقوش مع تاريخ الفراغ من عملها عام 678هـ[512].

ويوجد موضع النص التأسيسي[513] بالدائرة السفلية من الثريا نص كتابي بخط النسخ المتطور يرجح أن يكون قد تم إضافته في فترات لاحقة على صناعة هذه الثريا، (لوحة 68) يقرأ على النحو التالي : (**أعوذ بالله العلي العظيم من/ النار ومن الشيطان الرجيم / بسم الله الرحمن الرحيم / صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله** ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ / اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ/ أُوْلَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ/ هُمْ خَالِدُونَ. إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ / مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ / الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ / إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَٰئِكَ / أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[514].

(509)- ذكر «علي بن أبي زرع» أن وزن الثريا 9 قناطر، و15 رطلا، وعدد كؤوسها 187 كأسا. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا، ج 4 ن ص 87 ـ 88، علي بن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص 162

(510)- راجع : M. Terrasse, Le mobilier mérinide, in B.A.M., T. X, 1976, P. 194

(511)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية .، ص 88-90.

(512)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، 382.

(513)- كان النقش الأصلي يحتوي على اسم يعقوب بن عبدالحق، وتاريخ الفراغ من عمل الثريا في عام 678هـ/1279 ـ 1280م.راجع محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين.، ص 28.

(514)- سورة التوبة آيات 17 و 18.

كما تضم الصينية أفريز كتابي بالخط النسخ على مهاد نباتي يقرأ لأول مرة على النحو التالي: (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ/ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ/ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ/ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ/ نُّورٌ عَلَى نُورٍ/ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ/ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ/ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾[515].

ويلاحظ في النصف السفلي من الداخل الإطارات التي تقسم الطوق إلى مساحات أو مناطق زخرفية تنتهي تجاه المحيط الأوسع بمجموعة زخرفية من الأوراق النخيلية المزدوجة المتدابرة التي نراها تتكرر في الفن المريني، ويلاحظ تناسق الحشوات والمساحات الزخرفية المحصورة بين تلك الإطارات، كما ازدانت الثريا بمجموعات من الزخرفة النباتية الدقيقة المفرغة (أرابيسك)، انحصرت بين المحيط الأوسع للطوق والمحيط الأقل اتساعا بشريط من الكتابات النسخية الدقيقة المفرغة، ويظهر من داخل الطوق تركيب هندسي زخرفي يشكل قبة قائمة على الأضلاع المتقاطعة، كما هو الحال في قبة المرينيين بالجامع الكبير بتازة، وقد انتشرت بين الفراغات الناشئة من تقاطع العقود غلالة من النسيج الزخرفي المخرم تسمح بوجود مساحة مركزية تملؤها قبة إشعاعية، وتقتصر الزخارف المحصورة بين ضلوع القبة على نموذجين اثنين من زخارف الأرابيسك النباتية رتبت بالتناوب[516].

وتبدو جوانب القسم الأسفل من الخارج بشكل عقد من ثلاثة عشر فصاً يحمل في الجانبين على تاج عمود رقيق، وقد شغل كل فراغ محصور بين العقد المفصوص، والعمودين الجانبين حشوة رائعة من المخرمات التي نسجت على شكل ورقة نباتية تدور حول محور رأسي، يذكرنا بشجرة الحياة القديمة، تفرعت عنه الأوراق النخيلية المزدوجة التي تذكر بجص مدينة الزهراء في الطراز الأندلسي. ويحف بتلك الحشوة الزخرفية يمينا ويساراً، ومن أعلى شريط من الكتابة النسخية، ثم ينحصر بين كتف العقد الرئيسي، وبين الأشرطة الكتابية أجزاء ملئت بأوراق نخيلية ملساء تذكر بفن الموحدين[517].

(515)- سورة النور، آيات 35-37.

(516)- راجع : باسيليو بابون مالدونادو، الفن الإسلامي في الأندلس، الزخرفة النباتية، ترجمة على إبراهيم على منوفي، مراجعة محمد حمزة الحداد، 2002، ص 138.

(517)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، 382ـ 383.

□ **منبر الجامع الكبير بفاس الجديد (678هـ/ 1279م)**

أورد المؤرخ «**علي بن أبي زرع**» بعض إشارات حول منبر الجامع الكبير بفاس الجديد في قوله : «ففي شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وستمائة تم الجامع المذكور وصلى فيه، وفيها ابتدئ بعمل منبره الذي به الآن على يد المعلم الغرناطشي الرصاع، وأول خطيب خطب به الفقيه المحدث محمد بن أبي زرع وفي أول جمعة من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وسبعين وستمائة تم المنبر بالعمل وخطب عليه»[518].

ويكون بذلك قد تم الانتهاء من صناعة هذا المنبر في عام 678هـ/ 1279م وهو من صنع العريف «**المعلم الغرناطشي الرصاع**»، ويدل اسم الصانع على أنه كان متخصصا في عملية التطعيم والترصيع بالسن والزرتشان[519].

ومنبر الجامع الكبير بفاس الجديد مصنوع من خشب الأرز ويحمل عدة زخارف، طوله ثلاثة أمتار وسبعة عشر سنتمترا 3,17م، ويحتوي المنبر على ثمان درجات[520]، بالإضافة إلى جلسة الخطيب العليا، أما عرض المنبر فيصل إلى 85 سنتمترا من الخارج وسبعة وستين سنتمترا من الداخل، وبمدخله آثار عقد قديم يعلوه قائم مستعرض وبقايا شرفات في الأعلى، وبجانبي المدخل عقدان صغيران، وبآخر أعلى المنبر عقد آخر[521]. (لوحة 69)

وتتميز زخرفة المنبر من الناحية الهندسية بتوحيد العناصر المتعارف عليها بالمنابر السابقة باعتماد النجمة ذات الأضلاع المتعددة، والأركان الثمانية في الأوجه الجانبية، واعتماد التلبيس على الشريط المضفر والحشوات. أما الزخارف فقد تلاشت الكثير منها، إلا أن ما تبقى يسمح بشكل جزئي من إعادة تصور واضح لها، وهكذا، فقائم الدرجة الأولى يحتفظ بزخارف سوداء على أرضية بيضاء، وبقائم الدرجة الخامسة زخارف هندسية من الصدف الأسود والأبيض[522].

وبجانب آخر، يمكن رصد بقايا التطعيم من خلال أجزاء مرصعة وآثار للخط الكوفي باللون الأسود، وابتداء من مستوى الدرجة السابعة، يتضح إطار كان يسير بمحاذاة درجات المنبر، ويمكن

(518)- راجع : علي بن أبي زرع، الذخيرة السنية.، ص 162.

(519)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية، ندوة الاندلس قرون من التقلبات والعطاءات، ق 3، الحضارة والعمارة والفنون، مطبعة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، 1996م، ص 233.

(520)- ذكر «Terrasse» أنه يضم تسع درجات، وطوله 3,30، وارتفاعه 3,15، وعمقه 85سم. راجع : Terrasse M. , Le mobilier mérinide , P. 189.

(521)- هذا المنبر محفوظ في متحف البطحاء في فاس.

(522)- راجع : Terrasse H., Minbers anciens.,P.165

قراءة بقايا النقش، وهو عبارة عن كتابات قرآنية، تقرأ : ﴿... الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا .. ﴾[523]. (لوحة 70)

وقد تم استبدال بعض أجزاء من منبر الجامع الكبير بفاس الجديد، حيث استبدل الجانب الأيمن الذي يقع ناحية المحراب بخشب مدهون حديث العهد، ودون مستوى الخشب الأصلي التي كان عليها المنبر وقت صناعته، كما يلاحظ أنه تم استبدال الظهر، حيث يوجد به قطع خشبية حديثة العهد[524].

□ عنزة جامع القرويين (687هـ / 1288 ـ1289م)

تشير الكتابات التاريخية إلى عنزة القرويين وما بها من غرابة الصنعة ونفائس الصبغة، ويصف كل من «الجزنائي»، و«**ابن القاضي المكناسي**» هذه العنزة بقولهما : «**وفيها من غرابة الصنعة ونفاسة الصبغة وإتقان الإلصاق، ودقة الخرط والنقش وجلالة الاحكاء ما يقضي بالعجب ويصرح بالاعجاز**»[525].

وقد تم صناعة عنزة جامع القرويين في أيام قاضي الجماعة، وخطيب القرويين، وناظرها أبو عبدالله بن أبي الصبر أيام يعقوب بن عبدالحق، وتعدُّ العنزة من أولى الأعمال المرينية في جامع القرويين حيث تعود إلى سنة سبع وثمانين وستمائة[526]، حينما قام العاهل المريني الثاني أبو يعقوب بتعويض الألواح المرابطية بالعنزة[527].

وكانت هذه العنزة بحالة سيئة خاصة من الوجه المطل على الصحن، أما الوجه الداخل المطل على المجاز القاطع والمحراب فلا يزال بحالة جيدة[528]. (لوحة 71) وتحتفظ عنزة جامع القرويين بتكوينات زخرفية متعددة يكتنفها عقد في وسطها، عليها أبيات شعرية نصها :

(523)- سورة البقرة آية 256/257

(524)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 4، 332.

(525)- راجع : ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ص 73، والجزنائي، زهرة الآس، ص 73.

(526)- أرجع البعض هذه العنزة إلى سنة 689هـ، في حين ذكر «الجزنائي» سنة ست وثمانين وستمائة، والنقوش التسجيلية الباقية عليها تشير إلى سنة (خزف) التي تعني 687هـ، راجع : محمد محمد الكحلاوي، عرفاء البناء في المغرب والأندلس، ص 233، الجزنائي، زهرة الآس، ص 73، عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج 2، ص 320.

(527)- راجع : Terrasse M., Le mobilier mérinide, , P. 186.

(528)- راجع : Terrasse H., la mosquée al-Qaraouiyan.,P.65

كتب الحسن في طراز بهاء   أن شكلي يصان من شركاء

كل فخر قد حزته وانفحاج   وعلى الفرقدين طال ازدهائي

بهجتي في الثرى وفوق الثريا   فهي في الأرض تزدهي والسماء

للمصلين قد جعلت شعارا   موطن الذاكرين والقراء

نظر المتقين عندي سجود   كلهم بي توصلوا لاجتباء

إن أقاموا الصلاة راموا صلاة   بصفوف جميلة واعتناء

من يكن في إمامهم خير حسن   إذ رجوا من أرحم الرحماء

فيفوزون بالمنى والأماني   إذ يمدون كفهم للدعاء

قد كساني التجديد في عام خزف   مقدم الفضل مستحق الثناء[529]

وتعتبر هذه العنزة أقل جمالا من نظيرتها بالجامع الكبير بفاس الجديد، وقد صممت العنزة على هيئة وحدتين أساسيتين، الأولى في الجزء الأسفل، وقوامها ثلاث حشوات رئيسية مستطيلة الشكل تضم كل منها منطقة زخرفية عقد أعلاها بقوس، ويتماثل طراز القوسين المتجاوزين الجانبيين بينما توج الحشوة الوسطى عقد كامل الاستدارة، وخص الحشوة الوسطى بالنقش التأسيسي عبارة عن أفريز زخرفي من جهاتها الأربع، وتعتبر الحشوتان الجانبيتان ذات العقود المتجاوزة مدخلين صغيرين يفتحان عند اللزوم للولوج إلى بلاط المحراب[530].

وينقسم الجزء الأعلى من العنزة إلى ثلاث وحدات، وحدة وسطى مركزية أكثر اتساعا وارتفاعا يتوجها من أعلى عقد نصف دائري، يحف بها من كل جانب حشوة أخرى مربعة الشكل. وتنقسم الحشوة الوسطى الرئيسية إلى مساحات زخرفية هندسية الشكل قوامها أشكال نجمية ذات ستة رؤوس بينما تزدان الحشوة الجانبية بزخرفة مركزية من الخط الكوفي المربع (**الملك لله**) حولها نماذج من خشب الخرط. ويدور في النهايات العليا من الوجه الخارجي والداخلي نوع من الشرفات المسننة تعكس تنوعا في الصناعة التي تتوفر عليها العنزة. ويشتمل الوجه الداخلي على قسمين

(529)- عام خزف يعني 687هـ. راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج 2، ص 320.

(530)- راجع: Terrasse M., Le mobilier mérinide, , P. 186

من حشوتين جانبيتين معقودتين للولوج إلى الصحن، وفي الوسط حشوة مستطيلة واسعة قسمت إلى وحدات زخرفية هندسية[531].

تعتبر الجهة الداخلية من العنزة المواجهة لقاعة الصلاة بحالة جيدة، وتتألف من خمس قطع ثلاث منها مستطيلة، وقد نقش على الخشب من جهة الصحن الآية القرآنية الكريمة: ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ﴾ سورة الإسراء، آية 29. كما نقش في الخشب عبارة: (**الملك لله . العافية الدائمة**)، بالإضافة إلى نقوش قرآنية أخرى[532].

تتركز النقوش الكتابية في أعلى العنزة، ويفصل بين القسم العلوي المحاط بالكتابات الكوفية المورقة، والجانبين المربعين عصابات عريضة ذات جدائل من معينات هندسية داخلها طراز أخر من الكتابة النسخية والحشوات الزهرية، من خشب الخرط بجوانب المربعين الجانبيين، وأعلى المنطقة الوسطى المعقودة بقوس نصف دائري، تلي ذلك الشرفات المسننة من الخارج[533]. وقد جدد هذه العنزة المولى إسماعيل العلوي، وكانت موضع اهتمام ملوك المغرب عبر تاريخ العصور الإسلامية حيث تكررت العناية بصيانتها وترميمها[534].

وقد شهد التراث الفني الزخرفي ازدهارا كبيرا على يد يعقوب بن عبدالحق، ونقل مركز ضرب السكة من قصبة فاس القديمة (قصبة النوار)، وأسس لها بناية جديدة كانت بجوار القصر[535]، وكان المشرف عليها يقيم بالقرب منها بدار الصياغة، والصراف الذي يملك حق السك، ويزن النقود ويضع عليها السعر[536]، لأن السكة في فاس، وغيرها كانت تعمل لصالح الملك الذي يختص بفوائدها[537]. وعمل يعقوب بن عبدالحق سنة 674هـ/ 1275 ـ 1276م، على تنظيم السكة المغربية تنظيماً جديداً، واختار من جيد النقود التي كانت آنذاك بالمغرب النقد

(531)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 4، ص 320 ـ 324.

(532)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين .، مج 2، ص 320.

(533)- أما منبر جامع القرويين الذي صنعه المظفر بن المنصور بعد المنبر الذي صنع في أول ظهور زناتة فكان من عود الأبنوس والعناب وغيرها، راجع : ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ص 56.

(534)- راجع : Terrasse H., la mosquée al-Qaraouiyan.,P. 65

(535)- وكانت على هيئة مكان مربع محاط ببعض الحجرات الصغيرة حيث يسكن عمال دار فاس، وفي وسط هذه البناية يقع مكان ناظر الدار مع العدول والكتاب، راجع: محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 33.

(536)-راجع : مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1984م، ص 157.

(537)-راجع : للحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف أفريقيا، ج 1، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 283.

المحمدي المنسوب إلى محمد الناصر رابع الخلفاء الموحدين، وضرب عليه النقد المريني الجديد، وأضاف إليها درهماً صغيراً يزن ثلث الدرهم المحمدي الموحدي[538].

وشهدت الصناعات الخشبية تطورا واضحا في عهد يعقوب بن عبد الحق، وبخاصة مع تشييده دار الصناعة بسلا، والتي كانت مخصصة لصناعة السفن، حيث بنيت الترسانة على يد أبي عبدالله الاشبيلي الميكانيكي (المتوفي في فاس سنة 714هـ)، وكان خشب السفن يجلب من المعمورة لصناعة السفن الحربية والمدنية[539].

ويعدُّ دولاب فاس الجديد (الناعورة) من الأعمال المنسوبة إلى يعقوب بن عبد الحق، والتي يرجع تاريخها إلى شهر رجب من سنة 685هـ/1286م والتي تمت على يد نفس الصانع الأشبيلي الذي شيد دار الصناعة بسلا، والتي ذكرها «ابن الخطيب» بأنها مثلت من الفلك الدوار مثالا، وذكر أنه كان عليها الأواني الفخارية تحمل المياه، وتدور بها، ثم تلقيها كالشهب الراصدة[540].

ثانيا : التحف الفنية في عهد يوسف بن يعقوب (685 ـ 706هـ/ 1286 ـ 1306م)

وصلت إلينا مجموعة فريدة من مواد الفن الإسلامي المؤرخة في عهد أبي يعقوب يوسف بن يعقوب[541] في الفترة من : 685هـ 706هـ/ 1286 ـ 1306م، والتي تعكس الطرق الصناعية والأساليب الزخرفية لتلك الفترة نذكر منها ما يلي :

□ جزء من ثريا من النحاس الأصفر (690هـ/ 1292م)

يحتفظ متحف البطحاء بمدينة فاس بجزء من ثريا عبارة عن صينية من النحاس الأصفر[542]، وهي مؤرخة بعام 690هـ. (لوحة 72)، وتحمل هذه الصينية شريطين من العناصر الزخرفية :

(538)- راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين.، ص 127.

(539)- راجع : إبراهيم حركات، المغرب عبر العصور، ج 2.، ص 139.

(540)- راجع : لسان الدين بن الخطيب السلماني (713 ـ 776هـ)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانه، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1979م، ص 179.

(541)- هو أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبدالحق، وكنيته أبا يعقوب، أمه أم العز بنت محمد بن حازم العلوي، بويع في غرة صفر سنة 685هـ، وقتل في ضحى يوم الأربعاء السابع لذي القعدة عام 706هـ، وله 66 سنة، ودفن في شالة، وكانت دولته 21 سنة، و9 أشهر و25 يوماً. راجع : إسماعيل الأحمر، روضة النسرين .، ص 30 ـ 31، و ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق 2، ص 547 ـ 548.

(542)- يبلغ قطرها 67 سم، والقطر الداخلي، 24,3 سم،

الأول : عبارة عن شريط عريض من الزخارف النباتية المفرغة، والمكونة من أوراق النخيل المزدوجة، وأنصاف المراوح النخيلية[543].

أما الشريط الآخر فعبارة عن شريط ضيق من النصوص الكتابية بالخط الكوفي والخط النسخ، يقرأ منه عبارة : «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، و«**بسم الله الرحمن الرحيم**»، و«**العز لله**»، و«**الحمد لله وحده على نعمه**»، و«**لا اله إلا الله محمد رسول الله**»، و«**الملك وحده**»، و«**العز لله وحده**»، **وعبارة دعائية مثل**: «**اليمن والإقبال**»، و«**الغبطة الكاملة**»، و«**اليمن والإقبال**»[544]. (لوحة 73)

كما تحمل هذه القطعة شريط من الخط الكوفي يضم نص تسجيلي يعتبر على درجة كبيرة من الأهمية، ويقرأ هذا النص على النحو التالي: «هذا ما صنع في شهر ذو القعدة الحادي عشر عام تسعين وست مائة»[545].

□ النقوش التسجيلية بالجامع الأعظم في تازة (691هـ/ 1293م)

تعدُّ النقوش التسجيلية التي ظهرت في الجامع الأعظم في تازة[546]، من أقدم النقوش التسجيلية في هذه المرحلة من العصر المريني، فقد أرجعت الوقفية تاريخ الفراغ من أعمال التجديد والزيادة إلى عام 691هـ/ 1293م، وفي سنة ثلاثة وتسعين وستمائة للهجرة فرغ من بناء الجامع ووضعت فيه الثريا[547]، التي تحمل نموذج متطور لتصميم القباب في المغرب الأقصى[548].

وهو عبارة عن نقش تسجيلي على الزليج الأسود، يؤرخ لتوسعة الجامع الأعظم بمدينة تازة في سنة 691هـ، ويقرأ كالتالي : « **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم / بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد / لما نفذ أمر أمير المسلمين وناصر الدين أبي / يعقوب ابن أمير المسلمين المجاهد في / سبيل رب العالمين أبي يوسف أسماه الله / وخلده ببناء الزيادة التي زيدة في هاذا / الجامع شرفه الله وذلك أربعة بلاطات / في قبلته وبلاطان شرقي وغربي مع الصحن الذي / بشرقيه وباصلاحه ورمه اذ كان جميعه قارب / الانكفا والسقوط وقعة المبادرة لبناء جميع**

(543)- محفوظة بقسم المعادن في متحف البطحاء بفاس، تحت رقم سجل 82.4.4

(544)- راجع : عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى.، ص 91 ـ 92.

(545)- راجع : De l'Empire Romain aux villes impériales, Musée du petit palais, 1990, p. 226

(546)- تقع مدينة تازة وسط ممر يصل المغرب الشرقي بالمغرب الغربي، وتبعد 120 كم عن فاس و 160 كم عن الحسيمة، و 200 كم عن الناظور. راجع : محمد بلعربي، تازة، معلمة المغرب، ج 6، ص 2023.

(547)- راجع : علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية.، ص 162.

(548)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى.، ص 121.

ذلك / وابتدي في مفتتح ربيع الاول في العام المتصل بعام / تاريخه وكان الفراغ منه أواخر شوال احد وتسعين / وستماية نفعهم الله بذلك وأعلى مقامهم / واجرى على ما يحبه ويرضاه نقضهم وابرامهم / بمنه وفضله وصلى الله على سيدنا محمد»[549]

◻ الثريا الكبرى بالجامع الأعظم في تازة (694 هـ/ 1294م)

يحتفظ الجامع الأعظم بمدينة تازة بتحفة فنية فريدة، هي الثريا الكبرى التي ذكرها المؤرخون والرحالة الذين زاروا الجامع، بأنها وضُعت في سنة 1294م[550]، وهذه الثريا تتميز بدقة الصناعة وثراء الزخرفة[551]، وتعتبر أكبر ثريا في الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، (لوحة 74) ولا يوجد لها مثيل في الغرب الإسلامي[552].

وتثبت هذه الثريا المكانة العالية التي وصلت إليها صناعة التحف المعدنية في العصر المريني من التطور والازدهار، بعد أن قطعت خطوات سابقة في طريق النضج والإبداع[553]، حيث كانت الثريات المرينية في القرن السابع تتكون كما هي العادة من عدة أطواق ذات مقاييس تنازلية من القاع إلى القمة لتعطي شكل مخروطي قاعدته الواسعة إلى أسفل ويبرز من قمته الضيقة ساق معدني تعلق منه الثريا. ويختلف عدد تلك الأطواق تبعا لحجم الثريا، وتوزع فوق تلك الأطواق مواقع المصابيح، في حين تبدأ من أسفل مستوى قاعدة المخروط متعددة الأضلاع حيث يشتمل الفراغ الداخلي، على قبة معدنية مخرمة قوامها عدد من الأضلاع المتقاطعة، تحصر فيما بينها زخارف ونقوش مخرمة[554]. (لوحة 75)

ويذكر «Terrasse H.» أن عمليات تجديد جامع تازة اكتملت في سنة 693هـ/ 1293 ـ 1294م، ووضعت فيه الثريا النحاسية الكبرى[555] التي لا يوجد لها مثيل في الغرب الإسلامي[556]. وهذا ما

(549)- راجع : Terrasse H., la Grand Mosquée de Taza, Paris, 1971, PP.11-12

(550)- يبلغ قطرها 2,50م، وارتفاعها 4,00م. راجع : Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce., 1999, P.385

(551)- راجع : Terrasse H., Taza notice historique et archéologique,Bulletin de l'Enseignement Public, N°171, Janvier-Mars ,1942, PP.6-7

(552)- راجع : Terrasse H., La grande mosquée de Taza .,, pp.62-63

(553)-راجع : Terrasse H. et Hainaut J., Les arts décotatifs au Maroc.,pp.127 -140

(554)-راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 4، ص 380.

(555)- راجع : Terrasse H. , La grande mosquée de Taza , p.56.

(556)- كما يوجد في الجامع الأعظم بتازة ثريا صغيرة تنسب إلى العصر المريني، ويتشكل جسمها من ثلاثة أجزاء منشورية الشكل مسدسة الأضلاع ذات ارتفاع تنازلي . راجع : Terrasse H. , La grande mosquée de Taza; pp.62-63

يؤكده «ابن أبي زرع» حول تاريخ ثريا تازة في قوله : «وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة فَرغَ من بناء جامع تازة، وعملت الثُّريا بالجامع وزنتها اثنان وثلاثون قنطاراً من النحاس وعدد كؤوسها خمسمائة كأس وأربعة عشر كأسا، وأنفق في بناء الجامع وعمل الثريا من المال ثمانية آلاف دينار ذهباً»[557].

وهذا النص يوضح لنا تكاليف الإنفاق على هذه التحفة التي تقع في البلاطة الوسطى بظلة القبلة بجامع تازة، وهي تتكون من أحد عشر دوراً، ستة منها تحتوي على سنادات للقوارير، وقد شغلت الثريا بمجموعة إطارات من النحاس تحتوي على زخارف نباتية وهندسية، وكذلك على نقوش كتابية زخرفت جميعها بطريقة التخريم[558].

ويتكون جسم هذه الثريا من هيئة مخروط ذي طبقات حيث نجد أن كل طبقة أو درجة محاطة بجسم دائري لحمل القناديل التي يسرج بها الزيت،[559] كما يحمل المستوى الخارجي تتويجا ذي شرفات مسننة. ويملأ الفراغ الداخلي قبة مضلعة ذي ستة عشر جانبا مقابل اثنى عشر بثريا القرويين، كما يتوج الثريا قبة صغيرة ذات فصوص وتزدان الشبكة المعرقة بحشوات نباتية مقصوصة ومحفورة، وتجلس تلك القبة فوق منشور متعدد الزوايا حيث عملت الجوانب أيضا من حشوات نباتية الزخرفة، وقد ربطت القاعدة بالمخروط بواسطة صينية دائرية تحمها كوابيل زهرية. ثم تشتمل الحشوة الدائرية على حشوات نباتية وإطارات ذات نقوش خطية[560].

وتقرأ الكتابات كالتالي:

الشريط الأول : شغل بآيات من القرآن الكريم كتبت بخط النسخ على مهاد نباتي يقرأ : **(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ/مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ/ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ/ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ/ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ/ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ / وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ / وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ / يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ**

(557)- راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 539.

(558)- راجع : عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى،، ص 83 ـ 87.

(559)- راجع : سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986م، ص 508.

(560)- راجع : عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، ص 83 ـ 87.

وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ / وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[561]
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[562].

الشريط الثاني : كتب عليه آيات قرآنية بالخط الكوفي يقرأ : (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله** ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[563].

ويمكن القول أن ثريا تازة تعكس الأسلوب الفني المستوحى من الطراز الموحدي، الذي استمدت الثريا أصولها منه بدليل تشابه الأشكال والزخارف بينهما تشابها كاملا[564].

وحاول أحد الباحثين تأريخ ثريا جامع تازة إلى أبو الحسن المريني في قوله : «**أمر بصناعة ثريا جامع تازي أمير المسلمين أبو الحسن المريني**»، (731 ـ 759 هـ/ 1331 ـ 1358م)[565] ونسبها الباحث الفرنسي «M.Terrasse» إلي أبي يعقوب يوسف[566].

ومن خلال دراسة هذه الثريا دراسة تطبيقية من الناحتين الأثرية والفنية في ضوء النصوص التاريخية الواردة في كتابات المصادر التاريخية والمتعلقة بتاريخ بناء جامع تازة ووضع ثريته فيه، ضمن حوادث عام 693هـ/ 1293 ـ 1294م[567].

وبعد فحص ودراسة الكتابات التسجيلية على الدائرة السفلية بهذه الثريا، والتي تقرأ على النحو التالي :

(561)- سورة النور، آيات 35 ـ38.

(562)- سورة الأحزاب، آية 56.

(563)- سورة البقرة آيات 285 ـ 286.

(564)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 4، ص 387.

(565)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص 125

(566)- هو (عبدالله) يوسف أمير المسلمين، ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبدالحق، ولقبه الناصر لدين الله، وقتل أمير المسلمين يوسف بقصره من حضرة تلمسان الجديدة في يوم الأربعاء السابع لذي القعدة من سنة ست وسبعمائة. راجع : ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص 492 ـ 513.

(567)- راجع : Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce , P.385

«يا ناظرا في جمالي حقق النظرا / ومتع الطرف في حسنى الذي بهرا / انا الثريا التي تازى بي افتتخرت / على البلاد فما مثلي الزمان يرا / افرغت في قالب الحسن البديع كما / شاء الامير ابو يعقوب إذ امرا / في مسجد جامع للناس ابدعه / ملك اقام بعون الله منتصرا / له اعتناء بدين الله يظهره / يرجوا به في جنان الخلد ما ذخرا / في عام أربعة تسعون تتبعها / من بعد ست من المبين قد سطرا / تاريخ هاذي الثريا والدعا / لأبي يعقوب بالنصر دأبا يصحب الظفرا / لازال يوسف والاملاك تخدمه / تعلو للعز علاه أنفس الأمرا»[568] (لوحة 76)

وبذلك تنسب هذه الثريا من خلال هذا النص التسجيلي المنقوش على دائرتها السفلية، إلى أمير المسلمين يوسف ابن يعقوب بن عبدالحق (685 ـ 706هـ / 1286 ـ 1306م)، وبالتحديد في عام 694 هـ،/ 1294م[569].

□ منبر الجامع الكبير بتازة (أواخر ق 7 هـ/ 13م)

يرجع تاريخ منبر الجامع الكبير في تازة إلى أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وتوالت على هذا المنبر عدة إضافات منها استبدال قسمه العلوي بخشب منقوش ومدهون في عصر متأخر. ويبلغ ارتفاع منبر الجامع الكبير بتازة 3,27م، ويشتمل على ثمانية درجات، ويبلغ عمقه 2,9م، واتساعه 80 سم، ويمكن القول، أن هيئة منبر الجامع الكبير في تازة قبل الإضافات والتغييرات العديدة التي طرأت عليه تطابق نظيراتها في منبر فاس الجديد، والمنبر في حالة سيئة جداً، ولم يتبقى منه سوى أجزاء قليلة، لا تزال تحتفظ ببعض الزخارف، والأشكال النجمية التي نفذت بطريقة التطعيم البسيطة أو المزدوجة. وتذكرنا هذه الزخارف بمنبر المدرسة البوعنانية بفاس، ومنبر جامع المواسين في مراكش، وكذلك منبر مسجد القصبة في مراكش. ويؤرخ هذا المنبر إلى أبي يعقوب يوسف الذي جدد ووسع الجامع الأعظم في تازة سنة 691 هـ/1291 م[570].

(568)- راجع : Terrasse M. , Le mobilier mérinide, in B.A.M., T. X, 1976, P. 192,n°13

(569)- راجع : عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى.، ص 83 ـ 87.

(570)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، ص 332.، Terrasse H., La grande mosquée de Taza, PP. 55-56

العصر الذهبي للحضارة المغربية
في عصر بني مرين

تضم هذه المرحلة التي أعقبت وفاة يوسف بن يعقوب[571] مجموعة كبيرة من مواد الفنون الزخرفية المرينية الممتدة من بداية عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب في سنة (710 هـ / 1311م)، وإلى نهاية عهد السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن في سنة (759هـ/ 1358م)، وهي الفترة التي يمكن وصفها بمرحلة ازدهار الفنون الإسلامية في الدولة المرينية[572]. ويمكن عرض أهم التحف الفنية في تلك الفترة على النحو التالي :

أولا: التحف الفنية في عهد السلطان أبي سعيد عثمان (710 ـ 731 هـ /1310 ـ 1331 م)

يعتبر عهد السلطان أبي سعيد عثمان[573] (710 ـ 731هـ/ 1310 ـ 1331م) بداية العصر الذهبي في الفنون الزخرفية في الدولة المرينية، حيث شهد عهده إنتاج روائع من التحف الفنية الزخرفية منها ما يلي :

□ النقوش التسجيلية في منارة مسجد بن صالح بمراكش (721هـ/1321م)

تعدُّ النقوش التسجيلية التي تؤرخ لإنشاء منارة مسجد بن صالح بمراكش، في غرة رجب عام 721هـ/1321م، من أهم مواد الفنون الإسلامية في المرحلة الثانية من حياة الدولة المرينية، في الفترة من (710 ـ759 هـ / 1311 / 1358م)، ويقرأ هذا النقش التسجيلي على النحو التالي:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد / النبي الكريم وعلى آله

(571)- بويع بعد يوسف بن يعقوب بن عبدالحق، حفيده عامر بن عبدالله بن يوسف بن يعقوب بن عبدالحق في يوم الخميس 8 ذي القعدة عام 706هـ، وكنيته أبا ثابت، ومات بطنجة مسموماً في يوم الأحد 9 صفر عام 708هـ، ودفن بشالة، وكانت دولته سنة واحدة وثلاثة أشهر. وخلفه أخيه سليمان بن عبدالله بن يوسف بن يعقوب، وكنيته أبا الربيع، وبويع يوم الاثنين 9 صفر عام 708هـ، ومات مسموماً في تازة في ليلة الأربعاء 2 رجب عام 710هـ، راجع: إسماعيل الأحمر، روضة النسرين .، ص 32 ـ 33.

(572)- راجع : Ben Abdellah A., l'art magrebin, Publications de l'université de Rabat,Faculté des letters et des sciences socials, Rabat, 1961,PP.45 - 59

(573)- هو أمير المسلمين عثمان بن يعقوب بن عبدالحق، وكنيته أبي سعيد، أمه حرة عربية، هي عائشة بنت مهلهل بن يحيي الخلطي، بويع بعد سليمان ليلة الأربعاء ثاني رجب عام 710هـ، وتوفي بعلة النقرس ليلة الجمعة 25 ذي القعدة سنة 731هـ وله 56 سنة، ودفن بشالة، وكانت دولته 21 سنة، و4 أشهر. راجع : إسماعيل الأحمر، روضة النسرين.، ص 34، وابن القاضي، جذوة الاقتباس.، ق 2، ص 456.

وصحبه وسلم تسليما / ابتدئ بناء هذه الصومعة المباركة في غرة شهر رجب الفرد / المبارك من عام أحد وعشرين وسبعمائة﴾[574]. (لوحة 77)

◻ النقش التسجيلي بمدرسة الصفارين بفاس (721هـ 1321م)

عبارة عن نقش تسجيلي مؤرخ في ذي القعدة من عام 721هـ، من مدرسة الصفارين في فاس، نقرأ منه ما يلي :

« **الحمد لله رب العالمين / رافع درجات العالمين / ومجزي ثواب العاملين ....أبو الحسن علي / واسطة سلخ ملوك بني مرين / ابن مولانا الخليفة الامام أمير المسلمين/ المجاهد في / سبيل رب العالمين/ أبي سعيد عثمان ابن مولانا الخليفة أمير المسلمين .....وكمل بناء هذه المدرسة المباركة وبدئ بالإقراء فيها وسكناها في ذي قعدة عام أحد وعشرين وسبعمائة»**[575].

◻ النقش التسجيلي بمدرسة الصهريج بفاس (723هـ 1323م)

تحتفظ مدرسة الصهريج في فاس بنص تسجيلي يؤرخ لإنشائها على يد الإمام أبو الحسن المريني في شهر ربيع الأول من سنة 723هـ / 1323م، نقرأ منها ما يلي :

« **بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما / الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين / أمر ببناء هذه المدرسة المباركة مع المدرسة الصغرى / المتصلة بشرفها مولانا الامير ولي عهد المسلمين أبو الحسن ابن مولانا ...... كمل بناء هه المدرسة وابتدئ الإقراء فيها في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة»**[576]. (لوحة 78)

◻ ثريا مدرسة العطارين (723 ـ725هـ/ 1323 ـ 1325م)

تقع هذه الثريا في بيت الصلاة بمدرسة العطارين[577]، (لوحة 79)، والثريا متوسطة الحجم، وعلقت بواسطة ساق تحتوي على مجسم. ويتكون جسم الثريا من هيئة مخروط ذي خمسة

(574)- راجع : Terrasse H., et Basset H., Sanctuaires et forteresses AlMohades la tradition almohade à Marrakech, Hespéris, 1927, Tom VII., pp.298

(575)- راجع : Bel Alfred, Inscriptions Arabes de Fés , Journal Asiatique, Tom.X, Paris , 1917, PP.157-161

(576)- راجع : Bel Alfred, Inscriptions Arabes de Fés , Journal Asiatique, Tom.VII, Paris , 1917, PP.216- 224

(577)- بنيت مدرسة العطارين سنة 723 هـ في عهد أبي سعيد عثمان على يد الشيخ عبدالله بن القاسم المزوار بفاس. وحضر أبو سعيد وضع حجر الأساس لبنائها، واشترى لها السلطان عددا من العمارات، وهي من أجمل مدارس بني مرين، إذ تمتاز بتنسيق زخارفها خصوصاً في الصحن وبيت الصلاة، وكان فيها أساتذة نظاميون. راجع :
Golvin Lucien, La madrasa médiévale, Edisud, 1995, pp.2229-232

طبقات حيث نجد أن كل طبقة أو درجة محاطة بجسم دائري لحمل القناديل التي كان يسرج بها الزيت، كما يحمل المستوى الخارجي تتويجا ذي شرفات مسننة، ويشتمل هذا الجزء على خمسة أدوار أكبرها السفلي وأصغرها العلوي، وتحتوي كل دورة على إطار بارز ركبت عليه مساند القوارير الزجاجية، ويملأ الفراغ الداخلي قبة مضلعة ذات ثمانية جوانب. ويتوج هذه الثرية قبة صغيرة من النحاس المشغول ذات فصوص، وتزدان الشبكة المعرقة بحشوات نباتية مقصوصة ومحفورة، وتجلس تلك القبة فوق منشور متعدد الزوايا حيث عملت الجوانب أيضا من حشوات نباتية الزخرفة، وقد ربطت القاعدة بالمخروط بواسطة صينية دائرية تحمها كوابيل زهرية، وتشتمل الصينية على شريطين دائريين زخرفت الشريط الأوسع منهما بزخارف نباتية مفرغة قوامها مراوح نخيلية، وأنصاف مراوح نخيلية، أما إطار الصينية الخارجي فزخرف بنقوش كتابية بالخط النسخ المغربي. (لوحة 80)

ويمكن وصف الصينية كالتالي :

الشريط الأول :

شغل هذا الشريط بكتابات بالخط النسخ على مهاد نباتي يقرأ على النحو التالي :

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ / مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ / الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ / الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ / نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ / يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ / وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ / وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[578].

الشريط الثاني:

يلي الشريط السابق، شريط عريض يشتمل على زخارف نباتية نفذت بطريقة التفريغ قوامها أشكال مراوح نخيلية، وأنصاف المراوح النخيلية[579].

(578)- سورة النور، آيات 35 ـ 37.

(579)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية.، ص 90-91.

وتعتبر ثريا مدرسة العطارين[580] من التحف المعدنية الهامة، التي احتوت على شريط تسجيلي بالخط الكوفي على الدائرة السفلية، تلاشت معظم حروفه من تأثير الزيت. ويمكن قراءته كالتالي: «**الحمد لله أمر بعمل هذه الثريا المنصوبة / برسم المدرسة السعيدة بفاس القرويين / عمرها الله مولانا أمير المسلمين وناصر الد [ين] / أبو سعيد ابن مولانا أمير المسلمين/ ..../ ..../ سبعمائة ... لله وحده**»[581].

وينبغي الإشارة إلى أن تاريخ المغرب الأقصى يحتوي على شخصين هامين باسم «أبو سعيد عثمان» في الدولة المرينية :

أولهما : الأمير أبو سعيد عثمان بن عبدالحق، ولد في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وفي سنة خمس وعشرين وستمائة قوي أمره بالمغرب، وملك جميع بواديه من وادي ملوية إلى رباط الفتح، وفي أيامه كانت المجاعة، والوباء الشديد، والخوف، والفتن، فخلا أكثر بلاد المغرب[582].

وثانيهما : الخليفة أمير المسلمين عثمان المنصور بالله ابن أمير المسلمين المنصور بالله القائم بالحق يعقوب بن عبدالحق، وكنيته أبو سعيد، ولقبه السعيد بفضل الله، وكان مولده يوم الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الأخرة من سنة خمس وسبعين وستمائة، وبويع بالخلافة ليلة الأربعاء منسلخ جمادى الأخرة من سنة عشر وسبعمائة بقصبة رباط تازة[583].

ومن خلال تتبع الإشارات التاريخية الواردة عن تاريخ بناء مدرسة العطارين، ودراسة النص التأسيسي برخامة التحبيس بالمدرسة[584]، وفي ضوء النص التسجيلي المنقوش على الدائرة السفلية، يمكن تأريخ ثريا مدرسة العطارين إلى الخليفة أمير المسلمين عثمان المنصور بالله بن يعقوب بن عبدالحق، في عامي 723ـ 725هـ/ 1323 ـ 1325م[585].

وتتشابه الكتابات السابقة مع نقش أبي سعيد عثمان المثبت على الحائط الغربي للقاعة المقابلة لمصلى زاوية أو مدرسة شالة، وهو يقابل الداخل من صحن المسجد العتيق إلى الزاوية، ويتكون النقش من سطر واحد من الكتابة النسخية، ومادة هذه الحروف والأرضية

(580)- راجع : Bel Alfred, Inscriptions Arabes de Fès, J.A. Tomx, p.148

(581)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية، ص 91-93.

(582)- راجع : ابن أبي زرع، الذخيرة السنية.، ص 35 ـ 37.

(583)- راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 522 ـ 530.

(584)- راجع : Golvin Lucien, La madrasa, pp.2229-232

(585)- يذكر ابن أبي زرع : أنه في مستهل شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة أمر أمير المسلمين (أبو سعيد) عثمان أيده الله ونصره ببناء المدرسة العظيمة بإزاء جامع القرويين (هي المعروفة اليوم بمدرسة العطارين)، راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 543.

كلها من الزليج مع اختلاف اللون بين الحروف والأرضية، ويقرأ كالتالي : «الحمد لله وحده هاذه الزاوية (المدرسة) أسسها مولانا (العالم العامل الخليفة أمير المو) منين (السلطان (أبو سعيد عثمان) المتوفى في خمسة وعشرين من ذي القعدة عام إحدى (وثلا) ثين وسبعمائة»[586]. (لوحة 81)

ثانيا : التحف الفنية في عهد السلطان أبي الحسن المريني (731 ـ 752هـ / 1331 ـ 1351م)

يتميز عهد السلطان أبي الحسن المريني[587] (731 ـ 752هـ/1331 ـ 1351م) بازدهار مواد الفنون الزخرفية، ولاسيما وأن السلطان أبي الحسن المريني، نفسه برع في الوراقة المصحفية، وكتب بخطه عدة ربعات قرآنية كريمة[588]. ويذكر «ابن مرزوق» أن السلطان أبي الحسن المريني، قد عكف على نسخ كتاب الله، مما منحه إجادة الخط المصحفي، الذي تعلم أصوله حتى صار خطه يختلط بخطوط كبار الخطاطين في ذلك العصر، كما أورد أن السلطان قد خط بيده عدة ربعات قرآنية شريفة وأوقفهم على عدة جهات[589]. وشهد عهده إنتاج العديد من التحف الفنية منها ما يلي :

□ الناقوس المريني الكبير بجامع القرويين (733 ـ 737 هـ/ 1332 ـ 1336 م)

تقع هذه الثريا في القبة الثامنة من جهة المحراب وهي القبة التي تغطي جزءاً من امتداد بلاطة المحراب، وتقع في مواجهة باب الكتبيين من الجهة الغربية وباب ابن حيون من الجهة الشرقية. وناقوس هذه الثريا يعدُّ من أضخم نواقيس المسجد على الإطلاق[590].

(586)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة.، ص 193 ـ 211.

(587)- هو أمير المسلمين علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق، كنيته أبي الحسن، ولقبه المنصور بالله، أمه الصالحة المباركة عنبر، بويع بعد ابيه يوم الجمعة الخامس والعشرين لذي القعدة سنة 731هـ، ومات بجبل هنتاتة ليلة الثلاثاء السابع والعشرين لشهر ربيع الأول من عام 752هـ، وله 60 سنة، ودفن بشالة، وكان مولده بتفرديون في صفر 692هـ، وكانت دولته 20 سنة و 3 أشهر ويومين.. راجع : إسماعيل الأحمر، روضة النسرين .، ص 35.، و ابن القاضي، جذوة الاقتباس.، ق 2، ص 461.

(588)- راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية.، ص 61

(589)- أوقف الأولى منهم على مسجد شالة، والثانية على المسجد النبوي بالمدينة المنورة، والثالثة، على المسجد الحرام بمكة المكرمة، والرابعة على المسجد الأقصى، أما الخامسة، فقد شرع في كتاباتها ولم يتمها، ثم تمم بعضها ابناه من بعده. راجع: ابن مرزوق، المسند.، ص 474 ـ 478.

(590)- ذكره علي الجزنائي أن الناقوس الكبير المعلق بالبلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين، عثر عليه بجبل الفتح من بر الأندلس حين استفتحه المسلمون على عهد الأمير الأسعد عبدالواحد ابن أمير المسلمين أبي الحسن . راجع : علي الجزنائي، زهرة الآس، ص 75، مديحة الشرقاوي، كتاب مدينة فاس المعروف بزهرة الآس في بناء مدينة فاس، للجزنائي، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001م، ص 111.

ويتكون الوصف العام للثريا من البدن الداخلي للناقوس، والذي تقدر سعة فتحة فوهته 86 سم، وقد شغل بدن الناقوس الخارجي باثني عشر ذراعاً رأسياً وزعت جميعها بالتساوي على بدن الناقوس. وهذا الأسلوب يعتبر جديداً بالنسبة لباقي النواقيس، إذا اعتاد الفنان أن يشغل البدن الخارجي بمجموعة من إطارات أفقية تؤازر بدن الناقوس. وهذه الإطارات مع السندات، والقوارير تخفي الكثير من بدن الناقوس[591]. (لوحة 82)

أما الناقوس المريني، فقد أتاحت مجموعة الأذرع الرأسية رؤية باقي أجزاء بدن الناقوس، حيث ركبت الأذرع الرئيسة، وثبتت عن طريق طرفيها إذ ثبت طرفها السفلي على قاعدة فوهة الناقوس من الخارج وطرفها العلوي على نهاية قمة الناقوس من أعلى، ولذا جاءت الاثني عشر ذراعاً مجمعة على مسافات متقاربة على قاعدته، وركبت على حافة الأذرع المقوسة سندات القوارير، والتي أخذت هيئتها الخارجية شكلاً مدرجاً طبقا للشكل العام الذي عليه بدن الناقوس، وقد ملأ الفنان الفراغات الواقعة بين الأذرع، وبدن الناقوس بأشرطة مزخرفة بأشكال هندسية، وأخرى نباتية نفذت جميعها بطريقة التخريم، وقد توج الفنان حافة الناقوس الخارجية بشرفات مسننة. أما فوهة الناقوس فقد أغلقت بمجموعة أشرطة نحاسية ثبتت على اثنى عشر كابولي ربطت قاعدتهما بالكرسي النحاسي الصغير الذي يتوسط فوهة الناقوس من أسفل وأذرع الكوابيل الأفقية اتخذت كسندات تحمل قرص الطبق النحاسي من أسفل[592]. (لوحة 83)

وقد شغل الفنان الفراغات الواقعة بين كوابيل الكرسي النحاسي بشبابيك صغيرة معقودة حجبت فتحاتها بأشرطة نحاسية رقيقة تحتوي على عناصر زخرفية مكونة من تكوينات نفذت بطريقة التخريم. (لوحة 84)، وأغلق الفنان قاعدة الكرسي النحاسي بطبق من النحاس ذات تضليعات رأسية تذكرنا بتضليعات قباب المساجد التونسية، وقباب الأضرحة الفاطمية بمصر[593].

كما ثبت الإطار الخارجي للطبق المجوف بكرسي الثريا باثنى عشر برمق صغير، وهذا الوصف يطابق إلى حد كبير وصف «الجزنائي» لكرسي الثريا حيث قال : «وبأسفله أوصال عددها اثنى عشر، وتحت كل وصل منها غلون مكفف وفي وسط ذلك طبق شبه الخاتم ذات الأوصال وفي أسفله حرف الطبق بيادق مخروطة ونطاق مقور في وجه الأوصال، كل ذلك من النحاس الأصفر المنقوش المخرم بالصناعة المحكمة»[594].

(591)- راجع : Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine à Fès.,p.57 -59.

(592)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين .، ص 136 ـ 140.

(593)- راجع : Marçais G., L'architecture musulmane d'occident. , p. 244.

(594)- راجع : علي الجزنائي، زهرة الآس، ص 75.

ويحتوي بدن الناقوس الخارجي على نقوش مكتوبة بالحروف اللاتينية بطريقة الحفر، قرأت بنحو : «Mentemsanctamsponaneumonorem»، و«DecetPatreLiberacionem» وترجمها على نحو: «**جدير بالنفس التقيةَ أن تشكر فضل الله عليها في النجاة من شرور الضلال**»[595].

ويتضح من ترجمة هذا النص أنه يتضمن نصوص عقائدية تتفق مع الوظيفة التي كان يستخدم فيها الناقوس في موقعه القديم. أما النقوش العربية التي تزخرف الثريا، والتي ترجع إلى العصر المريني فقد تلاشت معظمها نتيجة لأعمال التجديد التي ألحقت بالثريا في وقت متأخر، ومن حسن الحظ أن «المؤرخ الجزنائي» قد دون لنا كافة النصوص الكتابية التي كانت تزدان بها الثريا المرينية، حيث كانت تشتمل حافة الثريا على نقوش كتابية تحتوي على نصوص تأسيسية تتضمن أسماء السلطان وألقابه، وتاريخ الحصول على الناقوس، وكانت الكتابات تقرأ كالتالي :

«**الحمد لله وحده أمر بتعليق هذا الناقوس المبارك، مولانا أمير المسلمين ناصر الدين أبو الحسن بن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق، أيد الله سلطانهم وأسعد عصرهم وزمانهم، وهو الناقوس الملقى بجبل الفتح حرسه الله افتتحه بعون الله وتأييده مولانا أمير المسلمين أبو الحسن أيده الله ونصره على يد ولده الأمير الأسعد أبي مالك، ومولانا أيده الله ونصره محاصرة مدينة سجلماسة**»[596].

كما تضمنت الثريا نقوش كتابية تحتوي على آيات قرآنية، وعبارات دعائية نقشت على ستة أذرع من الأذرع الاثنى عشر الحاملة للقوارير، إذ نقش على كل ذراع بالخط الكوفي في عبارة «الغبطة المتصلة «ويلاحظ بعض التعديلات في حروف العبارة[597].

أما الأذرع الستة الباقية فقد نقش على كل منها بالخط الكوفي، عبارة أخرى تقرأ : «**اليمن والإقبال**»، كما يوجد على الإفريز الذي يحيط بالإطار الخارجي لفوهة الناقوس نقش كتابي آخر يقرأ : « **بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، اليمن والإقبال، والعزلله.**»، وعلى نفس الإفريز نقوش كتابية نقشت في اتجاه معاكس تحتوي على أربع وعشرين قطعة منها عليه نقش مكون من كلمة واحدة تقرأ : «الغبطة»، مكتوبة بالخط الكوفي، ومنفذة بالحفر، وتحتوي حروفها على عناصر زخرفية مورقة[598].

(595)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين، ج 2، ص 330.

(596)- ويؤكد لنا الجزنائي على أنه نقل تلك النصوص من على الثريا نفسها تم بمساعدة وقاد الجامع المكلف بها حيث قال : «هكذا أملاه من موضعه وقاد الجامع المذكور» راجع : علي الجزنائي، زهرة الآس، ص 75.

(597)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 95 ـ 96.

(598)- عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة، ص 69.

وهناك نص آخر على الإطار الذي ترتكز عليها الشرفات النحاسية الصغيرة المتوجة لحافة الناقوس من الخارج، يحمل آيات قرآنية[599]. ويؤكد التازي على أن التجديد الذي أدخل على هذا الناقوس طمس نقوشه الكتابية[600]. كما يحتوي ظهر الناقوس على أحرف باللغة الإسبانية ترجمتها: « **على الروح الطيبة أن تشكر الله على أن أنقذها من الضلال**»[601].

وفي الوقت الذي كان فيه العمال منهمكين في أن يجعلوا من الناقوس ثريا، كان آخرون يعدون له المحل، فبنوا له قبة كلفت الأوقاف سبعين ديناراً ذهبياً على ذلك العهد، وتم ذلك بواسطة الناظر الفقيه أحمد بن محمد الأشقر الصنهاجي، سبقت القبة العلوية الحالية، وكل ذلك من مال الأحباس، وتم تعليقه في المحل الذي أعد له في منتصف شوال من سنة 737هـ/ 15 مايو 1338م[602].

ويضم جامع الأندلسيين ثرتين يرجع أصولهما إلى العصر المريني، ويتكون الشكل العام للثرتين من ساق ملساء ذات زخارف نباتية غنية، وأسفل الحلقة الدائرية كرة تحمل زخرفة من الزهيرات والزخارف المروحية يجعل الثريا تحمل خصائص الثريات المرينية في القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، ويتوسط القاعدة قبة مفصصة زينت بزخارف دقيقة، قوامها الأوراق النخيلية، وقد وضع شريط من الشرفات المسننة حول قاعدة الصينية التي تحمل الثريا، وقسم وجه الصينية المواجه للأرض إلى مساحات زخرفية تضمنت مجموعات من الأسلوب الحديث، ويمكن ملاحظة التقارب بين العناصر النخيلية والوريقات الموجودة في هذه الثريا ومثيلتها بثريا جامع تازة، وجميع الخصائص الفنية تعود إلى أسلوب القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[603].

▫ الأمداء النبوية في عهد أبي الحسن المريني (734هـ/ 1333م)

استعمل المرينيون المُد والصاع وشاع استعمالهما في فاس[604]، كما استعملوا أيضا (المُدى)، وأطلقوا عليه اللوح، وفي هذا اللوح من المُد المستعمل عند أهل فاس مائة وعشرون مُدا، واستعمل المرينيون الصاع، ومن المكاييل المستعملة (الصفحة)، وكانت الصفحة في العصر المريني

(599)- سورة النور آية رقم 35، وسورة غافر آية رقم 64.

(600)- راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة، ص 68.

(601)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 97.

(602)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين، ص330.

(603)- راجع : Terrasse H., La mosquée des Andalous. ,p. 32

(604)- ويعادل المُد في فاس خلال العهد المريني ثمانين أوقية، كما حدد يعقوب بن عبد الحق المريني أوقية الرطل المريني بمقدار تسعة وستين درهما من الدراهم الصغيرة. راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 136.

تساوي خمسة عشر مُدا، واستعملوا أيضا نصف الصفحة، وكانت تسمى عند أهل نكور في إقليم الريف بالسدس، واستخدم الأهالي لكيل الدقيق ما يعرف بالربع، وأكبر المكاييل التي استخدمها المرينيون الوسق، والمعروف أن الوسق ستون صاعا بالصاع النبوي[605].

ومن مظاهر اهتمام المرينيين بتحقيق المكاييل المغربية، أن عدل عدد من ملوكهم أمدادا نبوية نموذجية، كما عمل يوسف بن يعقوب على تحقيق المكاييل المغربية، وأمر سنة 396 هجرية/1293م بتعديل الصيعان المغربية على المد النبوي، فصار الصاع المريني من أربعة أمداد بمد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يعادل كيلا سعته 429,6 لترا، وستون من هذا الصاع هي الوسق المسمى في المغرب بالصفحة، وهو يعادل كيلا سعته 445,563 لترا، وقد استمر الصاع المريني كيلا رسميا لمدينة فاس أيام الدولة المرينية، ثم بعدها إلى المائة العاشرة هجرية[606]. ثم قام أبو سعيد الأول بتعديل مُد آخر على مُد أخيه يوسف، واستمر الاهتمام بتحقيق المكيال المغربي حتى أواخر عهد هذه الدولة.

ومن أشهر الأمداء النبوية المرينية مجموعة من الأمداء المصنوعة من النحاس الأصفر، والتي يرجع تاريخ تعديلها إلى سنة 734هـ/1333م، وتعود هذه الأمداء النبوية إلى السلطان أبي الحسن المريني، وهذه الأمداء عبارة عن إناء مخروطي الشكل من معدن النحاس الأصفر المصنوع من ورقة معدنية واحدة، وقد قويت الفتحة بحافة أكثر سمكا[607]، (لوحة 85)

أما البدن فهو بدون زخرفة، وسعة الفتح تتراوح ما بين 7,95 سم و 8.2 سم، والقاعدة مسطحة تتراوح ما بين 11 سم و 11,3 سم، والارتفاع ما بين 10,5 سم و 10,9سم[608]. ويدور حول البدن نصوص من الكتابات بخط النسخ المغربي في شكل دائري يقرأ على المُد المحفوظ في متحف البطحاء[609] على النحو التالي :

(605)- استخدم المرينيون إلى جانب المكاييل الموازين، فاستخدموا القنطار، وكان مقداره الشرعي مائة رطل، كما استعملوا الرطل في أوزانهم، كما استعملوا الأوقية، وفي كل رطل ست عشرة أوقية، وفي الاوقية عندهم واحد وعشرون درهما. راجع : محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي.، ص 296 ـ 297.

(606)- راجع : محمد المنوني ورقات عن حضارة المرينيين.، ص 136ـ 137.

(607)- راجع : عبدالعزيز صلاح، الأمداء النبوية في الدولة العلوية بالمغرب الأقصى، دراسة أثرية – فنية، بحث مقبول للنشر، مج 16، مجلة كلية الآثار بجامعة القاهرة، (قيد الطبع).

(608)- راجع : Paul Pascon, Description des Mudd, pp.30 – 31

(609)- كان هذا المد محفوظ بمتحف البطحاء للفنون والتقاليد بفاس سنة 1944م برقم 41.1.317 ثم نقل إلى متحف الأودايا بالرباط بنفس الرقم سنة 1970م.

«بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما / أمر بتعديل هذا المد المبارك مولانا أمير المسلمين أبو الحسين ابن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف ابن عبد الحق، أيده الله ونصره/ على المد الذي أمر بتعديله مولانا أمير المسلمين أبو يعقوب رحمه الله تعالى/ على المد الذي عدل الحسين بن يحيى البسكري بمد إبراهيم بن عبد الرحمن الجايشي، الذي عدله / بمد الشيخ المرحوم أبي علي منصور بن يوسف القوامي[610]، وكان أبو علي عدل مده / بمد الفقيه أبي جعفر أحمد بن علي بن غزلون[611]، وعدل أبو جعفر مده / بمد الفقيه القاضي أبي جعفر أحمد بن الأخطل، وعدل أبو جعفر مده بمد خالد بن إسماعيل، وعدل خالد مده / بمد أبي بكر أحمد بن حمد[612]، وعدل أبو بكر مده/ بمد أبي إسحاق إبراهيم بن الشنظير[613]، وبمد أبي جعفر بن منمون[614]، وكانا عدلا مديهما / بمد زيد بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وذريته، وشوف[615] وكرم/ وكان تعديله في الخامس عشر من رجب الفرد الذي من سنة تسع وخمسمائة/ وكان تعديل المد الذي عدله الحسين بن يحيى البسكري في شهر رمضان المعظم عام سبعة وستمائة/ وكان تعديل المد الذي أمر بتعديله مولانا أبو يعقوب رحمه الله تعلى[616] في جمادى الأولى عام ثلاثة وتسعين وستمائة/ وعدل الآن هذا المد المبارك تبركا بالنبي صلى الله عليه وسلم، واخيا[617] لسنته في شهر رجب الفرد عام أربعة وثلاثين وسبع مائة بمدينة فاس حرسها الله تعلى[618] والحمد لله رب العالمين كثيرا»[619].

(610)- تقرأ على بعض الأمداء بنحو «القواس» أو «القواص».

(611)- توفي في حوالي 520هـ/ 1126م.

(612)- تقرأ أيضا بنحو « حنبل»، ويعرف باسم ابن العواد، وتعلم على يد أبي جعفر الميمون، وأبي اسحاق الشنظير، وتوفي في سنة 449هـ/1057ـ 1058م.

(613)- هو أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الشنظير، قام بالتدريس في قرطبة، وقام برحلتين إلى المشرق، وتوفي في سنة 402هـ/ 1011م.

(614)- الصحيح « ميمون» توفي في شعبان سنة 400 هـ/ مارس ـ أبريل سنة 1010م

(615)- الصحيح « شرف»

(616)- الصحيح « تعالى»

(617)- الصحيح « إحياء»

(618)- الصحيح « تعالى»

(619)- راجع: Marcel Vicaire, Note sur quatre mesures d'aumone inédites, Hespéris, Tome XXXI, Librairelarose ,Paris : 1944, PP. 5-8.

ويقرأ على مد آخر[620] من النحاس الأصفر يشبه المد السابق[621]، نقشت نصوصه في عشرة أسطر بخط النسخ المغربي حول البدن في شكل دائري[622]، على النحو التالي : **«بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما / أمر بتعديل هذا المد المبارك مولانا أمير المسلمين أبو الحسن بن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق، أيده الله ونصره على المد الذي أمر بتعديله مولانا أبو / يعقوب رحمه الله تعلى[623] على المد الذي عدل الحسين بن يحيى البسكري بمد إبراهيم بن عبد الرحمن الجايشي، الذي عدل بمد الشيخ أبي علي منصور بن يوسف /القوامي، وكان أبو علي عدل مده بمد الفقيه أبي / جعفر أحمد بن علي بن غزلون، وعدل أبو جعفر مده بمد الفقيه القاضي أبي جعفر أحمد بن الأخطل، وعدل أبو جعفر مده بمد خالد بن إسماعيل، وعدل خالد مده بمد أبي بكر أحمد بن حمد[624]، وعدل أبو / بكر مده بمد أبي إسحاق إبراهيم بن الشنظير، وبمد أبي جعفر بن ميمون، وكانا عدلا مديهما بمد زيد بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله / عليه وعلى آله وصحبه وذريته وشرف وكرم، وكان تعديله في الخامس عشر من رجب الفرد الذي من سنة تسع وخمسمائة، وكان تعديل المد الذي عدله / الحسين بن يحيى البسكري في شهر رمضان المعظم عام سبعة وستمائة، وكان تعديل المد الذي أمر بتعديله مولانا أبو يعقوب رحمه الله تعلى[625] / في جمادى الأولى عام ثلاثة وتسعين وستمائة، وعدل الآن هذا المد المبارك تبركا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وحيا[626] لسنته، وذلك في جمادى / الأخير عام أربعة وثلاثين وسبع مائة بمدينة فاس، حرسها الله تعلى[627] والحمد لله رب العالمين كثيرا»**[628].

كما يوجد مُدا ثالث يمكن تأريخه ما بين عامي 731 و749 هجرية، وهو مصنوع من النحاس الأصفر، ومخروط الشكل يحف بفتحته شريط سميك، وتصل وسعة الفتحة إلى 8,1 سم، واتساع

(620)- راجع : Marcel Vicaire, Note sur quatre mesures., PP. 7-8

(621)- محفوظ في مجموعة الشريف عبد الحي الكتاني في فاس . راجع : Paul Pascon, Description des Mudd, pp.30 – 31

(622)-يلاحظ وضع ثلاثة نقط بآخر السطر الناقص لموازنة الأسطر وترى تلك النقط الثلاث على هيئة مثلث، أما أسلوب الكتابة فخط نسخي مغربي مع تأثيرات مشرقية ببعض الحروف الهجائية، وملاحظة رسم حرف (الميم) مفتوحا.

(623)- الصحيح «تعالى»

(624)- الصحيح «حنبل»

(625)- الصحيح «تعالى»

(626)- الصحيح «أحياء»

(627)- الصحيح «تعالى»

(628)- راجع : Paul Pascon, Description des Mudd, pp.32 – 33

القاعدة إلى 11,5 سم، والارتفاع 10سم، وقد زود بنص كتابي، بينما يحيط بالقاعدة شريط سميك بزخارف محفورة على هيئة هندسية مجدولة[629].

ويشتمل هذا المُد على قاعدة واسعة، تزداد ضيقا في اتجاه الفوهة التي تضم وصلة جانبية ترتبط بها سلسلة من ثلاث حلقات، أما سطحه فيتكون من ثلاثة أجزاء ملتحمة ومزينة بزخارف منقوشة. وقد أحيط بالجزء العلوي شريط يضم كتابة بخط النسخ المغربي،نقرأ عليها وظيفة القطعة واسم الآمر بصنعها، أما فراغات الشريط فتملؤها سعيفات مشقوقة، تزين الجزء الأوسط أربعة عقود مكتملة الاستدارة، رسم عليها زخارف شائع استعمالها خلال الفترة المرينية، ويحتوي كل واحد من هذه العقود الصغيرة على نص كتابي.كما ترتكز العقود على دعامة مزينة بغصنيات متشابكة تعلوها سعيفات متقابلة. ويتوزع النص الكتابي على البدن داخل أربعة مناطق زخرفية أوجدتها أقواس مزدوجة الحدود، وعلى البدن زخارف نباتية من الورقة النخيلية المزدوجة المعروفة في الفن المريني[630].

وتتكون النصوص الكتابية من تسعة أسطر نقشت داخل أقواس، بخط النسخ المغربي، بحروف مزدوجة الحدود ومحفورة بالشريط العلوي حول الحافة، يقرأ كالتالي: «**الحمد لله أمر بتعديل هذا المد المبارك مولانا أمير المسلمين أبو الحسن**». أما نصوص البدن فتقرأ على النحو التالي : «**ابن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق على المد الذي أمر بتعديله مولانا أبو يعقوب رحمه الله على المد الذي عدل الحسين بن يحيى.البسكري بمد إبراهيم بن عبد الرحمن الحبشي الذي عدله بمد الشيخ أبي علي منصور ابن يوسف القواس وكان أبو علي عدل مده بمد الفقيه أبي جعفر أحمد ابن علي بن غزلون وعدل أبو جعفر مده بمد.الفقيه القاضي أبي جعفر أحمد بن الأخطل وعدل أبو جعفر مده بمد خالد ابن إسماعيل مده بمد الإمام أبي بكر أحمد بن حنبل وعدل أبو بكر مده بمد.أبي إسحاق بن إبراهيم بن السنطير وبمد أبي جعفر ابن ميمون وكان عدلا مدهما بمد زايد بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا .... تبركا بسنته علي يد سيد الحاج مسعود البجاوي كان الله لـ ....**»[631].

(629)-كان محفوظا بمتحف مصطفى بالجزائر سنة 1929م، ثم نقل إلى متحف الوطني الآثار القديمة بالجزائر سنة 1971م رقم سجل : II.MI.074

(630)- راجع : Marcel Vicaire, Note sur quatre mesures., P. 7

(631)- راجع : Paul Pascon, Description des Mudd, pp.32 – 33

□ النقش التسجيلي بمدخل شالة (739هـ/1338م)

يحيط بعقد مدخل شالة شريط زخرفي يحتوي على نص تأسيسي منقوش في الحجر بالخط الكوفي المضفور، يؤرخ للإضافات التي قام بها أبي الحسن المريني في شالة سنة 739هـ، ويقرأ النقش التسجيلي بنحو :

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم / أمر ببناء سور هذا الرباط المبارك مولانا السلطان أمير المسلمين أبو الحسن ابن مولانا السلطان أمير المسلمين المقدس المرحوم أبو سعيد ابن مولانا السلطان أمير المسلمين / المقدس المرحوم أبي يوسف ابن عبدالحق خلد الله ملكهم وكان الفراغ منه في آخر ذي الحجة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة»[632].

□ النقش التسجيلي بمدرسة سلا (742هـ/ 1341م)

يتضمن هذا النقش نص التحبيس[633] بمدرسة سلا، حيث يشتمل على اسم المؤسس المحبس عليها، واسم أمير المسلمين، وصاحب التحبيس ثم تفصيل الأعيان المحبسة[634]، وقد نقش بالخط النسخ المغربي بحروف بيضاء على أرضية خضراء، وتتضح فيه استدارة الحروف من أسفل مع الأناقة والرشاقة[635]. (لوحة 86)، ويقرأ نص تحبيس مدرسة سلا كالتالي :

1ـ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله علي سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما

2ـ هذا ما حبسه على مدرسة سلا المحروسة مولانا الامام الاعظم العالم

3ـ العابد أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن

4ـ ابن مولانا الامام الأعظم العابد أمير المسلمين المجاهد في

5ـ سبيل رب العالمين أبي سعيد قدس الله روحه ابن مولانا الامام الأعظم

(632)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، منشآت الرعاية الاجتماعية المرينية الباقية بالعدوتين الرباط وسلا، النشرة الأثرية المغربية، عدد 21، منشورات المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث الرباط، المملكة المغربية، 2009م، ص 31.

(633)- يوجد بالحائط الشمالي لصحن المدرسة المقابل لواجهة بيت الصلاة، وهي عبارة عن لوح من الرخام مساحته 119 في 61 سم، وتبلغ حاشيته اتساع 2,5سم، وأرضية اللوحة كلها خضراء فوقها حروف الكتابة بلون الرخام الأبيض. وهي تشتمل على 26 سطرا كتبت بالخط النسخي المغربي الجميل الذي تتضح فيه استدارة الحروف والتقعير للخط التقليدي للخط المغربي أسفل السطر في اتقان.

(634)- وهو عبارة عن لوح من الرخام 119 سم وعرضه 61 سم، راجع : Ratiba Rigalma, Les inscriptions Arabes de Salé inventaire et étude stylistique, Institut national des sciences de l'archéologie et du patrimoine, Juin 1998, pp. 32- 36

(635)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة.، ص 212

6ـ العابد الخاشع أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي

7ـ يوسف يعقوب بن عبدالحق أطلع الله سعودهم ونصر أعلامهم

8ـ وجنودهم وخلد ملكهم وجعل البسيطة ملكهم حبس ايده الله

9ـ على المدرسة المذكورة ما يقع ذكره ويأتي تفسيره فمن ذالك بداخل

10ـ سلا المحروسة ثلاثة فنادق وربع الفندق وذالك فندق السبطريين و

11ـ فندق بأبي العاصي وفندق المصدع وربع فندق ابن أحمد وطرتزان وهما

12ـ طراز القصيري وطراز الحاج يعقوب و... فندق السبطيريين وثمانية

13ـ وعشرون حانوتا ونصف الحانوت منها عشرة بسوق السبطيريين

14ـ ومنها أربعة بالرحبة وسايرها بالسوق الكبير ومخزن للملح ومن ذالك

15ـ بخارج سلا القصر والملاحتان القديمة والصغرى وثلث ملاحة الشريف

16ـ وثلث ملاحة الخياط وثلث ملاحة ....و.....وأربع فدادين

17ـ بولجة بن معدان ومربعة باسمير ومن ذالك بداخل رباط الفتح

18ـ اثنا عشر حانوتا وفندق وخزنة للملح ومن ذالك بخارج الرباط

19ـ وبولجة الناظور فدانان وأربع رفايع كل ما حبسه مولانا الامام

20ـ الأعظم أبو الحسن ابن الأئمة الراشدين المهديين على مدرسته المباركة

21ـ التي أقامها بسلا ...الله .....الصالح حبسا تاما مؤبداً

22ـ لا يغير عن حاله ولا يعدل به عن سبيله حتى يرتفع الله تعالى قائما على

23ـ صوله محفوظا بشروطه وأرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

24ـ وقيد هذا بأمر مولانا الامام الأعظم أبي الحسن المذكور قاصدا بذلك

25ـ .. الأوقاف وضبطها وملتمسا به تخليد ذالك وتحصيل جزيل الأجر وتاريخ

26ـ يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الثاني اثنين وأربعين وسبعمائة[636].

(636)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 4، ص 468 ـ 469.

وكانت مدرسة سلا متخصصة في دراسة الطب، وهي آية في فن البناء والعمارة، حيث اشتملت في عناصر بنائها على، المباني العجيبة، والصنائع الغريبة، والمصانع العديدة، والاحتفال في البناء، والنقش، والجص، والفرش على اختلاف أنواعها من الزليج البديع، والرخام المجزع، والخشب المحكم النقش[637].

وتتشابه طريقة تنفيذ النص السابق بنقش على شاهد قبر من الحجر الوردي، يرجع تاريخه إلى عام 750هـ/1349م[638]، نقشت بجوانبه عبارة ﴿الله﴾ وأسفلها عبارة ﴿غفور كريم﴾، ويبدأ النص بآيات من سورة آل عمران، ثم عبارات تشير إلى صاحب الشاهد، وهو الشيخ الصالح العارف لكتاب الله تعالى أبي العباس بن الشيخ المرحوم أبي زيد عبدالرحمن بن عبدالعزيز، المتوفى يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر صفر من عام خمسين وسبعمائة[639].

يلي النقش السابق، النص الكتابي المنقوش بضريح السلطان أبي الحسن المريني[640]، والمؤرخ في عام 752هـ/1351م، والذي يتكون من سطرين في كل وجه، عليه زخارف متنوعة تبدأ بأفريز مزخرف بعقود مفصصة بداخله زخرفة هندسية، يليه أفريز ضيق من زخارف هندسية، ثم شريط من الخط النسخي، يقرأ كالتالي:

« هذا قبر مولانا السلطان الخليفة الامام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا السلطان الخليفة الامام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في / سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا السلطان الخليفة الامام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق قدس الله روحه/ ونور ضريحه توفي رضى الله عنه وارضاه بحبك في ليلة الثلاثا للسابع والعشرين لشهر ربيع الاول المبارك في عام اثنين وخمسين وسبعمائه وقبر في قبلة /جامع المنصور من مراكش عمره الله بذكره ثم نقل من هنالك (إلى) هذا الضريح المبارك المقدس من شالة الحفه الله رضوانه وبواه جنانه وصلي الله على سيدنا محمد وعلى اله وسلم»[641]. (لوحة 87)

(637)-راجع : محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص 325.

(638)- محفوظ في متحف الأوداية بالرباط

(639)- راجع : محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي،، ص 325.

(640)- عبارة عن شاهد قبر رخامي بشكل هرمي حيث يبلغ طوله : 2,165م، وعرضه : 35سم وارتفاعه : 275 سم، راجع :
Henri Basset et E. lévi-Provençal, Chella, ,pp. 39

(641)- راجع: Henri Basset et E. lévi-Provençal, Chella, ,pp. 39

كما يتجلى نشاط صناعة التسفير في العصر المريني، فيما تبقى لنا من وصف تسفير مصحف يوسف المريني ثم مصحف أبي الحسن المريني[642].

ثالثا : التحف الفنية في عهد السلطان أبي عنان المريني (752 ـ 759هـ / 1351 ـ 1358م)

وصل الفن الإسلامي في عهد السلطان أبي عنان المريني[643] (752 ـ 759هـ / 1351 ـ 1358م) إلى قمة التطور والازدهار، تعكسه التحف الفنية الفريدة التي صنعت في عهده، كما كان السلطان أبي عنان المريني، خطاطا، ووصف المؤرخون خطه بالتأنق والحُسن، وساهم السلطان أبي عنان المريني في كتابة ربعة المقام الخليلي[644]، وخط بيده كتاب «الأحاديث الأربعون النبوية[645]»، وكان خطه يميل للأندلسي، جميل مجوهر واضح يغلب عليه التدوير، مكتوب بمحلول السواك، باستثناء عناوين الأحاديث، ورؤوس الفقرات الملونة بالأزرق، والأحمر على التبادل. وقد رسمت الفواصل، وقليل من الكلمات بالذهب المصور بحبر السواك، كما شهدت فترة حكمه إنتاج العديد من التحف الفنية منها ما يلي :

□ الخزانة البوعنانية (750هـ/ 1349م)

ازدهرت خزانات الكتب المغربية انطلاقا من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي مع تولي الدولة المرينية الحكم، ومن الواضح أن الذي ساعد على هذه النهضة هي حركة ثقافية نشيطة ظهر فيها ثُلة من نوابغ المغرب. وازدهرت الخزانات الملكية والأميرية في أنحاء المغرب. وتضاعفت الخزانات الخاصة إلى جانب الخزانات العامة التابعة للمساجد والمدارس والزوايا. فقد أسهمت هذه الأخيرة في حفظ جزء كبير من التراث الثقافي المغربي، وابتداء من هذه الفترة شرعت كبار جوامع المغرب، مثل : جامع القرويين بفاس، وجامع ابن يوسف في مراكش في وضع

(642)- راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية.، ص 50.

(643)- هو أمير المسلمين المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق، وكنيته أبي عنان، ولقبه المتوكل على الله، أمه أم ولد رومية أسمها شمس الضحى، عندما بلغه خبر غرق أبيه مع أسطوله أمام ساحل بجاية، بويع بتلمسان والمغربين الأقصى والأوسط، وكان الذي أنشأ عقد بيعته القاضي الشهير محمد المقري الذي صحبه إلى فاس، ثم ظهر بعد البيعة أن السلطان أبا الحسن نجا من الغرق، فنشبت بين الأب وابنه حروب طويلة تحاشي كثير من مؤرخي الدولة المرينية ذكر تفاصيلها، وانتهت بمقتل السلطان أبي الحسن. وبذلك يكون قد بويع في تلمسان في حياة أبيه يوم الثلاثاء منسلخ شهر ربيع الأول عام 749هـ. واستمر في الحكم حتى مات مقتولا حيث خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين لذي الحجة عام 759هـ، وله 30 سنة، ودفن بجامع المدينة البيضاء، بفاس، وكانت دولته 9 أعوام، و9 أشهر. راجع: إسماعيل الأحمر، روضة النسرين .، ص 35. وابن القاضي، جذوة الاقتباس.، ق 2، ص 508 ـ510.

(644)- راجع : ابن مرزوق، المسند.، ص 474 ـ 478.

(645)- محفوظة بالخزانة العامة بالرباط. راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية.، ص 61

مجموعاتها في بنايات خاصة أقيمت لحفظ الكتب[646]. وتركزت صناعة الوراقة في العصر المريني، في يد المغاربة أكثر، ونبغ وراقون مصحفيون، ووراقون للكتب العلمية بينهم، تخصص بعضهم في نسخ مادة بعينها. كما ظهر مصححون مغاربة مختصون، صححوا عددا من الكتب العلمية، وكانت الخزائن المرينية العمومية مراكز للاستنساخ والتصحيح[647].

وامتاز العصر المريني بالخزائن العلمية في فاس، وبالإضافة إلى خزانة أبي يوسف يعقوب بمدرسة الصفارين سنة 679هـ/1280م، وخزانة أبي سعيد وأبي الحسن[648]. وقد وصلت الخزانة الملكية في عهد الخليفة أبي عنان المريني أوجها، وكان أبو عنان، الرجل المتفاني في خدمة الأدب وجمع الكتب، يتوفر على مكتبتين كانت توجد أكبرهما في القصر الملكي في فاس، عاصمة المملكة، والأخرى هي مكتبته المتنقلة التي كان يحملها معه في رحلاته. وكانت أول بناية أنشئت لكي تكون مكتبة القرويين، كانت مؤسسة أبي عنان سنة 750هـ/1349م، ولقد زود أبو عنان هذه المكتبة الجديدة بالكتب المرتبطة بمختلف فروع المعرفة، والدين، والطب، والفكر، وعلوم أخرى بحسب فروعها المتنوعة، والأقسام والأصناف، وذلك هدفا لتيسير العمل على الطلبة والباحثين، وأعلن الملك أن هذه الكتب مؤسسة خيرية لفائدة الخزانة والطلبة، أملا في ثواب من الله العلي[649].

وأنشأ السلطان أبو عنان المريني في الركن الشمالي الشرقي لجامع القرويين خزانة للكتب العلمية، لكي يستفيد منها طلبة العلم الذين يتواردون على مدينة فاس، وهكذا أصدر أمره إلى العملة ببنائها[650]، وكانت عبارة عن قبة طولها 5,40م، وتشتمل على مدخل يمتاز بألواحه المنقوشة[651].

وتعتبر خزانة القرويين من أهم الخزانات العامة بالمغرب بل في العالم كله، وقد أسسها السلطان أبو عنان المريني بالناحية الشرقية من صحن جامع القرويين، ووقف عليها كتبا شتى في مختلف العلوم والفنون وظلت على حالها إلى أن نقلها أحمد المنصور السعدي في أواخر القرن

(646)- راجع : أحمد شوقي بنبين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب،، ص 73

(647)- جاء النص على هذا في وقفيتين الأولى: مكتوبة على نسخة البيان والتحصيل التي حبسها أبو الحسن المريني على مدرسة الأندلس بفاس، بتاريخ العشر الوسط من ربيع الأول عام 728هـ، وورد على الوقفية عبارات منها : « .. للمطالعة والمقابلة والدرس والنسخ من خير إخراجه منها». والثانية بالخزانة العنانية في جامع القرويين بتاريخ جمادى الأولى عام 750هـ، وجاء فيها : « .. لمن أراد القراءة والنسخ والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها من أعلا المستودع التي هي فيه». راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية،، ص 50.

(648)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين،، ج 2، ص 331.

(649)- راجع : أحمد شوقي بنبين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب،، ص 120.

(650)- راجع : Terrasse H., la mosquée al-Qaraouiyan.,P .65

(651)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين،، ج 2، ص 331.

العاشر الهجري إلى البناية التي توجد فيها الآن ببابها الرئيسية المتصلة بساحة الصفارين[652]. وقد اهتم أبي عنان بصنع هذه الخزانة وأخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من العلوم، كعلوم الأديان، والأبدان، والأذهان، واللسان، وغير ذلك من العلوم على اختلاف أنواعها، وعين لها قيما ليضبطها، وذلك في جمادى الأولى سنة خمسين وسبعمائة[653]. ويوجد أعلى باب هذه الخزانة نقش تسجيلي، يتكون من خمسة عشر سطراً من خط النسخ، يقرأ على النحو التالي :

«الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، ورضي الله عن الخلفاء القائمين بالحق من بعده، مما أمر به من أحيا الله بإيالته الأنام وتدارك بدولة الإسلام، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، قطب ملوك الزمان، المظفر المنصور المولى ابو عنان، أبي الخلفاء الراشدين المرضيين، أدام الله للمسلمين بأيامه، ونصر أعلامه، أنشأ هذه الخزانة السعيدة الجامعة للعلوم الحميدة، المشتملة على الكتب التي أنعم، بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع العلوم، الواجب بها، التعظيم والتكريم، جعل ذلك نصره الله وقفا مؤبدا لجميع المسلمين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، حرصا منه أيده، الله على طلبة العلم وإظهاره وإنفاذه واشتهاره، وتسهيلا لمن أراد، القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها من أعلى المودع التي هي فيه، ولا يغفل المحافظة عليها والتنويه، أراد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم ضاعف الله، بذلك حسناته، ورقى في الجنان درجاته، وأطال ملكه، ونظم بالصالحات، سلكه، وذلك في جمادى الأولى عام خمسين وسبع مئة، أوصله الله بالبركات الذكية»[654].

وكانت الخزانة تحتوي على عدد من النفائس والذخائر، كتب على بعضها ما يلي : ـ «بالخزانة السعيدة التي ابتدع أيده الله إنشائها، ورفع للطالبين لواءها»، وهي التي بالجانب الشرقي من صحن جامع القرويين الذي بفاس المحروسة، وعقب الوثيقة يكتب أبو عنان العبارة التالية بخط يده : «صحيح ذلك وكتب بخط يده عبدالله ووليه أبو عنان أمير المؤمنين بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق جار الله سبحانه له»[655].

(652)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، ج 2، ص 451

(653)- راجع : ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس.، ص 74.

(654)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، ج 2، ص 331.

(655)- راجع : عبدالهادي التازي، المرجع السابق، ص 332.

□ مكتبة المصاحف القرآنية بجامع القرويين بفاس (750هـ/ 1350م)

جعل السلطان أبو عنان مكتبة خاصة بالمصاحف القرآنية في قبلة جامع القرويين بين باب حجرة الخطيب، وبين الخوخة التي كانت مدخلا فيما بعد للخزانة الأحمدية تنعتها الحوالات الوقفية بالخزانة الصغرى. وقد تم بناؤها تقريبا في نفس التاريخ الذي بنيت فيه الخزانة العلمية، عرض بابها : 1,24م × 2,15م، ونقش في أعلى هذه الخزانة النص التالي :

«الحمد لله أمر بعمل[656] هذه الخزانة السعيدة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين عبدالله فارس، أيد الله أمره ونصره بتاريخ شوال سنة خمسين وسبع مئة»[657] (لوحة 88)

ويبرهن بناء خزانة «المصاحف» بشكل جيد على المظهر الجامعي الذي أكتسبه جامع القرويين بعد أن أحدث أبو عنان الخزانة الكبيرة المزودة أساسا بما يحتاجه الطلبة، والباحثون من كتب. ومما لاشك فيه، أن أبي عنان المريني استوحى في تأسيسه لخزانتين في جامع القرويين أمثلة موجودة سواء في الشرق الإسلامي أو في أوربا[658].

□ قالة السلطان أبي عنان المريني بفاس (755هـ/1354م)

تُعدُّ القالة من أهم أدوات القياس، وهي الأداة المتعلقة بوحدة قياس الذراع المستعمل في قياس مختلف الأثواب[659]، بكافة أنواعها، وكانت مدينة فاس تحتفظ حتى وقت قريب بقالتين رائعتين للسلطان أبي عنان المريني، وكانت القالتان مثبتتين على بعض جدران مدينة فاس القديمة، حتى يسهل الرجوع لهما عند الحاجة، ويرجع تاريخهما إلى عام 557هـ/1354م، ويمكن عرضهما على النحو التالي :

الأولي : كانت هذه القالة توجد داخل المكتب القديم للمحتسب، في حائط بارتفاع 5سم فوق الأرض، ورسم هذا الذراع على رخامة بيضاء نقش عليها العبارة التالية :

(656)- قراها التازي بنحو : «أمر بإنشاء»، ومن الدراسة الميدانية تقرأ بنحو : «أمر بعمل». راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين، ج 2، ص 332.

(657)- راجع : ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس.، ص 74.

(658)- راجع : أحمد شوقي بنبين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب.، ص 121.

(659)-راجع : Bel A., Trois anciennes coudées royales de Fès, Inscription Arabes de fès, J.A, Tome IX, paris,1917,PP.303-311

«الحمد لله امر بعمل هاذه القالة[660] مولانا امير المؤمنين أبو عنان أيده الله ونصره وذلك عام خمسة وخمسين وسبعمائة»[661].

الثانية : كانت هذه القالة مثبتة في شارع سوق العطارين قرب الأولى، يفصل بينهما باب سيدي فرج، حيث ألصق على الحائط، نقش على رخامة بيضاء النص التالي :

«الحمد لله هاذا قياس ذراع قالة القيسارية (بالحضرة الفاسية) وذلك عن أمر مولانا أمير المومنين المتوكل (على رب العالمين) أبو ... عنان، أيده الله ونصره وذلك عام خمسة و (خمسين وسبعمائة)[662].

◻ منبر مدرسة أبي عنان بفاس (750هـ/1349م)

تُعدُّ المدرسة البوعنانية (750هـ/1349م)، قمة الفن المعماري المريني، إذ أن الآثار المعمارية السابقة، كانت لا تزال تحت تأثير الفن الموحدي، الذي يمتاز بالبساطة والبعد عن كثرة الزخارف، مسايرة لمبادئهم الدينية، فبناء هذه المدرسة يؤكد أن المرينين أدخلوا على الفن الموحدي التنسيق والتزويق، وصاروا يهتمون بالنقش على الجص، والخشب، ولا يتركون موضعا من الحوائط أو السقوف أو الأبواب، دون أن ينقشوه، وبالغوا في ترصيع الأرضيات، وأسفل الجدران بالزليج الرقيق المختلف الألوان، واستخدموا الرخام بجميع ألوانه، وأضفت هذه المميزات على منشآتهم البهاء الممزوج بالرقة والعذوبة[663].

كما تعتبر المدرسة البوعنانية آية من آيات الفن الإسلامي في المغرب الأقصى، حيث تشتمل على العديد من ألوان الفنون الزخرفية المنفذة على مواد مختلفة من الجص، والخشب، والبرونز، وغيرها، مما جعل «الحسن الوزان» يصفها بالقول : «بأنها تمتاز بروعة فائقة سعة وجمالا، وأن أبوابها من البرونز المصنوع بدقة وتزويق كبير، وأبواب حجراتها كلها من الخشب المنقوش[664].

(660)- القالة في المصطلح المغربي تعني الذراع وهو قياس الطول الإسلامي. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، ص 356.

(661)- طول هذه القالة 46 سم، وهي خاصة بباعة الثياب الصوفية، ولهذا تسمى بالقالة الدرازية. وكانت تقع في الساحة الصغيرة لباعة الحناء يمين مدخل مارستان سيدي فرج الواقع بسوق العطارين من فاس القديمة. راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين.، ص 141.

(662)- الطول 55 سم، وتسمى القالة الكتانية أو مقياس القطنيات، كما تسمى القالة السوسية. راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين.، ص 141.

(663)- راجع : محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي.، ص 325.

(664)- راجع : الوزان، وصف إفريقيا.، ص 225.

ويعتبر منبر مدرسة أبي عنان بفاس من المنابر المرينية الرائعة، التي يعود تاريخه إلى 750 ـ 755هـ (1349 ـ 1354م) ولا يزال هذا المنبر بحالة جيدة، حيث يظهر عليه نفس العناصر الزخرفية الخشبية المنحوتة التي تشبه الزخارف المنفذة في العمائر الإسلامية[665]. حيث يُعدُّ تحفة عجيبة وفقا لوصف الرحالة المغربي «الحسن الوزان» حيث قال: «وفي القاعة الكبرى المخصصة للصلاة منبر ذو تسع درجات، مصنوع كله من خشب الأبنوس، والعاج، وهو في الواقع تحف عجيبة»[666]. (لوحة 89)

ويبلغ طول منبر مدرسة أبي عنان المريني[667] من الظهر إلى المقدمة 2,53 م، وأقصى ارتفاعه: 2,50م، من ناحية المدخل، وأقصى ارتفاعه من ناحية الظهر 3,95 م، وأما اتساعه فهو: 82,5 سم، من الخارج، ومن الداخل 66 سم، وعمق جلسة الخطيب 111,5 سم[668].

ويتميز مدخل المنبر بوجود عقد كامل الاستدارة يتكأ على عمودين رقيقي الصنع مطعمين بقطع من العاج، والصدف، كما يحيط بالواجهة الأمامية من العقد إطار مكون من شريطين متقابلين قوامهما عناصر متكررة على شكل شرافات، ويتوسط الشريط العلوي كتابة تذكارية بخط النسخ المغربي، ولم يبق منها إلا عبارة تقرأ بنحو: «**أمير المسلمين أبي سعيد**» منقوشة بالعاج الأسود فوق أرضية بيضاء، ويؤرخ بقايا هذا النقش التسجيلي المنبر إلى السلطان المريني أبي عنان فارس بن أبي الحسن وتاريخه سنة 750هـ/ 1349م[669]. (لوحة 90 و91)

ويعلو المدخل إفريز مشكل من خطوط متقاطعة نتج عن شكلين هندسيين بالتناوب، ونفس شكل العقد نلاحظه على جانبي مدخل المنبر لكن بمقاسات صغيرة، كما نتج عن تقاطع ركائز مدخل المنبر مع العوارض الواقعة على مستوى الثلاث درجات السفلية ثلاثة مربعات مفرغة في كل جهة،

(665)- راجع: Terrasse H., Minbers anciens.,P.165

(666)- راجع: الوزان، وصف إفريقيا، ص 225.

(667)- شرع السلطان المريني أبو عنان فارس بن أبي الحسن، في بناء هذه المدرسة، يوم 28 رمضان 751هـ/30 نوفمبر 1350م، وتم الفراغ من ذلك في شهر شعبان 756هـ/ سبتمبر 1350م، وتتربع على مساحة 1680م، ومقاساتها 40×40م، وشيدت لأجل تدريس المعارف العلمية، والعلوم الدينية، وتضم فناء مكشوفا وأروقة وقاعة صلاة ومئذنة فريدة الشكل، ومنبرا رائعا يعود تاريخه لسنة 1350م.. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، ص 227، Golvin L., La madrasa médivéale.,P.237

(668)- يوجد تشابه في الزخارف المنفذة على المنبر المرابطي بجامع الكتبية بمراكش، ومنبر القرويين بفاس، مع منبر جامع القصبة في مراكش، وبخاصة في التكوينات الرائعة التي تظهر على منبر المدرسة البوعنانية بفاس. ومنبر جامع المواسين بمراكش.راجع: M. Terrasse, Le mobilier mérinide, in B.A.M., T. X, 1976, P. 190

(669)- المقصود في هذه الكتابة أبو سعيد عثمان الثالث الذي حكم في الفترة من 1398 ـ 1420م. راجع: إسماعيل الأحمر، روضة النسرين، ص 34.

كما يتوسط جانبي جلسة الخطيب فراغين بعقدين حدويين، يعلو الجانب الأيمن منهما مجسم، في حين لم يبق له أثر في الجهة اليسرى[670].

وتتميز وجنتي المنبر باحتوائهما على التلبيس أو التطعيم، وهي تقنية تقوم على تثبيت قطع بأشكال مختلفة وفق رسم مسبق يتم تنفيذه على المساحة المراد تلبيسها أو تطعيمها، وعادة ما يكون معه تشكيلة من المواد الأخرى كالأبنوس، والصدف، والعاج وغيرها. ويلاحظ على المنبر زخارف الأطباق النجمية المكونة من الحشوات الهندسية المتنوعة، يتخللها خطوط متقاطعة من القطع العاجية الصغيرة التي نفذت بطريقة التطعيم[671]. ويضم هذا المنبر الزخرفة الهندسية الإسلامية المغربية[672].

ويحتفظ المتحف الوطني بالجزائر على حشوتين من حشوات منبر المدرسة البوعنانية[673]، تأخذ الحشوة الأولى شكل مضلع بثمانية رؤوس، زخرفت أضلاعها بحزوز متكررة، وشغلت المساحة بتشبيكة نباتية، قوامها فروع نباتية متشابكة تنتهي بعناصر نباتية عبارة عن مراوح نخيلية، أما الثانية فتأخذ شكل النجمة سداسية الرؤوس، التي شغلت أضلاعها بحزوز متكررة، من فن الأرابيسك، أو الرقش العربي، عبارة عن مراوح نخيلية تتخللها فروع نباتية متقاطعة، وتنتهي بدورها بكيزان الصنوبر في الأركان[674].

▫ الساعة البوعنانية بفاس (758هـ/1356م)

تعتبر الساعات المائية من الآلات النموذجية المهمة، التي توضح تاريخ التقنية الآلية الدقيقة في المغرب الأقصى، والتي تعتبر صورة لمثيلتها في المشرق الإسلامي. وتحتفظ مدينة فاس ببقايا بعض الساعات المائية التي اشتهرت بها، فقد عرفت الحجرة العليا بمنارة جامع القرويين سلسلة من الساعات المائية الأولى التي عرفتها مدينة فاس مثل ساعة ابن الحباك 685هـ/1286م،

(670)- راجع : ابن بلة علي، حول حشوتين خشبيتين لمنبر المدرسة البوعنانية، محفوظة بالمتحف الوطني للآثار، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد التاسع، لسنة 2000م، مطبعة سومر، بئر خادم، الجزائر، 2000م، ص 72 ـ 78.

(671)- راجع : بن بلة علي، حول حشوتين خشبيتين لمنبر المدرسة البوعنانية.، ص 72 ـ 78.

(672)- شهد هذا المنبر محاولة لترميمه باستخدام التلبيس والتطعيم» في إصلاحات الجانب الذي يقع يمين الخطيب المرتقي للمنبر باستخدام خشب الأرز أو البرداع والترصيع بالعاج وعود المشمش والبلوز. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية .، ج 4، ص 440.

(673)- أهدى السيد «هنري باصي «القطعتين للمتحف الوطني للآثار بالجزائر في عام 1950. راجع : بن بلة علي، حول حشوتين خشبيتين لمنبر المدرسة البوعنانية.، ص 72 ـ 78.

(674)- راجع : بن بلة علي، حول حشوتين خشبيتين لمنبر المدرسة البوعنانية.، ص 80 ـ 84.

وساعة الصنهاجي ـ القرسطوني 717هـ/ 1317م، وساعة ابن العربي 747هـ/ 1346م، وساعة ابن الفحام 758هـ/1357م[675].

ويذكر «الجزنائي» أن أمير المؤمنين أبي عنان المريني نقل فكرة إنشاء الساعات وآلات التوقيت خارج المساجد والمدارس، فيقول: «وقد صنع مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله منجانة بطيقان، وطسوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته الجديدة التي أحدثها بسوق القصر من فاس وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجة في طاس وتنفتح طاق، وذلك في أيام آخرها الرابع عشر لجمادى الأولى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة على يد مؤقته علي بن أحمد التلمساني المعدل»[676].

ويؤكد ذلك «ابن القاضي» فيذكرأن الآمر بعمل المنجانة المقابلة للمدرسة البوعنانية، هو أبو عنان المريني في عام 758هـ/1356م، على يد موقته علي بن أحمد التلمساني المعدل[677].

وتحتوي الساعة البوعنانية التي لا يزال أجزاء كبيرة منها باقية في الشارع المتصل بمدرسة أبي عنان، حيث تضم هذه الواجهة الدعامات المزخرفة التي تحمل النواقيس، والنوافذ التي كانت تعتبر بمثابة ميناء الساعة. وتحتوي هذه الدعامات المزخرفة على صف من ثلاث عشر طاسة (ناقوساً) موضوعة على سنادات من خشب الأرز، وثمة اثنتا عشرة نافذة صغيرة مرتبة مباشرة فوق هذه الطاسات، وهناك 31 من السنادات الفوقية تعلو هذه النوافذ. وتوجد ثلاث عشر منها فوق الطاسات مباشرة، وأنها مجوفة، ولذلك كانت تصلح كأنبوب تمر عبره كرات صغيرة، ويكون من نتيجة ذلك أن تسقط الكرة على الطاسة فتحدث رنة، وتكون إشارة لبداية كل ساعة من ساعات النهار. أما النوافذ فقد كانت تفتح بصفة آلية واحدة تلو الأخرى، وتبقى مفتوحة لمدة ساعة من الزمن حتى تتمكن المارة من معرفة الوقت، أما الكرة أو البندقة التي تنزل من خلال الثقب الكائن في أسفل كل طاسة، وعبر التجويف في السنادات التحتية فإنها تعود من داخل الرواق الذي يعتبر حجرة الساعة، وذلك لتقوم بنفس الدور الذي قامت به من قبل[678]. (لوحة 92)

(675)- راجع : عبدالهادي التازي، ساعة مائية ترجع للقرن الثامن الهجري في منار جامعة القرويين بفاس، مجلة البحث العلمي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، العدد 34 لسنة 1984م، ص 19 ـ 31.

(676)- راجع : الجزنائي، زهرة الآس.، ص 53.

(677)- راجع : ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس.، ص 55.

(678)- أغلب الظن أن هذا التحول كان يتم بصفة آلية على التصعيد والتنزيل، ومن المؤكد أنه كان مختصون لمراقبة الأبواب والبنادق، مضمون لهم قوتهم ومسكنهم، حيث أشارت بعض الحوالات الوقفية القديمة على وجود منازل محبسة على الذين يتعهدون هذه الساعات على قرب منها، عرفت بدار المجانة. راجع : ديريك ج.دي صولا برايس، ساعات من القرن الرابع عشر في فاس، ترجمة عبدالهادي التازي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مج 13، 1966م، ص 9 ـ 12.

وكذلك فمن التحف النادرة المفقودة للسلطان أبي عنان المريني، دواة كانت غاية في الإتقان والصنعة والتذهيب، كتب عليها الأبيات الشعرية التالية :

أنا دواة فارس   أبي عنان المعتمد

حلفت من يكتب بي   بالواحد الفرد الصمد

أن لا يمد مُده   في قطع رزق لأحد[679]

□ لوحة تحبيس الحمام الجديد المحفوظة في صحن الجامع الأعظم بالرباط (755هـ/1354م)

تعتبر لوحة تحبيس[680] الحمام الجديد من أجمل النماذج التي وصلت إلينا[681]، ويمكن قراءة النص على النحو التالي :

السطر رقم 1 : الحمد لله وحده[682] مما حبسه مولانا الخليفة الامام المتوكل

السطر رقم 2: على الله امير المؤمنين المجاهد في سبيل رب

السطر رقم 3 : العالمين ابو عنان ابن مولانا امير المسلمين

السطر رقم 4 : المجاهد في سبيل رب العالمين ابي الحسن[683]

السطر رقم 5 : ابن مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل

السطر رقم 6 : رب العالمين ابي سعيد[684] بن مولانا امير

السطر رقم 7 : المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين

(679)- قال أبو العباس المفري، عقب ذكر هذه الأبيات : « وقد رأيت في هذه الأيام دواة في غاية ما يكون من الإتقان والصنعة والتذهيب، وفيها مكتوب البيتان الأخيران، وهي عند أصحابنا الكتاب بالحضرة الفاسية، وأظنها هي الدواة التي كانت لأبي عنان». راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية.، ص 54.

(680)- وهي عبارة عن لوح رخامي أبيض مساحته 63x47 سم، وسعة الحاشية 2,5 سم، وطول النص 13 سطراً، يتسع السطر الأول لتسع كلمات، وبقية السطور تتسع لثمان أو سبع أو ستة سطور، ويرجع عدم طول النص إلي كونه يحبس عينا واحدة على شيئا واحد.

(681)- تنوعت أساليب الخطوط نفسها، فالكوفي المضفر الذي يتألف من حروف كبيرة الحجم على أرضية عاطلة من الزخرفة التي توجد بمدخل شالة تختلف عن أسلوب الكتابة الكوفية المضفورة على أرضية من الزخارف النباتية بالواجهة الخاصة بضريح أبي الحسن، وكذلك عن الكتابة الكوفية المضفرة التي تمتاز بالتقابل كما في الأشرطة الموجودة بالمدخل البارز ومثل عبارة (الملك لله) بالواجهة الخارجية لضريح أبي الحسن . راجع : عثمان عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية .، ص227.

(682)- قرأت هذه العبارة على النحو التالي : (الحمد لله حق حمده) ومن خلال الدراسة التطبيقية للوحة يمكن القول بأن القراءة المذكورة أعلاه صحيحة : Henri Basset et E. lévi-Provençal, Chella,pp. 23

(683)- راجع : الناصري، كتاب الإستقصا.، ج 4، ص 119.

(684)- أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (710 ـ 731هـ / 1310 - 1331م).

السطر رقم 8 : ابي يوسف يعقوب[685] ابن عبدالحق تقبل الله منه

السطر رقم 9 : وبلغه في نصر الاسلام امله الحمام الجديد برباط

السطر رقم 10 : الفتح حرسه الله على ضريح مولانا المرحوم

السطر رقم 11: والدهم رضوان الله عليه واطعام المسا

السطر رقم 12 : كين بشالة[686] عمرها الله تعالى وذلك في عام

السطر رقم 13 : خمس وخمسين وسبعمائة عرف الله خيره هـ. (لوحة 93)

وبدراسة هذا النص يلاحظ أن الكتابة على لوحة الحبوس قد نفذت بأسلوب الخط النسخ المغربي، الذي يتميز بأنه قليل الاستدارة من أسفل، وتتساوى فيه حدود الحروف العليا والسفلى بحيث تبدو السطور، وكأنها رصت بنظام تحت بعضها دون تداخل من كلمات سطر مع السطر الآخر، وقد نقشت الحروف غليظة بالنسبة لحجمها. كما يلاحظ أن الزخرفة النباتية مستمدة من الورقة النخيلية المتعددة الأشكال، ويحمل النص في صراحة اسم السلطان أبي عنان وتاريخ 755هـ، وهو بذلك وثيقة أثرية وتاريخية ثابتة، وكانت هذه اللوحة موجودة في الحمام المحبس ثم نقلت منه إلى صحن الجامع الكبير بالرباط[687].

وتعتبر زاوية النساك (757هـ/1356م) التي بناها أبو عنان المريني من أقدم الزوايا بسلا، التي أعدها للغرباء، ولمن اضطر إلى المبيت بها من التجار وغيرهم، وجعل التصدق على المساكين بالطعام يوميا[688]. ويحتفظ مدخل الباب الرئيسي الباقي من زاوية النساك[689] على شريطين كتابيين بالخط الكوفي المغربي، يقرأ الأول على النحو التالي :

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

(685)- أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، بويع سنة 667 هـ وتوفي سنة 685هـ

(686)- راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط .، ص 6.

(687)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية .، ص 211ـ 212.

(688)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، سلا أولى حاضرتي أبي رقراق، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، المغرب، 1989، ص 97.

(689)- راجع : Ahmed S. ETTAHIRI, Nouvelles remarques sur la zawiya mérinide d'al-Nussak à Salé, (En cours d'impression dans Bulletin d'archéologie marocaine, n° 21, 2007) ; Ibn Al-Hag Al-Numayri, Fayd al-'Ubab (Relation de voyage à travers les pays du Maghrib), Rabat, 1990, p. 202

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. سورة آل عمران، آية 133-134.

أما النص الثاني فيقرأ : (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ﴿ وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب ﴾**[690]. سورة هود، آية 88.

ويذكر الدوكالي أن بابها الغربي كان يشتمل على نص تسجيلي، يقرأ على النحو التالي: «**الحمد لله، أمر بهذه الزاوية المباركة أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، أبو عنان، بن موالينا، الخلفاء الراشدين، الملوك الطاهرين، بني عبد الحق، أعلى الله آثارهم وشيد منارهم**». فرغ من بنائها في 27 شعبان عام سبعة وخمسين وسبع مائة[691].

(690)- راجع : Meunie Jacques, La Zaouiat en Noussak une fondation Merinite aux Abords de Sale, Mélanges d'histoire et d'archéologie, Tom II, 1948, pp.121- 145

(691)- راجع : الدكالي، الاتحاف الوجيز.، ص 58.

تدهور الفنون والصناعات

من أواخر العصر المريني إلى نهاية العصر الوطاسي

شهد التراث الفني في أواخر الدولة المرينية تراجعا واضحا نتيجة الوضع السياسي المتدهور الذي عاشته دولة بني مرين في فتراتها الأخيرة، وقد امتد التدهور إلى حياة الفنون الإسلامية، واستمر إلى نهاية عهد بني وطاس، والجدير بالذكر، أنه لم يصل إلينا عن التراث الفني في المغرب في تلك الفترة سوى بقايا عدد من المنشآت العمرانية، وبعض الإشارات التاريخية والأدبية، التي تصف بعض الأعمال المعمارية والفنية، ونذكر من التحف الفنية التي تعكس أواخر الدولة المرينية التي بدأت بعهد السلطان أبي زيان محمد بن أبي عنان سنة 759/ 1358م، وامتدت إلى نهاية دولة بني مرين سنة 869هـ/1465م[(692)]، على سبيل المثال، وليس الحصر ما يلي :

□ ساعة مائية منسوبة إلى السلطان أبي سالم بن أبي الحسن 762هـ/1361م

تحتفظ الحجرة العليا في منار جامع القرويين ببقايا الساعة المائية المنسوبة إلى السلطان أبي سالم بن أبي الحسن 762هـ/1361م، وكان المؤقت الذي عهد إليه السلطان أبو سالم بالمهمة، هو أبو زيد عبدالرحمن بن سليمان اللجائي المتوفى عام 771هـ/ 1370م[(693)].

وقد عثر على نص بجانبها يقرأ بنحو : «صنع هذه المجانة السعيدة العبد الفقير إلى مولاه راجيا ثوابه عبدالرحمن بن سليمان اللجائي عن أمر مولانا أبي سالم بن مولانا أبي الحسن بن مولانا أبي سعيد بن مولانا أبي يوسف بن عبدالحق أيده الله. كملت يوم 12 محرم سنة 763هـ/1362م»[(694)].

والساعة عبارة عن خزانة مستطيلة مرتفعة عن الأرض بحوالي 242سم، وطول 120سم، وتقع في الزاوية الغربية من الغرفة، وعلى وجهها الغربي ميناء أنيق تربيعه 71 سم عليه اسطرلاب دائري

(692)- راجع : إسماعيل الأحمر، روضة النسرين .، ص 37 ـ 72.

(693)- راجع : عبدالهادي التازي، ساعة مائية ترجع للقرن الثامن الهجري في منار جامعة القرويين بفاس، مجلة البحث العلمي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، العدد 34 لسنة 1984م، ص 19 ـ 31.

(694)- صانع هذه الساعة تلميذ ابن البناء وأستاذ ابن القنفذ. راجع : ديريك ج.دي صولا برايس، ساعات من القرن الرابع عشر في فاس.، ص 16 ـ 17.

قطره 42 سم، يتصل بالساعة بواسطة نبلة مركزية، طرفها الآخر يمتد إلى داخل المجانة، وكانت متصلة بعجلة يمر عليها حبل يصل غمازة الساعة برمانة الميزان[695].

وكان للسلطان أبي سالم مجموعة من التحف النادرة المفقودة منها، دواة موشاة بالذهب، وقلم من الفضة، وسكين، وحامل للكتب، يمكن الوقوف على بعض أوصاف هذه التحف الفنية المفقودة مما ورد في بعض الأبيات الشعرية لأبي القاسم بن رضوان، الذي يصف هذه الدواة بقوله :

لبست محاسن الوشي البديع وفقت بمنظري زهر الربيع

وساعدت السعود صنيع شكلي فتم لها به حسن الصنيع

وعز مكان تشريفي بملك يقربني لمجلسه الرفيع

عماد الملك إبراهيم مولى ملوك الأرض ملتجأ المروع

تجمع فيه أشتات المعالي فأضحى المجد في شمل جميع

أدام له الإلاه عزيز نصر واسكنه حمى الفظ المنيع

كما ورد في وصف القلم المصنوع من الفضة، بيتان من الشعر لنفس الشاعر، قال فيهما ما يلي :

إذا شهدت بالنصر خطية القنا فعلمك أمر الفتح من غير شرط

كفى شاهدا أني بفضلك ناطق لساني مهما أفصحت ألسن الخط

ووصف السكين بقوله :

أروح بأمر المستعين واغتدي لاذهاب طغيان البراع الرواقم

ويفعل في الأقلام حدى مصلحا كفعل طبا أسيافه في الأقالم

كما وصف «لسان الدين بن الخطيب» السكين بقوله :

أرى سيف إبراهيم بيني وبينه مناسبة عند اعتبار المناسب

بشرت حروف الكتب عند التباسها ويبشر حداه حروف الكتائب

(695)- راجع : عبدالهادي التازي، ساعة مائية ترجع للقرن الثامن الهجري في منار جامعة القرويين بفاس.، ص 19 ـ 31.

ووصف «ابن رضوان» حامل الكتب بقوله :

أنا الحبر في حمل العلوم وان تقل بأني حلا عن حلاهن تعدل
أفيد ضروب العلم مادمت قائما وإن لم أقم فالعلم عني بمعزل
خدمت لتقوى الله خير خليفة فبوأني من قربه خير منزل
أبا سالم لازال في الدهر سالما يسوغ من شرب المُنا كل منهل[696]

▫ السقاية العزيزية

تقع السقاية العزيزية في الطرف الشمالي من الجانب الغربي بشارع باب شالة، وتأخذ شكل المثلث في نهاية الدرب، وشارع السويقة في مواجهة الجامع الكبير[697]، ويذكر «بوجندار» أن تاريخها يعود إلى السلطان عبد الحق المريني في أواخر القرن السابع الهجري[698]، ودلل على ذلك بوجود المارستان العزيزي المريني به[699]، بالإضافة إلى ترميم أحد الأبواب في عهد السلطان أبي الربيع[700].

ويبلغ طول الواجهة 10,26م، والارتفاع 4,62م، والعمق 2,75م، وقد بنيت من الملاط المقوى المغطى بطلاء مع واجهة من الحجر المنحوت المتناسق الترتيب، وثلاث حنايا مكسورة وأربع أسطوانات تحمل اثنتان منهما هذه الأقواس الرائعة بواسطة تيجان مقرنصة، وتتراكب فقراتها الحجرية المستديرة في سبع أو ثماني طبقات، ويزدان وسطها بثلاث حنايا جدارية، كما تتجلى جبهة البناية بزخارف حول إفريز منحوت طوله 9,34م، وارتفاعه 1,10م، وتتسلسل في شريطه سبع عشرة طاقة، ورسوم، ومشبكات، وتعرجات ذات الطابع الكورنثي، بالإضافة إلى خطوط دائرية نقشت فيها رسوم نباتية تتفرع عنها أربع تتوجات تتسم بالبساطة والاتساق بين أجزائه.[701]

وتحمل هذه الواجهة كتابات تسجيلية على درجة كبيرة من الأهمية لأنها تفصح عن اسم مؤسسها، وهو السلطان أبي فارس عبدالعزيز بن علي بن عثمان المريني، وبذلك يرجع تاريخ بنائها

(696)- راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 54 ـ 56.

(697)- راجع : عبدالله الجراري، ورقات في أولياء الرباط ومساجده وزوياه، الرباط، ط 1، سبتمبر 1978، ص 54.

(698)- راجع : بوجندار، مقدمة الفتح.، ص 115.

(699)- راجع : سحر عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط .، ص 145.

(700)- راجع : عبدالله السويسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1979، ص 134.

(701)- نفسه.

إلى القرن الثامن الهجري[702]، ورغم أن معظم الكتابات على الواجهة الرئيسية الباقية بالسقاية العزيزية اختفت في السنوات الأخيرة، إلا أنه تم الكشف عن اسم السلطان أبي فارس عبدالعزيز بن علي بن عثمان المريني، في أبيات شعرية منقوشة بأعلى واجهة السقاية، (لوحة 94) ويمكن قراءته على النحو التالي :

عبدالعزيز ابن مولانا الملك   أفخر الملوك على ابن عثمان[703]

وتعتبر الخزانة الخشبية بجامع الأندلسيين بفاس، من التحف الخشبية التي تعود إلى أواخر الدولة المرينية، حيث تحمل النص التسجيلي الذي يقرأ بنحو :

«الحمد لله وحده أمر بعمل هذه الخزانة السعيدة المباركة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين عبدالله أبو سعيد عثمان أيد الله أمره وأعز نصره بتاريخ شهر ربيع الثاني من عام ستة عشر وثمان مائة»[704].

تعتبر الدولة الوطاسية أسوأ دول المغرب حظاً من حيث قلة المصادر التاريخية التي تعالج فتراتها السياسية، إذ أن جل المصادر التاريخية التي يعتمد عليها في الحديث عن هذه الفترة، يرجع إلى مؤرخين لم يشهدوا العصر الوطاسي نفسه، كما لم يشهد العصر الوطاسي رحالة مثل العصر المريني سواء في طول الرحلات التي قاموا بها أو في دقة الوصف الذي سجلوه عن أسفارهم[705].

وقد جعلت الظروف الداخلية والخارجية من العصر الوطاسي منطقة فراغ تاريخي بين عصرين مجيدين حضارياً واجتماعياً، فلا يجد الباحث مصادر تاريخية أو مشاهدات ورحلات معاصرة تلقي الضوء على الفترة الوطاسية، فيما عدا كتاب وصف أفريقية، الذي وضعه الحسن الوزاني، المعروف بليون الإفريقي الذي قام بنشاط سياسي، ودبلوماسي لحسابهم، ومما زاد الأمر صعوبة، أن السعديين أغفلوا إعادة بناء أو ترميم المدن، والمعاقل المهدمة، والمهجورة من عصر الوطاسيين، كما أنه لم يتم الاهتمام بفنون العمارة والصناعات التطبيقية لدولة بني وطاس[706]، الذي كان عصر محن وأهوال على سواحل المغرب كلها، لتسابق البرتغاليين، والإسبانيين عليها،

(702)- راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat., p. 199

(703)- راجع : عبد العزيز بنعبد الله، الفن المغربي.، ص 259.

(704)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، ص 436.

(705)- غير أن العصر الوطاسي امتاز بظهور أدق كتاب جغرافي تم تداوله، هو كتاب الحسن الوزان، إلى جانب كتاب مرمول كربخال. راجع: إبراهيم حركات، المغرب.، ج 2، ص 229 ـ 234

(706)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، والفنون.، ج 4، ص 483 ـ 484.

ولا شك أن المدن المغربية نالت حظها من هذه المحنة، وانعدم الأمن فيها، ونذكر منها مدينتي سلا ورباط الفتح على سبيل المثال، حيث انعدم الأمن فيهما، ونالا حظهما من المحنة بمجاورة العدو، وانقطع السبل بضواحيها، وذلك مما زاد في تقلص العمران فيهما وخرابهما، وانتشار البؤس والشقاء بين سكانهما[(707)].

وأشار «الحسن الوزان» المعروف بـ «ليون الإفريقي» إلى ذلك عند زيارته لمدينة الرباط، والذي أوضح أن المدينة جردت من رونقها القديم، وساد الخلاء داخل السور، ولم تعد بها سوى حوالي ست مائة دار يتجمعون في حيين أو ثلاثة أحياء قرب الحصن، كما يذكر أن حكام بني وطاس اقتصر دورهم على وضع حامية بها[(708)]، واعتماداً على وصف «الوزان» فقد كانت الرباط مدينة صغيرة في عهد بني وطاس[(709)].

ووصف «الوزان» سلا في تلك الفترة بقوله : «مدينة بنيت على شاطئ المحيط في موقع جميل جداً، ويفصلها عن الرباط نهر أبي رقراق، دورها مليحة قديمة، وأثر القدم ظاهر عليها»[(710)]. وقد عكست كتابات «الوزان» حال سلا خصوصا بعد إغارة الإسبان عليها، ويتضح ذلك في قوله : «ومن ذلك العهد، أصبحت في حال يرثى لها، ولم تعد كما كانت عليه من الازدهار والعمران، وشن الخراب غارته، حتى صارت بعض الأحياء بها، والنواحي المجاورة لها مخصوصة بحراثة بعض الحبوب، وباقي ضواحيها رملية لا تنبت، وجل ما يزرع بها القطن، وغالب أهلها يشتغلون بنسج الثياب الجميلة منه»[(711)].

وقد امتدت يد الإهمال إلى مدينة سلا في العصر الوطاسي، رغم ما كانت تملكه من الترف والبذخ ما يضفي عليها طابع مدينة عريقة في الحضارة، حيث اتسمت بيوتها بالحسن والجمال، وكانت مزينة بالفسيفساء، والأعمدة الرخامية، ومساجدها كلها في منتهى الجمال والزخرفة،

(707)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح.، ص 148-163.

(708)- راجع : الوزان، وصف أفريقيا، ص 201 ـ 204.

(709)- لم تفصح المصادر التاريخية عن حالة رباط الفتح في تلك الفترة، وربما كانت أكثر مما يتصور خلال القرن السادس عشر، فقد بني بها مسجد كبير، ونافورة، ومدرسة، وعدد من الأزقة مثل زنقة باب شالة، وزنقة الدورا، وبني بها حمام، وقطن السكان أحياء من المدينة الحالية. راجع : عبدالإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، منشورات جمعية رباط الفتح، الرباط، 1996م، ص 23.

(710)- زار الرحالة المغربي أبو علي الحسن الوزان، مدينة سلا في سنة 915هـ/ 1509م، في عهد السلطان أبي عبدالله محمد الوطاسي.

(711)- راجع : الوزان، وصف أفريقيا، ص 201 ـ 209.

وكانت كل دار لها براح، وأروقة مرفوعة على حنايا، وسواري لطيفة مزخرفة، ومزينة بالنقش على الجبس، وكذلك مساجدها[712].

ولم يكن للدولة الوطاسية نشاط ملموس في بناء المدارس سوى تشييد بعض المدارس في السوس[713]، وبناء سد عظيم على يد أحمد الوطاسي على وادي فاس، ظل على متانته أكثر من نصف قرن حتى انهار في عهد المنصور السعدي سنة 1009هـ/1600م نتيجة حدوث فيضان عظيم[714]. كما وصلت إلينا نماذج من العملة التي ضربت في عهد بني وطاس[715].

وقد وردت بعض إشارات حول اللباس والحلي عند بني وطاس، فقد لبس سكان حاحة كساء الصوف وعمائم اتخذوها من الصوف، وذلك لعدم زراعة الكتان، وعدم انتشار نسيجه بينهم، وكان لسكان جزولة صدرة بدون أكمام. وكانت النساء العربيات يلبسن قميصا أسود بكمين عريضين فوقه رداء يلف الجسم يتدلى طرفاه على الكتف، واللثام مثقوب أمام إحدى العينين، ولباس أعيان أهل فاس الملف المستورد شتاء، ولباسهم معطف يلف الجسد بأكمام نصفية فوقه جبة مخيطة من الأمام فوقها برنس أو سلهام وعلى الرأس طاقية وعمامة، وعامة الناس يلبسون المعطف أو البرنس بدون جبة، وطاقية بدون عمامة. وتلبس نساء فاس في الشتاء فساتين عريضة الأكمام مخيطة من الأمام، وتلتف المرأة بالحائك وتلثم باللثام، وتستر سيقانها بالسراول[716].

وكانت النساء تتخذ الحلي من الذهب، والأقراط، والأساور، والخواتم لنساء المدن، أما في البادية فتتخذ المرأة زينتها من الفضة خواتم، وأقراط، وأساور للسيقان[717].

ولم يستطع الوطاسيون توحيد المغرب سياسياً، لضعف السلطة المركزية بفاس وعجزها عن الأمن والدفاع عن البلاد، فانتشرت الفوضى والفتن، مما أدى إلى احتلال البرتغاليين، والإسبانيين للمدن الساحلية، كما ظهرت وحدات سياسية، وإمارات مستقلة أو شبه مستقلة، بعضها أملتها ظروف الجهاد ومقاتلة العدو المحتل للسواحل المغربية، مثل شفشاون التي كانت بيد بني راشد[718]،

---

(712)- راجع : الوزان، وصف أفريقيا، ص 208

(713)- كانت تارودانت في مطلع القرن 10هـ/16م، من أكبر المراكز العمرانية في سهل السوس، ودخلها الوزان مابين 916 – 920هـ. راجع: أحمد يزيد الكناني، تاريخ تارودانت في العصر الحديث عهد الدولة السعدية، مطبعة شروق أكادير، 2006م، ص 26

(714)- راجع : إبراهيم حركات، المغرب عبر العصور.، ج 2، ص 221 ـ 222.

(715)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، والفنون.، ج 4، ص 483 ـ484.

(716)- راجع : إبراهيم حركات، المغرب عبر العصور.، ج 2، ص 207 ـ 208.

(717)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، والفنون.، ج 4، ص 483 ـ484.

(718)- عن مدينة شفشاون، راجع: عبد العزيز صلاح، شفشاون عبق التاريخ، روائع الآثار المغربية: ج 10، دار نشر المعرفة، الرباط، 2011، ص 8-19.

وتطوان بيد بني المنظري[719]، وبعضها الآخر نتيجة لبعدها عن مقر السلطة كمراكش وناحيتها في الجنوب.ولا مراء في أن الوطاسيين لم ينشئوا مدينة حقيقية تخلد آثارهم، كما فعلت كل الدول التي سبقتهم منذ الأدارسة، وكانت خزينتهم تشكو على الدوام عجزاً خطيراً وكانوا أكثر انشغالاً بالحرب منهم بالسلم، فآثارهم في العمران والبناء يكاد يكون معدوماً. ولم يشاركوا بنصيب يذكر في هذا المظهر من الحضارة[720].

(719)- عن مدينة تطوان، راجع: عبد العزيز صلاح، تطوان غرناطة المغرب، روائع الآثار المغربية: ج 9، دار نشر المعرفة، الرباط، 2011م، ص 4-23.

(720)- راجع : إبراهيم حركات، المغرب عبر العصور،، ج 2، ص 207 ـ 208.

الفصل الرابع

التراث الفني الإسلامي
في العصر السعدي

- انبعاث النهضة المغربية في العصر السعدي
- توسيع رقعة المغرب ورواج النقود الذهبية في عهد المنصور الذهبي
- الصراع على السلطة أواخر العصر السعدي وأثره على النقود الذهبية



انبعاث النهضة المغربية

في العصر السعدي

استمرت الفنون الزخرفية في العصر السعدي بنفس الأصول التي كانت متبعة في العصر المريني، وقام السعديون بتشييد، وتجديد العديد من المدن، والمنشآت المختلفة، إذ اشتهروا بشغفهم للبناء والتعمير، وبخاصة محمد المهدي الشيخ (946 ـ 964هـ/ 1540 ـ 1557م)، وولديه عبدالله الغالب (964 ـ 981هـ/1557 ـ 1574م)، وأحمد المنصور الذهبي (986 ـ 1012هـ/ 1578 ـ 1603م)، ويرجع الفضل إلى هؤلاء السلاطين في بعث روح البناء من جديد في بلاد المغرب، حيث ازدانت البلاد على عهدهم بالعمائر المتنوعة، سواء الدينية أو الجنائزية أو المدنية أو الحربية، وأقاموا مجموعة رائعة من المساجد والمدارس والزوايا وخزائن الكتب، واهتموا بالأضرحة، وشيدوا المدن، والقصور، والبيمارستانات، والحمامات، والفنادق، والأسواق، والقناطر، والسدود، والسقايات، بالإضافة إلى المنشآت الحربية كالقصاب، والحصون، والأبراج، والأسوار، وغيرها[721].

ويمكن اعتبار الفن المعماري في العصر السعدي استمراراً للفن في العصر المريني، لاسيما في نقش الخشب والجص، وشكل المباني، وكان أثر الفن الغرناطي، والفن الموريسكي، قويان في البناء والفنون، كما لعب الفن الأندلسي بوجه عام، دوراً أساسياً في تطور الفنون المحلية بالمغرب،وكذلك استمد الفن السعدي في المغرب الأقصى، العديد من العناصر الفنية من مؤثرات أجنبية متعددة[722].

ويعتبر قصر البديع[723] مفخرة الفنون الإسلامية المعمارية، والتطبيقية لعصر السعديين بما فيها من عمارة وهندسة الماء، وفنون النحت في الرخام، والمرمر، والجص، والزليج، والخزف، والخشب، والمنسوجات، وأنواع الخط، والروائع التي نفذت بمختلف المواد. وعلى الرغم من اندثار قصر البديع الذي كان مدينة ملكية كاملة المنشآت، والمرافق، والملحقات، فإنه يعتبر الأثر الفني

(721)- راجع : محمد السيد محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية في عصر الأشراف السعديين، دار القاهرة، 2008م، ص 89.

(722)- راجع : إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ.، ج 2، ص 385.

(723)- يعتبر قصر البديع بمراكش أعظم منشأة عمرانية للمنصور، وهو وإن هدم فقد بقي وصفه مفصلا في كتابات الفشتالي والإفراني عن وصف قبابه وفرشه وأبهائه وبساتينه. راجع: محمد حجي، أحمد المنصور الذهبي، معلمة المغرب، ج 1، ص 173 ـ 175.

النموذجي لعصر السعديين، ويعتبر بحق مجمعا لفنون العمارة الإسلامية التي عرفها المغرب في هذه الفترة، واستقاها من مصادر الفنون المغربية، وعلى رأسها الفن الأندلسي[724].

ويعتبر قصر البديع من أهم مظاهر ميل المنصور إلى الأبهة. وقد بدأ بناءه من أوائل ولايته سنة 986هـ/1578م، واستمر العمل فيه إلى سنة 1012هـ/1603م، وهو قصر ملكي في مراكش بناه المنصور لنفسه وأسرته. وقد احتشد في بنائه وجعله من المرمر، وجعل له قبابا في جوانبه الأربعة، ويبدو أنه كان في غاية الجمال، ولو أنه في الغالب لا يصل إلى الأناقة التي يبالغ بها الفشتالي في مناهل الصفا[725]، وقد تم استقدام الرخام من ايطاليا، وكان يشتريه بوزنه من السكر، وحشد به الصناع وأرباب الحكمة من كل أرض حتى من بلاد الفرنجة، وعرفاء البناء وأولي المعرفة والكفاية في التنسيق والتشييد من سائر الفعلة وأسرى الدول الكبرى. ومن الغريب أن هذا القصر هدم عن آخره أيام السلطان المظفر المولى إسماعيل بن الشريف العلوي سنة 1129هـ/ 1717م[726].

ويذكر المؤرخ «الفشتالي» أن قصر البديع كان يحتوى على كل نوع من أنواع البدائع، وغرائب العجائب، من المحاريب والتماثيل، ودوائر المرمر المختلفة الألوان العظيمة الأجرام، ومقاصير وخزائن، ومساجد، وأسقف زجاجية ملونة، والأبواب الضخمة والأسقف المتنوعة، والقباب التي بها الصنائع الخشبية المقربصة والمسطحة، وبها أمهات الصنائع وأصول الخواتم، وكتابات تم تركيب حروفها على هيئة غصون الشجيرات، وتتخللها قصب الورقة اللطيف بمرمر بنفسجي اللون قد بين فيه الخط الأبيض من الخط الأسود، وساج عنه الزليج البراق الملون، وبها فورات، وتماثيل مذهبة ومفصصة، وبه مصانع بالمرمر الكثير العدد الضخم العمد الصافي الجوهر الناصع البياض من المعادن النفيسة تتبارى التجار من أهل الحرف في نقله وجلبه[727].

ويمكن التعرف على المنسوجات في العصر السعدي من خلال وصف «الفشتالي» عند وصف الستائر المطرزة المذهبة في قصر البديع، بقوله : «طرزت في قصر البديع أستار مذهبة محكمة الصنع تستر نواصي القبة الخمسينية، وهي الأستار المعروفة عند أهل المغرب بالحائطي، وقد زودت بمختلف التوريقات النباتية البديعة، وتدور بنقوشها قصائد شعرية رقيقة تمتدح المنصور وتصف قصر البديع، وما اشتمل عليه من روائع وفنون»[728].

(724)- راجع : إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي.، ص 298 ـ 299.

(725)- راجع : الفشتالي، مناهل الصفا .، ص 25 ـ 52.

(726)- راجع :حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.، ص 197-196.

(727)- راجع : الفشتالي، مناهل الصفا، ص 262 ـ 263

(728)- راجع :الفشتالي، مناهل الصفا، ص 252 ـ 260

ومما يدل على ارتفاع أذواق السعديين، هو ابتكار أنواع من الزينة، واللباس من مختلف المنسوجات، فضلا عن تطور أنواع الفراش، والأثاث، ومن ذلك نوع عرف بالمنصورية لأن المنصور الذهبي كان أول من لبسها[729]. ويذكر «الوزان» أنه كان بفاس في المائة الهجرية العاشرة بعدوة الأندلس، خمسمائة وعشرون داراً للنساجين، وهي عبارة عن أبنية كبيرة ذات طبقات عديدة، وقاعات مثل قاعات القصور، تضم كل قاعة عدداً كبيراً من عمال نسج الكتان، كما كان يبلغ مجموع المشتغلين بتلك الصناعة نحو عشرين ألف صانع[730].

ونستنتج من كتابات «الفشتالي» عن قصر البديع تفوق الدولة السعدية، وبخاصة في عهد أحمد المنصور الذهبي في استعمال الرخام، والزليج بألوان متعددة، واستخدام النقوش الكتابية المذهبة التي تتضمن الآيات القرآنية الكريمة، والأشعار، والعناصر من الزخارف النباتية على كافة الحوائط، والأسقف بقصر البديع. كما أنشئ بجوار الجوامع والمساجد سقايات كثيرة، تعتبر تحفا فنية قائمة بذاتها، كما هو الشأن في سقاية جامع باب دكالة، وسقاية جامع المواسين بمراكش[731].

وبرزت التقاليد الموحدية بروزا جليا في جامع باب دكالة في مراكش، وخاصة في البلاطة الموازية لجدار القبلة التي تحمل ثلاث قباب بأسكوب القبلة واحدة أمام المحراب، وقبة بكل من نهايته شرقا وغربا[732]، كما هو الشأن في جامع تينمل الموحدي قبة وسطى فوق المحراب، وقبتان جانبيتان في الزاويتين،والقبة التي تتقدم المحراب رفعت بواسطة عقود مقرنصة، بينما أحيطت أسطوانات باقي القباب بأقواس محاطة بفصوص صغيرة في الجزء السفلي منها، وبمقرنصات في الأعلى، وبالتالي تتجسد هنا وبشكل واضح التقاليد الموحدية[733].

ويشتمل جامع المواسين بمراكش، على العديد من فنون العمارة الإسلامية، ومنها القباب حيث يتألف بيت الصلاة من سبعة بلاطات عمودية تفضي إلى بلاطة موازية لجدار القبلة، وتزينها على نفس الشكل، ثلاث قباب تنتصب اثنتان في ركني البلاطة، والثالثة أمام المحراب، ينطلق من هذه الأخيرة، سقف خشبي يغطي كل المساحة الواقعة بين القبة، والعنزة. و يضم كل من مسجد باب

(729)- كانت للمرأة المغربية اليد الطولى في صناعة النسيج، وأن العريفة بنت حجو التي كانت تنتمي إلى أسرة ذات فضل وعلم هذبت حواشي ملك السعديين، وخاصة داخل قصورهم، وحالاتهم في الطعام واللباس. راجع :عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 5، ص 145

(730)- راجع : الوزان، وصف أفريقيا.، ج 1، ص 246 ـ 247،

(731)- راجع : إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، ص 316 ـ 317.

(732)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 5، ص 73.

(733)- بني هذا الجامع في سنة 965هـ/ 1557م من طرف لالة مسعودة والدة أحمد المنصور الذهبي. راجع : عبدالعزيز توري، وآخرون، نظرة حول التنظيم المكاني للمساجد المغربية، ص 31 ـ 32.

دكالة[734]، ومسجد المواسين بمراكش، العديد من العناصر المعمارية والزخرفية المستوحاة من المساجد الموحدية، وبصفة خاصة من مسجد القصبة بمراكش، وجامع تينمل[735].

كما يحتفظ جامع المواسين بمراكش على تحفة خشبية فنية رائعة عبارة عن منبر متحرك، ويعدُّ هذا المنبر نسخة مطابقة لمنبر جامع المنصور الموحدي بقصبة مراكش، إذ أنهما بنفس الأبعاد، والتناسق، والتصميم، ولهذا المنبر قاعدة مستطيلة طولها 2,32م، وعرضها 77سم، وارتفاعه 3,13م. وبصدر قاعدة المنبر، يوجد باب المقدم الذي يبلغ اتساع فتحته 62 سم، وارتفاعها 1,78م، توجت بعقد على هيئة حدوة فرس مدبب زينت توشيحاته بزخارف نباتية. ويعلوه صف من شرافات مدرجة، ويوصل باب المقدم إلى درج مكون من خمس درجات، تنتهي بجلسة الخطيب، وبأعلى جانبي قاعدة المنبر، توجد ريشتا المنبر[736]. وقد زينت جميع أجزاء المنبر بزخارف نباتية وهندسية متنوعة نفذت بأساليب فنية، كأسلوب الحفر، والحشوات المجمعة، والتطعيم بالعاج. ولا تزال ريشتي المنبر تحتفظان بأجزاء كبيرة من زخارفهما، التي تشبه زخارف منبر جامع القصبة الموحدي بمراكش ومنبر جامع المدرسة البوعنانية بفاس[737].

ويحتفظ جامع الأندلسيين بفاس بثريا معدنية تنسب إلى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، ويعتبر ساقها محاولة لتقليد النماذج الجميلة، كما أن زخرفة السعفة النخيلية في قاعدة الثريا، وبدنها تظهر أنها استوحت تأثيرات الزخرفية الشرقية أيام السعديين بتأثير تركي. وتشتمل الثريا على مناطق زخرفية مدببة وزهيرات ذات أربع وريقات مدببة معقوفة، تبدو وكأنها تحوير لزهرة القرنفل، ويلاحظ إن جميع الأشكال، والقوالب الزهرية غير أصلية[738].

وكان من روائع الصناعات التطبيقية على عصر السعديين، ساعة الأمير محمد الشيخ بن أحمد المنصور الذهبي، التي نصبها بفاس الجديدة عام 1002هـ/1593م، وكانت تحمل تطورات

(734)- هي الحرة مسعودة أم المنصور بنت الشيخ الأجل أبي العباس أحمد بن عبدالله الوزكيني الورززاتي الصالحة، وقد أنشأت المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراكش، ووقفت عليه أوقاف عظيمة وكان ذلك سنة خمس وتسعين وتسعمائة. والمعروف أن الحرة للامسعودة الوزكيتية أنجبت ولدها أبا العباس الملقب فيما بعد بالمنصور من زوجها السلطان أبي عبد الله الشيخ بفاس سنة 956هـ، وقد ولى المنصور السعدي الخلافة بعد واقعة المخازن سنة 986هـ، وتوفي سنة 1012هـ كما توفيت والدته الحرة للامسعودة فاتح سنة ألف للهجرة. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا .، ج 5، ص 95 ـ 98 .

(735)- بني جامع المواسين من طرف السلطان عبدالله ما بين عامي 970 و 980 هـ/ 1562 و1573م، ويتميز هذا الجامع بحجمه الأكثر اتساعا من حجم جامع باب دكالة إلا أن تنظيمه المجالي أكثر بساطة. راجع : عبدالعزيز توري، وآخرون، نظرة حول التنظيم المكاني للمساجد المغربية، ص 32 ـ 33.

(736)- راجع : محمد السيد محمد أبو رحاب، العمائر الدينية .، ص 282 ـ 283.

(737)- راجع : Terrasse H., Minbers anciens.,PP.165- 168

(738)- راجع : Terrasse H., La mosquée des Andalous.,pp.30- 33

جديدة دخلت في تركيبها. كما كان من الصحائف المعدنية المرتبطة بصناعة الأسطرالاب، واحدة صنعها المعلمان علي ومحمد، ابنا محمد الأزدي تحت رعاية وإشراف الفلكي محمد الصغير سنة 950هـ/1543م[739].

وقد تنوعت الزخارف المعمارية والفنية في بناء مقبرة الأشراف السعديين بمراكش، وتشغل مقبرة السعديين مساحة مستطيلة الشكل تبلغ نحو 2288م^2 محاطة بسور يبلغ سمكه نحو 80سم، وارتفاعه 12م تقريبا، وهي تشتمل على فناء مكشوف، ومبنيين منفصلين عن بعضهما، أحدهما يتوسط الفناء، ويقع إلى الشرق من المبنى الآخر، الذي يشغل أقصى الجهة الغربية للفناء، ويمكن القول أن المبنى الأول هو النواة الأولى لمقبرة السعديين، والذي يرجع تاريخه إلى عام 993هـ/1585م تحت مسمى المقبرة الملكية[740].

ويتكون هذا المبنى من مساحة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها 4,05م فرشت أرضيتها بالزليج المتعدد الألوان في تشكيلات هندسية متنوعة، وتغطيها قبة زين باطنها بزخارف هندسية، ونباتية متنوعة، نفذت على الجص بألوان متعددة، وتأخذ هذه القبة من الخارج هيئة هرمية الشكل، غطيت بحطات من القرميد المزجج باللون الأخضر. ويحيط رواقان متماثلان بالقبة أحدهما شرقي والآخر غربي، ويطل كل رواق منهما على الفناء بواسطة بائكة ثلاثية العقود، ترتكز على عمودين من الرخام الأبيض في الوسط، ودعامتين من الآجر مدمجتين في الأطراف، ومن الملاحظ أن العقد الأوسط أكثر اتساعاً، وارتفاعاً من العقدين الجانبيين، ويوجد بالجدار الجنوبي للرواقين مداخل متماثلة، بواقع مدخل بكل جانب يغشى أسفله حجاب من خشب الخرط، ويتوصل من هذين المدخلين إلى القاعة، التي تتقدم قبة لأله مسعودة من الجنوب، كذلك ينفرد الرواق الشرقي بوجود فتحة باب تتوسط الجدار الغربي، تؤدي إلى داخل قبة لأله مسعودة. ويتقدم قبة لأله مسعودة من الجنوب قاعة مستطيلة يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب 9,60م، وعرضها من الشمال إلى الجنوب 5,62م فرشت أرضيتها بالزليج المتعدد الألوان في تشكيلات هندسية، ويغطيها سقف خشبي جمالوني الشكل تزينه زخارف هندسية، ونباتية متنوعة ذات ألوان متعددة، وقد غطي هذا السقف

(739)- الغالب أن محمد الصغير كان شيخ الفلكيين خلال المائة الهجرية العاشرة. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج5، ص 135.

(740)- أمر بإقامته السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله (ت 981هـ/1574م) عقب وفاة والده السلطان أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله المعروف بالشيخ، والملقب بالمهدي عقب وفاته عام 964هـ/1557م، وذلك في القاعة المعروفة بقبة لاله مسعودة، وفي عام 977هـ/1569م دفن في القاعة التي تقع إلى الجنوب من قبة لاله مسعودة، الأمير أبو على منصور بن السلطان أبي عبد الله محمد القائم، وقد أتم هذا المبنى السلطان أحمد المنصور الملقب بالذهبي (986-1012هـ/1578-1603م) وخاصة بعد أن دفن والدته لاله مسعودة فاتح عام 1000هـ/1591م بجوار والده وأخيه في القاعة التي عرفت منذ ذلك الوقت، وحتى الآن بقبة لاله مسعودة. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 5، ص 80ـ 84.

من الخارج بحطات من القرميد المزجج باللون الأخضر، ويتوصل إلى هذه القاعة من خلال فتحة باب تتوسط الجدار الجنوبي لها، ويعلو هذه الفتحة مساحة مستطيلة من الجص، تزينها سبع حشوات مستطيلة يتوج كل منها عقد حدوي، يرتكز على أعمدة جصية مزخرفة، ويغشى الجزء السفلي منها، حجاب من خشب الخرط .كذلك يحتوي الجدار الشمالي لهذه القاعة على ثلاثة أبواب أوسطها أوسعها، وأكثرها ارتفاعاً، وهو الذي يتوسط الجدار الجنوبي لقبة لأله مسعودة، ويتوج هذا المدخل عقد حدوي زين باطنه بحطات من المقرنصات ذات الدلايات، أما المدخلان الجانبيان متماثلان تماماً ويتوصل من أحدهما إلى الرواق الغربي[741].

أما المبنى الثاني، فقد أمر بإنشائه السلطان أحمد المنصور الذهبي قبل وفاته عام 1012هـ/1603م، وهو يتكون من ثلاث قاعات متصلة ببعض، أهمها القاعة الوسطى التي تعرف بقاعة الدفن الكبرى أو قاعة الأثنى عشر عموداً، وقد دفن بها السلطان أحمد المنصور الذهبي، وغيره من الأشراف السعديين، بينما يتصل بالقاعة الوسطى من جهة الشمال قاعة أخرى تعرف بقاعة الدخلات الثلاث التي تلاصق جامع المنصور الموحدي المعروف بجامع القصبة. ويشغل هذا المبنى أقصى الجهة الغربية للفناء أو الحوش، ويتوج فتحة باب قاعة الأثنى عشر عموداً عتب خشبي مسطح بينما يتوج فتحة باب قاعة المحراب عقد مخموس (مدبب القمة محدب الأرجل)، ويغلق عليها باب خشبي من مصراعين تزينها زخارف هندسية متنوعة، ويفتح في الجزء السفلي لكل مصرع خوخة مستطيلة يبلغ ارتفاعها 1,35م وعرضها 75سم. وتخطيط قاعة بيت الصلاة أو المحراب عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب 13,15م، وعرضها من الشمال إلى الجنوب 8055م، فرشت أرضيتها بالزليج المتعدد الألوان في تشكيلات هندسية، وقد قسمت هذه المساحة على بلاطات (أروقة) متقاطعة بواسطة بائكتين تشمل كل بائكة منهما على عمودين في الوسط، ودعامتين مدمجتين في الأطراف، وتنطلق فوقهما العقود المتقاطعة بواقع ستة عقود موازية لجدار القبلة، ومثلها عمودية على ذلك الجدار. وقد نتج عن هذه البائكات ذات العقود المتقاطعة تسع مساحات مستطيلة سقفت سبع منها بسقف خشبي جمالوني زين باطنه بزخارف هندسية محفورة مدهونة بالألوان المتعددة، أما المساحة التي تتقدم المحراب، فقد سقفت بقبة زين باطنها بزخارف نباتية، وهندسية متنوعة، نفذت على الجص بألوان متعددة، وتأخذ من الخارج هيئة هرمية الشكل غطيت بحطات من القرميد المزجج باللون الأخضر، بينما يتوج جدران المساحة التي تتقدم المدخل الذي يتوسط الجدار الشمالي لهذه القاعة، ويصل بينها، وقاعة الدفن الكبرى أو قاعة الأثنى عشر عموداً صف من كوابيل خشبية زينت المساحات

(741)- راجع : محمد أبو رحاب، العمائر الدينية.، ص 387 – 390.

المحصورة بينها بزخارف نباتية دقيقة، وقد كانت هذه المساحات مكشوفة، ولكنها غطيت حديثاً بشخشيخة تتخللها عدة نوافذ زجاجية يتسلل منها الضوء إلى القاعة[742].

أما قاعة الدفن الكبرى أو قاعة الأثنى عشر عموداً فهي تتوسط هذا المبنى، وتقع إلى الشمال من قاعة المحراب، وتتصلان ببعضهما من خلال مدخل يتوسط الجدار الشمالي لقاعة المحراب، كما يتوصل إلى هذه القاعة من خلال فتحة باب بجدارها الشرقي المطل على الفناء. وهذه القاعة عبارة عن مساحة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها 9.85م، فرشت أرضيتها بالزليج المتعدد الألوان في تشكيلات هندسية، ويتوسط هذه القاعة أثنى عشر عموداً من الرخام الأبيض ثلاثة في كل جانب تنطلق فوقها أربع بائكات بواقع بائكة في كل جانب، وتتكون من ثلاثة عقود مخموسة (مدببة القمة محدية الأرجل) أوسطها أوسعها، وقد نتج عن هذا التصميم وجود مساحة وسطى مربعة يحيط بها بلاطات (أروقة) بواقع بلاطة في كل جانب، وقد سقفت المساحة الوسطى المربعة بسقف خشبي مربع المسقط هرمي الشكل زين باطنه بزخارف هندسية متنوعة محفورة، ومدهونة بالألوان المتعددة، وغطي من الخارج بحطات من القرميد المزجج باللون الأخضر، كذلك سقفت الأركان الأربعة للقاعة بسقف يشبه سقف المساحة المربعة، أما المساحات المستطيلة فيما بين الأركان الأربعة فقد سقفت بسقف خشبي مسطح زين باطنه بزخارف هندسية متنوعة محفورة ومدهونة بالألوان المتعددة، ويأخذ من الخارج شكل هرمي غطي بحطات من القرميد المزجج باللون الأخضر[743].

ويذكرنا تخطيط هذه القاعة بالتخطيط المركزي الذي ذاع وانتشر في العمارة العثمانية وخير مثال له يوجد في مسجد نصوح باشا بديار بكر 1015-1020هـ/ 1606 – 1611م[744].

وتحتفظ المدن والمتاحف المغربية بمجموعة كبيرة من المدافع الحربية التي يعود تاريخها إلى العصر السعدي، والتي تعتبر تحفا فنيا بذاتها، بالإضافة إلى أنها تحمل العديد من النقوش الكتابية التسجيلية لسلاطين الدولة السعدية[745].

كما انتشرت الكتابات التسجيلية على المدافع الحربية التي تعود إلى العصر السعدي، منها على سبيل المثال: نقش مدفعي مولاي زيدان بمدينة أسفي، يرجع تاريخهما إلى سنة 1033هـ/ 1623م،

(742)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 5، ص 80ـ 86.

(743)- راجع : محمد أبو رحاب، العمائر الدينية.، ص 387 – 390 .

(744)- راجع : محمد حمزة الحداد، بحوث ودراسات، الكتاب الأول، ص 157ـ 161م.

(745)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 5، ص 149 ـ 153.

ويمكن قراءة النقش الكتابي المنفذ بخط النسخ كالتالي : " **أمر بعمله عبدالله أمير المؤمنين مولانا زيدان المظفر بالله، ابن أمير المؤمنين أحمد بن أمير المؤمنين مولانا محمد الشيخ ايده الله سنة 1033**" .

كما يوجد مدفع بدار السلاح بفاس، يعود إلى الوليد بن زيدان، يتضمن نقشا تاريخيا من خمسة أسطر داخل دائرة، كتب بالخط النسخي المغربي، يقرأ بالنحو التالي: " **الله أكبر، أمر بعمله عبد الله تعالى الوليد، أمير المؤمنين بن زيدان أمير المؤمنين، الشريف الحسني أيده الله ونصره، سنة أربع وأربعين وألف**" [746] .

(746)- راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 5، ص 149 ـ 153.

توسيع رقعة المغرب
ورواج النقود الذهبية
في عهد أحمد المنصور الذهبي

شهد المغرب في العصر السعدي انبعاثا علميا وصناعيا جديدا، وظهر في عدد من العلوم الرياضية وفي الهيئة والطب، وفي صناعات عسكرية واقتصادية، وكان للمنصور أحمد الذهبي فضل تشجيع هذا التفوق[747]. كما اهتم أحمد المنصور اهتماماً خاصاً بربط صلات وثيقة بعلماء المشرق لأهداف سياسية أكثر منها علمية، وكان بلاطه قبلة للعديد منهم، كما كانت مكتبته تزخر بالعشرات من مؤلفاتهم[748].

وقد بلغت النقود الذهبية مكانة عالية في عهد الدولة السعدية، وأصبحت عاملا أساسيا في السياسة الخارجية، وفي الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وبخاصة التي تنسب إلى أمير المؤمنين أبي العباس أحمد المنصور بالله، والتي امتدت فترة حكمه من عام 986 هـ/ 1578م إلى عام 1012هـ /1603م[749]، والذي اتخذ النقود أساساً لانطلاق نهضته السياسية، والاجتماعية، والعسكرية، وفرض سياسة دفاعية لحماية النقد السعدي، وجعل المغرب الأقصى في مستوى جارته الأوربية التي كان التعايش السلمي معها مستحيلا في تلك الفترة.

وكان أول عمل قام به ملوك العهد السعدي هو تنقية الأوضاع النقدية على يد محمد الشيخ[750] بعد تسلمه السلطة، مما أدى إلي وضع حد لرواج العملات الأجنبية، كما عرف النقد في عصر

(747)- راجع : محمد المنوني، أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي، الفقيه المنوني، أبحاث مختارة، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، المغرب، 2000، ص 275.

(748)- راجع : عبدالحفيظ الطبايلي، مصدر عثماني حول تاريخ المغرب السعدي، « البحر الزخار والعيلم التيار، لمؤلفه مصطفى الجنابي، مجلة التاريخ العربي، ع 12، الرباط خريف 1420هـ/1999م، ص 206.

(749)- راجع : محمد حجي، أحمد المنصور الذهبي، معلمة المغرب، ج 1، ص 173 ـ 175.

(750)- كانت ولادة السلطان أبي عبدالله محمد الشيخ سنة ست وتسعين وثمانمائة 896هـ/1490م، ويلقب بالشيخ، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمهدي. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 27.

الدولة السعدية تطوراً مطرداً حيث فرضت النقود السعدية نفسها داخل البلاد وخارجها،إذا كان النقد السعدي قد عرف ارتفاعا في وزنه داخل البلاد، فلقد أصبح في بعض الأحيان يفوق النقود الغربية، وعرفت النقود الذهبية الدينار أو المثقال، ونصف الدينار، وربع الدينار[751].

وكانت وفرة الذهب عاملا أساسيا في قوة الدولة السعدية، إذ بواسطته تمكن السعديون من الحصول على الأسلحة، وإخراج البرتغال من السواحل، وتأسيس دولة، واستعادة تجارة القوافل التي قضى عليها البرتغال، ومن ثم استعادة مكانته كوسيط لابد منه لجلب الذهب من أفريقيا ما وراء الصحراء، إذ كان المغرب يعتمد أساسا على مناجم أفريقيا للتزود بالذهب[752].

واعتبارا لذلك عمل الملوك السعديون على توسيع رقعة البلاد تجاه الجنوب، فأصبحت في عهد السلطان محمد الشيخ تمتد إلى تيكورارين، وفي عهد السلطان المنصور الذهبي دخلت كل الممالك السودانية تحت طاعته، فأصبحت الدولة المغربية في عهده، تمتد من البحر المحيط إلى بلاد كنو المتضامنة لبلاد برنو[753] التي تنتهي إلى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر، كما كان هؤلاء الملوك يفرضون رقابة شديدة على تصدير الذهب، ويحتكرون تجارته[754].

وقبل تولي السلطان أحمد المنصور الذهبي الملك، كان ذهب أفريقيا يجمع خاصة في درعة، وسجلماسة، حيث تقوم بحراسته ثكنة عسكرية، وكان يحمل إلى هناك تبرا، ويخضع إلى تحويل أولي فيذاب، ويوزن، ويسجل، وبعد ذلك يرسل إلى مراكش، وفي عهد السلطان أحمد المنصور أصبح أهل مراكش، وسوس يتكلفون بجلبه من تبتكتو، وكاغو[755].

(751)- راجع : حليمة بنكرعي، سك النقود في المغرب في الفترة ما بين 1471 ـ 1603م، العددان السابع والثامن، مجلة تاريخ المغرب، السنة الثامنة عشر، محرم 1419هـ/ مايو 1998م، ص 24 ـ 25.

(752)- تغيرت الأوضاع السياسية والعسكرية في المغرب الأقصى منذ أوائل عصر الأشراف السعديين، فبعد أن كانت تتجه نحو الشرق العربي والأندلس الاسباني أصبحت تتجه إلى رد الغزاة الطامعين من البرتغال والأسبان، وإلي التوغل إلى قلب أفريقيا. راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون.، ج 5، ص 70ـ 75.

(753)- منطقة بحيرة تشاد الحالية. راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.، ص 197 ـ 204.

(754)- سارع المولى أحمد المنصور إلى تعزيز الوجود المغربي في المنطقة الساحلية ما بين درعة ونهر السنغال عام 992هـ/ 1585م، وبذلك حال المنصور دون أي تدخل للإسبان في بلاد السودان بالرغم من احتلالهم لجزيرة « أركان» القريبة من الرأس الأبيض، ومصب نهر السنغال. راجع : عبدالكريم كريم، الفتح المغربي لبلاد السودان، مجلة التاريخ العربي، العدد الرابع عشر، الرباط ربيع 1421هـ/ 2000م، ص 265.

(755)- يرجع فضل تأسيس دولة سنغاي في كاغو بالسودان إلى محمد أسكيا الملقب باسكيا الكبير، وقد تم ذلك عام 1493هـ بعد ضعف إمبراطورية مالي وانحلالها، وبعد وفاته توارث أبناؤه حكم البلاد، ومن أشهرهم أسكيا اسحق الذي دخل في خلاف مع المنصور انتهى بغزو المغرب لبلاد السودان عام 1591م، فانقرضت بذلك دولة سنغاى وقضي على الأسرة الحاكمة. راجع : الفشتالي، مناهل الصفا.، هامش 1، ص 79.

ويذكر «الفشتالي» أن المنصور بالله أمر عامله بعد فتح السودان، بالسيطرة على معادن الذهب الثلاثة التي اكتنفتها هذه الممالك، وأمره بالبناء عليها، واختطاط الحصون عليها، وترتيب الجيوش لحمليتها[756]، وأصبحت كلمة المنصور نافذة فيما بين السودان إلى البحر المحيط من ناحية المغرب، ولما فتحت ممالك البلاد السودانية حمل إليه من التبر ما يعيي الحاسبين ويحير الناظرين حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب إلا النضار الصافي، والدينار الكافي، وكان ببابه كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة لضرب الدينار الوافي، دون ما هو معد لغير ذلك من الأقراض والحلي، ولأجل هذا لقب بالذهبي لفيضان الذهب في أيامه[757].

واحتكر هذا السلطان ذهب السودان، وتمكن من توجيهه كليا إلى المغرب إلى حد أنه لم يعد له وجود خارج الشواطئ المغربية، ما جعل الإنجليز[758] يقترحون على فيليب الثالث تأسيس وكالة باركين لمنافسة المنصور ولكنهم لم يفلحوا، وهذا الاحتكار كان يؤدي إلى تهريب الذهب داخل صناديق السكر، إذ كان هذا السلطان لا يقبل التعامل سوي بالسكر الذي أصبح في عهده يحل محل العملة في المبادلات الخارجية. ولقد منع تصدير الذهب حتى في الشكل الذي كان يصدره فيه أسلافه أي في شكل نقود ذهبية رفيعة تعرف عند الأجانب بالسكن «Sequin»، والتي كانت تضرب من عيار عال جدا ومن ثم كانت مطلوبة وتدر أرباحا كبرى على الدولة السعدية، وكان الإنجليز يعيدون تحويلها إلى نقود إنجليزية. وتميزت حالة الذهب والفضة في الفترة مابين 1471 ـ 1603م بوفرة الذهب الذي كان يتزود منه العالم حتى بداية القرن 16م، من أفريقيا ما وراء الصحراء وبوساطة برتغالية ثم حلت محلها الوساطة المغربية بالنسبة لذهب أفريقيا ما وراء الصحراء[759].

(756)- راجع : الفشتالي، مناهل الصفا، ص 165.

(757)- قيل أن خراج مدينة تنبكتو وحدها في عهده بلغ نحو ستين قنطارا من الذهب في السنة، وأخبر التاجر الإنجليزي بمراكش في ذلك العهد، المسمى لاوانس (Lawvrence) أنه شاهد بعينه ثلاثين حملا من تبر الذهب دخلت مراكش في شهر أغسطس سنة 1594م، ذي الحجة 1003هـ، وقد وافقه المبعوث السياسي الاسباني لدى المنصور المسمى بالطازار (Balthazar) فيما كتب به إلى فيليب الثاني بأن اثنين وثلاثين حملا من التبر وصلت إلى مراكش في هذا التاريخ. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا، ج 5، ص 130.

(758)- كان التجار الانجليز في هذا العهد يرغبون في اقتناء الدنانير السعدية المضروبة في عهد المنصور ويجمعونها لصفائها من الغش ووفاء وزنها ويوجهونها لبلادهم، وحيث كان ممنوعا عليهم اخراج الذهب من المغرب، فقد كانوا يدسونه في طرود السكر المصدر منه إلى بلادهم، واتفق أن غرق مركب من مراكبهم بنهر التيمس(Thames) فذاب السكر وظهر الذهب وبلغ ذلك المنصور فغضب غضباً شديداً، وشدد في منع إخراج الذهب من مملكته بأي صفة كانت إلى الخارج وضاعف مراقبته. . راجع : الناصري، كتاب الاستقصا، ج 5، ص 130.

(759)- راجع : حليمة بنكرعي، سك النقود في المغرب، ص 23 ـ 24.

ولقد درج الفقهاء في العهد السعدي خاصة على استعمال كلمة المثقال للقطع الذهبية[760]، رغم أن أحمد المنصور كتب على نقوده اسم الدينار[761]، وظل هذا الاستعمال سائدا إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث غدا لفظ المثقال يطلق على عشرة دراهم فضية، وذلك بعد الإصلاح النقدي الذي قام به السلطان محمد بن عبدالله سنة 1766م، حينما أسس عملته على المثقال، وهو يمثل أكبر قطعة فضية، ومن هذا التاريخ ينصرف استعمال المثقال إلى القطع الفضية، والدينار إلى القطع الذهبية. ويعتبر الدينار العشري من أهم النقود الذهبية في العهد السعدي، وهو من الدنانير السعدية، وسمي عشريا باعتبار عياره المعدني حيث يتركب من تسعة أعشار الذهب وعشر النقرة (الفضة) ، وهذا يعادل في وزنه تقريبا الدينار الشرعي، وهو 4,1594جرام. وفي سنة 946هـ/1540م، وقع انتقاص في وزن الدينار العشري بحيث أصبح لا يزن سوى 20 قيراطا تساوي 3,9ج، وظل في انخفاض مستمر خلال المراحل الأولى من العهد السعدي سواء من حيث الوزن أو من حيث العيار. ودينار المهدي نسبة إلى محمد الشيخ السعدي الملقب بالمهدي، وكان وزنه مشابها لوزن الدينار السباعي وهو 3,9ج[762].

وهو ما يدل على استمرار حالة الضعف بالنسبة للعملة الذهبية السعدية في المراحل الأولى من حياة الدولة، ولعل هذا الضعف يعود لقلة معدن الذهب، مما سيتغير في عهد أحمد المنصور. ولما ضرب أحمد المنصور الدينار الذهبي، وقع في ميدان المعاملات سواء في فاس أو في سوس، تمييز بين نوعين من الدنانير، هما الدينار البالي، أو الدينار القديم: يطلق في العقود والتقاييد على الدينار المضروب قبل سنة 995هـ/1587م، وكان وزنه 20 قيراطا (3,88ج). والدينار الجديد: وهو الذي ضربه أحمد المنصور ابتداء من سنة 995هـ/1587م، وكان وزنه 24 قيراطا (4,66ج)، ومنذ سنة 997هـ/1589م، ونتيجة لمستوى الصرف القار للدينارين السابقين، راج نفس الدينارين تحت أسماء أخرى، فقد أطلق على الدينار البالي اسم الدينار الخامسي، باعتبار صرفه بخمس أواق، كما أطلق اسم الدينار السداسي على الدينار الجديد، وسمي سداسيا لأنه من ست أواق ميزانية، ويزن 24 قيراطا[763].

(760)- المثقال : عملة ذهبية تعادل الدينار وتساوي عشر أوقيات أو عشر دراهم، وكانت الواحدة تزن في البداية أربعة جرامات و729 ذهبا (4.729)، وانخفضت قيمة المثقال في عهد السعديين إلى ثلاثة جرامات و549، ثم إلى ثلاثة جرامات فقط في القرن الثاني عشر، وابتداء من عام 1174هـ/ 1760م استعيض عنه بالمثقال الفضي. راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج 2، المطبعة الملكية، الرباط، 2001م، 516.

(761)- راجع : عبدالرحمن فهمي محمد، صنج السكة.، ص 28.

(762)- ابتداء من سنة 1550م كان يطلق على الدينار العشري اسم الدينار السباعي حينما انخفض عياره، ولم يعد تركيبه المعدني يحتوي إلا على ستة أسباع الذهب وسبع الفضة، وقد جمع بين تدني الوزن 3,9ج، وتدني العيار من 900 إلى 857 في الألف بحيث قل وزنه وقل صفائه.. راجع : عمر أفا، النقود المغربية.، ص 45.

(763)- راجع : عمر أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر.، ص 44 ـ 48.

وتؤكد الوثائق والقطع الذهبية المحفوظة أن السلطان أحمد المنصور ضرب نقوداً ذهبية، وفضية، وبرونزية في عدة مدن مغربية خلال سنوات عديدة من حكمه، أما النسبة للنقود الذهبية فقد ضرب السلطان أحمد المنصور الدينار الذهبي، ونصفه[(764)].

يذكر «الفشتالي» أنه لما كانت فاس أقرب إلى مشهد الفتح من مراكش ارتحل أمير المؤمنين من مخيمه بوادي المخازن ودخل إلى فاس يوم السبت 16 أغسطس 1578م[(765)]، واستمر مقامه بها إلي أكتوبر 1578م، وفي فاس ضرب لأول مرة نقودا ذهبية بقيمة الدينار ونصفه، من طراز أخيه الغالب بالله، يحمل أسماء أبو العباس أحمد في كتابات الوجه، وأسماء أبو محمد عبدالله في الظهر، ومن عام 986 هـ/1578م إلى عام 990هـ/1584م، بدأت مراكز الصناعة في كل من فاس، ومراكش، وتارودات، والمحمدية في سك العملات الذهبية على طراز جديد حيث لم تكن عملات هذا الطراز تتسم بدقة النقش، وكانت تأخذ الشكل الدائري البسيط[(766)].

وتدل كتابات النقود الذهبية في الفترة من 995هـ/1587م إلى 998هـ/1589م على تعدد مدن الضرب، وأصبحت كتابات هذه النقود على نحو : «**بسم الله الرحمن الرحيم عبد الله أمير المؤمنين أبو العباس المنصور**، وقد ورد في قطع أخرى عبارة (المنصور بالله) ابن الإمام الخليفة محمد الشيخ المهدي الإمام القائم، ضرب بحضرة مراكش (أو ضرب بفاس) سنة...» كما اشتملت كتابات هامش الوجه على الآية القرآنية الكريمة : ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾[(767)]. سورة الأحزاب، آية 33

وتؤكد نقوش النقود ذلك حيث ضرب دينار بفاس عام 986هـ/1578م، يحمل كتابات نصها: (**بسم الله الرحمن الرحيم، عن أمير المؤمنين المجاهد في سبيل الله أمير المؤمنين أبي العباس، ضرب بمدينة فاس عام ستة وثمانين وتسعمائة**)[(768)].

وتحتفظ المجموعة بدينار[(769)] مؤرخ في مراكش عام 995هـ/1587م، (لوحة 95) ويتبع الأسلوب الفني لهذا الدينار سمات الطراز الأول من دنانير السلطان أحمد المنصور بالله، حيث النظام الدائري الشكل الذي يتوسطه دائرة خطية واسعة، تضم أربعة أسطر، ودائرة هامشية، تضم كتابة

(764)- راجع : الفشتالي، مناهل الصفا.، ص 267.

(765)- راجع : الفشتالي، مناهل الصفا.، ص 40.

(766)- راجع : Brethes J.D., contribution à l'histoire .,p p.202- 203

(767)- الدراسة التطبيقية بمتحف الآثار في الرباط

(768)- راجع : Brethes J.D., contribution à l'histoire .,p p.202- 203

(769)- رقم سجل : 2509. 2001.7.67، ويزن 4,6 جم، وبقطر 2,4سم،

قرآنية بالوجه، وكتابات تسجيلية بالظهر، ويقرأ مركز الوجه بنحو : (**بسم الله الرحمن الرحيم / عبد الله امير المؤمنين / ابو العباس/ المنصور**)، أما الهامش فيقرأ بنحو : ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾ سورة الأحزاب، آية 33، كما يقرأ مركز الظهر على النحو التالي: (ابن الامام الخليفة/ محمد الشيخ المهدي / الامام القائم)، ويقرأ هامش الظهر كالتالي: (ضرب بحضرة مراكش سنة خمس و ...... مائة)[770] .

وتحتفظ المجموعة بدينارين يتبعان الشكل الدائري المكون من دائرة وسطى كبيرة يحيط بها هامش يدور حولها، ويلاحظ العلاقة الوثيقة بين هذين الدينارين سواء في مضمون نصوصهما الكتابية، و طريقة تنفيذها أو في زخارفهما، وأوزانهما الواحدة، بالإضافة إلى أنهما ضربا في دار ضرب واحدة، وهي «فاس المحروسة»، ومن خلال الدراسة التطبيقية نجد أنهما قد ضربا بفاس في عام 996هـ/1588م[771] .

ويقرأ مركز الوجه عليهما بنحو : (**بسم الله الرحمن الرحيم/ عبدالله امير المؤمنين / ابو العباس المنصور/ بالله**)، أما مركز الظهر فيقرأ بنحو : (**ابن الامام الخليفة / محمد الشيخ المهدي / ابن الامام القائم**)، أما هامش الوجه فيحتفظ بالآية القرآنية ﴿ **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾، وينقش على هامش الظهر تاريخ الضرب بنحو : (**ضرب بفاس المحروسة سنة ست و(تسعين) وتسعماية**)، (لوحة 96). ومن خلال هذه الدراسة الميدانية نستنتج أن كتابات مركز الوجه، تشتمل على البسملة، واسم امير المؤمنين أبو العباس المنصور بالله، يحيط بها هامش يحتوى على الآية القرآنية الكريمة : ﴿ **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾ سورة الأحزاب، آية 33، أما كتابات مركز الظهر، فقد تضمنت نسب أمير المؤمنين أبو العباس المنصور بالله إلى الخليفة محمد الشيخ بن الإمام القائم، وحول الهامش اشتملت على مكان وتاريخ الضرب[772] .

ويلاحظ في السطر الأول ارتفع النقاش بلفظة الجلالة ﴿ الله ﴾ من عبارة بسم الله الرحمن الرحيم عن مستوى السطر، بحيث ظهرت وكأنها تتصدر النقوش الكتابية بالوجه، وكأنما أراد بمن يقع بصره أو يده على الدينار أن يرى أو يقرأ لفظة الجلالة فيقول ﴿ الله ﴾، وارتفع أيضا بلفظة

(770)- راجع : عبدالعزيز صلاح، النقوش والكتابات بدنانير السلطان أبي العباس أحمد المنصور بالله المحفوظة في المتحف الوطني للآثار بالرباط، (دراسة أثرية فنية)، بحث ألقي بالمؤتمر الدولي حول النقوش والكتابات في الوطن العربي من عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحديث، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، الجمهورية العربية السورية، في الفترة من 21 ـ 23 أكتوبر 2007م. ص 5 ـ 10

(771)- رقم : 21972001.7.67 ورقم : 2001.7.67.2204.

(772)- راجع : عبدالعزيز صلاح، النقوش والكتابات بدنانير السلطان أبي العباس أحمد المنصور بالله، . ص 12

الجلالة في السطر الثاني من عبارة «عبدالله» ثم ختم نصوص كتابات الوجه بلفظ الجلالة « بالله» بقية لقب «المنصور»، وكأنه بدأ نصوص المركز، وختمها بلفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ بالإضافة لإضفاء مسحة جمالية على العبارات المنقوشة[773].

وقد اشتمل الدينارين السابقين على بعض زخارف منها دائرتين خطيتين، ودائرة مكونة من حبيبات صغيرة، للفصل بين كتابات المركز، والهامش، بالإضافة إلى بعض الزخارف البسيطة، والدوائر الصغيرة بين كتابات مركز الوجه، والظهر. مثل وجود دائرة صغيرة قبل لفظة الجلالة «الله» وبعدها علامة زخرفية، ودوائر صغيرة على مركز الوجه فوق الميم في «المؤمنين»، وفوق حرف الباء في كلمة «أبو»، وحرف السين في كلمة «العباس»، و«المنصور»، وفي مركز الظهر فوق حرف الميم في كلمة «الإمام»، والخليفة، وعلامات زخرفية أسفل كلمتي «الإمام القائم».

ويلاحظ في النص التسجيلي في هامش الظهر في الدينار رقم 2197 أن كلمة «تسعين» «مطموسة»، أما الدينار رقم 2204 فكلمة «ست» غير واضحة، ومن خلال الدراسة المقارنة، وتقدير المساحة الخالية، وحجم الحروف المطموسة وغير الواضحة في الدينار الأول في رقم العشرات، والدينار الثاني في رقم الآحاد، يمكن استخلاص قراءة هذا النص على النحو التالي : «ضرب بفاس المحروسة سنة ست وتسعين وتسعمائة»[774].

وتحتفظ المجموعة بدينارين[775] ضربا في مراكش عام 998هـ/1578م، يبدو عليها التطابق واضحا في أمور عدية من أهمها وحدة مكان، وتاريخ الضرب بحضرة مراكش في سنة 998هـ/1578م، ويقرأ مركز الوجه عليهما بنحو : (**بسم الله الرحمن الرحيم/ عبدالله الامام / ابو العباس احمد / المنصور**)، كما يقرأ هامش الوجه بنحو : ﴿ **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾، وقرأ مركز الظهر بنحو : (ابن الامام ابي عبد الله / محمد الشيخ المهدي ابن الامام القائم/ بامر الله)، ويقرأ هامش الظهر بنحو (ضرب بحضرة * مراكش سنة ثمانية وتسعين وتسعماية)[776].

ويلاحظ من خلال الدراسة التطبيقية وجود دوائر خطية، ودائرة من حبيبات صغيرة، بالإضافة إلى زخرفة بالدوائر الصغيرة فوق بعض كلمات مركز الوجه بالدينار رقم 2126، مثل كلمة ﴿الله﴾ والرحيم في السطر الأول، وكلمة «عبد الله» وكلمة «الإمام» في السطر الثاني، وكلمة «أبو» في السطر

(773)- راجع: عبد العزيز صلاح، النقود والكتابات بدنانير السلطان أبي العباس أخمد المنصور بالله.، ص 12-13.

(774)- وبيانات الوزن والقطر للدينارين على النحو التالي الأول : 4,5Gr، 2,7 Cm - 2,6، أما الثاني : 4,57Gr، والقطر: 2,7Cm.

(775)- رقم 2126 2001.7.67، ورقم 2127 2001.7.67

(776)- راجع : عبدالعزيز صلاح، النقوش والكتابات بدنانير السلطان أبي العباس أحمد المنصور بالله.، ص 12-13.

الثالث، وكلمة المنصور في السطر الرابع. كما توجد بعض العلامات الزخرفية (*) بالإضافة للدوائر الصغيرة، في كتابات الظهر، مثل (*) فوق حرف الميم في كلمة «الإمام»، وفوق حرف السين في كلمة « تسعمائة»، وقبل كلمة مراكش في الدينار رقم 2126، وبين كلمة تسعمائة بنحو «تسعما(*)ئة (*)» في الدينار رقم 2127 .

وعلى الرغم من تطابق هذين الدينارين في أوزانهما، وتاريخ، ومكان ضربها، إلا أنه يلاحظ اختفاء كلمة «بالله» بعبارة «المنصور بالله» في الدينار الأول في حين ظهورها في الدينار الثاني رغم أن الدينارين يشتملان على أربعة أسطر بكتابات مركزي الوجه، والظهر، في حين يتشابه الدينار رقم 2199. 2001.7.67 مع الدنانير السابقة في جميع المميزات الكتابية، والزخرفية، (لوحة 97) ويرجح أن يكون ضربه في فاس في عام 998هـ/1590م[777] .

ويمكن القول بأنه بعد فتح السلطان أبو العباس أحمد المنصور بالله السودان ازداد النقد الذهبي دقة في الصنع، والزخرفة، وأصبح بوسطه مربع داخل دائرة على غرار النقود الموحدية[778] .

وأخذ الطراز الثاني الشكل الدائري، الذي يحيطه دائرتان على الوجهين، الدائرة الخارجية نقط متراصة، أما الداخلية فخطية، بداخلها مربع تمس زواياه الأربع محيط تلك الدائرة، مكونة بذلك أربع مضلعات متساوية، شغلت بكتابات بخط الثلث المغربي، وهي بذلك تشبه الدنانير الذهبية الموحدية، وضرب هذا الطراز في مدن عدة بالمغرب الأقصى مثل: مراكش، والكتاوة، وسجلماسة، كما أصبح يضرب الدينار الوافي الذي يزن 4,68ج، والدينار المركب يزن 10ج[779] .

وتقرأ كتاباته على النحو التالي : أولا : مركز الوجه (**بسم الله الرحمن الرحيم / عبدالله الإمام / أبو العباس أحمد / المنصور بالله**) أما هامش الوجه فتقرأ الآية القرآنية الكريمة ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾ سورة الأحزاب، آية 33. وكتابات مركز الظهر بنحو: (**ابن الإمام أبي عبد/ الله محمد الشيخ / المهدي بن الإمام / القائم بأمر الله / الشريف الحسني**)، أما الأضلاع فيدون فيها مكان، وتاريخ الضرب بنحو : ضرب بحضرة مراكش (**أو الكتاوة أو الكتاو أو ببلدة الكتاوة أو بحضرة سجلماسة**).

(777)- أما بيانات الوزن والقطر فهي على النحو التالي : وزن الدينار رقم: 2126، هو : 4,6جم، وقطره 2,7سم، ووزن الدينار رقم 2127، هو : 4,6جم، وقطره، 2,5سم، أما الدينار رقم 2199، فوزنه : 4,5جم، وقطره : 2,8سم

(778)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية .، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص 127ـ 140

(779)- راجع : عمر أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر، أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993م، ص 44 ـ 48.

وتشتمل المجموعة على عدد من القطع الذهبية، منها دينارين مؤرخان بعام 1003هـ/1594م بمراكش[780] (لوحة 98 و 99)، حيث يتفق الديناران معا في نصوصهما الكتابية وأسلوب تنفيذهما، وكذلك في مكان، وتاريخ الضرب بحضرة مراكش عام 1003هـ[781].

كما تحتفظ المجموعة بدينار مؤرخ بعام 1005 هـ/1596م بمراكش[782] (لوحة 100) ينسب إلى الطراز الثاني يحمل تاريخ ومكان ضربه في حضرة مراكش في عام 1005هـ[783]، وآخر ضرب ببلدة الكتاوة، ومؤرخ في عام 1006هـ 1597م، وينسب إلى الطراز الثاني، ويتميز هذا الدينار بالشكل الدائري الذي يتوسطه مربع يحتوي على خمسة أسطر، ودائرة خطية متماسة بالمربع، وحبيبات صغيرة مكونة أربعة أضلاع. وتحتفظ المجموعة بدينار[784] من الطراز الثاني ضرب بحضرة مراكش في عام 1010هـ/1601م (لوحة 101)، ويتميز بالشكل الدائري الذي يتوسطه مربع يحتوي على خمسة أسطر، ودائرة خطية متماسة بالمربع، وحبيبات صغيرة مكونة أربعة أضلاع، ويتشابه الدينار مع ثلاثة دنانير ضربت ببلدة الكتاوة سنة 1011هـ/1602م[785].

ومن القطع الذهبية التي تؤكد على أن مدينة المحمدية كانت من مراكز ضرب العملة في العصر السعدي، دينار نادر من ضرب المحمدية[786] (لوحة 102)، يضيف هذا الدينار إلى مراكز ضرب السكة السعدية مركزاً جديداً هي مدينة «المحمدية»، ويتبع هذا الدينار الطراز الثاني من حيث الشكل الدائري، الذي يحيطه دائرتان على الوجهين، الدائرة الخارجية نقط متراصة أما الداخلية فخطية، بداخلها مربع تمس زواياه الأربع محيط تلك الدائرة، مكونة بذلك أربع مضلعات متساوية شغلت بكتابات بخط النسخ المغربي. وعلى الرغم من أن هذا الدينار فقد مكان ضربه نتيجة لتعرضه للطرق، والقص، وإحداث ثقبين به لتحويله إلى قطعة حلي، فإننا نستطيع تأريخه من خلال دراسة عباراته التسجيلية، وتحليل طريقة توزيعها، التي تتبع الطراز الثاني الذي لم يظهر في سكة السلطان أبو العباس المنصور قبل عام 1003هـ، وعليه يمكننا تأريخ الدينار في الفترة من 1003 - 1012هـ/1594 - 1603م[787].

(780)- رقمي 21682001.7.67، و21692001.7.67

(781)- راجع : عبدالعزيز صلاح، النقوش والكتابات بدنانير السلطان أبي العباس أحمد المنصور بالله .، ص 20

(782)- رقم 2123 2001.7.67

(783)- رقم 2513. 2001.7.67

(784)- رقم : 2155 . 7. 67. 2201

(785)- أرقام : 2208 . 7. 67. 2201، و 2162. 2001.7.67، و2158. 2001.7.67،

(786)- رقم 25182001.7.67

(787)- راجع : عبدالعزيز صلاح، النقوش والكتابات بدنانير السلطان أبي العباس أحمد المنصور بالله، ص 16 ـ 20.

وكان ابتداء مرض المنصور بمحلته خارج فاس الجديد قرب سيدي عميرة، يوم الأربعاء حادي عشر ربيع النبوي، سنة اثنتي عشرة وألف (11 ربيع النبوي 1012/ 20 أغسطس 1603م)، ودخل إلى داره بالمدينة البيضاء عشية ذلك اليوم بعد الغروب، وتوفي هنالك ليلة الاثنين الموالي لتاريخه، ودفن بإزاء مقصورة الجامع الأعظم، ضحوة يوم الاثنين المذكور، وحضر جنازته ولده زيدان، وقدم للصلاة عليه مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها الفقيه أبو عبدالله، محمد بن قاسم القصار[788].

وبعد وفاة أبو العباس أحمد المنصور بالله، تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المغرب الأقصى، وتتميز هذه المرحلة بالضعف نتيجة الصراع المرير على السلطة بين أبنائه وأحفاده، وستنعكس أحداثها التاريخية على شتى مناحي الحياة بصفة عامة، وعلى المنتجات الصناعية، والتحف الفنية بصفة خاصة، ويمكن توضيح ذلك في الصفحات التالية.

(788)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 201 .

الصراع على السلطة

أواخر العصر السعدي وأثره على النقوذ الذهبية

تتمثل الفترة التي أعقبت وفاة أبو العباس أحمد المنصور بالله، والتي تؤكد المصادر التاريخية أنها شهدت صراعاً مريراً بين أبنائه وأحفاده على السلطة، ودارت الحروب والمعارك بينهما، ففي الوقت الذي بويع الناصر زيدان عقب وفاة والده في مدينة فاس، أخذ أخيه أبو فارس عبدالله الواثق بالله البيعة لنفسه في مدينة مراكش، بالإضافة إلى ظهور الشيخ المأمون على مسرح الأحداث، حيث دار الصراع السياسي والعسكري بينهما. وتؤكد المصادر التاريخية أن أمير المؤمنين الخليفة المنصور أبو العباس أحمد الذهبي السعدي[789] كان قد جعل ولاية عهده لابنه الأكبر محمد الشيخ الذي تلقب بالمأمون، وولاه على مدينة فاس، ولكن المأمون أساء السيرة، وارتكب مخالفات، واعتداءات شنيعة، وبدرت منه أفعال أغضبت الناس، فنقله أبوه إلى سجلماسة على أمل أن يصلح حاله فلم يصلح، فولى المنصور ابنه الثاني زيدان على فاس، وابنه الثالث أبو فارس على مراكش[790].

وبذلك تشير المصادر التاريخية إلى وجود خليفتين في نفس الشهر الذي توفى فيه الخليفة المنصور أحمد، أولهما الخليفة الناصر زيدان في فاس، والآخر الخليفة أبو فارس الواثق بالله في مراكش، وقد بدأ الصراع السياسي والعسكري بينهما على السلطة، وازداد الأمر تعقيدا بظهور الأخ الثالث «محمد الشيخ المأمون» على مسرح الأحداث حيث كان في السجن، فأخرجه الواثق بالله وسيره على قيادة جيشه لمحاربة أخيهما الناصر زيدان، وكان اللقاء عند موضع يسمى حواته[791]. واستطاع الشيخ المأمون إلحاق الهزيمة بزيدان، وتنصيب نفسه ملكا على فاس، ودخل بذلك الأخوة الثلاثة، وأبناؤهم في حروب دامية استمرت حدتها طوال العشر السنوات الأولى من وفاة الخليفة

(789)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 13، محمد حجي، السعديون، معلمة المغرب، ص 4984.

(790)- كان أبو فارس غريب الأطوار، ويقال إنه كان به مس من الجنون، وقد زعموا أنه ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح الشيخ أبي العباس السبتي بمراكش، وشيد منارة، وأنشأ خزانة كبيرة شحنها بالكتب، وكان يرجو أن يصرف الله عنه ذلك المرض بذلك، وكان أبو فارس أكولاً عظيم البطن. راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.، مج 2، ج 2، ص 209.

(791)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب الإسلامي.، مج 2، ج 2، ص 209.

المنصور. وقد انعكس أثر هذا الصراع بين أبناء الخليفة المنصور بالله[792]، وأحفاده على شتى نواحي الحياة، وعلى النقود الذهبية التي ضربت في تلك الفترة، وتنقسم النقود الذهبية أواخر العصر السعدي من خلال الدراسة التطبيقية إلى ثلاثة مراحل كالتالي :

المرحلة الأولى : النقود الذهبية السعدية في الفترة من 1012- 1017هـ/1603-1608م

1ـ نقود أبو فارس الواثق بالله الذهبية (1012 ـ 1017هـ/1605ـ1608م)

يتبين من دراسة مجموعة النقود الذهبية الخاصة بالخليفة أبي فارس الواثق بالله، أنها اتخذت نفس الشكل التي تميزت به نقود والده، الخليفة أمير المؤمنين المنصور بالله أبو العباس أحمد، وهو الشكل الدائري، الذي يحيطه به دائرتان على الوجهين، الدائرة الخارجية خطية، أما الداخلية فعبارة عن نقط متراصة بداخلها مربع تمس زواياه الأربع محيط تلك الدائرة[793]، مكونة بذلك أربع مضلعات متساوية شغلت بكتابات بخط الثلث المغربي، وهو الطراز الشائع منذ الدولة الموحدية[794]، والتي ظل تأثيرها واضحاً على العملة الذهبية المغربية[795] حتى عصر الدولة السعدية[796]. وقد أشار مؤرخ مجهول[797] إلى أن مراكش والسوس ونواحيه كانت تابعة لحكم أبو فارس الواثق بالله[798]. ونذكر على سبيل المثال دينار باسم أبي فارس الواثق بالله رقم : 2001.7.67.2191 المؤرخ بحضرة مراكش عام 1012هـ، يمكن قراءة كتاباته على مركز الوجه بنحو: (**بسم الله الرحمن الرحيم / عبدالله الامام/ ابو فارس/ الواثق بالله / اميرالمؤمنين**)، ويقرأ هامش الوجه بنحو : ﴿ **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ سورة الأحزاب، آية 33، أما مركز الظهر فيقرأ بنحو : (**ابن الامام ابي العباس / المنصور امير المومنين / بن الامامين الخليفتين / اميري المؤمنين /**

(792)- راجع : عبدالكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، ط 3، 2006م، ص 328.

(793)- راجع : Eustache Daniel, Corpus des dirhams Idrisites et contemporains, Collection de la Banque du Maroc et autres Collections Mondiales, Pupliques et privées, Rabat, 1970-1971,11-81., Colin Georges S., Mannaies de la period Idrisite trouvées à Volubils, Hespéris, Tome XXII, 1936, pp.113 – 125

(794)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين.، ص 127ـ 144.

(795)- راجع : صالح يوسف بن قربة، المسكوكات المغربية.، ص 37ـ 40.، رأفت محمد محمد النبراوي، النقود الإسلامية.، ص 271.

(796)- راجع : Eustache D., Corpus des Monnaies Alawites, Collection de la Banque du Maroc et autres collections mondiales, publiques et privées, Rabat, 1984., Deverdun Gaston,Découvert d'un trésor Monétaire près de Boujad,Hespéris, Tome XLV, 1958,p.203

(797)- يذكر مؤلف مجهول أن زيدان، وأبو فارس الواثق بالله، قد قسموا البلاد قبل نشوب الحرب بينهما من تادلة إلى تازي، ونواحيها لزيدان صاحب فاس، ومن مراكش إلى سوس، ونواحيه لأبي فارس صاحب مراكش. وهذه الإشارة تؤكد تبعية « بيلدة سوس» لأبي فارس الواثق بالله. راجع : مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تحقيق عبدالرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، 1994، ص 83.

(798)- يذكر الناصري أنه بعد هزيمة أبو فارس الواثق بالله أمام جيش الخليفة الشيخ المأمون بقيادة ابنه عبدالله، في أكلميم أو مرس الرماد، فر إلى مسفيوة ثم إلى السوس . راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 224 و 231.

الشريف النبوي)، ويقرأ هامش الظهر كالتالي : **(ضرب بحضرة / مراكش / حاطها الله / عام اثنتي عشر والف)**[799]. (لوحة 103)

2- نقود الخليفة محمد الشيخ المأمون الذهبية (1012 ـ 1022هـ/ 1603ـ1613م)

ضربت بمدينة فاس نقود ذهبية في عام 1012 هـ باسم محمد الشيخ المأمون بن أبو العباس أحمد المنصور (1012ـ1022هـ/1603ـ1613م)، إلى جانب النقود الذهبية التي ضربت باسم الخليفة أبو فارس الواثق بالله في حضرة مراكش، في نفس العام، وقد اتخذت دنانير الخليفة الشيخ المأمون شكل الزهرة الدائرية، حيث احتوت على كتابات سياسية بمركزي الوجه، والظهر تتضمن أسماء وألقاب الخليفة منسوبا إلى أبيه الخليفة المنصور بالله أحم،د منعوتا بابن الخلفاء الراشدين، وملقبا بالشريف الحسني، وهي نفس العبارات التي وردت على دنانير أبيه، أما هامش الوجه فقد خصص لنفس الكتابات الدينية السائدة من الآية القرآنية الكريمة : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ سورة الأحزاب، آية 33. واشتمل هامش الظهر على مكان، وتاريخ الضرب. ومن خلال ما نشره الباحث " Brethes J.D " من مجموعة من الدنانير النادرة التي تحمل اسمه وألقابه، ونكتفي بالإشارة إلى قطعة نقدية ذهبية ضربت في مدينة فاس، وأخرى ضربت في مدينة مراكش، وذلك للتعرف على السمات الصناعية والفنية للنقود الذهبية التي ضربت باسم الخليفة محمد الشيخ المأمون[800]. أما القطع النقدية الذهبية الخاصة بالخليفة محمد الشيخ المأمون والتي ضربت بمدينة مراكش، فقد استمر نفس الشكل المنفذ في مدينة فاس، والذي شكل الزهرة الدائرية، إلا أنه قد وجدت بعض الاختلاف في مضمون الكتابات السياسية عن مثيلتها التي ضربت في مدينة فاس[801].

ونستخلص مما سبق أن الخليفة محمد الشيخ المأمون قد ضرب إلى جانب نقوده التي ضربها بمدينة فاس، نقوداً ذهبية بمدينة مراكش في عام 1015هـ، وهو تاريخ انتصار جيشه على جيش الخليفة أبو فارس الواثق بالله، ودخوله مدينة مراكش، كما توضح ذلك المصادر التاريخية، بالقول : «أنه بعد استيلاء الشيخ المأمون على فاس، جهز جيشا لقتال أخيه أبي فارس بمراكش، وأمَر عليه ولده عبدالله، فسار بجيوشه، ووقعت الهزيمة على أبي فارس، ونهبت محلته، وفر بنفسه

(799)- بيانات وزن هذا الدينار فهي 4,7جم، وقطره 2,9سم. راجع : عبدالعزيز صلاح، إضافات جديدة على نقود الدولة السعدية، في ضوء نشر مجموعة مخزن المتحف الوطني للآثار بالرباط، حولية أبجديات،مكتبة الإسكندرية. العدد 5، أكتوبر 2010، ص 140.

(800)- المقاييس : القطر 26 ملم، والوزن. 4,7gr راجع : Brethes J.D., contribution à l' histoire du Maroc ., p.209

(801)- المقاييس : القطر 26 ملم.، والوزن. 4,67gr راجع : Brethes J.D., contribution à l' histoire du Maroc ., p.209

إلى مسفيوة، ودخل عبدالله بن الشيخ مراكش، وكان دخوله مراكش في العشرين من شعبان سنة خمسة عشرة وألف/ 21 ديسمبر 1606م[802].

ولم يستمر جيش الخليفة الشيخ المأمون في السيطرة على مدينة مراكش طويلاً، فقد خرج من مراكش مهزوما في سادس شوال سنة ست عشرة وألف (24 يناير 1608م)، حيث تذكر المصادر التاريخية أنه لما دخل عبدالله بن الشيخ مراكش، واستولى عليها، وأساء المعاملة مع أهلها، هربت مجموعة من أهل مراكش إلى جبل جليز، واتفق رأيهم على أن يقدموا للخلافة محمد بن عبدالمؤمن ابن السلطان محمد الشيخ، وكان رجلا خيرا، فبايعه أهل مراكش هنالك، والتفوا حوله، وخرج عبدالله بن الشيخ للقتال في جبل جليز والقبض على أميرهم[803]. ولما التقى الجمعان انهزم عبدالله، وولى أصحابه الأدبار، فخرج من مراكش مهزوما سادس شوال سنة ست عشرة وألف (24 يناير 1608م)، إلى أن وصلوا إلى فاس في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة/ 11 مارس 1608م[804].

ويعكس دينار نادر ضرب بحضرة مراكش عام ستة عشر وألف هذه الأحداث التاريخية، يُقرأ في مركز وجهه عبارة: **بسم الله الرحمن الرحيم الله حسبي ونعم الوكيل عبد الله أمير المؤمنين**، ويحمل هامش الوجه الآية القرآنية الكريمة: ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ سورة الفتح، آية 1، كما يقرأ مركز الظهر عبارة: الناصر لدين الله القائم بأمر الله بن أحمد بن الأئمة الراشدين، أما هامش الظهر فيحمل مكان، وتاريخ ضربه، بنحو: **ضرب بحضرة مراكش عام ستة عشر وألف**[805].

3- نقود الناصر زيدان الذهبية في الفترة من 1012 - 1017هـ/ 1605 - 1608م

تذكر المصادر التاريخية، أن السلطان زيدان لما فر من فاس إلى تلمسان، أقام بها مدة، وكان قد بعث إلى ترك الجزائر يستمدهم ويستعيدهم على أخويه فأبطأوا عليه، فلما يئس منهم، توجه إلى سجلماسة فدخلها من غير قتال، ولا محاربة، ثم انتقل إلى درعة، ومنها إلى السوس، فكتب إليه أهل مراكش أن يأتيهم فتوجه إليهم، ودخل عليهم ليلا فلم يشعر عبد الله بن الشيخ إلا ونداء أهل مراكش

(802)- راجع: الناصري، كتاب الاستقصا، ج 5.، ص 223 - 224.

(803)- ذكر الناصري، أن هذا الثائر بجبل جليز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان أبو العباس الأعرج. راجع: الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 227.

(804)- وعندما دخل محمد بن عبدالمؤمن مراكش واستولى عليها، صفح عن الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبدالله بن الشيخ، وأعطاهم الراتب، فلم يعجب ذلك أهل مراكش، ونقموا عليه، وكتبوا سرا إلى السلطان زيدان بالجبل، فأتاهم وخيم نازلا بظاهر البلد، فخرج محمد بن عبدالمؤمن إلى لقائه، فانهزم ابن عبدالمؤمن، ودخل السلطان زيدان مراكش، واستولى عليها. راجع: الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 227.

(805)- المقاييس: القطر 25 ملم، والوزن. 4,57gr. راجع: Brethes J.D., contribution à l'histoire du Maroc ., p.210

بنصر زيدان، وتقدموا إلى قائدهم عبدالله بن أعراس[806] الذي ولاه الشيخ فقتلوه، وخرج عبدالله الشيخ فارا بمجموعة من أهل فاس والغرب، وذلك في أواخر سنة خمس عشرة وألف (أواخر أبريل 1607م)[807].

وتحتفظ المجموعة موضوع الدراسة، بدينارين نادرين لهذه الأحداث، وتأكيد دخول الناصر زيدان مدينة مراكش وضربه للنقود الذهبية التي تحمل اسمه وألقابه في عام 1015هـ. ويمثل هذا النوع من نقود الملك الناصر زيدان الطراز الأول لنقوده الذهبية التي اتسمت بوجود خمسة طرز فنية وصناعية، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

الطراز الأول: شكل دائري بداخله هيئة زهرة ثمانية البتلات

تميز هذا الطراز من نقود الناصر زيدان الذهبية، باتخاذها الشكل الدائري الذي يتوسطه دائرة خطية واسعة عن طريق زهرة ثمانية البتلات، وزعت حولها، وبداخلها الكتابات القرآنية، والتسجيلية، التي تضم أربعة أسطر في المركز تشتمل على الكتابات التسجيلية، يحيط بها دائرة هامشية من النقط تضم كتابة قرآنية بالوجه، وكتابات تسجيلية بالظهر، وتتميز هذه النقود بوجود اسم الناصر زيدان في مركز الوجه منعوتا بلقب الفاطمي في مركز الظهر، وتضم المجموعة موضوع الدراسة دينارين من ضرب مدينة مراكش في عام 1015هـ، الأول : الدينار رقم 2183 .2001.7.67 المؤرخ في عام 1015 هـ، (لوحة 104) ويمكن قراءة كتاباته على النحو التالي : يقرأ مرجه الوجه بنحو :(**بسم الله الرحمن الرحيم / عبدالله السلطان/ الملك الناصر زيدان / امير المومنين**)، ويقرأ الهامش بنحو : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ سورة الأحزاب، آية 33، أما مركز الظهر فيقرأ كالتالي : (**الفاطمي / ابن السلطان احمد / ابن السلطان محمد / ابن السلطان محمد**)، ويقرأ الهامش بنحو : (**ضرب بحضرة مراكش حاطها الله عام خمسة عشر والف**).

(806)- عبدالله أعراس (أعراص): كان قائدا للجيش بمدينة فاس في العصر السعدي، وكان شديد الخدمة لأبي المحاسن الفاسي، إلى درجة أنه وضعه في منزلة القرابة إذ أنه كان كثير التردد عليه للإقامة. قضى مدة في السجن بأمر من أحمد المنصور، وقد واتته فرصة الخروج منه بتدخل من أبي المحاسن على ما يظهر، حينما أعد أحمد المنصور جيشه لمواجهة ثورة ابن أخيه الناصر بن عبدالله الغالب في رمضان 1003هـ. وبعد وفاة أحمد المنصور وبداية النزاع بين زيدان، ومحمد الشيخ المأمون انحاز عبدالله أعراس إلى هذا الأخير، فكان من جملة قواده، عينه على مراكش بعد إجلاء زيدان عنها، وفراره إلى تلمسان 1012هـ. غير أن أهل المدينة ثاروا على عبدالله أعراس بمجرد عودة زيدان سنة 1015هـ، وتمكنوا من قتله. راجع : حسن الفيكيكي، أعراص عبدالله، معلمة المغرب، ج 2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989م، ص 515.

(807)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 225-226.

وأما الدينار الآخر : فيحمل رقم 2200. 2001.7.67، ويتشابه مع الدينار السابق في جميع الخصائص الصناعية والفنية، ومضمون النصوص الكتابية وأسلوب تنفيذها، مع ملاحظة وجود طمس في عبارة (حاطها الله عام)، على هامش الظهر[808]. (لوحة 105)

المرحلة الثانية : النقود الذهبية السعدية في الفترة من 1018 ـ 1037 هـ/ 1609 ـ 1627 م

كان الشيخ المأمون قد بعث ابنه عبدالله مرة ثالثة إلى حرب الناصر زيدان بمراكش وأعمالها، فخرج عبدالله من فاس في آخر ذي الحجة سنة ست عشرة وألف (1016هـ/ 1608م)، فالتقى الجمعان بوادي أبو رقراق، فكانت الهزيمة على عبدالله وفر مع أصحابه، وترك محلته بما فيها بيد السلطان زيدان، حيث انضم جيش أهل فاس إلى زيدان، وعندما علم بذلك أبيه الشيخ المأمون فر إلى القصر الكبير ولحق به ابنه عبدالله، وانضم إليهم أبو فارس الواثق بالله[809]، ودخل جيش زيدان بقيادة مصطفى باشا إلى فاس، ومنها توجه إلى ناحية القصر الكبير للقبض على الشيخ المأمون، وعندما وصل الخبر إلى الشيخ فر إلى العرائش، ومنها ركب البحر إلى فليب الثالث ملك أسبانيا مستصرخاً به على السلطان زيدان، وحمل معه أمه الخيزران، وبعض من أفراد أسرته، وجماعة من قواده وبطانته، وذلك في ذي القعدة سنة سبع عشرة وألف/ فبراير 1609م. وفي السابع والعشرين من شوال من نفس العام، التقى زيدان مع ابن أخيه عبدالله بن الشيخ صاحب فاس برؤوس الشعاب، فانهزم عبدالله بن الشيخ، وفر إلى محلة أبيه بالعرائش، ثم رجع إلى جهة فاس، وانتهى إلى دار ابن مشعل، واستولى عمه السلطان زيدان على محلته، وسار إلى فاس واستولى عليها، وأقام بها إلى أن دخلت سنة ثمان عشرة وألف[810].

وتؤكد المجموعة موضوع الدراسة هذه الأحداث التي وردت في كتب المصادر التاريخية، حيث تحتفظ بدينار نادر[811]، ضرب في مدينة فاس في عام 1018هـ.(لوحة 106)، ويمثل هذا الدينار الطراز الثاني من طرز دنانير الناصر زيدان، فهو عبارة عن الشكل الدائري الذي يحتوي على كتابة (الطغراء) لاسم الناصر زيدان في مركز الوجه منعوتا بلقب الملك الناصر زيدان الفاطمي في مركز الظهر. ويمكن قراءة كتاباته كالتالي : يقرأ مركز الظهر بنحو : (**بسم الله الرحمن الرحيم / زيـــد / نـــ / يـــد / عبدالله امير المؤمنين**)، أما هامش الوجه فيقرأ بنحو : ﴿**انما يريع الله**

(808)- يلاحظ وجود ثقب على وجهي هذا الدينار مما يدل على تعرضه لإعادة استخدامه في عصر لاحق.

(809)- تذكر المصادر التاريخية أن أبو فارس الواثق بالله قد فر من مرس الرماد إلى مسفيوة حيث أقام بها مدة، وعندما استولى السلطان زيدان على مراكش، وشدد في طلبه، فر إلى السوس، ثم لحق بأخيه الشيخ المأمون في القصر الكبير. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 231 ـ 232.

(810)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 231 ـ 232.، عبد العزيز صلاح، إضافات جديدةعلى نقود الدولة السعدية.، ص140-146.

(811)- رقم سجل هذا الدينار : 2001.7.67.727

﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ سورة الأحزاب، آية 33، ويقرأ مركز الوجه كالتالي : (**الملك الناصر / زيدان الفاطمي / ابن السلطان أحمد / ابن السلطان محمد**)، ويقرأ هامش الظهر بنحو : (**ضرب بحضرة فاس المحروسة حاطها الله عام ثمانية عشر والف**).

ثم تستمر المصادر التاريخية في متابعة الأحداث في تلك الفترة، فتذكر أنه في سنة ثمان عشرة وألف، اتصل الخبر بقيام بعض الثوار بناحية مراكش، فنهض الناصر زيدان إليها، واستخلف على فاس القائد مصطفى باشا، وبعد رحيله قدم عبدالله بن الشيخ، وعمه أبو فارس إلى فاس، فخرج مصطفى باشا لمقابلتهما، فقتل، ودخل عبدالله بن الشيخ فاسا مع عمه أبي فارس، وذلك سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف/ 20 يوليوز 1610م. ولما سمع السلطان زيدان، وهو بمراكش بمقتل مصطفى باشا عاد إلى فاس[812].

وفي سادس رجب سنة تسع عشرة وألف دخل أصحابه فاسا، ثم أمر زيدان بتسكين الروعة والأمان، وفي اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور، نزل عبدالله بن الشيخ برأس الماء فخرج زيدان، واقتتلوا فانهزم زيدان، وفر، وكان ذلك آخر رجوع لزيدان إلى فاس، وأنه لما أعياه أمر الغرب، أعرض عنه إلى أخر دولته، وصرف عنايته إلى ضبط ما خلف وادي أم الربيع[813] إلى مراكش وأعمالها، وبقي عبدالله الشيخ بفاس إلى أن هلك، وقام بأمر فاس من بعده ثوارها[814].

وتؤكد المصادر التاريخية أن استقرار الأمر نسبيا للمولى زيدان بمراكش بدأ منذ عام 1022هـ، بعد أن خفت حدة الحروب الأهلية على أثر مقتل أخويه : أبو فارس الواثق بالله 1018هـ[815]، ومحمد الشيخ المأمون 1022هـ[816] وذلك مكنه من العمل على إقرار بعض الأوضاع الداخلية المضطربة، كما

(812)- راجع : الإفراني، نزهة الحادي، ص 291 ـ 293.

(813)- أم الربيع : اسم نهر كبير بالمغرب تنبع مياهه من جبال الأطلس المتوسط بين خنيفرة وعين اللوح، وتصب في المحيط الأطلسي عند مدينة أزمور. ومن أكبر روافده وادي أم الربيع. الذي يعتبر من أخصب بلاد المغرب. راجع : المكناسي (أحمد بن القاضي)، جذوة الاقتباس.، ص 19

(814)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 234 ـ 237.

(815)- مقتل أبو فارس الواثق بالله: بعد أن دخل عبدالله بن الشيخ إلى فاس مع عمه أبي فارس في سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف، اتفق راي قواد شراقة على قتل عبدالله وتوليه عمه أبي فارس، فبلغ ذلك عبدالله فدخل على عمه ليلا مع حاجبه حم بن عمر فوجده على سجادة وجواريه حوله، فأخرجهن، وأمر بعمه فخنق، وذلك في جمادى الأولى 1018هـ/ أغسطس 1610م.. راجع : الإفراني، نزهة الحادي، ص 289.

(816)- مقتل محمد الشيخ المأمون : فر محمد الشيخ إلى العرائش ومنها ركب البحر إلى الملك فليب الثالث ملك أسبانيا مستصرخاً به على السلطان زيدان، وذلك في ذي القعدة سنة سبع عشرة وألف/ فبراير 1609م.، فلم يزال بها إلى أن شرط عليه أن يخلي له العرائش من المسلمين، ويملكها للنصارى، فقبل محمد الشيخ ذلك، حتى خرج المسلمون من العرائش، وأحتلها النصارى في رابع رمضان عام تسعة عشر وألف، ووقع في قلوب المسلمين من الامتعاض من أخذ العرائش أمر عظيم، وأنكروا ذلك أشد الإنكار.وقتل محمد الشيخ على يد المقدم محمد أبو الليف بموضع يعرف بفج الفرس في خامس رجب سنة اثنتين وعشرين وألف. راجع : الإفراني، نزهة الحادي، ص 291 ـ 293.

ساعده على تنظيم مقاومة الغزاة الإسبان بالشواطئ المغربية[817]. وتعكس مجموعة نقود الناصر زيدان الذهبية موضوع الدراسة هذا الوضع خلال الفترة من 1018 – 1037هـ/1609 – 1627م، التي تعددت فيها طرزها الصناعية والفنية. ويمكن توضيح ذلك كالتالي :

• **الطراز الأول :**

تحتفظ المجموعة موضوع الدراسة بثلاثة دنانير من الطراز الثاني (الطغراء)، الذي يتمثل في الشكل الدائري المتضمن كتابة الطغراء للناصر زيدان في مركز الوجه منعوتا بلقب الفاطمي في مركز الظهر[818] (لوحة 107)، ومما يدل على انتشار الطراز الثاني من نقود الناصر زيدان الذهبية، وتعدد مدن ضربه، مثل بلدة الكتاوة، وسوس، وغيرها.

• **الطراز الثاني :**

يأخذ هذا الطراز شكل دائرة بداخلها مربع، وتشتمل كتابات مركز الوجه على لقب الناصر زيدان أمير المؤمنين، وقد ضرب هذا الطراز منذ 1018هـ، في مدينة مراكش، وفي بلدة الكتاوة، ويتضح ذلك على الدينارين[819] (لوحة 108)، ويقرأ مركز الوجه بنحو : (**بسم الله الرحمن الرحيم / عبدالله الامام / الناصر زيدان/ امير المومنين**)، ويقرأ هامش الوجه بنحو : (**ضرب بحضرة /مراكش/ حاطها الله عام / ثمانية عشر والف**)، أما مركز الظهر فيقرأ كالتالي : (**ابن الامام احمد ابن الا / مام محمد الشيخ الا / مام القائم بامر الله / الشريف الحسني**)، ويقرا هامش الظهر بنحو : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾. وقد ضرب من هذا الطراز قطع نقدية تحمل بعض الاختلافات في توزيع الكتابات التسجيلية، وتشتمل كتابات مركز الوجه فيها على لقب الناصر زيدان أمير المؤمنين، وهذه القطع تحمل نفس السمات المميزة للطراز الثاني مع وجود اختلاف في كتابات مركز الوجه، حيث تظهر في السطر الثالث عبارة (**الناصر لدين الله أمير**) عوضا عن عبارة (**الناصر زيدان**)، وفي السطر الرابع عبارة (**المؤمنين زيدان**)، عوضا عن عبارة (**أمير المؤمنين**)، ويتضح هذا الطراز في ثلاثة دنانير[820] مؤرخة في عام 1018هـ ببلدة الكتاوة، (لوحة 109).

(817)- راجع : عبدالكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، ط 3، 2006م، ص 329.

(818)-أرقام : 2001.7.67.2102، ورقم 2001.7.67.2153، ورقم 2001.7.67.2150، يلاحظ من خلال الدراسة التطبيقية طمس ة في عبارة هامش الظهر على هذه القطع، ويمكن من خلال الدراسة المقارنة قراءتها بنحو (حاطها الله عا).

(819)-محفوظة تحت رقمي رقم 2001.7.67.2213، و2001.7.67.2214.، عبد العزيز صلاح، إضافات جديدة على نقود الدولة السعدية، ص 145-148.

(820)-محفوظة تحت أرقام : 2001.7.67.21074، و 2001.7.67.2215، و 2001.7.67.2185.

◆ **الطراز الثالث :**

يأخذ شكل دائرة بداخلها مربع، وتتميز الكتابات التسجيلية في مركز الوجه بوجود لقب الناصر زيدان بعبارة (**الملك الناصر زيدان أمير المؤمنين**)، ومركز الظهر بعبارة (**ابن الإمامين الخليفتين أميري المؤمنين الشريف الحسني**)، وهي نفس العبارات الواردة على دنانير أبيه المنصور أحمد. وتحتفظ المجموعة بدينارين نادرين[821] تم ضربهما في حضرة مراكش في عام عشرين، ويمكن قراءة نصوصهما على النحو التالي: يقرأ مركز الوجه بنحو (**بسم الله الرحمن الرحيم / عبدالله الامام / الملك الناصر / زيدان امير المومنين**)، ويقرأ هامش الوجه بنحو : (**ضرب بحضرة / مراكش حا / طها الله / عام عشرين والف**)، ويقرا مركز الظهر بنحو : (**ابن الامام احمد ابن الا / مامين الخليفتين / اميري المومنين / الشريف الحسني**)، أما هامش الظهر فيقرأ بنحو : ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ...﴾. (لوحة 110).

◆ **الطراز الرابع :**

يأخذ هذا الطراز شكل دائرة بداخلها مربع، وتتميز كتابات هذا الطراز بتطور أسلوبها الفني، وتشتمل كتابات مركز الوجه على اسم الناصر زيدان بعبارة : (**الناصر لدين الله أبو المعالي**[822] **زيدان أمير المؤمنين**)، وتحتفظ المجموعة على دينارين، الأول[823] ضرب في عام 1025هـ، بحضرة مراكش، ويقرأ مركز الوجه بنحو : (**بسم الله الرحمن الرحيم / عبدالله الامام / الناصر لدين الله / ابو المعالي زيدان / امير المومنين**)، ويقرأ هامش الوجه بنحو : (**ضرب بحضرة / ..... / حاطها الله عام / خمسة وعشرون والف**)، ويقرأ مركز الظهر كالتالي : (**ابن الامام احمد ابن الا / مامين الخليفتين / اميري المومنين / الشريف الحسني**)، أما هامش الظهر فيقرأ بنحو : ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ...﴾. (لوحة 111) أما الدينار الثاني[824]، فيتميز بوجود لقب زيدان بنحو (**أبو المعالى زيدان الناصر لدين الله أمير المؤمنين**)[825] ويرجح ضربه بمراكش عام 1027هـ. (لوحة 112)

(821)- محفوظة تحت رقمي سجل 2001.7.67.2284، و2001.7.67.2177،

(822)- تعتبر أول إشارة تاريخية لظهور لقب للناصر زيدان بـ « أبو المعالي » فما أورده الناصري في حوادث يوم الخميس السابع والعشرين من شوال سنة سبع عشرة والف/ 3 فبراير 1609م. راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 232.

(823)- محفوظة تحت رقم سجل 2001.7.67.2217،

(824)- يحمل رقم سجل : 2001.7.67.2186، ويلاحظ من خلال الدراسة التطبيقية وجود ثقب دائري في هذا الدينار مما يفيد إعادة استخدامه كأدوات للزينة، ولحسن الحظ الكتابات في حالة جيدة عليه.

(825)- كانت وفاة الناصر زيدان في المحرم فاتح سنة سبع وثلاثين وألف (1 محرم 1037هـ/ 12 سبتمبر 1627م). ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش . راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.،ج 5، ص 277

المرحلة الثالثة : النقود الذهبية بعد وفاة الناصر زيدان في الفترة من 1037-1054هـ/1627-1644م

تتمثل المرحلة الثالثة من النقود الذهبية أواخر الدولة السعدية موضوع الدراسة في الفترة التي أعقبت وفاة الناصر زيدان عام 1037هـ/ 1627م، إلى نهاية الدولة السعدية، وتحتفظ المجموعة بدينار رقم 2103 .2001.7.67، يحمل أسماء وألقاب الخليفة الوليد بن زيدان، ويتضح من الدراسة الوصفية لدينار الوليد بن زيدان أنه عبارة عن دائرة بداخلها مربع (دائرة خطية يليها دائرة من النقط وهما متقاطعتان مع الحافة)، وتتميز بتسجيل كتابته التسجيلية والدينية بالخط الثلث المغربي الذي ناله التطور في أواخر العهد السعدي، بالإضافة إلى تسجيل تاريخ السك بالأرقام الغبارية، ويتشابه دينار الوليد بن زيدان مع دينار باسم محمد الشيخ بن زيدان[826]، ويحمل أسماء، وألقاب السلطان الوليد بن زيدان، يقرأ مركز الوجه بنحو : (**بسم الله الرحمن الرحيم / الخليفة الوليد / المنصور بالله بن الا / مام الناصر زيدان**)، ويقرأ هامش المركز بنحو : (**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**)، كما يقرأ مركز الظهر كالتالي : (**ابن الامام ابي العباس / احمد المنصور بالله / ابن الامام محمد الشيخ / الشريف الحسني**)، ويقرا هامش الظهر بنحو: (**ضرب بحضرة / مراكش / حاطها الله / عام** **1042**). (لوحة 113).

عندما قتل السلطان الوليد في الرابع عشر من رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وألف / 21 فبراير 1636م، اختلف الناس فيمن يقدمونه للولاية عليهم، ثم أجمع رأيهم على مبايعة أخيه محمد الشيخ (1045 ـ 1064 هـ/ 1636 ـ 1654م)، وإلقاء القيادة إليه، فأخرجوه من السجن، وبويع بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف/ 22 فبراير 1636م[827]. وتحتفظ المجموعة موضوع الدراسة بدينار نادر[828] يحمل أسماء وألقاب السلطان محمد الشيخ بن زيدان، يمكن قراءته كالتالي، يقرأ مركز الوجه : (**بسم الله الرحمن الرحيم / عبدالله الامام / محمد الشيخ بن / الامام زيدان**)، ويقرأ الأضلاع بنحو : ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾، ويقرأ مركز الظهر كالتالي : (ابن الامام احمد / ابن الامام محمد / المهدي بن

(826)- محفوظة تحت رقم سجل 2001.7.67.2526، بالمتحف الوطن للآثار بالرباط.

(827)- عندما بويع محمد الشيخ بن زيدان سار في الناس سيرة حميدة. وكان متواضعا في نفسه، صفوحا عن الهفوات، متوقفا عن سفك الدماء، مائلا إلى الراحة والدعاء، متظاهرا بالخير، ومحبة الصالحين، إلا أنه كان منكوس الراية، مهزوم الجيش، بسبب ذلك لم يصف له مما كان بيد أخيه، وإخوته إلا مراكش، وبعض أعمالها، وكانت وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان سنة أربع وستين وألفا/ 1653م، وقيل أنه توفي قتيلا سنة ثلاث وستين وألف / 1652م، ودفن بقبور الأشراف من قصبة مراكش في روضة أبيه وعشيرته. راجع: الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 5، ص 291 ـ 311.

(828)- محفوظ بالمتحف الأثري بالرباط تحت رقم سجل : 2001.7.67.2526.، عبد العزيز صلاح، إضافات جديدة على نقود الدولة السعدية، ص 153.

القائم / بامر الله الحسني)، ويقرأ هامش الظهر بنحو : (﴿ ضر ﴾ ب بحضر﴿ة﴾ / **مراكش / حاطها الله / عام** [illegible] **1045**). (لوحة 114)

وقد استعمل السعديون[829] النقود في المبادلات لتفادي مساوئ المقايضة، وقاموا بدور مهم في انتشار استعمال العملة والنقود، لقبولهم لها كوسيلة لدفع الضرائب، والرسوم الجبائية، فأُعطت بذلك لبعض العملات قوة ابرائية، ونتج عن اعتبار النقود وسيلة مقبولة ومفروضة في المبادلات، أنها أصبحت تمثل بذاتها قوة شرائية محدودة وفعلية، يمكن استبدالها، ضمن حدود معينة بكمية من السلع والخدمات. ويستنتج من المصادر التاريخية أنه كثيراً ما تغيرت الأسعار طوال العصر السعدي، فتزايدت بصفة خيالية أيام المجاعات، وعدم الاستقرار، ثم انخفضت في الأيام العادية، مؤدية بذلك إلى اضطراب العملة، وعدم استقرارها. كما تراوح الصرف طوال العصر السعدي بالنسبة للمثقال ما بين عشرة وخمس عشرة أوقية، والأوقية ما بين أربعين وستين موزونة. واعتبرت قيمة العملات من المعدن بالنسبة للمثقال 3,548 ج من الذهب، والأوقية 3,3105 ج من الفضة، والفلس 0,31 ج من النحاس، ولكن هذه الأوزان كثيرا ما تغيرت، فعلى سبيل المثال، فالدينار الذي سك بفاس بعد الرجوع من معركة وادي المخازن كان وزنه 3,80 ج، والدينار الذي ضرب بمراكش عام 1000 هـ كان وزنه 4,5 ج[830].

وقد سكت طوال العصر السعدي عملات عديدة، فسك الدينار، ونصف الدينار، ثم ثلثه، وربعه، وثمنه، والملاحظ أن النظام الذي اتبعته الدولة السعدية، هو نظام المعدنين في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، إذ كان أساس النظام النقدي، الدينار الذهبي أو المثقال والدرهم الفضي أو الأوقية[831].

وتميزت النقود الذهبية أواخر الدولة السعدية بأنها جمعت بين الشكل الدائري، الذي يحيطه دائرتان على الوجهين، الدائرة الخارجية خطية، والداخلية عبارة عن نقط متراصة، وشغل المركز والهامش بكتابات بخط الثلث المغربي، وهو الشكل المتبع منذ العهد المرابطي[832]، وبين الشكل

(829)- ظل السعديون في مراكش يتوالون على العرش على حال من الضعف، حتى انتهت فترة حكم دولة السعديين، فقد كتب أبو عبدالله محمد الأصغر، وهو العاشر من سلاطين الدولة السعدية (1045 ـ 1046 هـ/ 1635 ـ 1636م، خطاباً إلى أهل زاوية الدلاء، يدعوهم إلى الدخول في طاعته، واقتنع السلطان محمد الشيخ بن زيدان بأنه لا يستطيع مواجهة أهل الدلاء، فأقصر عنهم. ثم بعد محمد الأصغر بن زيدان لم يحكم من السعديين إلا واحد هو أحمد (الثاني) أبو العباس بن أبي مروان عبدالملك، وهو الحادي عشر من سلاطين السعديين، وقتل في (1069 هـ / 1659م). راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب .، مج 2، ج 2،.ص 221 ـ 223.

(830)- راجع : عبدالعزيز صلاح.، إضافات جديدة على نقود الدولة السعدية، ص 163.

(831)- راجع : محمد مزين، فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549م ـ 1637م، ج 2، مطبعة المعارف الجديدة، 1986، ص 455 ـ 464.

(832)- راجع : حسن حافظي علوي، جوانب من تاريخ المرابطين .، ص 110 ـ 111.

الدائري، الذي يحيطه دائرتان على الوجهين، الدائرة الخارجية خطية، أما الداخلية فعبارة عن نقط متراصة بداخلها مربع تمس زواياه الأربع محيط تلك الدائرة، مكونة بذلك أربع مضلعات متساوية شغلت بكتابات بخط الثلث المغربي، وهو الشكل الشائع منذ الدولة الموحدية[833] .

وقد استمر رسم الشكل الرباعي على الدنانير المستديرة، في أواخر العصر السعدي، ونمت أنواع من الخطوط المغربية، وتأنق منه خط الثلث المتمغرب المكتوب على القطع النقدية، ولعل ذلك كان بتأثير الأسلوب التركي الذي كان له دور في مجال الخط العربي في هذه المرحلة، واستمر إلى نهاية حكم أحمد المنصور الذهبي وأبنائه، ثم آل الأمر فيما بعد إلى عدة إمارات تقاسمت الحكم، فظهرت نقود الإمارة الدلائية في وسط المغرب، ونقود الإمارة السملالية في القسم الجنوبي منه[834] .

ومن الخطوط التي ظهرت على النقود الذهبية أواخر الدولة السعدية الأرقام الغبارية التي ظهرت بشكل خاص على نقود الوليد بن زيدان، ونقود محمد الشيخ في المجموعة موضوع الدراسة، والثابت أن هذه الأرقام استعملت في المغرب الكبير والأندلس والعالم العربي[835] .

ويعتبر العصر السعدي عهد تجديد شمل عدداً من مظاهر الحياة بالمغرب الأقصى، وكانت الكتابة من الأشياء التي استفادت من هذا الإصلاح الجديد، فابتكرت فيها جملة من الأساليب المستجدة، وأنشئ لأول مرة شبه مدرسة لتعليم الخط في جامع المواسين بمراكش، بمشيخة الخطاط عبدالعزيز بن عبدالله السكتاني المولود في 956هـ/ 1549ـ50م، حيث كان المقدم لتعليم الخط بجامع الشرفاء في مراكش المحروسة.

والثابت من المصادر التاريخيةً أن السلطان أحمد المنصور الذهبي كان يجيد الكتابة بالخط المشرقي، ويكاتب به علماء المشرق، كأحسن ما يوجد في خطوطهم. كما شجع العصر السعدي على انتشار الخطوط المغربية المعروفة، من المغربي إلى الأندلسي إلى المشرقي على تعدد أشكال هذه الخطوط، وتنوع أصنافها، ونبغ في هذا العصر ناسخون بارعون كان من بينهم بعض الأمراء السعديين، كما ساهم العصر بنصيب وافر في نسخ الأصول والكتب النادرة، وازدهرت الزخرفة الكتابية[836]، وقد اتخذت النقود الذهبية في العصر السعدي شكلين رئيسيين :

(833)- راجع : عبدالعزيز صلاح.، إضافات جديدة على نقود الدولة السعدية، ص 150.

(834)- راجع: عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع. 18، لسنة 1993م، ص 81ـ 84.

(835)- راجع : محمد المنوني، المصادر العربية .، ج 2، ص 355.

(836)- راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية.، ص 75ـ 92.

أولهما : دائري تحيطه دائرتان على الوجهين، الدائرة الخارجية خطية، والداخلية عبارة عن نقط متراصة وشغل المركز والهامش بكتابات بخط الثلث المغربي.

والثاني عبارة عن شكل دائري تحيطه دائرتان على الوجهين، الدائرة الخارجية خطية، أما الداخلية فعبارة عن نقط متراصة بداخلها مربع تمس زواياه الأربع محيط تلك الدائرة، مكونة بذلك أربع مضلعات متساوية شغلت بكتابات بخط الثلث المغربي، والتي ظهرت في نقود أبناء وأحفاد الخليفة أمير المؤمنين المنصور بالله أبو العباس أحمد[(837)].

وشاع في نقود تلك الفترة الشكل الدائري، الذي يحيطه به دائرتان على الوجهين، الدائرة الخارجية خطية[(838)]، أما الداخلية فعبارة عن نقط متراصة بداخلها مربع تمس زواياه الأربع محيط تلك الدائرة[(839)]، مكونة بذلك أربع مضلعات متساوية شغلت بكتابات بخط الثلث المغربي، وهو الطراز الشائع منذ الدولة الموحدية، والتي ظل تأثيرها واضحاً على العملة الذهبية المغربية[(840)] حتى عصر الدولة السعدية[(841)].

(837)- راجع : Elhadri M., Les Monnaies du Maroc médiéval : État de la question, Mémoire de DEA en Histoire et Archéologie Médiévale, Sous la direction du Prof Pierre Guichard, Université Lumière-Lyon 2, 2002,pp

(838)- راجع : عبدالعزيز صلاح،، إضافات جديدة على نقود الدولة السعدية، ص 150.

(839)- راجع : Eustache Daniel, Corpus des dirhams Idrisites. , pp. 11-81., Colin Georges S., Mannaies de la period Idrisitetrouvées à Volubils, Hespéris, Tome XXII, 1936, pp.113 – 125

(840)- راجع : صالح يوسف بن قربة، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين و الحفصيين و المرينيين،، ص 37ـ 40، ورأفت محمد محمد النبراوي، النقود الإسلامية،، ص 271.

(841)- راجع : Eustache D., Corpus des Monnaies Alawites, Collection . ,p.203



الفصل الخامس

النقوش والزخارف والمراكز الصناعية والتأثيرات في الفنون المغربية

- النقوش الكتابية والنباتية والهندسية
- المراكز الصناعية ودور الضرب وأهم الصناع
- التأثيرات الفنية المتبادلة

النقوش الكتابية والنباتية والهندسية

شهد الفن الإسلامي في المغرب الأقصى خلال العصور الإسلامية نهضة حقيقية زاهرة، حيث تنوعت العناصر الزخرفية على مواد الفنون الإسلامية في تلك الحقبة الزمنية، التي تطورت فيها أساليب تقنية تنفيذ العناصر الزخرفية، سواء الزخارف الهندسية أو النباتية أو في الكتابات والخطوط المنقوشة على المواد التطبيقية المختلفة[842]، منذ الفترة الإسلامية المبكرة، مرورا بالدولة المرابطية، والدولة الموحدية، والدولة المرينية ثم العهد الوطاسي، وعصر الدولة السعدية حيث تميزت تلك التحف الفنية باحتوائها على العديد من الزخارف الكتابية، والزخرفية التي تنوعت وتعددت أشكالها على المواد المختلفة. ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

أولا : النقوش الكتابية

شهدت الكتابات التسجيلية تطوراً ملحوظاً في المغرب الأقصى عبر العصور، تشهد بذلك الكتابات التسجيلية المبكرة، ويرجع تاريخ أول خط منقوش بجامع القرويين بفاس، إلى أواسط القرن الثالث الهجري، وهو عبارة عن وثيقة تاريخية عثر عليها في القبة الرابعة من جهة العنزة، منقوشة بالخط الكوفي العتيق، وتعدُّ النقوش التسجيلية التي تحمل تاريخ انتهاء العمل في مسجد القرويين، وهو شهر ذي القعدة من سنة ثلاثة وستين ومائتين، على درجة كبيرة من الأهمية، حيث تؤكد هذه الوثيقة بأن أعمال البناء قد استغرقت ثلاث عشرة سنة[843]، كما تتضمن اسم العاهل الإدريسي، «داود بن إدريس» الذي كان عاملا على إقليم تازة من قبل أخيه محمد، والتي مرت عليه

(842)- راجع : Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman ., pp.170

(843)- راجع : عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين.، ص 61 ـ 62.، عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 1، ص 267.

كتب التاريخ مرور الكرام بالرغم من أنه ظل المسيطر الحقيقي طيلة الفترة التي عاشتها فاس بعد توزع الأمر بين بني إدريس[844].

يلي النقش السابق، النقوش الكتابية المحفوظة على القطع الباقية من المنبر الأول من جامع القرويين، والتي تقرأ على النحو التالي :

1ـ **بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ في بيوت أذن الله أن يرفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾** سورة النور، آية 36

2ـ **(بسم الله الرحمن الرحيم عمل هذا المنبر في شهر شوال سنة تسعة وستين وثلاث مائة من التاريخ).**

كما يمكن أن نقرأ على المسند الأموي المؤرخ بعام 357 هجرية/985 ميلادية على طول العقد :

3ـ **(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر بعمله الحاجب المنصور سيف الدولة الإمام عبد الله هشام المؤيد بالله أطال الله بقاه أبو عامر محمد).**

4ـ نقرأ في الجانب الأفقي : «**ابن أبي عامر وفقه الله في شهر جماد الآخر سنة خمسة وسبعين وثلاث**»[845].

كما يحتفظ جامع القرويين، بنقوش تسجيلية مهمة، مثل النقوش الكتابية الباقية على قباب مسجد القرويين، والتي تقرأ على النحو التالي :

النقش الأول : عبارة عن نقش داخل شكل مثمن في أعلى واجهة المحراب والقبة التي توازيه، يقرأ كالتالي : «عمل عبدالله بن محمد وكمل بحمد الله وحسن عونه في شهر رمضان المعظم احدى وثلاثين وخمس مائة)[846].

وإلى جانب هذا النقش، نقرأ في الجهة الشرقية من القبة المستطيلة التي تلي قبة المحراب بخط كوفي اسم العاهل المرابطي الذي أذن بالقيام بهذه الإصلاحات وهو السلطان علي بن يوسف ابن تاشفين[847].

(844)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج 1، ص 58.

(845)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، مج 1، ص 44.

(846)- راجع Terrasse H., Lamosquée al-Qaraouiyine à Fès., P.78

(847)- يرجع أهمية هذا النقش إلى أنه يضبط وقت انتهاء العمل وهو « شهر رمضان المعظم سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة / 1137م. راجع: عبد الهادي التازي، الحروف المنقوشة.، 1960، ص 64.

أما **النقش الثاني** : فيوجد بين الأفاريز التي تحيط بالقبة، ويقرأ على النحو التالي : (**بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسو له محمد مما أمر بعمله عن أمر الملك العادل الآمر بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر/ الدين علي بن يوسف بن تاشفين، أدام الله له أسباب التأييد والتمكين الفقيه المشاور الأجل الإمام القاضي الأفضل أبو محمد عبدالحق بن عبدالله بن/ معيشة الكناني أدام الله توفيقه فعمل ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم وعنده تعالى وجل حسن الثواب وكريم المآب فرحم الله من قرأه/ ودعاه إلى الله سبحانه في عاجل القبول وإعظام الأجر والمجازاة له يوم النشر**[848] **والحشر وكان إتمام ذلك كله بحمد الله وعونه في سنة احدا وثلاثين وخمس مائة**)[849].

ويتضح من دراسة هذا النص أنه يبدأ بالبسملة والتصلية، ثم الآمر بالعمل مسبوقا بألقابه بنحو : (**الملك العادل أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين**)، ومتبوعا بالدعاء له بالتأييد والتمكين، ويلي ذلك اسم الصانع المنفذ للعمل، وهو أبو محمد عبدالحق بن عبدالله بن معيشة الكناني مسبوقا بألقابه، وهو الفقيه المشاور الأجل الإمام، ومتبوعا بالدعاء له بالتوفيق. ويأتي بعد ذلك الغرض من العمل، وهو ابتغاء وجه الله العظيم ثم تاريخ إتمام ذلك كله سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة[850].

وبطول الحاشية السفلى بالقبة ذات الأبعاد الكبيرة نقش بالخط الكوفي بلون أبيض نصه :(**بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على محمد رسوله الكريم أرسله بالهدى بشيرا ونذيرا وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما، ولا / حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين مما أمر بعمله عن أمر الملك العدل الآمر بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين على بن يوسف بن تاشفين، أدام الله له أسباب التأييد والتمكين، الفقيه الإمام / الآجل المشاور القاضي الأفضل أبو محمد عبدالحق ابن عبدالله بن معيشة الكناني أدام الله توفيقه فعمل ابتغاء وجه / الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم وعنده تعالى وجل حسن الثواب وكريم المآب فرحم الله من قرأه ودعا إلى الله (سبحانه في عاجل القبول وإعظام الأجر والمجازاة له يوم النشر والحشر)**[851] **وكان إتمام ذلك كله بحمد الله وعونه وتوفيقه**

(848)- قرأها «Terrasse H.» بنحو : «اليسر» راجع : Terrasse H., Lamosquée al-Qaraouiyine à Fès., P.79

(849)- راجع : Terrasse H., Lamosquée al-Qaraouiyine à Fès., P.79

(850)- راجع، عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 2، ص 222.

(851)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، مج 1، ص 72.

ومنه في شهر رمضان المعظم من سنة إحدا وثلاثين وخمسمائة)[852]. ويشبه هذا النص كتابات النص السابق، مع وجود بعض الاختلافات مثل :

1ـ كتابة عبارة التصلية بنحو ﴿صلى الله على محمد رسوله الكريم﴾ بخلاف ظهورها في النص السابق بنحو : ﴿صلى الله على رسول الله﴾.

2ـ إضافة عبارات على هذا النص بنحو : (أرسله بالهدى بشيرا ونذيرا، وعلى أله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين).

3ـ كتابة التاريخ مسبوق بالشهر بنحو : (**شهر رمضان المعظم من سنة احدى وثلاثين وخمس مائة**) مع ملاحظة كتابة كلمة خمسمائة متصلة، بخلاف كتابتها في النص السابق خاليا من اسم الشهر، وكتابة السنة بنحو : (خمس مائة).

4ـ تدوين اسم الصانع (ابن معيشة) بنفس الألقاب الواردة في النص الأول بنحو : (**الفقيه الإمام المشاور**) مما يؤكد أهمية بن معيشة ووظيفته كفقيه مشاور، حيث كانت خطة الشورى على عهد المرابطين يتولاها فقهاء يختارهم القاضي من بين العلماء المشهود لهم بالتعمق في العلم والورع في السلوك، وكان عدد المشاورين أربعة.

ويوجد نقش على أحد التيجان، يتضمن اسم الصانع الذي عمل في تلك القبة، يقرأ كالتالي : (**عمل إبراهيم بن محمد رحم الله من دعا له بالرحمة**)[853]، كما يوجد نقش على القبة السادسة ذات التخطيط المستدير يقرأ : (**بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد صنع هذه القبة سلمة ابن مفرح**)[854].

وقد تنوعت النقوش الكتابية التسجيلية في العهد الموحدي، وتعددت مواد صناعاتها وأساليب تنفيذها في مواد الفنون الإسلامية، وكما نقشت الكتابات التسجيلية على العمائر الإسلامية التي شيدها خلفاء الدولة الموحدية[855]، فقد حظيت باستخدام واسع على مواد الفنون التطبيقية من الأخشاب، والأحجار، والتحف المعدنية، وغيرها من مواد الفنون الإسلامية في العهد الموحدي[856].

(852)- قرأها «.Terrasse H» بنحو : «خمس مائة» راجع Terrasse H., Lamosquée al-Qaraouiyine à Fès., P.78

(853)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، مج 1، ص 72.

(854)- راجع : Terrasse H., Lamosquée al-Qaraouiyine à Fès., P.78.

(855)- راجع : ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب.، ص 274.

(856)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى.، ص 59 ـ 79.

والثابت تاريخيا وأثريا أن الكتابات التسجيلية نُقشت منذ عهد أول خلفاء دولة الموحدين، حيث ظهرت على الدنانير[857] الذهبية التي تحمل أسماء وألقاب الخليفة عبد المؤمن بن علي (524 ـ 558 هـ/ 1130ـ 1163م)، وتعتبر هذه النقوش من أهم ما تبقى لنا من نقوش تسجيلية خاصة بالخليفة عبد المؤمن بن علي، أول خلفاء الدولة الموحدية[858]، وقد تميزت هذه النقوش باحتوائها على كتابات سياسية تتعلق بألقاب المهدي بن تومرت، واسم الخليفة أبو محمد بن عبد المؤمن، متبوعا بلقب أمير المؤمنين[859]، بالإضافة إلى عبارة ﴿ **الحمد لله رب العالمين**﴾[860].

ونستخلص من دراسة النقوش التسجيلية التي انطلقت منذ عهد الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي، والتي نفذت على العملات الذهبية بالخط اللين. الذي أصبح يميل إلى خط الثلث في العهد الموحدي، واتخذ أوضاعاً زخرفية ساهمت في تسميته بخط الثلث المتمغرب، بالإضافة إلى استخدام خط النسخ[861]، الذي يعود بدايته إلى النقود المرابطية، وخاصة في عهد يوسف بن تاشفين، وإن لم يأخذ مكانه في السكة بصفة نهائية، فذلك راجع إلى تطبع علي بن يوسف من بعد أبيه، بمظاهر الحضارة الأندلسية، التي لم يكن لخط النسخ فيها سوى مكانة ثانوية، ولما جاء الموحدون وأقروا خط النسخ بصفة رسمية، أعتبر قرارهم تجديدا في السكة الإسلامية ومظهرا آخر من مظاهر الانفصال عما كان معهودا لدى من سبقهم من الدول الإسلامية شرقا وغربا[862].

وتفيدنا النقوش التسجيلية الخاصة بالخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558ـ580هـ/ 1163ـ 1184م)[863]، في التعرف على لقب «الأمير الأجل»[864] الذي حمله هذا الخليفة في بداية عهده، وهو ما يعكس الحقبة التي شهدت تذمر بعض الإخوة من توليه منصب الخلافة، والتي استمرت حتى سنة 563هـ/ 67ـ1178م[865]، عندما بويع الخليفة يوسف بالبيعة العامة. وحينئذ تمكن من حمل لقبه الخلافي «أمير المؤمنين» وهو ما تؤكده النقوش التسجيلية على مسكوكاته[866].

(857)- راجع : عبدالرحمن فهمي محمد، صنج السكة.، ص 28.

(858)- راجع : عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية.، ص 127 ـ 144.

(859)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 3، ص 35.

(860)- راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس .،ص 235 ـ 239.

(861)- راجع : عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي.، ص 81.

(862)- راجع: عبدالعزيز توري، حول كنز صغير حديث الاستكشاف.، ص 280، و 283.

(863)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا.، ج 3، ص 102 ـ 104.

(864)- راجع: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية.، ص 126 ـ 134.

(865)- را جع : عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط.، ص 143.

(866)- راجع : نور الدين مفتاح، فهرس المسكوكات المغربية، ص 192.

استمرت النقوش التسجيلية بنفس السمات الفنية في عهد الخليفة يعقوب[867] المنصور (580 هـ ـ 595هـ / 1184 ـ 1199م) ثالث خلفاء الموحدين[868]، الذي اهتم بالبناء وتشيد العمائر، كما نهضت في عهده الفنون والصناعات، حيث اتخذ في جامعه بمراكش مقصورة عجيبة، تُعد آية من آيات الفنون الإسلامية[869].

وتعدُّ النقوش التسجيلية المدونة على مواد الفنون الإسلامية في عهده، من بين النقوش النادرة التي وصلت إلينا، وقد وصل إلينا نقش على السطح الخارجي لبدن مثمن لفوهة بئر من الفخار، تنسب إلى فترة حكم الخليفة يعقوب المنصور، نقش عليه بالخط النسخ المغربي، النص التالي : **(وهذا ما عمل في دار الحاج بلقين يوم الـ... سلخ شهر ربيع الآخر .. وثمانين وخمس مائة)**[870].

وتشكل مجموعة النقوش التسجيلية المنسوبة إلى الخليفة محمد الناصر لدين الله[871] (595 ـ 610 هـ/ 1199 ـ 1213م) سمة متميزة من سمات الفن الموحدي، فإلى جانب الكتابات التسجيلية التي تحملها مسكوكاته[872]. فقد وصل إلينا بالإضافة إلى النقوش الزخرفية والآيات القرآنية، عدة نقوش تسجيلية على درجة كبيرة من الأهمية، منها نقوش تسجيلية على ساق الثريا المعلقة بالقبة المضلعة الخامسة من المحراب، بجامع القرويين بمدينة بفاس[873]، والتي تتضمن اسم الخليفة الموحدي الناصر لدين الله الذي أمر بصناعتها، ومكان وتاريخ صنعها، ويقرأ النص الأول بنحو :

«هذا ما أمر به الخليفة أمير المؤمنين أبو عبدالله ابن الخليفة الامام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تاييدهم وعزهم»[874].

أما النص الثاني، فقد نقش أسفل الآية القرآنية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ / وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ صدق الله العظيم ﴾[875]، وهو عبارة عن

(867)- راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس .، ص 285.

(868)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.،، مج 2، ج 2، ص 110.

(869)- راجع : الناصري، كتاب الاستقصا، ج 3، ص 159 ـ 163.

(870)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج 3، ص 300 ـ 301.

(871)- راجع : ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب .، ص 236.

(872)- راجع : محمد المنوني، نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، العدد 4، ص 241.

(873)- راجع : Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine à Fès, ,p.57 -59

(874)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 3، ص 274.

(875)- سورة الحج، آية 77

كتابات تسجيلية تشير إلى تاريخ ومكان صناعتها، تقرأ كالتالي : «**صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة**»[876].

وقد حفظت لنا الفنون التطبيقية في العهد الموحدي نقش تسجيلي على عنزة جامع الأندلسيين، يشتمل على تاريخ الفراغ من صناعة العنزة، ويقرأ منها : « ..... **وكان الفراغ منها في شهر محرم سنة ستمائة**»[877].

كما تمدنا المصادر التاريخية بالمعلومات حول إعادة بناء الباب الغربي الكبير المعروف بباب الفخارين، وتسميته بباب الشماعين في جامع القرويين. وأقيم على الباب قبة بداخلها نقش يقرأ كالتالي : (**صنعت هذا الباب والقبة وكلف بالبناء والتركيب في شهر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة**) وكان الفراغ من هذه الزيادات سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[878].

كما يوجد نقش تسجيلي آخر على ثريا تعود إلى نفس الخليفة الناصر، وتحمل تاريخ 604هـ/1206م، ومعلقة في الجامع الأعظم بمدينة مكناسة الزيتون، وتعتبر هذه الثريا من التحف المعدنية الهامة بالمغرب الأقصى، التي احتوت على نقش تسجيلي بالخط الكوفي المورق على الدائرة السفلية، يمكن قراءته على النحو التالي : «**صنعت هذه / الثرية بمدينة فاس / حرسها الله لـ / جامع مكناسة / شرفه الله بذكره / وكان الفراغ من عملها / في العشرين من / شهر ذي القعدة / سنة أربعة وستمائة**»[879].

ويذكر «Terrasse H.» أنه كان يوجد نقش تسجيلي آخر على ثريا ناقوسية بالقبة الثانية من جهة العنزة بجامع القرويين تعود إلى نفس الخليفة، يحتوي على اسم الخليفة الموحدي الناصر، نقش على مقبض هذه الثريا على نحو ما نقش على الثريا الكبرى، يقرأ بنحو: « هذا ما أمر به الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبدالله بن الخليفة الامام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تأييدهم ونصرهم»[880].

(876)- راجع : عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين.، ص 68ـ 75،
Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman ,pp.298-299

(877)- راجع : ابن أبي زرع، روض القرطاس.، ص 46

(878)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ص 273.

(879)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية.، ص 69.

(880)- راجع : Terrasse H., la mosquée al-Qaraouiyine à Fès, ,p.103-104.، عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، مج 2، ص 83.

وتعتبر النقوش التسجيلية الواردة في ظهير الخليفة الرشيد الموحدي المؤرخ في 21 شعبان سنة 637هـ/ 1240م[881]، والذي يقضي بإسكان جالية بلنسية، وجزيرة شقر، وشاطبة، وغيرهم من بلاد شرق الأندلس إلى مدينة رباط الفتح، على درجة كبيرة من الأهمية، حيث يشهد التطور الملحوظ في أسلوب الكتابة وطريقة تنفيذها[882].

ونقرأ من هذا الظهير ما يلي : (... **ومما كتبه عن أمير / المؤمنين الرشيد بن أمير المؤمنين أبي العلى ظهير للمستوطنين / من أهل شرق الأندلس (في) رباط الفتح ما نصه / هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير / المؤمنين أيدهم الله تعالى بنصره وأمدهم بمعونته ويسره، للمنتقلين من أهل بلنسية / وجزيرة شقر وشاطبة، ومن جرى من سائر بلاد الشرق مجراهم وعراه من غير / الأيام ما عراهم، حين أنهى ذو الوزارتين الشيخ الأجل الأثير الأكرم الأعز الأفضل / أبو علي بن الشيخ الأجل الأكرم أبي جعفر بن خلاص أدام الله أثرته وكرامته ../ كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وستمائة**[883].

وخلف العهد المريني ورائه مجموعة كبيرة من النقوش التسجيلية الهامة المنفذة على مختلف مواد الفنون الإسلامية المغربية، حيث تعددت أساليب الخط والكتابة بتعدد المواد التي نقشوا كتاباتهم من الحجر، والجص، والخشب، والزليج، والرخام، والنحاس، والنسيج وغيرها، والتي تعكس مدى ازدهار هذه الحقبة الزمنية في تاريخ المغرب الأقصى، والمستوى الرفيع التي حققته سواء من حيث التنوع في المواد المستخدمة أو في تعدد أساليب النقش، وبالإضافة إلى النقوش المنحوتة في الحجر حول عقد الباب الرئيس لزاوية النساك، والذي يعتبر تحفة رائعة بما تحمله من أشكال نباتية وتضفيرات هندسية بالتداخل مع النص الكتابي، تعتبر النقوش التسجيلية المرينية الباقية في المغرب الأقصى من أجمل النماذج التي وصلت إلينا[884].

وتعدُّ النقوش التسجيلية التي ظهرت في الجامع الأعظم في تازة[885]، من أقدم النقوش التسجيلية في العهد المريني، فقد أرجعت الوقفية تاريخ الفراغ من أعمال التجديد والزيادة إلى عام 691هـ/

(881)- راجع : ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب، ص 299.

(882)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح بالمملكة المغربية، دار نشر المعرفة، الرباط، 2011م، ص 277.

(883)- راجع : ابن المرابط، زواهر الفكر وجواهر الفقر .، ج 1، ص 228

(884)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية.، ص 227.

(885)- راجع : محمد بلعربي، تازة، معلمة المغرب، ج 6، ص 2023.

1293م، وفي سنة ثلاثة وتسعين وستمائة للهجرة فرغ من بناء الجامع ووضعت فيه الثريا[886]، التي تحمل نموذج متطور للقبة في المغرب الأقصى[887].

ويحتفظ الجامع الأعظم بمدينة تازة بنقش تسجيلي على الزليج الأسود يؤرخ لتوسعة المسجد في سنة 691هـ، يقرأ كالتالي: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم / بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد / لما نفذ أمر أمير المسلمين وناصر الدين أبي / يعقوب ابن أمير المسلمين المجاهد في / سبيل رب العالمين أبي يوسف أسماه الله / وخلده ببناء الزيادة التي زيدة في هاذا / الجامع شرفه الله وذلك أربعة بلاطات / في قبلته وبلاطان شرقي وغربي مع الصحن الذي / بشرقيه وباصلاحه ورمه اذ كان جميعه قارب / الانكفا والسقوط وقعة المبادرة لبناء جميع ذلك / وابتدي في مفتتح ربيع الاول في العام المتصل بعام / تاريخه وكان الفراغ منه أواخر شوال احد وتسعين / وستماية نفعهم الله بذلك وأعلى مقامهم / واجرى على ما يحبه ويرضاه نقضهم وابرامهم / بمنه وفضله وصلى الله على سيدنا محمد**»[888].

كما يحتفظ المسجد الأعظم بتازة بنقش تسجيلي آخر على الثريا التي ذكرها المؤرخون والرحالة الذين زاروا الجامع، بأنها وضُعت في سنة 1294م[889]، وهذه الثريا تتميز بدقة الصناعة وثراء الزخرفة[890].

وتعتبر الثريا الكبرى بالجامع الأعظم في تازة أكبر ثريا في الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، ولا يوجد لها مثيل في الغرب الإسلامي[891]، وقد كتب هذا النقش بخط النسخ على مهاد نباتي على الدائرة السفلية، يقرأ كالتالي:

«**يا ناظرا في جمالي حقق النظرا / ومتع الطرف في حسنى الذي بهرا / انا الثريا التي تازى بي افتخرت / على البلاد فما مثلي الزمان يرا / افرغت في قالب الحسن البديع كما / شاء الامير ابو يعقوب إذ امرا / في مسجد جامع للناس ابدعه / ملك اقام بعون الله منتصرا / له اعتناء بدين الله يظهره / يرجوا به في جنان الخلد ما ذخرا / في عام أربعة تسعون تتبعها**

(886)- راجع: علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية.، ص 162.

(887)- راجع: عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى.، ص 46.

(888)- راجع: Terrasse H., la Grand Mosquée de Taza., PP.11-12

(889)- يبلغ قطرها 2,50م، وارتفاعها 4,00م. راجع: Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce., P.385.

(890)- راجع: Terrasse H., Taza notice historique., PP.6-7

(891)- راجع: H. Terrasse, La grande mosquée de Taza ., pp.62-63

/ من بعد ست من الميين قد سطرا / تاريخ هاذي الثريا والدعا / لأبي يعقوب بالنصر دأبا يصحب الظفرا / لازال يوسف والاملاك تخدمه / تعلو للعز علاه أنفس الأمرا»[892].

ومن النقوش التسجيلية المهمة، النص التسجيلي الذي يؤرخ لإنشاء صومعة مسجد بن صالح بمراكش، في غرة رجب عام 721هـ، ويقرأ على النحو التالي : « **بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد /النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما / ابتدئ بناء هذه الصومعة المباركة في غرة شهر رجب الفرد / المبارك من عام أحد وعشرين وسبعمائة»**[893].

يليه نقش تسجيلي مؤرخ في ذي القعدة من نفس العام 721هـ، من مدرسة الصفارين في فاس، وهو عبارة عن نص تسجيلي طويل، نقرأ منه ما يلي : « **الحمد لله رب العالمين / رافع درجات العالمين / ومجزي ثواب العاملين ....أبو الحسن علي / واسطة سلخ ملوك بني مرين / ابن مولانا الخليفة الامام أمير المسلمين/ المجاهد في / سبيل رب العالمين/ أبي سعيد عثمان أبن مولانا الخليفة أمير المسلمين ..... وكمل بناء هذه المدرسة المباركة وبدئ بالإقراء فيها وسكناها في ذي قعدة عام أحد وعشرين وسبعمائة»**[894].

كما تحتفظ مدرسة الصهريج في فاس بنص تسجيلي يؤرخ لإنشائها على يد الإمام أبو الحسن المريني في شهر ربيع الأول من سنة 723هـ / 1323م، نقرأ منها ما يلي : « **بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى وصحبة وسلم تسليما / الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين / أمر ببناء هذه المدرسة المباركة مع المدرسة الصغرى / المتصلة بشرفها مولانا الامير ولي عهد المسلمين أبو الحسن ابن مولانا ...... كمل بناء هه المدرسة وابتدئ الإقراء فيها في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة»**[895].

وتتشابه النقوش السابقة مع نقش أبي سعيد عثمان المثبت على الحائط الغربي للقاعة المقابلة لمصلى زاوية أو مدرسة شالة، وهو يقابل الداخل من صحن المسجد العتيق إلى الزاوية، ويتكون النقش من سطر واحد من الكتابة النسخية، ومادة هذه الحروف والأرضية كلها من الزليج مع اختلاف اللون بين الحروف والأرضية، ويقرأ كالتالي : « **الحمد لله وحده هاذه الزاوية (المدرسة)**

(892)- راجع : H. Terrasse, La grande mosquée de Taza ., pp.13

(893)- راجع : H. Terrasse, et H.Basset, Sanctuaires et forteresses AlMohades., pp.298

(894)- راجع : .Bel Alfred, Inscriptions Arabes de Fés . , PP.157-161

(895)- راجع : . Bel Alfred, Inscriptions Arabes de Fés . , PP.216- 224

أسسها مولانا (العالم العامل الخليفة أمير المو) منين (السلطا) ن (أبو سعيد عثمان) المتوفى في خمسة وعشرين من ذي القعدة عام إحدى (وثلا) ثين وسبعمائة[896].

ويوجد بقايا نقش تسجيلي يعود إلى السلطان أبو سعيد عثمان المريني[897]، منقوش على ثريا بيت الصلاة بمدرسة العطارين[898]، حيث يزخرف إطار الصينية الخارجي نقوش كتابية بالخط النسخ المغربي. ويعتبر هذا النص[899] من النقوش التسجيلية المرينية المهمة، وقد احتوى على شريط تسجيلي بالخط الكوفي على الدائرة السفلية، تلاشت معظم حروفه من تأثير الزيت. ويمكن قراءته كالتالي : « **الحمد لله أمر بعمل هذه الثريا المنصوبة / برسم المدرسة السعيدة بفاس القرويين / عمرها الله مولانا أمير المسلمين وناصر الد [ين / أبو سعيد ابن مولانا أمير المسلمين/ ./ ./ سبعمائة.. لله وحده**[900].

وتحتفظ المتاحف المغربية بمجموعة من الأمداء النبوية التي تعود إلى العهد المريني، ويرجع تاريخ تعديلها إلى سنة 734هـ/ 1334م، وتنسب إلى السلطان أبي الحسن المريني، وهي مصنوعة من النحاس الأصفر[901].

نذكر من هذه الأمداء، المُد الذي صنع بمدينة فاس في شهر جمادي الثانية عام 734هـ[902]، وهو من النحاس الأصفر[903]، ونقشت نصوصه في عشرة أسطر بخط النسخ المغربي حول البدن في شكل دائري، تقرأ على النحو التالي :

«**بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا / محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما / امر بتعديل هذا المد المبارك مولانا امير المسلمين ابو الحسن ابن مولانا امير المسلمين ابي سعيد ابن مولانا امير المسلمين ابي يوسف ابن عبد الحق، ايده الله ونصره / على المد الذي امر بتعديله مولانا ابو / يعقوب رحمه الله تعلى على المد الذي عدل الحسين بن يحيى البسكري بمد ابراهيم بن عبد الرحمن الجايشي، الذي عدل بمد الشيخ ابي علي**

(896)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة.، ص 193 ـ 211.

(897)- راجع : ابن أبي زرع، الذخيرة السنية.، ص 35 ـ 37، ابن أبي زرع، روض القرطاس .، ص 522 ـ 530.

(898)- راجع : Golvin Lucien, La madrasa médiévale., pp.2229-232

(899)- راجع : Bel Alfred, Inscriptions Arabes de Fès ., p.148

(900)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية .، ص 91-95.

(901)- راجع : Paul Pascon, Description des Mudd, pp.30 – 31

(902)- راجع : Marcel Vicaire, Note sur quatre mesures d'aumone., pp.7 – 9

(903)- راجع : Paul Pascon, Description des Mudd, pp.30 – 31

منصور بن يوسف / القوامي، وكان ابو علي عدل مده بمد الفقيه ابي / جعفر احمد بن علي بن غزلون، وعدل ابو جعفر مده بمد الفقيه القاضي ابي جعفر احمد بن الاخطل، وعدل ابو جعفر مده بمد خالد بن اسماعيل، وعدل خالد مده بمد ابي بكر احمد بن حمد، وعدل ابو / بكر مده بمد ابي اسحاق ابراهيم بن الشنظير، وبمد ابي جعفر بن ميمون، وكانا عدلا مديهما بمد زيد بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله / عليه وعلى اله وصحبه وشرف وكرم، وكان تعديله في الخامس عشر من رجب الفرد الذي من سنة تسع وخمسمائة، وكان تعديل المد الذي عدله / الحسين بن يحيى البسكري في شهر رمضان المعظم عام سبعة وستمائة، وكان تعديل المد الذي امر بتعديله مولانا ابو يعقوب رحمه الله تعلى / في جمادى الاولى عام ثلاثة وتسعين وستمائة، وعدل الان هذا المد المبارك تبركا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وحيا لسنته، وذلك في جمادى / الاخير عام اربعة وثلاثين وسبع مائة بمدينة فاس[904]، حرسها الله تعلى والحمد لله رب العالمين كثيرا »[905].

ويحيط بفتحة العقد بمدخل شالة شريط زخرفي وتأسيسي منقوشا في الحجر بالخط الكوفي المضفور، يؤرخ لأبي الحسن المريني في سنة 739هـ، ويقرأ بنحو : «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم / أمر ببناء سور هذا الرباط المبارك مولانا السلطان أمير المسلمين أبو الحسن ابن مولانا السلطان أمير المسلمين المقدس المرحوم أبو سعيد ابن مولانا السلطان أمير المسلمين / المقدس المرحوم أبي يوسف ابن عبدالحق خلد الله ملكهم وكان الفراغ منه في آخر ذي الحجة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة**».

ويتفق نص التحبيس بمدرسة سلا[906] مع الكتابات المرينية على المنشآت المعمارية، ويتضمن هذا النص اسم المؤسس المحبس عليها، واسم أمير المسلمين، وصاحب التحبيس ثم تفصيل الأعيان المحبسة[907]، ونقش بالخط النسخي المغربي بحروف بيضاء على أرضية خضراء، وتتضح فيه استدارة الحروف من أسفل مع الأناقة والرشاقة التي لا تتوفر في نقش الحمام الجديد مما يظهر الفرق بين تنفيذ النصين[908]، ونقرأ منه ما يلي :

(904)- راجع : Paul Pascon, Description des Mudd, pp.32 – 33

(905)- راجع : Marcel Vicaire, Note sur quatre measures., PP. 7-9

(906)- للوقوف على تخطيط ووصف مدرسة سلا . راجع : Golvin Lucien, La madrasa, 1995, p.253

(907)- راجع : Ratiba Rigalma, Les inscriptions Arabes de Salé., pp. 32- 36

(908)- راجع : عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة.، ص 212.

« **بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله علي سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما / هذا ما حبسه على مدرسة سلا المحروسة مولانا الامام الاعظم العالم / العابد أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن / ابن مولانا الامام الأعظم العابد أمير المسلمين المجاهد في / سبيل رب العالمين أبي سعيد قدس الله روحه ابن مولانا الامام الأعظم .... وتاريخ / يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الثاني اثنين وأربعين وسبعمائة**»[909] .

كما يوجد نقش تسجيلي منقوش على شاهد قبر من الحجر الوردي، يرجع تاريخه إلى عام 750هـ[910]، نقشت بجوانبه عبارة ﴿ الله ﴾ وأسفلها عبارة ﴿ غفور كريم ﴾، ويبدأ النص بآيات من سورة آل عمران، ثم عبارات تشير إلى صاحب الشاهد، وهو الشيخ الصالح العارف لكتاب الله تعالى أبي العباس بن الشيخ المرحوم أبي زيد عبدالرحمن بن عبدالعزيز، المتوفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر صفر من عام خمسين وسبعمائة.' ومن نفس العام يوجد نقش تأسيسي بخزانة أبي عنان المريني بجامع القرويين، نقرأ منه : « **الحمد لله وحده، أمر بعمل هاذه الخزانة السعيدة مولانا أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين عبدالله فارس ايده الله بأمره وأعز نصره بتاريخ شهر شوال سنة خمسين وسبعمائة أدركه الله خيرها**»[911] .

أما النص الكتابي المنقوش بضريح السلطان أبو الحسن المريني[912] والمؤرخ في عام 752هـ، فهو عبارة عن شاهد قبر رخامي بشكل هرمي، ويتكون هذا النقش من سطرين في كل وجه، عليه زخارف متنوعة تبدأ بأفريز مزخرف بعقود مفصصة بداخله زخرفة هندسية، يليه أفريز ضيق من زخارف هندسية، ثم شريط من خط النسخ، يقرأ كالتالي : «**هذا قبر مولانا السلطان الخليفة الامام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا السلطان الخليفة الامام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في / سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا السلطان الخليفة الامام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق قدس الله روحه/ ونور ضريحه توفي رضى الله عنه وارضاه بحبك في ليلة الثلاثا للسابع والعشرين لشهر ربيع الاول المبارك في عام اثنين وخمسين وسبعمائه وقبر في قبلة / جامع المنصور من مراكش عمره الله بذكره ثم نقل من**

(909)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، ص 468 ـ 469.

(910)- محفوظ في متحف الأوداية بالرباط.

(911)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، ص 438.

(912)- راجع : Henri Basset et E. lévi-Provençal, Chella., pp. 39.

هنالك (إلى) هذا الضريح المبارك المقدس من شالة الحفه الله رضوانه وبواه جنانه وصلي الله على سيدنا محمد وعلى اله وسلم[913].

ويحتفظ صحن الجامع الأعظم بمدينة الرباط، بنقش تسجيلي عبارة عن لوحة تحبيس الحمام الجديد، يقرأ على النحو التالي : «**الحمد لله وحمده**[914] **مما حبسه مولانا الخليفة الامام المتوكل/ على الله امير المؤمنين المجاهد في سبيل رب / العالمين ابو عنان ابن مولانا امير المسلمين / المجاهد في سبيل رب العالمين ابي الحسن**[915] **/ ابن مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل / رب العالمين ابي سعيد**[916] **بن مولانا امير / المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين / ابي يوسف يعقوب**[917] **ابن عبدالحق تقبل الله منه / وبلغه في نصر الاسلام امله الحمام الجديد برباط / الفتح حرسه الله على ضريح مولانا المرحوم / والدهم رضوان الله عليه واطعام المسا / كين بشالة**[918] **عمرها الله تعالى وذلك في عام / خمس وخمسين وسبعمائة عرف الله خيره**»[919].

يليه، بقايا نقش تسجيلي على منبر السلطان المريني أبي عنان فارس بن أبي الحسن وتاريخه سنة 1350م، يتميز مدخله بوجود عقد كامل الاستدارة يتكأ على عمودين رقيقي الصنع من أبيض وأسود، يحف بالعقد إطار كتابي محصور بين شريطين كتب فيه بخط النسخ المغربي، يقرأ منه العبارة التالية : «**أمير المسلمين أبي سعيد**» بالعاج الأسود فوق أرضية بيضاء[920].

كما يوجد بقايا نقش تسجيلي على الواجهة الرئيسية بالسقاية العزيزية تكشف عن اسم السلطان عبدالعزيز بن السلطان على أبو الحسن والد أبي عنان بن عثمان، الذي بويع عام 767هـ وتوفي عام 774هـ. ويمكن قراءته على النحو التالي :

عبدالعزيز ابن مولانا الملك   أفخر الملوك على ابن عثمان[921]

(913)- راجع : Henri Basset et E. lévi-Provençal, Chella., pp. 39

(914)- راجع : Henri Basset et E. lévi-Provençal, Chella., 23

(915)- راجع : الناصري، كتاب الإستقصا.، ج 4، ص 119.

(916)- أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (710 ـ 731هـ)

(917)- أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، بويع سنة 667 هـ وتوفي سنة 685هـ

(918)- راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط.، ص 6.

(919)- راجع : عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية.، ص 95-119.

(920)- راجع : M. Terrasse, Le mobilier mérinide., P. 190

(921)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 4، ص 434.

وبذلك شهد عصر بني مرين انتشار في استخدام الخط الكوفي، وخط الثلث المغربي، وأصبحت الكتابات ذات رشاقة في التأليف وتوازن في النسب، كما تنوعت المادة التي نقشت عليها تلك الكتابات من الرخام، والخشب، والزليج، والجص، والحجر، والمعادن، وإذا كانت الكتابات الكوفية قد ندر استخدامها بمصر، والشرق الإسلامي في الكتابات التأسيسية، واقتصرت على كتابة النصوص، والعبارات الدعائية أو الآيات القرآنية من القرن السادس الهجري، الثالث عشر الميلادي، فإن الكتابات الزخرفية بالمدارس المرينية تمدنا بنصوص تأسيسية بالخط الكوفي ترجع للقرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث نقش على أحد تيجان الأعمدة الرخامية بمدرسة العطارين كتابات بالخط الكوفي تحمل تاريخ 723هـ/ 1323م، وعلى الحجاب الخشبي الذي يغلق على فتحة الباب الموصل لصحن المدرسة البوعنانية 751 ـ 756هـ/ 1350 ـ 1355م كتابات بالخط الكوفي، وقد تنوعت أساليب الخطوط نفسها، فنجد الخط الكوفي المضفر على أرضية خالية من الزخرفة، والخط الكوفي المضفر على مهاد نباتي من زخارف نباتية تتألف من مراوح نخيلية، وتتصل بالأفرع والأوراق عقد صغيرة في هيئة الميممات، وهناك نوعا من الخط الكوفي ظهر بالمدارس المرينية، واختصت به مدارس السلطان أبي الحسن، وفيه تمتد نهايات حروفه القائمة مكونة إطار تحف بالكتابة من أعلى في هيئة عقد مفصص، كما تنوعت نماذج الخط الثلث، حيث نجد منه ما يقوم على أرضية خالية من الزخرفة، ونوعا آخر يقوم على مهاد من زخارف نباتية[922].

يلاحظ أن النقوش التسجيلية المنفذة على لوحة الحبوس قد نفذت بأسلوب خط النسخ المغربي الذي يتميز بأنه قليل الاستدارة من أسفل وتتساوى فيه حدود الحروف العليا والسفلى بحيث تبدو السطور وكأنها رصت بنظام تحت بعضها دون تداخل من كلمات سطر مع السطر الآخر، وقد نقشت الحروف غليظة بالنسبة لحجمها. كما يلاحظ أن الزخرفة النباتية مستمدة من الورقة النخيلية المتعددة الأشكال، ويحمل النص في صراحة اسم السلطان أبي عنان وتاريخ 755هـ، وهو بذلك وثيقة أثرية وتاريخية ثابتة، وكانت هذه اللوحة موجودة في الحمام المحبس ثم نقلت منه إلى صحن الجامع الكبير بالرباط[923].

كما أن النقوش التسجيلية المنفذة في ضريح أبي الحسن المريني تعكس مدى التطور الذي حققته النقوش العربية خلال عهد المرينين بالمغرب، وما بلغته الكتابات العربية من تنوع في المادة وفي أساليب الكتابة. ويمكن أن نستخلص من دراسة الكتابات السابقة أن خط الثلث المغربي شهد

(922)- محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين.، ص 346 ـ 350

(923)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية .، ص 211ـ 212.

تطوراً ملحوظًا في كل أصنافه في العصر المريني، ويضم الخط المغربي تشكيلة من الخطوط ذات جمالية وبهاء خاص، وهي تزخر بزخارف وتجويدات متنوعة، وقد ظهرت أنواع هذا الخط على المسكوكات، والآثار المعمارية، والفنون مثل عناوين السور القرآنية وزخارف المخطوطات[924].

ولم يمنع التطابق والتشابه الواضح في معظم النقوش الكتابية على الفنون الإسلامية في العصر المريني سواء في النصوص، أو طريقة تنفيذها، وأسلوبها الفني، من ظهور بعض الفروق والاختلافات فمثلا نجد بعض الاختلافات بين لوحة شالة، ولوحة الحمام الجديد سواء من حيث المساحة وطراز الكتابة، وأسلوب الزخرفة، في حين يتطابق نقش مدرسة التحبيس بمدرسة سلا، ونقش التحبيس بزاوية شالة، فكما أملى أبو الحسن أو نائبه على النقاش كلمات لوحة تحبيس المدرسة المصباحية 747هـ مطابقة لنص لوحة تحبيس مدرسة دار المخزن[925]، فإن لوحة تحبيس زاوية شالة قد نقشت كذلك مع لوحة تحبيس مدرسة سلا التي تحمل تاريخ نقشها 742هـ، فكلمات الافتتاحية، وأسماء الأحياء، والمحبسات، ونص العبارات المؤدية إلى تحبيس العيون في النقشين واحدة، واللوحتين من الرخام متشابهتين ومتساويين[926].

ونستنتج من ذلك أن لوحة تحبيس زاوية شالة نقشت مع لوحة تحبيس مدرسة سلا التي تحمل تاريخ نقشها 742هـ، ويمكن القول، من خلال الدراسة المقارنة أن لوحة تحبيس زاوية شالة التي لا تحمل أية معلومات عن تاريخها، واسم من أمر بصنعها، قد نقشت بأمر السلطان أبي الحسن مع لوحة مدرسة سلا عام 742هـ لتخليد ذكرى ما حبسه والده السلطان أبو سعيد عثمان على زاوية شالة التي بناها فيما بين عامي 726 هـ ـ 731 هـ[927].

وتعتبر الكتابات التسجيلية المرينية الباقية على العمارة الحربية من أجمل النماذج التي وصلت إلينا، والتي تؤكد أن عصر بني مرين شهد انتشار استخدام الخط الكوفي وخط الثلث المغربي، وأصبحت الكتابات ذات رشاقة في التأليف وتوازن في النسب، كما تنوعت المادة التي نقشت عليها تلك الكتابات من الرخام إلى الخشب، فالزليج، فالجص، والحجر، والمعادن[928].

كما اشتملت بعض الثريات الموجودة بجامع القرويين على نقوش لاتينية قديمة، فقد حفرت على البدن الخارجي للثريا المعلقة بالقبة السادسة على حروف لاتينية تتضمن عبارة دينية تترجم

(924)- راجع : كريم عايش، وأخرون، أصل الخط العربي وتنوعه وتطور مخطوطاته وفهرستها، ط 1، الرباط، 2000، ص 22 ـ 23 .

(925)- راجع : Golvin Lucien, La madrasa., p.232- 234

(926)- أسماء العيون المحبسة في لوحة سلا التي نقشت بأمر أبي الحسن هي نفسها العيون الوارد تحبيسها على زاوية شالة مثل فندق ابن أحمد.

(927)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة .، ص 212 ـ 220.

(928)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية .، ص227.

على النحو التالي : «صوت الرب يجلجل في بيته»، وكذلك على بدن الناقوس المعلق بالقبة الثامنة والتي تقرأ : «**جدير بالنفس التقية أن تشكر فضل الله عليها في النجاة من شرور الضلال**». وقد قام الفنان المسلم بنقش زخارف كتابية إسلامية على الإطارات الخارجية للثريات، ومعظمها يضم آيات من القرآن الكريم تضمنت معانيها الكريمة الوظيفة الجديدة للناقوس، ومن الجدير بالذكر أن كل من النقوش الكتابية سواء القديمة أو الإسلامية تضمنت عبارات تفيد الوظيفة التي صنعت من أجلها، على الرغم من اختلاف وظيفة الجرس في الكنيسة عن الثريا في المسجد، إذ أشارت الكتابات القديمة إلى عبارة «**صوت الرب**» وهو تصور لقرع النواقيس، أما الثريات فدونت عبارات التوحيد كدلالة على الموقع الجديد الذي هبطت إليه ثم آيات من سورة النور[929].

وتعكس النقوش الكتابية السابقة مدى التطور الذي حققته النقوش الكتابية خلال عهد المرينين بالمغرب، وما بلغته الكتابات العربية من تنوع في المادة وفي أساليب الكتابة، والمعروف، أن الخطوط في المغرب الأقصى اشتملت على خمسة أنواع : الكوفي، والثلث المغربي، والمبسوط، والمجوهر، والمسند أو الزمامي، والخط الكوفي استعمل في كتابة المصاحف، وفي الكتابة في النقود، كما اقتصرت على عناوين سور القرآن الكريم، وبعض الزخارف الأثرية، واستعمل الخط المبسوط في كتابة المصاحف عموماً، كما استعمل الخط المجوهر في كتابة الظهائر والرسائل السلطانية وعقود الزواج وبعض المخطوطات، في حين اختص الخط المسند أو الزمامي بكتابة مختلف أغراض الكتابة السريعة مثل كتابات شهود العدول والرسائل والمذكرات الشخصية[930].

ولقد برهن الفنان المريني على إجادته لكافة الأساليب والطرق التي شاعت في العصرين المرابطي والموحدي، وأصبحت النقوش الكتابية المرينية تتميز بالليونة والسيولة، مما أتاح للفنان المريني حرية كبيرة للخيال وفتح آفاقا واسعة للتعبير، ولذلك أجاد الفنان المريني في نقوشه من الأشعار، والآيات القرآنية، ثم تجاوزها إلى النقوش التاريخية. وصار المزخرف المريني ينفذ تلك النقوش الكتابية أو يحفرها حفرا فوق أرضية من سعيفات نباتية بسيطة أو مزوجة، ذات ذيول بين مستقيمة ومائلة، ثم تبدأ في النحول، وتقطع الأقسام العلوية لنهايتها مكسورة الزوايا، وتكون أقسامها السفلية معقوفة أو على هيئة قرون. كما كان يعتني الفنان المريني بالزوائد، ليملأ بها جميع فضاءات المكان الزخرفي. وتتضافر عنده العقد الرابطة، التي كثيرا ما تكون مائلة أو

(929)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 97.

(930)- راجع : عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، ص 81 ـ 82.

مستقيمة، أو على هيئة أهلة، منتشرة بين الحروف، لتكملة التكوين، مما يعطي تلاحما بين الحروف والنماذج الزهرية التي تتداخل مع بعضها البعض، لتملأ الفراغ المخصص للزخرفة[931].

وتشير دراسة النقوش التسجيلية في المغرب الأقصى خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي إلى بداية نهضة حقيقية زاهرة الأمر الذي يتضح على الخصوص من دراسة تقنية تنفيذ الزخارف الكتابية والنقوش التسجيلية، ويمكن القول بأن خط الثلث المغربي شهد تطوراً ملحوظًا في كل أصنافه في العصر المريني، وأصبح يضم تشكيلة من الخطوط ذات جمالية وبهاء خاص، وهي تزخر بزخارف وتجويدات متنوعة[932].

وهو ما يؤكد أنه كما كان للموحدين والمرينين طرازهم المعماري الجديد الذي ازدهر في كل من العدوتين، في مدن إشبيلية، ومراكش، والرباط في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، فقد تميزوا أيضا بطرازهم الفني الذي تطور وبلغ الذروة في الجمال والرقة في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، في غرناطة، واحتفظت بلاد المغرب الأقصى بتقاليد هذا الطراز[933].

الخطوط الكتابية ومدلولاتها على السكة في العصر السعدي

نفذت الخطوط الكتابية على النقود الذهبية أواخر العصر السعدي بالخط الثلث المغربي، الذي تضمن كتابات تسجيلية، على مركزي الوجه والظهر تشتمل على أسماء ألقاب الخلفاء السعديين متبوعة بأسماء وألقاب الخليفة أمير المؤمنين أبو العباس أحمد المنصور بن الخلفاء الراشدين، منعوتا بلقبي الشريف الحسني، وكتابات دينية، على الهامش تضمنت الآية القرآنية الكريمة : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ سورة الأحزاب، آية 33، وهي إشارة واضحة لتمسك خلفاء الدولة السعدية بآل البيت. وتنحصر الكتابات التسجيلية المنقوشة على وجهي الدنانير أواخر الدولة السعدية في العبارات التسجيلية بمركزي الوجه والظهر، والتي تتكون من البسملة، واسم الخليفة، وألقابه منسوبا إلى الخليفة أبو العباس أحمد المنصور بالله بنحو (**ابن الإمام أمير المؤمنين /أبي العباس المنصور / بن الإمامين الخليفتين / أميري المؤمنين**)، متبوعا بعبارة (**الشريف النبوي**)[934].

(931)- راجع : أحمد الطاهري، الجمالية المغربية على عهد المرينيين ملاحظات حول الفن الزخرفي بمدارس فاس، ص 81 ـ 82.

(932)- راجع : كريم عايش، وأخرون، أصل الخط العربي وتنوعه وتطور مخطوطاته وفهرستها، ط 1، الرباط، 2000، ص 22 ـ 23 .

(933)- راجع : Marçais G., L'architecture musulmane d'occident, p. 244

(934)- من جانب آخر فقد حرر أبو فارس عبدالعزيز الفشتالي العديد من العقود التي تتعدد فيها العبارات التي تنص على قرشية الخليفة وانتمائه إلى السلالة النبوية. راجع : إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1987م، ص 177.

وقد استعمل المؤرخون في الدولة السعدية، لفظ «**الشريف النبوي**» للإشارة إلى الخليفة بأنه سبط النبي صلى الله عليه وسلم، وهي حجة لعدم مخالفة أوامره لوجوب طاعة الإمامة النبوية الشريفة. بالإضافة إلى التمسك بالآية القرآنية الكريمة : ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾[935].

وتشير الكتابات التاريخية إلى أنه مع فجر العهد السعدي بدأت سياسة مغربية جديدة ترفض الخضوع للخلافة العثمانية، لأن فكرة هذا الاستقلال عن العثمانيين تنطلق قبل كل شئ من انتماء الدولة إلى السلالة النبوية، كما أن القائم بأمر الله، وأحمد الأعرج لم يتخذ لقب الخلافة، واكتفى بلقب الأمير، وإن كان لفظ «**القائم بأمر الله**» يعتبر من ألقاب الخلافة، وبمجرد أن استولى محمد المهدي الشيخ على مراكش، اتخذ على الفور لقب الخلافة، ولم يتخذ محمد الشيخ لقب «**أمير المؤمنين**»، واكتفى بلقب «**أمير المسلمين**»[936]. وكان رد أبو العباس أحمد المنصور على الخلافة العثمانية، أن دعا كل أقطار أفريقيا الغربية إلى بيعته حتى يفوز ببركة خليفة الرسول، وقد فتح مؤسس الدولة الطريق منذ سنة 915هـ/ 1510م بفضل لقب «**القائم بأمر الله**» الذي اتخذه رسميا حتى يسيروا في توسيع رقعة نفوذهم لتبرير حق الخلافة الذي طمحوا إليه[937].

ويتضح من خلال الاطلاع على توقيعات الملوك في أواخر الدولة السعدية، وجود توقيع موحد لدى هؤلاء الملوك ابتداء من عهد عبد الله الغالب، حيث كان يتركب التوقيع من عبارة «**الحمد لله**» أو «**الحمد لله وحده**»، في شكل زخرفي، كما استعمل الملوك السعديون عدة أشكال من الطوابع، التي كانت تحتوي على بعض الآيات القرآنية التي تتناول العدل، والإصلاح، والاعتماد على الله، والانتماء بآل البيت الكريم، يليها أسماء السلاطين السعديين[938].

وكان للمراسلات الملكية تقاليدها الخاصة، فالملوك السعديون لم يكونوا يوقعون خطاباتهم بخط أيديهم إلا في عهد أبي مروان عبد الملك المعتصم الذي كان يعرف الإسبانية والإيطالية

(935)- وردت في مراسلات الدولة السعدية مثل هذه العبارات منذ عهد الخليفة أبو العباس أحمد المنصور بالله، وكتب عبدالعزيز الفشتالي عند حديثه عن رسالة للسلطان أحمد المنصور بالله الذهبي إلى القاضي عمر بن محمود بن عمر قاضي تبكتو على وجوب تقليد بيعة المنصور بالله. بعبارة « ونص الكتاب الكريم النبوي الأمامي المنصوري، ... المقام العلي الإمامي الأحمدي المنصوري الحسني الفاطمي.. راجع : الفشتالي، مناهل الصفا.، ص 131ـ 135.

(936)- ظهرت عبارة أمير المسلمين على النقود الذهبية لمحمد الشيخ المهدي خلال المرحلة الأولى من حكمه السابقة لدخوله إلى فاس سنة 956هـ، وقضائه على الحكم الوطاسي، وتوطيده للسلطة السعدية. راجع : نور الدين مفتاح، فهرس المسكوكات المغربية من العهد الإدريسي إلى العهد السعدي، مجموعة السيد رشيد الصبيحي، ج 2، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، 2002م، ص 297.

(937)- راجع : إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع.، ص 173ـ 174.

(938)- راجع : بنعلة مصطفى، مجموعة وافية بالرسائل السعدية، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1988 ـ 1989م، ص 181.

والتركية، فضلا عن العربية، ويوقع رسائله بخط يده، وظهرت على الرسائل السعدية الموجهة للخارج عبارات للمصادقة عليها مثل «**صحيح ذلك**»، أو «**الحمد لله**»، كتبت على شكل الطغراء بحروف معقدة[939].

وقد وردت ألقاب ملوك الدولة السعدية بشكل واضح في مضمون الرسائل والظهائر السلطانية التي صدرت في تلك الفترة، وقد اتخذ أبناء الخليفة أبو العباس أحمد المنصور بالله (**الواثق بالله، ومحمد الشيخ المأمون، والناصر زيدان**) مجموعة من الألقاب الملكية التي ظهرت على نقودهم الذهبية، حيث اتخذ الواثق بالله لقب «**الأمير**»، و«**الإمام**» و«**الخليفة**»، و«**أمير المؤمنين**» على ظهيرين صادرين منه إلى أحد المرابطين، يقرأ أولهما بنحو : «**عن أمر عبد الله تعالى الواثق به الأمير أبي فارس بن مولانا أمير المؤمنين الخليفة أبي العباس المنصور بن مولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين ناصر الدين أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي بن مولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين أبي عبد الله القائم بأمر الله الشريف النبوي ....**»، أما الآخر فيقرأ كالتالي : «**عن أمر عبد الله تعالى الواثق به الإمام الخليفة أبي فارس أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين...**».كما ظهرت نفس ألقاب الناصر زيدان التي نقشت على مسكوكاته الذهبية على رسائله وظهائره السلطانية بنحو : «**الإمام**»، و«**السلطان**»، و«**الفاطمي**»، حيث خاطب الناصر زيدان أشياخ أحد القبائل في ظهير صادر منه، يقرأ بنحو : «**من عبدالله الإمام السلطان الفاطمي السلطاني، أيد الله أمره وأعز نصره**»، وحملت رسالة الناصر زيدان إلى الدوق دي مدينة بعض ألقابه بنحو : «**صدر هذا المكتوب العلي الإمامي الكريم المظفر الناصري الزيدي الحسني الفاطمي الهاشمي السلطاني عن الأمر العلي النبوي الشريف العلوي الذي دانت لطاعته الكريمة الممالك الإسلامية، وانقادت لدعوته الشريفة سائر الأقطار المغربية ....**»[940].

أما ألقاب السلطان محمد الشيخ المأمون بن المنصور فقد ظهرت في رسالة صادرة منه إلى أحد المرابطين، جاء فيها : «**عن الأمر العالي الهمامي السلطاني المأموني الحسني**». وفي رسالة من الوليد بن زيدان يكاتب فيها الأشياخ والأعيان من أهل سلا يحثهم على الطاعة والامتثال لأمره، بعض ألقابه بنحو : «**.... خدام الإمامة الحسنية النبوية العلوية المنصورية الوليدية ... من حضرتنا المراكشية ... حرسها الله...**»، كما وردت ألقابه على رسالة أخرى صادرة منه جاء فيها : «**... صدر عن الأمر العلي السلطاني الوليدي المؤيد بالتأييد الرباني ....**». أما

(939)- راجع : إبراهيم حركات، الأجهزة السياسية المركزية لدى المخزن السعدي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد 11، 1985م، ص 27 ـ 28 .

(940)- راجع : بنعلة مصطفى، مجموعة وافية بالرسائل السعدية.، ص 112، و178، 181.

رسالة السلطان محمد الشيخ بن زيدان إلى الملك الاسباني ڤليب الثالث فقد ورد فيها : «**صدر هذا المكتوب العلي الإمامي الكريم السلطاني المحمدي الشيخي الحسني الناصر لدين الله، عن الأمر العلي النبوي الشريف العلوي ....**» وفي رسالة أخرى صادرة منه فيها : «**عن الأمر العلي الإمامي المجاهدي المحمدي الشيخي الحسني الناصر لدين الله، أمير المؤمنين عبدالله محمد الشيخ الحسني...**»[941].

وقد تميزت الخطوط الكتابية على النقود الذهبية أواخر الدولة السعدية باستمرار استخدام خط الرقعة وهو الخط اللين[942]، والمعروف أن الخط العربي أصبح يتميز بوجود مدرستين منذ القرن الرابع الهجري، الخط الكوفي القيرواني، والخط الكوفي الأندلسي، وبدأت الأخيرة في الانتشار خلال العصر المرابطي، أما في عصر الموحدين فقد ظهر نوعين لهذا الخط، الأول في غرب الأندلس، والآخر في شرقها. وشاع في العصر المريني لون من الخط الأندلسي المتمغرب، حيث أخذت الكتابة تكتمل مغربيتها على أيدي بني مرين، واستقر الخط الأندلسي المتمغرب في خمسة أشكال، الأول في الخط المبسوط، الذي استخدم في المصاحف القديمة، والثاني في الخط المجوهر، الذي شاع في المراسيم السلطانية والرسائل، وانحصر الشكل الثالث للخط المتمغرب، في الخط المسند أو الزمامي، الذي استخدم للوثائق العدلية، بينما ظهر الشكل الرابع، في الخط المشرقي، المقتبس من خط الثلث، واستخدم في الوقفيات المنقوشة على اللوحات الرخامية، وتمثل الشكل الخامس في الخط الكوفي، الذي استخدم في كتابة المصاحف، وفي كتابة النقوش الحجرية والجصية[943].

وتطورت أنواع الخطوط المغربية، وتأنق منها خط الثلث المتمغرب المكتوب على القطع النقدية، واستمر إلى نهاية حكم أحمد المنصور الذهبي وأبنائه، حتى آل الأمر فيما بعد إلى عدة إمارات تقاسمت الحكم، فظهرت نقود الإمارة الدلائية في وسط المغرب، ونقود الإمارة السملالية في القسم الجنوبي منه[944].

(941)- راجع : بنعلة مصطفى، مجموعة وافية بالرسائل السعدية.، ص 112، و178، و181

(942)- وصل الخط العربي إلى الغرب الإسلامي منذ عصر بني أمية، واستخدم الفاتحون الخط الحجازي إلى جانب الخط الكوفي، والثابت أن الخط المغربي اشتق من الخط الكوفي العراقي، الذي شاع منذ أوائل العصر العباسي في بغداد، ومع مرور الزمن تميزت الكتابة المغربية باسم الكوفي القيرواني. راجع: عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي، ص 81.

(943)- راجع : محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 2، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1990م، ص 361ـ365.

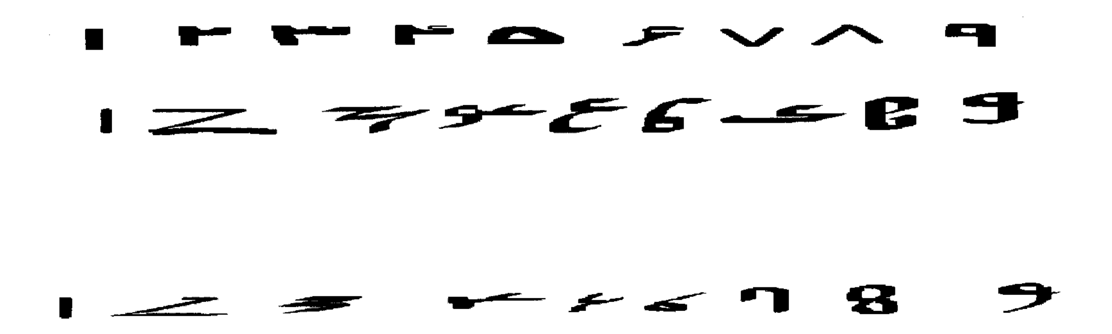
(944)- لعل ذلك كان بتأثير الأسلوب التركي الذي كان له دور في مجال الخط العربي في هذه المرحلة.راجع: عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي .، ص 81.. 84.

الأرقام الغبارية على النقود الذهبية أواخر العصر السعدي

سميت الأرقام الغبارية بهذا الاسم لأن النساخين الذين كانوا يرسمونها كانوا يضعون عليها غبار لتنشيف موادها، وقد اعتاد المغاربة على استخدام الأرقام الغبارية أو القلم الغباري، وانتقلت هذه الأرقام إلى أوربا من المغرب[945]. وقد انتشرت الأرقام الغبارية بشكل خاص في الأندلس وبلاد المغرب، وانبثقت تلك الأرقام من الأرقام الهندية، وبعض حروفها تتشابه مع بعض الأرقام القديمة، بالإضافة إلى استخدام أشكال الحروف والكلمات العربية في نشأة الأرقام الغبارية وتطورها، وتوضح المخطوطات الإسلامية المحفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس، نشأة الأرقام الغبارية وتطورها حيث دونت عليها مراحل تطور تلك الأرقام من الرقم 1 إلى 9 بالمداد الأحمر[946].

ويلاحظ أن هناك علاقة مباشرة بين مراحل تطور الأرقام الغبارية، وبين الحروف العربية مثل: استخدام حرف الألف (ا) في كتابة الرقم (1)، واستخدام حرف الياء (ي) في كتابة رقم (2)، واستخدام حرف الجيم (ج) في كتابة الرقم (3)، واستخدام حرفي العين والواو (عو) في كتابة الرقم (4)، واستخدام حرف العين (ع) في كتابة الرقم (5)، واستخدم حرف الحاء (ح) في كتابة الرقم (6)، وتشكيل حرف الحاء بشكل العصا المعقوفة لكتابة الرقم (7)، ورسم صفرين فوق بعضهما لكتابة الرقم (8)، ثم استخدام شكل حرف الألف والواو في كتابة الرقم (9)[947].

ويمكن توضيح ذلك كالتالي :



رسم توضيحي للأرقام الغبارية

(945)- انتقلت هذه الأرقام إلى أوربا عن طريق البابا سيلفيستر الثاني. راجع : عبدالهادي التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعرف الجديدة، الرباط، 1983، ص 61.

(946)- راجع : Ifrah Georges, Histoire Universelle des Chiffres, Robert Laffont,mars 2003, pp. 250-262

(947)- راجع : Ibid

1	2	3	4	5	6	7	8	9	0

مراحل تطور الأرقام الغبارية

وقداستعملت الأرقام الغبارية[948] على السكة المغربية السعدية[949]، وظهرت تلك الأرقام على النقود الذهبية أواخر الدولة السعدية[950]، في كتابة تاريخ السك على نقود الوليد بن زيدان، ونقود أخيه محمد الشيخ بن زيدان، كما ظهرت الأرقام الغبارية، في كتابة تاريخ الضرب على المسكوكات الفضية، والنحاسية لأبي مروان عبد الملك بن زيدان، وأخيه الوليد ومحمد الشيخ[951]. وتحتفظ المجموعة موضوع الدراسة بدينار رقم 2001.7.67.2103، يحمل أسماء وألقاب الخليفة الوليد

(948)- راجع : Ifrah G., Histoire Universelle des Chiffres., pp. 250-262

(949)- ظهرت الأرقام الغبارية على دينار باسم محمد الشيخ بن زيدان محفوظ بمجموعة رشيد الصبيحي. راجع : نور الدين مفتاح، فهرس المسكوكات المغربية .، ج 2، ص 341 و344.

(950)- راجع : محمد المنوني، المصادر العربية .، ج 2، ص 355.

(951)- تحتفظ مجموعة رشيد الصبيحي بدينار باسم الخليفة أبو مروان عبدالملك بن زيدان 1037 ـ 1040هـ، يتميز هذا الدينار بكونه يشتمل على عدد من الدوائر وأنصافها وفق أسلوب هندسي، ونلاحظ أن عبارة « ابن / السلطان / زيدان»، محاطة بنصف دائرة رئيسية مكونة من نصف دائرة خطية تليها نصف دائرة من حبيبات، كما يلاحظ عبارة « الحمد لله/ السلطان / أبو مروان» التي تحيط بها دائرتان خطيتان تلتقيان مع الجزء الأسفل من أنصاف الدوائر، وهو نفس الشئ الذي ظهر في عبارات مركز الظهر : ابن السلطان/ أحمد المنصور/ ابن السلطان/ محمد الشيخ» راجع : نور الدين مفتاح، فهرس، ج 2 ن ص 239 ـ 344 .

بن زيدان، ويحمل تاريخ السك في عام 1042هـ بالأرقام الغبارية، كما تحتفظ المجموعة بدينار باسم محمد الشيخ بن زيدان، رقم 2001.7.67.2526، يحمل تاريخ السك في عام 1045هـ، بالأرقام الغبارية.

ومن خلال الدراسة المقارنة بين الدينارين السابقين ودنانير أخرى، يتضح تشابه دينار الخليفة الوليد بن زيدان السابق ذكره مع دينار آخر، يقرأ بنحو : «**بسم الله الرحمن الرحيم : الخليفة المنصور/ الوليد بن الامام/ الناصر زيدان**»، أما الظهر فيقرأ كالتالي : «**ابن الامام المنصور/ ابي العباس أحمد/ ابن الامام المهدي / الشريف الحسني**»، وقد ضرب هذا الدينار بمراكش عام 1042هـ، وسجلت عليه تاريخ السك بالأرقام الغبارية، كما يتضح تطابق الدينار الآخر الخاص بمحمد الشيخ بن زيدان بدينار آخر يحمل اسمه وألقابه،ضرب بمراكش في عام 1045هـ، وسجل تاريخ ضربه بالأرقام الغبارية[952].

وقد نشر «Brethes» دينارين للخليفة الوليد بن زيدان، يتشابهان في كتاباتهما مع دينار الوليد، مع نقش تاريخ الضرب بالحروف العربية، وقرأ تاريخ الضرب علي الدينار الأول رقم 1.616 بنحو: «**ضرب بحضرة مراكش عام اربعين وألف**»، والآخر رقم 1.617 بنحو : «**ضرب بحضرة مراكش سنة أربعين وألف**»[953]. كما نشر «Lavoix Henry» دينارين آخرين للخليفة الوليد بن زيدان، يتشابه أولهما مع النصوص الكتابية الواردة في مركزي الوجه والظهر على الدنانير السابق وصفها، مع كتابة تاريخ الضرب بالحروف العربية، بنحو «ضرب بحضرة مراكش حاطها الله سنة اربعين والف»[954].

وهذا يدل على أن الخليفة الوليد قد ضرب دنانيره بعدة طرز، كما نقش تاريخ ضرب نقوده بالطريقتين الحروف العربية، والأرقام الغبارية.

كما نشر «Brethes» دينار باسم محمد الشيخ بن زيدان، رقم 1.621، ضرب بمراكش في عام 1046هـ، وذكر أن تاريخ الضرب كتب بالأرقام الشرقية، ومن خلال مقارنة ذلك بدينار محمد الشيخ، يتبين أن تاريخ ضرب هذا الدينار كتب بالأرقام الغبارية[955]. كما نشر «Lavoix Henry» دينار محفوظ بالمكتبة الوطنية في باريس، يتشابه في كتابات مركزي الوجه والظهر، مع دينار

(952)- محفوظة بمجموعة السيد رشيد الصبيحي بالمملكة المغربية. راجع : نور الدين مفتاح، فهرس، ج 2ن ص 239 ـ 344.

(953)- راجع : Brethes J.D., contribution à l' histoire du Maroc , p.216

(954)- راجع : Lavoix Henery, Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothèque National, Espagne et Afrique, Arnaldo Forni Editiore, Ristampadell'edizione, 1891, pp.496-497

(955)- راجع : Brethes J.D., contribution à l' histoire du Maroc., p.216

محمد الشيخ بن زيدان، مع كتابة تاريخ الضرب بالحروف العربية، بنحو « ضرب بحضرة مركش (مراكش) حا طها الله عام خمس واربعين والف»[956]، وهذا يدل على أن محمد الشيخ بن زيدان قد نقش تاريخ ضرب نقوده بالطريقتين الحروف العربية، والأرقام الغبارية.

ثانيا : الزخارف النباتية والهندسية

تميزت الزخارف النباتية والهندسية التي شغلت مواد الفنون الإسلاميية في المغرب خلال العصور الإسلامية، بالثراء الزخرفي، وقد تمثلت هذه الزخارف بوضوح على التحف الفنية والمآثر المغربية حيث نفذت الزخارف النباتية وقوامها مراوح نخيلية أو أنصاف مراوح تلتف حولها سيقان رفيعة، وفي نماذج قليلة ظهرت ورقة نباتية ثلاثية الفصوص إلى جانب الزخارف الهندسية التي تشكل دائما على هيئة دائرة أطباق مجمعة نفذت بطريقة التخريم[957].

ومما يدلل على انتشار الزخارف النباتية والهندسية على الفنون المعدنية في المغرب الأقصى خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، الصفائح النحاسية التي تغطي المصراعين الخشبيين بباب جامع القرويين بفاس، والمؤرخ لسنة 531هـ/ 1136م، وتحلي الباب مضلعات نجمية قليلة البرونز ومسامير مفصصة الرؤوس، وضبتان كبيرتان مستديرتان[958].

وإذا كانت الثريا الكبرى بالجامع الكبير بتازة المؤرخة لسنة 693هـ، تعتبر تحفة ذات مقاييس تعكس العلم بالتركيب وفخامة الحشوات، فإنها لا تفوق ثريا فاس الجديد لا من حيث أناقة القطع في الأوراق النخلية ولا من حيث قيمة الحفر والتفريغ[959].

واستعمل الموحدون إلى جانب الزخارف النباتية، علامات نقدية أخرى، عبارة عن مجموعة من النقط والدوائر الصغيرة المنقطة أو المفرغة، كما استعملوا المثلثات الصغيرة الأهلة، وهذه العلامات توزع على فضاء القطعة النقدية[960].

كما تفيد الرموز، والإشارات، والشعارات التي تتزين بها المسكوكات في تمييز الضربات النقدية التي تمت في السنة الواحدة، وتحديد معالم عهد من العهود اعتماداً على علمي الرموز

(956)- راجع : Lavoix Henery, Catalogue des Monnaies Musulmanes., pp.497- 498

(957)- راجع : Terrasse H. et Hainaut J., Les arts décotatifs au Maroc, Editions Afrique Orient, 1988,pp.117-120

(958)- راجع : ليويلدونوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي.، ص 60

(959)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون .، ج 4، ص 382.

(960)- راجع : شعبان عبد الرحيم، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، ص 91 ـ 92.

والنسب، وتأخذ هذه الرموز، والشعارات أشكال انفرادية أو مجموعة من الحروف يستعصى إدراك مفهومها[961].

أصبحت عناصر الزخرفة المعمارية على عهد الموحدين تتكون من الأقواس المختلفة من مدورة، ومدببة، ومتجاوزة، ومفصصة. وكان العقد المغربي المفضل هو الحدوي المتجاوز الذي ظل إلى الآن سمة تقليدية للمحاريب المغربية . ولقد تطور القوس المفصص على عهد الموحدين فأعطى أشكالاً متنوعة، من المسنن، وذي الأسنان المدورة والمستقيمة، كما انتشرت القبوات الغنية بالمقرنصات المتنوعة الأشكال . أما الخطوط الموحدية فتتميز بالضخامة على عكس الكوفي التونسي الرقيق. كما كانت الزخرفة الهندسية أساسية منذ القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، حيث تظهر في محاريب تينمل، والكتبية، وكانت سعفة الأكانتوس هي العنصر الرئيسي في الزخرفة الزهرية في فن التوريق المرابطي والموحدي. حيث يتصف التوريق الموحدي ببساطته التقشفية الأمر الذي سمح بترك مساحات فارغة دون الزخرفة، ففي التوريق الموحدي تفقد سعفة الأكانتوس عادة تفاصيلها الداخلية، وتقتصر على الشكل المجرد، ربما بتأثير إفريقية الفاطمية أو المشرق، أما عن تمثيل الشخوص الآدامية والحيوانية مما كان معروفاً في الأندلس بمدينة الزهراء فإنه اختفى تماماً في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي تحت تأثير مذهب النقاء الموحدي[962].

وخلافا للزخارف الموحدية الذي انحصرت في المحاريب، والصوامع، ونادرا ما تعدتها إلى الأروقة المحورية، فإن الفن المريني يقوم على زخارف كبيرة وواسعة، يشف عن ما يمكن الاصطلاح عليه «**بالخوف من الفراغ**»، فالمزخرف المريني يعتمد تناسبا مزدوجا، أفقيا وعموديا، يتيح له أن يتحرر ويبتكر التكوينات، مسهبا فيها ومقيما بينها المقابلات والتماثلات. حيث جاءت الأشكال متداخلة ومتنوعة ومتراتبة، واجتمعت المأطورات البسيطة المتكونة من عناصر نباتية أو هندسية، مع تكوينات أكثر تعقيدا وتنوعا في الأشكال، وانتهى ما كان من التفوق لنمط معين من الزخرفة مما نتج عنه ظهور زخارف واسعة، تغطي الواجهات وحائط القبلة والأقواس، وتتعداها إلى الأكتاف والسقوف. وبذلك شاع فن التوريق وجددت أشكاله والتحكم في تقنياته، وأصبحت العناصر الزخرفية أكثر تهذبا، واكتسبت بفضل الحفر، والخطوط المائلة، والتشققات، قوة أخاذة، واستقلالية فريدة[963].

(961)- راجع : دانييل أوستاس، تاريخ النقود العربية ومايتعلق بموازينها ومقاييسها.، ص 134.

(962)- راجع : سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986م،ص 505.

(963)- راجع : أحمد الطاهري، الجمالية المغربية على عهد المرينيين ملاحظات حول الفن الزخرفي بمدارس فاس، ص 66ـ 68.

وتتميز العمائر المرينية الباقية بصغر حجمها مقارنة بعمائر الموحدين[964]، كما تتميز العمارة المرينية بانتشار الزخرفة المعمارية انتشاراً يغطي جميع السطوح في الحوائط والعقود والأسقف[965]، وعلى خلاف خطوط عناصر الزخرفة الموحدية المتميزة البسيطة الواضحة بين فراغات المساحة الزخرفية الكبيرة، أصبحت خطوط الزخرفة المرينية دقيقة ومتداخلة ومنتشرة على جميع أرضية المساحات الزخرفية، وقد اكتسبت تنوعا في الألوان يضع انسجاماً عاماً لجميع العناصر والوحدات الزخرفية حيث نرى الألوان الأزرق، والرمادي، والأخضر، والأسود، ويتضح ذلك في زخارف جدران مدرسة أبي الحسن بسلا ونظيراتها بفاس ومكناس[966].

واحتلت الأشكال النباتية في العصر المريني مكانة راجحة، وهي تشتمل على سيقان، وجذوع، وسعيفات، وصنوبريات، اعتمدها المزخرف المريني لمضاعفة الأشكال، والتحكم في معالجتها. واكتسحت الساق، خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، مزيدا من التهذيب، لكنها لم تتعرض للتمدد طولا، ونقص طولها، لتؤول إلى خيط رقيق مكور، نادرا ما يكون مسطحا وذا شكل هندسي. وقد تطورت تشابكاتها، لتشكل لوالب تزينها عقديات، ونماذج هلالية، أو براعم، وتتجدل هذه الساق في الركنيات، وفي المساحات الكبيرة، وفي أشكال لولبية لا متناهية، مكونة الأرضية الخلفية للزخرفة. وإذا كانت السعيفات قد استمرت من فن المرابطين والموحدين، فإن أشكالها قد اتخذت أبعادا جديدة في الفن المريني. فالسعيفة الموحدية التي كانت تمتد انطلاقا من سويقة، تتفرع إلى قوسين منجدلين، تقطعهما حزوز متعاكسة، أو السيفة المخرمة، التي حلت محلها سعيفة منمنة، ما عدا في الزليج المحزوز، فإنها تنبثق مباشرة من ساق رشيقة، ثم تصير مثلها، إلى انحناءات مألوفة[967].

وقد اقتصرت الزخارف النباتية على الثريات على الأوراق النخيلية الملساء، كما نلاحظ في مثال الثريا الكبرى بجامع فاس الجديدة، أن المناطق الزخرفية بالطوق تمثل بين سطرين من الكتابة النسخية، حشوات ذات تركيب موحد يتفق انسجاماً مع الأوراق النخيلية المعرقة، ففي مثال الثريا المعدنية بجامع مكناسة الزيتون، وجامع القرويين، نلاحظ أن الزخارف الهندسية، والخطية، والزهرية، قد عملت من ألواح مقطوعة أو منزوعة من كتلة المعدن، وأن التركيب العام

(964)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.، ص 746.

(965)- راجع : زكي حسن، فنون الإسلام.، ص 121

(966)- راجع : Golvin Lucien, La madrasa, 1995, p.248

(967)- نجد في بعض الأحيان أن السعيفة شغلت بأشكال الصنوبر المركبة أو البسيطة، التي تملأ تشابكاتها، كما هو الحال في العناصر الزخرفية في مدرسة الصفارين ومدرسة الصهريج بفاس. أما زخارف مدرسة أبي عنان بفاس، فجميع تكويناتها مؤلفة من سعيفات مزدوجة ذات قويسات التفافية ومركبة، نفذت بحزوز عميقة، كما هو الحال في واجهة باب الأوداية، وباب الرواح في الرباط، وباب أكناوة في مراكش. راجع :أحمد الطاهري، الجمالية المغربية على عهد المرينيين ملاحظات حول الفن الزخرفي بمدارس فاس، ص 76ـ77.

للزخرفة يزدحم دون أن يوضح أي حفر، ونقش تفصيل تلك الأشكال، كما اقتصرت الزخارف النباتية على الأوراق النخيلية الملساء، بينما نلاحظ في مثال الثريا الكبرى بجامع فاس الجديدة، أن المناطق الزخرفية بالطوق تمثل بين سطرين من الكتابة النسخية، حشوات ذات تركيب موحد يتفق مع الأوراق النخيلية المعرقة[968].

وقد استمرت الزخارف الهندسية الشائعة في العصر الإسلامي بالمغرب، مع مزيد من التطور الواضح في زخارف العصر المريني، وأضحت الزخارف المرينية أكثر توازنا وأكثر تعقيداً. وصارت السطوح الجبصية المرينية يتجلى فيها التلبيسات الخزفية، التي تضم النجمة ذات الرؤوس الثمانية أو الستة عشر، والمسدسات المنتظمة، ومثمنات الأضلاع، وذوات الأثني عشر ضلعا، كما رسمت المثلثات والمعينات بصباغة قوية، من الألوان الداكنة، كالأسود، والأحمر الآجري، وألوان أخرى فاقعة[969].

كما وصل مهندس الدولة المرينية إلى ابتكار طراز جديد في تخطيط العمائر الدينية، والمدنية المغربية، باستخدام ظاهرة القص المتماثل، وهي إحدى مميزات العمارة المرينية، وهذه الظاهرة لم تمليه على البناء ظروف إما معمارية أو فنية، وهي لا تعدو أن تكون طرازاً هندسياً جديداً في العمارة المرينية، عمل بقصد التجديد، وتمييز منشآت المرينيين عن غيرها من المباني السابقة، واللاحقة، أو أنها كانت بمثابة توقيع البناء المريني على ما أنتجه من روائع العمارة والفن. كما استخدم المرينيون العقد المتجاوز كامل الاستدارة الذي عرفه المرابطون، وأهملوا العقد المتجاوز المنكسر الذي استخدمه الموحدون، كما كان المستطيل المحيط بالعقد أقل ارتفاعاً من نظيره عند الموحدين، فلما جاء المرينيون جعلوا عقود مساجدهم عمودية على اتجاه القبلة نظراً لزيادة عمق المسجد عن اتساعه[970].

وقد استخدمت المقرنصات كعنصر زخرفي في الغرب الإسلامي، ويرجع أقدم مثل لاستخدامها كعنصر إنشائي في جامع القيروان، حيث تحمل القبة التي تتقدم المحراب المشيدة عام 221هـ/836م، وفي العصر المريني استمر استخدام المقرنصات للغرض الزخرفي في أشكال متطورة، فنجدها في المدارس تغطي بواطن العقود، وبواطن القباب، كما نراها تتدلى من بواطن الأسقف الخشبية، وفي تيجان الأعمدة، وفي الوقت الذي نلاحظ اختفاء الشرافات في العمارة المغربية، نراها تتوج واجهات مئذنة مدرسة الصفارين، ومئذنة المدرسة البوعنانية، كما نجدها منقوشة على

(968)- راجع : Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman . ,pp.170

(969)- راجع : أحمد الطاهري، الجمالية المغربية على عهد المرينيين ملاحظات حول الفن الزخرفي بمدارس فاس، ص 78 ـ 79.

(970)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون.، ج 4، ص 284 ـ 290

الزليج يكسو الجزء السفلي لجدران هذه المدرسة، (لوحة 115) كما نجدها تتوج الأحجبة الخشبية التي تفصل الأروقة التي تتقدم صحن المدرسة، وقد زينت من الداخل بزخارف نباتية، كما نراها تتوج القرص الدائري للثريات المرينية. كما انتشرت الزخارف المعمارية التي على هيئة محراب متوج بعقد مفصص أو على هيئة حدوة الفرس في تزيين واجهات المدارس المرينية، وظهرت الزخارف المعمارية التي على هيئة عقود مفصصة أو على هيئة حدوة الفرس في تزيين واجهات المدارس المرينية[971].

وانتشرت على الأرضيات تضفيرات هندسية أو زهرية بسيطة أو مركبة، وظهرت الأوراق النخلية، والتعريشات النخيلية، وكيزان الصنوبر متنوعة، وعلى أفاريز، وإطارات الجص نقشت تضفيرات النجوم متعددة الأركان المستوحاة من الفنون الإسلامية في المشرق، في تشكيلات متنوعة تحقق التوازن في الحركة والانسجام، وكانت الزهيرات المرينية ذات وريقات تتجمع على شكل اندماج أو تقاطع أو التحام، وقد ترسم الأوراق بهيئتها العادية، أو على هيئة كوز الصنوبر، وقد تكون الأوراق ملساء مرنة تتنوع بتنوع مكانها من النقش، وكثيراً ما تصنع الأوراق تضفيراً نباتياً. ومن الزخارف ذات الأصل الهندسي البسيط، يظهر العقد الذي يتميز بالتناظر، والتماثل، ومثلها، وكذلك زخرفة السلسلة. كما تظهر حلية العمائر المغربية في هذا الطراز في الأعمدة الرخامية الدقيقة ذات التيجان الرقيقة المحلات بالتوريق، وأيضاً تلعب المقرنصات دوراً كبيراً في العصر المريني في قباب المدارس، والقصور، وواجهات المساجد المرينية[972].

ويمكن القول بأن الفن المغربي يعتبر فنا متميزاً أعطى للخطوط الزخرفية حياة مسترسلة متصلة ومنح العناصر، والوحدات جمالاً منسجما مع الألوان، إلى جانب نعومة الحس ورقة الذوق، ويظهر ذلك جلي في مدارس فاس، التي أصبحت قاعدة ملوك بني مرين، حيث استوطنوها وبنوا معها ثلاث مدن موازية لها، على ضفة الوادي المعروف بوادي الجواهر، وبكل من فاس القديمة، وفاس الجديدة المسماة بالبيضاء[973] وحمص[974] الجوامع، والمساجد، والمآذن، والحمامات، والأسواق[975].

(971)- محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين.، ص 351

(972)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون.، ج 4، ص 279

(973)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج 1، ص 417.

(974)- نفسه.

(975)- راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين.، ص 549 ـ 555.

المراكز الصناعية
ودور الضرب وأهم الصناع

أولا: المراكز الصناعية

على الرغم من أن المصادر التاريخية لا تقدم معلومات كافية عن مراكز صناعة التحف التطبيقية في المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي، وحتى أواخر العصر السعدي، أو أسماء صناعها، إلا أن الدراسة تمدنا ببعض المعلومات المهمة التي تمثل إضافة جديدة، تساعدنا على وضع خريطة لأهم مراكز صناعة مواد الفنون الزخرفية في المغرب الأقصى عبر العصور الإسلامية. فإلى جانب أشبيلية، وقرطبة، وجيان في بلاد الأندلس، كانت فاس، ومراكش، ومكناس، وسبتة، وسلا، ورباط الفتح، في المغرب الأقصى، إضافة إلى تونس، وبجاية، في الشمال الإفريقي[976].

وكان الصناع في المدن المغربية من النساجين، والصائغين، والحدادين، والفخارين يزاولون أعمالهم صابرين في حوانيتهم الصغيرة القائمة في نهاية الدروب والأزقة، محتفظين بالأشكال، والقواعد التقليدية التي لم يعدلوا فيها إلا تحت تأثير المستحدثات الوافدة من شرق البحر المتوسط، وبحكم التطور الزمني الذي لا مفر منه[977]. كما كانت بعض المدن المغربية من أهم دور ضرب السكة المغربية خلال العصور الإسلامية، وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لا تفصح عن دور السكة أو الكثير من الأسرار العلمية بدور الضرب في العصر الإسلامي[978]. إلا أن المجموعة النقدية موضوع الدراسة تمدنا بمعلومات جديدة، تساعد في التعرف على أهم دور ضرب السكة المغربية في تلك الفترة، ويستدل من خلال وجود عدد من دور الضرب على تعدد الإصدارات النقدية في العصور الإسلامية، فقد انتشرت دور الضرب في المغرب، وشملت فاس، والرباط، وسلا، ومراكش، وسجلماسة، وغيرها[979]. ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

---

(976)- راجع : محمد المنوني، حضارة الموحدين.، ص 172.

(977)- راجع : ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي.، ص 55.

(978)- راجع : ابن بعرة منصورالذهبي الكاملي، كتاب كشف الأسرار العلمية.، ص 15.

(979)- راجع : Ronald A. Messier, Sijilmasa : l'intermédaire entre la méditerranée et l'ouest de l'Afrique
ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط 1، 1995م. 197-181

▫ مدينة فاس

تعتبر مدينة فاس[980] من أهم المراكز الصناعية التي اشتهرت بصناعة التحف الفنية والمسكوكات في المغرب الأقصى، ويذكر الجزنائي: «أنه قد انتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، فليس من أهل بلد، ولا إقليم إلاَ ولهم بها منزل، ومتجر، وصناعة، ومتصرف. واجتمع فيها ما ليس في مدينة من بلدان الدنيا، وأتتها النجارات، وأهل الصناعات من كل صقع حتى تكامل بها كل متجر...»[981].

وكان لبني مرين، وللبيوت، والمدارس التي عاش العلم فيها زمناً طويلاً، فضل وأثر في ازدهار الحركة العلمية في مدينة فاس، ومن أشهر الخزانات العلمية التي كانت بمدينة فاس خزانة أبي يوسف المريني، وخزانة أبي عنان المريني، وخزانة أحمد المنصور الذهبي السعدي، فضلاً عن أكثر من ثلاثين خزانة صغيرة، ظلَّت تؤدي وظيفتها لمدة قرون من الزمن. أما خزانة القرويين فتعتبر من أهم الخزانات العامة بالمغرب، بل في العالم كله، وقد أسسها السلطان أبو عنان المريني حين بنى لها مقراً بالناحية الشرقية من صحن جامع القرويين عام 750 هـ ووقف عليها كتبا شتى في مختلف العلوم والفنون، وظلت على حالها إلى أن نقلها أحمد المنصور السعدي في أواخر القرن العاشر الهجري، إلى البناية التي توجد فيها الآن ببابها الرئيسية المتصلة بساحة الصفارين[982].

وقد ورد اسم مدينة فاس على الثريا الكبرى المعلقة بجامع القرويين بفاس، والمؤرخة في عام 600هـ/ 1202م، فقد نقش على ساق هذه الثريا، كتابات تسجيلية هامة، تشير إلى مكان صناعتها في مدينة فاس، تقرأ كالتالي : «**صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة**»[983].

وتشتمل الثريا الكبرى بجامع مكناس، والمؤرخة في عام 604هـ/ 1206م، على شريط تسجيلي بالخط الكوفي المورق على الدائرة السفلية، يقرأ على النحو التالي : «**صنعت هذه / الثرية بمدينة فاس / حرسها الله لـ / جامع مكناسة / شرفه الله بذكره / وكان الفراغ من عملها / في العشرين من / شهر ذي القعدة / سنة أربعة وستمائة**»[984].

(980)- راجع : المراكشي، المعجب.، ص 256 ـ 258.

(981)- راجع : الجزنائي، زهرة الآس.، ص 39.

(982)- راجع : عبدالهادي التازي، جامع القرويين.، ج 2، ص 451

(983)- عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة.، ص. 66 ـ 67.

(984)- راجع : عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 68.

وأصبحت مدينة فاس قاعدة ملوك بني مرين، حيث استوطنوها، وبنوا معها ثلاث مدن موازية لها، على ضفة الوادي المعروف بوادي الجواهر، وعمروها بالجوامع، والمساجد، والمآذن والحمامات، والأسواق[985].

وبذلك يمكن القول، بأن مدينة فاس تعتبر أول مركز عربي إسلامي في ميدان الفنون الزخرفية التي تأثرت بالطابع الشرقي، ذلك أن الفنون والصناعات اتخذت فيها مناهج جديدة منذ العصر الأموي في كل من الشرق الأدنى والمغرب العربي[986].

□ مدينة الرباط وسلا

تعتبر مدينتا الرباط وسلا من أهم مدن المغرب الأقصى، وهما بين مراكز صناعة التحف المعدنية بصفة عامة، ولقد برزت أهمية مدينة رباط الفتح[987] جنوبي نهر أبي رقراق منذ أنشاؤها زمن الموحدين[988]، حيث تفيد الإشارات التاريخية أنه «في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بني رباط الفتح[989] بالمغرب الأقصى، وتم سوره وركبت أبوابه، وأنها كانت مدينة عظيمة فيها قيسارية عظيمة، وحمام، وفنادق، وديار كثيرة، ومياه مطردة، وسقايات، ومنافع[990]. وتم بناء مدينة رباط الفتح في حياة أبي يوسف يعقوب المنصور[991] ثالث خلفاء الموحدين[992]، وكملت أسوارها وأبوابها»[993]. وقد نمت مدينة الرباط واتسع عمرانها، وتطورت أوضاعها بعد الهجرة التي قام بها الأندلسيون غداة صدور ظهير الخليفة الموحدي الرشيد يوم 21 شعبان عام 637 هـ الذي يأذن لهؤلاء المهاجرين

(985)- راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين.، ص 549 ـ 555.

(986)- راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، الأثر الإسلامي.، ص 39.

(987)- يذكر المؤرخ بوجندار أن سبب تسمية رباط الفتح بهذا الاسم يعود إلى قبل بناء هذه المدينة، حيث كان عبارة عن بقعة فسيحة متسعة ينزل بها جيوش الإسلام ذهاباً وإياباً فلكونها كانت رباط الملوك سميت بذلك. وبقي هذا الاسم يطلق عليها حتى بعد بنائها. وقيل فيها رباط الفتح تذكاراً للفتح الأندلسي الذي كان بناؤه من غنائمه، وأنه إنما بني لغرض الجهاد، والفتح، وبه فتح على الموحدين. فهو رباط الفتوحات والفاتحين. راجع : أبي عبدالله محمد بوجندار، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، مطبعة الجريدة بالرباط، جمادى الثانية عام 1345هـ، ص 79.

(988)- عبدالله السويسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1979، ص 49.

(989)- من المناطق الأولى التي سكنها الإنسان المغربي القديم : الضفتان الشمالية والجنوبية لمصب وادي أبي رقراق في المحيط الأطلسي، فقد أثبتت دراسة جمجمة « إنسان الرباط » التي عثر عليها في فبراير 1933، أن الحياة البشرية قد ظهرت في هذه المنطقة منذ نصف مليون سنة تقريباً. راجع : عبدالكريم كريم، رباط الفتح .، ص 9

(990)- راجع : أبي عبدالله محمد بوجندار، مقدمة الفتح، ص 75ـ76 .

(991)- راجع: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس.، ص 285.

(992)- راجع : حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته.،. مج 2، ج 2، ص 110.

(993)- راجع : عبد العزيز صلاح، الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح.، ص 55ـ 80

بسكنى المدينة واستثمار الأراضي المحيطة بها[994]. ويعتبر الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن على أول من اهتم بتنفيذ ما أوصى به المهدي بن تومرت[995] صاحب الدرهم المرُكن (المربع)[996]، فابتدأ في بناء حصن، ومدينة في نفس الموقع الذي يقوم عليه رباط وقصبة تاشفين بن علي، وعرف هذا الحصن وما حوله من مبان سكنية في عهده باسم (المهدية)[997]، وكان النواة الأولى، واللبنة الرئيسية لمدينة رباط الفتح التي ستتخذ شكلها النهائي في عهد حفيده الخليفة المنصور الموحدي 593 هـ ـ 594 هـ[998].

وقد عرف عن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (558ـ 580 هـ/ 1163 ـ 1184م)، الاعتناء بالبناء والتشييد وبالجهاد والفتوح، وتذكر المصادر أنه الذي بنى مدينة الرباط[999]، أو الشطر الأكبر منها، وعرفت الرباط معه مشاهد جهادية عظيمة أخرى، فقد حل بها مع أجناده في جوازه الأول إلى الأندلس، في 20 رجب عام 566هـ/1170م، وأمر ببناء أسوار الرباط من الجنوب والغرب، وجدد السقاية التي بناها أبوه، وأنشأ بجوارها صهريجاً عظيماً يمدها بالماء، كما أنشأ جسراً آخر على واد أبي رقراق بجوار جسر والده. وتجمع المصادر التاريخية على أن مدينة رباط الفتح تم بناؤها في عهد يعقوب المنصور، وليس هناك خلاف إلا في كونه المؤسس لها أو متمم ما بناه والده يوسف، أو ما بناه جده عبدالمؤمن، وإن كان الراجح أن الخلفاء الموحدين الثلاثة أسهموا في تأسيس حاضرة الرباط[1000] وأن مرحلة التأسيس استمرت قرابة نصف قرن 545 ـ 593

(994)- عبدالكريم كريم، رباط الفتح عاصمة الثقافة العربية 2003م، مجلة التاريخ العربي، العدد 26 ربيع 1424هـ/2003م،ص 15 .

(995)- راجع : ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب.، ص 274.

(996)- راجع: أبي الحسن علي ين يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، ط 2، 1986م، ص 68.

(997)- راجع: عبد الواحد العسري، مدخل لدراسة كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت، مجلة كلية الآداب بتطوان، عدد1، سنة 1986م، ص 69 ـ 95.

(998)- يتبين من خلال النصوص التاريخية أن قصبة المهدية التى شرع الخليفة الموحدى عبدالمؤمن بن على في بنائها والمدينة التى شرع في تمصيرها، كانت قائمة في نفس موضع القصبة التى بناها تاشفين بن علي وما حولها، وأن عبدالمؤمن بن علي أمر بإعادة بناء تلك القصبة، وتحصينها تحصيناً محكماً، كما أمر ببناء قصر له فيها، وهو القصر الذي سيصبح قصر ولاة سلا ورباط الفتح طوال عصر الموحدين. راجع : بوجندار، مقدمة الفتح.، ص40.، سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط.، ص 21 ـ 23.

(999)- راجع : عبدالكريم الشيلي، الأربطة والمرابطة بإفريقية من خلال النوازل المالكية (ق 8 ـ 10 م)، مجلة التاريخ العربي، العدد 25، شتاء 2003م، ص 195 ـ 210.

(1000)- راجع : عباس الجراري، إقليم الصخيرات تمارة مهد تاريخي أصيل، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج 1، مطبعة فضالة، المغرب، 1994، ص 118ـ119.

هـ / 1150 ـ 1196م[1001]. وقد أصبحت قصبة الرباط مقراً للخلفاء والولاة، واكتظت بالدور ونشطت الحياة التجارية بها وعمرت بالأسواق[1002].

وقد اكتسبت الرباط وسلا أهمية خاصة منذ القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي)، كمينائي من الموانئ الرئيسية[1003] في المغرب الأقصى في عهد الدولة المرينية التي تعتبر واحدة من أهم دول الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ورابع دولة حكمت المغرب الأقصى بعد الأدارسة والمرابطين والموحدين، وأطولها مدة، إذ استمرت من منتصف القرن السابع الهجري إلى منتصف القرن التاسع الهجري[1004].

ولعبت سلا دوراً اقتصادياً هاماً في تاريخها كنافذة للمغرب على البحر، وقد ساهم انفتاح المغرب على التجارة الأوربية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/19م، في تمتين علاقتها التجارية بالمدن الداخلية، والساحلية حيث تمكنت من مد إشعاع تجاري قوي، بلغ مداه الأقصى شمالاً، وشرقا العرائش، وفاس، وذلك عبر أسواق الغرب[1005]. والظاهرة الحضارية الواضحة بسلا في هذا العصر، تتمثل في تقدم الصناعات والمعارف بفضل المؤسسات التي أقامها ملوك بني مرين بهذه المدينة، كدار الصناعة التي من عمل يعقوب ابن عبد الحق، ومدرسه الطالعة التي من إنشاء أبي الحسن، والمدرسة الطبية أو المارستان من عمل أبي عنان المريني[1006].

ولاشك أن هذه الحقبة الطويلة من الزمن خلفت آثاراً، عديدة، مثل إقامة المآثر، كالجامع الكبير والمارستان الذي كان أمامه، ومسجد شالة، ومدرستها، وأضرحتها التي دفن بها أشهر الملوك المرينيين، كما يرجع إلى هذا العهد تجديد إجراء المياه[1007]، وإقامة بعض المرافق الاجتماعية

(1001)- محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تأسيس سلا والرباط، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج 1، مطبعة فضالة، المغرب، 1994، ص 43 ـ 44.

(1002)- راجع : سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط، ص 21 ـ 23.

(1003)- ابراهيم حركات، تأملات في التاريخ الاجتماعي للعدوتين، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج 1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1994، ص 75ـ 84.

(1004)- راجع : رشيد السلامي، المرينيون، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2005م، ص 7102.

(1005)- راجع : محمد الناصري، سلا، معلمة المغرب الأقصى، ج 15، ص 5056 ـ 505

(1006)- محمد حجي، سلا، معلمة المغرب ،، الجزء 15 (5059-5063)

(1007)- أول من أجرى المياه بسقايات الرباط ومساجدها من عين غبولة هو عبد المؤمن الموحدي سنة 545هـ، ثم أجراها من بعده من هذه العين السلطان يعقوب المريني سنة ثلاث وثمانين وستماية، وذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج. راجع : عبد العزيز صلاح، الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح،، ص 82 ـ 68.

التي مازالت قائمة، ومن أهمها الحمامات[1008] التي امتازت بهندسة البناء والتصميم في العهد المريني[1009].

وعرفت مدينتا رباط الفتح وسلا انتعاشاً، بدءاً من منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، حيث بسط المرينيون نفوذهم ثلاثة قرون، ونصف قرن من تاريخ الإسلام ببلاد المغرب، فازدهرت مظاهر الحضارة والعمران في عهدهم عندما أصبحوا من أقوى ملوك أفريقيا الشمالية[1010]، وخلفوا لنا آثارا عديدة[1011].

ثانيا : أهم الصناع

شهد المغرب الأقصى ازدهاراً في الحياة الصناعية خلال العصر الإسلامي، قام هذا الازدهار على أكتاف طبقة الصناع الذين انتشروا في أرجاء البلاد، وكونوا طائفة لها أهميتها، ووزنها بين طبقات المجتمع الأخرى. وقد أحس ولاة الأمر بأهميتهم ومدى احتياج البلاد إليهم، ومن هنا وفي خلال المذابح الدموية التي حلت بسكان مراكش عند استيلاء الموحدين عليها، حرص الخليفة عبدالمؤمن على الإبقاء على حياة الصناع، وذلك لاحتياج الدولة لهم. وتذكر الكتابات التاريخية في ذلك أنه : «لما قتل عبدالمؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل، اختفى كثير من أهلها، فلما كان بعد سبعة أيام، أمر فنودي بأمان من بقي من أهلها، فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم، وقال هؤلاء صناع، وأهل الأسواق ممن ننتفع بهم فتركوا. وقد شملت طبقة الصناع عدة طوائف[1012].

كما نشأ نظام الطوائف، والتكتلات الصناعية التي عرفت بأسماء متعددة لكل الأصناف، وأرباب الصنائع، وأصحاب المهن، وأهل الحرف، مثل الصباغين، والبزازين، والصفارين، وغيرهم[1013].

(1008)- عرفت الحمامات ببلاد المغرب بواسطة الرومان، إلا أن الأدارسة، والمرابطين، والموحدين قد استفادوا كثيراً مما شاهدوه بالأندلس من حمامات إسلامية فبنوا مثلها بالمغرب. راجع : عبد القادر الخلادي، لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في المجتمع الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد التاسع والعاشر، السنة الثامنة، 1965م، ص 122.

(1009)- واستمر الوضع إلى الدولة السعدية التي كان لها شرف الانتصار في معركة" وادي المخازن" عام 986 هـ / 1578م، بالقرب من مدينة القصر الكبير في شمال المغرب، وهي المعركة التي قتل فيها ملك البرتغال" دون سبستيان. وقد شهدت الرباط في ظل الدولة العلوية ابتداء من منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، نموا كبيراً حيث أضحت من أهم المدن في المغرب الأقصى. راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة، منشورات جمعية رباط الفتح، 1990، ص 61ـ 65.

(1010)- راجع : عبد العزيز بنعبد الله، الفن المغربي، ص 254.

(1011)- راجع : بوجندار، مقدمة الفتح، ص 139ـ140.

(1012)- راجع : حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 347.

(1013)- راجع : بشير رمضان التليس، وأخرون، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 337.

ويعتبر الصانع (**محمد بن الفتوح الخميري**)، من أهم صناع الأسطرلابات، في العهد الموحدي، وقد صنع أسطرلاب من النحاس الأصفر دائري الشكل، لوضعه في جامع الأندلسيين بفاس، ويبلغ حجمه: 21×22.5 سم.[(1014)]

ويتميز الجزء العلوي من هذا الأسطرلاب ببساطته، كما يضم نقش كتابي يحمل تاريخ الصناعة في سنة 614 هـ/ 1217م، واسم الصانع محمد بن الفتوح الخميري، يقرأ على النحو التالي: "**حبّسه مبتغ الأجر والثواب من الله تعالى على منابر مسجد الأندلس من مدينة فاس المحروسة بالله تعالى** "**صنع بفاس بتاريخ: 614 هجرية الموافق لسنة 1217 ميلادية.**[(1015)] (لوحة 116)

ومن أهم صناع وسائل الإضاءة في المغرب الأقصى (الصانع المعلم الحجازي)، الذي صنع ثريا الجامع الكبير بفاس الجديدة في عام 679هـ/ 1280م[(1016)].

ويعتبر الصانع (**حمد بن الحباك المعدل**)، مبتكر الساعة المائية التي نصبها في الغرفة العليا بمنارة القرويين عام 685هـ/1286م، حتى تعرف منها أوقات الصلوات النهارية، والليلية في أيام الغيم بصفة خاصة. وقد صنعها في شكل يشابه فرن الطبخ آنذاك، وتحتوي على كمية من الماء، وجعل على وجه الماء صفحة من النحاس في شكل طست به أثقاب وخطوط، فيخرج من الأثقاب الماء بقدر معلوم إلى أن يصل للخطوط، فتعرف بذلك أوقات الصلوات أيام الغيم.

ويُعَدُّ الصانع (**النطاع : محمد بن عبدالله الصنهاجي المعدل**)، من صناع الساعات المائية، حيث نصب بغرفة منار القرويين عام 717هـ 1317م، ساعة مائية جديدة تفنن في صناعاتها، وكان الذي رسم مقايسها هو المعلم محمد بن الصدينية القرطسوني، وفي عام 747هـ/ 46 ـ 1347م أصلح موقت منار القرويين محمد بن محمد العربي هذه الساعة، وأضاف لها شبكة أسطرالاب.

كما يعتبر الصانع (**اللجائي : عبدالرحمن بن سليمان الفاسي**) (ت 774هـ/ 71 ـ 1372م)، مخترع الاسطرلاب الباقي بغرفة منار القرويين، وكان عليه نقش كتابي نصه: «**الحمد لله صنعت هاذه المجانة مع اسطرلابها الذي هو من تمامها، عن أمر مولانا السلطان أبو سالم إبراهيم بن مولانا الحسن بن مولانا سعيد بن مولانا يوسف بن مولانا عبدالحق المريني وكان تمام صنعها وتركبها في احد وعشرين محرم فاتح عام 763هـ/ 1362م.**

(1014)- محفوظ في متحف البطحاء بفاس تحت رقم جرد هو: 714.

(1015)- راجع : Amahan, A., «L'astrolabe», in Maroc, les trésors du royaume, (cat. exp., Paris, musée du Petit Palais, 1999), Paris : Paris-Musées, 1999, p. 136.

(1016)- راجع : ابن أبي زرع، الذخيرة السنية،، ص 162.

ويُعَدُّ (**ابن الفحام المعدل علي بن أحمد التلمساني**)، من الصناع المشهورين في صناعة الساعات المائية، حيث صنع الساعة المائية بالمدرسة البوعنانية، وفرغ من عملها يوم 14 جمادى الأولى عام 758هـ/ 1357م.

وقد ساهم صناع من أهل الذمة في الحضارة الإسلامية في المغرب، منهم الصانع (**طافيرة: يعقوب بن موسى**) من يهود فاس، وهو صانع اسطرلاب يحمل كتابة نقشت على ظهره بالخط الكوفي، تقرأ بنحو : «صنعه أذمي (الذمي) يعقوب بن موسى طافيره من مدينة فاس أمنها الله سنة ستيو للهجرة » أي سنة 716هـ/ 1316م.

كما ورد إسم الصانع (**أبو قاسم بورضوان**) على أسطرلاب كبير من صنعه عام 776هـ/1374م. (محفوظ في متحف الأوداية بالرباط).

وبرع المؤقت الصانع (**اللخمي : محمد بن محمد بن عبدالرحمان بن عمر الفاسي**)، الموقت بجامع القرويين (ت 794هـ ـ 1392م)، في صناعة ثلاث رخامات شمسية، الأولى بمنار الجامع، ورسم فيها ظل الزوال، ووقت العصر، وسمت القبلة، والثانية مكنوسة صغيرة بجامع الأندلس، فيها ظل الزوال، والعصر خاصة، وكانت الثالثة بدار الدباغ[(1017)].

ونبغ العديد من الصناع الوراقين والنساخين والخطاطين بالمغرب خلال العصور الإسلامية وخاصة في العصرين الموحدي والمريني، ونظرا لارتباط هذه الأعمال بالقرآن الكريم فقد تفوق فيها بعض الخلفاء والسلاطين، الذين أجادوا العمل بها، وتركوا لنا العديد من أعمالهم الفنية، شاهدة على تفوقهم في هذا المجال.

ومن أشهر الوراقين، والنساخين، والخطاطين الذين برزوا في العصرين الموحدي والمريني، محمد بن أحمد بن عبدالرحمن ابن الصقر الأنصاري الخزرجي المراكشي[(1018)]، وعتيق بن علي الصنهاجي المكناسي ثم الفاسي[(1019)]، الذي كتب بخطه علما كثيراً، ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التغمري السبتي[(1020)]، وانتسخ بخطه كثيرا مع اتقان وضبط. ومحمد بن حريز المعروف باخميست الفاسي[(1021)]، وهو وراق مصحفي مجيد، يكتب المصاحف الشريفة بخطه الحسن، ويهديها

(1017)- راجع : محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين.، ص 359 ـ 360.

(1018)- المتوفى في عام 590هـ/1193 ـ 1194م.

(1019)- المتوفى في عام 505هـ/ 1198 ـ 1199م.

(1020)- كان بقيد الحياة عام 596هـ/ 1199 ـ 1200م.

(1021)- المتوفى في عام 608هـ/ 1212م.

للمحتاجين لها. ومحمد بن موسى بن المعلم الفاسي[1022]، الذي اشتغل بهذه المهنة، وتعيش منها، وعيسى بن علي بن واصل المراكشي[1023]،وكان بارع الخط جيد الوراقة، كتب بخطه دواوين عدة في فنون شتى. ومن أشهر النساخين والخطاطين في العصر الموحدي، الخليفة الموحدي أبو حفص عمر المرتضي بن السيد أبي إبراهيم بن يوسف بن عبدالمؤمن، المتوفى عام 665هـ/1267م، وكان خطاط بارع في الكتابة المصحفية، وغيرها، ومن أهم أعماله ما يلي :

1ـ خط ربعة قرآنية كانت في عشرة أجزاء، كتبها عام 654هـ/1256م، وخطه في الباقي منها مغربي مبسوط، جيد الوضع والضبط، مع كتابة خواتم الأجزاء بالخط المشرقي الثلث، ثم كتابة توقيعات وقفها بخط مشرقي نسخي، مما يدل على أن كاتبها كان يجيد الكتابة بالطريقتين المغربية والمشرقية.

2ـ نسخة من «الموطأ» للإمام مالك بن أنس في سفرين، وقد انتسخهما بخطه من أصل عتيق مقروء على المشيخة[1024].

وكانت السيدة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية نزيلة المغرب، من أبرز النساء الخطاطات، والنساخات في العصر المريني، فقد كانت وراقة متقنة، تكتب الخط المستحسن، وتحل الذهب بصناعة رائقة فتكتب به[1025]. وكانت أديبة وشاعرة مشهورة، لقيها بفاس عبدالله بن علي بن سلمون، وأجازته، وألبسته خرقة التصوف. ودخلت الأندلس، ومدحت أمرائها، ثم قدمت على سبتة في آخر المئة السابعة، فمدحت رؤسائها، وخاطبت كتابها وشعرائها[1026].

وكان من أشهر الخطاطين في ذلك العصر، محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر، أبو الطيب السبتي، الذي كتب بخطه كتاب سيبويه، وشرح الإيضاح لأستاذه ابن أبي الربيع السبتي، وشرح المحصول للقرافي، وكتبا كثيرة[1027]. وكذلك أبو يحيي بن فاخر العبدري السلاوي، الذي نسخ عيون الكتب في الحديث، وكتب ما يقرب من 20 مصحفا شريفا[1028].

(1022)- المتوفى في عام 611هـ/1214م

(1023)- المتوفى في عام 637هـ/1239 ـ 1240م

(1024)- راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 34 ـ 38.

(1025)- والمتوفاة بفاس الجديد أيام أبي يوسف المريني. راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية.، ص 59

(1026)- راجع : ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق 2، ص 522ـ 529.

(1027)- نزيل قوص من صعيد مصر، و والمتوفى به عام 695هـ/1296م، راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 59

(1028)- المتوفى قبيل عام 701هـ/ 1301 ـ 1302م.

كما برز في فنون النساخة، أبو زيد بن الخليفة عمر المرتضى الموحدي، الذي استقر بجبل سكساوة حوز مدينة مراكش عام 712هـ/1312 ـ 1313م، حيث صار يتعيش من النساخة[1029]. وبرع في فن الوراقة أبو عبدالله الزرعي الجدميوي السبتي، هو وأخوه الذي اشتهر بإجادة الخط بسبتة. ويعتبر أحمد بن علي بن أحمد الصنهاجي، كاتب النسخة الشهيرة من «البيان والتحصيل» لإبن رشد الجد، في مجلد واحد حيث يشتمل على تسعة أسفار عام 720هـ/ 1320م، وهي مكتوبة على الرق، بخط مليح دقيق صحيح، في وضع على شكل واحد من أول الكتاب إلى أخره، مع زخرفة التراجم بالذهب الذي حلي به، وقد كتب في ما يلي : «... وكان الفراغ من نسخه يوم الاثنين السادس والعشرين لشهر رجب الفرد الذي من عام عشرين وسبعمائة، وعلى يد العبد المعترف بذنبه، الراجي عفو ربه : أحمد بن علي بن أحمد الصنهاجي..» كما يوجد على هذه النسخة وثيقة بوقفها من طرف أبي الحسن المريني على مدرسة الأندلس بتاريخ العشر الوسط من ربيع الأول من عام 728هـ/1328م، وهي محفوظة حاليا بمكتبة القرويين[1030].

كما تميز بحسن الوراقة في العصر المريني كل من : محمد بن إبراهيم الغافقي السبتي، المتوفى قبل عام 750هـ/1349 ـ 1350م، ومحمد بن أحمد الجمحي المراكشي، المعروف بابن الشاطر، الذي التزم كتابة القرآن الكريم، ودأب في مستنسخاته على أن لا يغلق حرفا مجوفان حتى إذا غلب على ذلك تداركه بإصلاحه[1031].

وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن النفزي الرندي الأصل ثم الفاسي المعروف بالسراج، وهو والد يحيى السراج الإمام الشهير، مصحفيا مكثرا، حتى أنه كتب بخطه نحو 300 مصحف شريف[1032].

وقد تخصص في الرقم الواشي الرقيق الجوانب والحواشي، محمد بن محمد بن حزب الله الوادياشي نزيل فاس، الذي كان مجيدا للخط، والزخرفة، وعاصر زمن تأليف الإحاطة لابن الخطيب[1033].

(1029)- وصل من الأندلس إلى السوس على حمارة فسمته العوام أبو حمارة، وذلك في عام أربعة وثمانين وستمائة، وكان يعيش من مهنة النساخة. راجع : المراكشي، البيان المغرب، ج 3، ص 447.

(1030)- راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 59 ـ 60.

(1031)- كان على قيد الحياة حتى عام 756هـ/1355 ـ 1356

(1032)- المتوفى عام 759هـ/ 1357 ـ 1358م. راجع : (الكتاني)، الشريف أبي عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج 2، تحقيق عبدالله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م، ص 65 ـ 66، محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 59 ـ 60.

(1033)- راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 59 ـ 60.

ومن أبرز النساخين في العصر المريني، أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي، الذي دأب على كتابة كتاب «العمدة» في الحديث النبوي، وكان ينسخ منها ثلاث نسخ في السنة، ويسفرها بيده، وربما صنع لها أغشية من جلد بيده[1034].

كما كان تلميذه، أبو عبدالله محمد بن قاضي سلا أبي العباس أحمد الزهري، المتوفى عام 764هـ/ 1363م، من أعظم شغله، وكسبه انتساخ الكتب التي كان الشيخ ابن عاشر يأمر بنسخها، وبتصحيحها وضبطها، واستغرق فيها أكثر أوقاته ليلا ونهارا. وتميز السلطان المريني أبو فارس عبدالعزيز الأول، المتوفى عام 774هـ/ 1372م، بخطه الحسن، وقد ساهم بعد أبيه أبي الحسن، وأخيه أبي عنان في كتابة ربعة المقام الخليلي[1035]، واشتغل بانتساخ القرآن الكريم[1036].

ثالثا : دور ضرب السكة في المغرب الأقصى

نالت دور ضرب السكة في المغرب الأقصى عناية كبيرة من ملوك وسلاطين المغرب عبر العصور الإسلامية، وكانت فاس، من أوائل دور ضرب السكة في المغرب، وكان بمدينتي القرويين، والأندلسين، دارا لضرب النقود، فنقلها الناصر إلى دار أعدها بقصبة فاس، حين بناها سنة ستمائة، وأعد بها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوابع سكتها، وأتقن ثقافها على كل حال وأتمه، وغالب ما كان يسبك بها الذهب، أما الدراهم فكانت ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها[1037].

وكانت مدينة فاس من أهم مراكز ضرب السكة خلال العهد المريني، فكان في مدينة فاس مدينتان : فاس البالي والجديد (المدينة البيضاء)، وفي الأخيرة توجد القصبة، والقصر الملكي ومنازل كبار القوم، والمتاجر، والديوانة[1038].

وسكت طوال العصر السعدي عملات عديدة[1039]، وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لا تقدم معلومات كافية عن دور السكة في المغرب أو الكثير من الأسرار العلمية بدور الضرب في العصور

(1034)- نزيل سلا ودفينها عام 764هـ/ 1363م. راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 59 ـ 60.

(1035)- راجع : ابن مرزوق، المسند، ص 474 ـ 478.

(1036)- راجع : محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية.، ص 59 ـ 60.

(1037)- راجع : محمد المنوني، حضارة الموحدين.، ص 172.

(1038)- راجع : المراكشي، المعجب.، ص 256 ـ 258، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 40 ـ61.

(1039)- راجع : الموساوي العجلاوي، حرف السك النقدي في العهدين المريني والسعدي، مجلة أمل، ع 7، 1996من ص 23 ـ34 .

الإسلامية[1040]، إلا أن مجموعة النقوذ الذهبية، موضوع الدراسة، تمدنا بمعلومات إضافية جديدة، تساعدنا على وضع خريطة لأهم مراكز دور ضرب السكة في المغرب في العصور الإسلامية[1041]، ويستدل من خلال وجود عدد من دور الضرب على تعدد الإصدارات النقدية في العصر الإسلامي، في سوس وسجلماسة والمحمدية (تارودانت)[1042]، ثم بعد ذلك انتشرت دور الضرب، وشملت فاس،[1043] ومراكش، ولكتاوة، ودرعة، وتافيلالت، وإفران، وتعرف العملة المضروبة في هذه المدينة الأخيرة بسكة الغيران[1044] ودرهمها تعرف بالدراهم الكهوفية[1045].

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى وجود دارين لسك النقود بفاس[1046]، قبل عصر بني مرين، واحدة بعدوة القرويين، وأخرى بعدوة الأندلسيين، حيث نقلهما الخليفة محمد الناصر الموحدي إلى قصبة فاس، وأسس يعقوب بن عبدالحق المريني، أول دار لسك النقود المرينية بفاس الجديدة سنة 674هـ/ 1275م، وهذه الدار هي في الأصل التي كانت موجودة بقصبة الأنوار بفاس القديمة قبل أن تنتقل إلى فاس الجديدة. وكان موقعها بالقرب من القصر المريني، وكانت تتكون من بناية تحيط بساحة مربعة تشتمل على غرف صغيرة، يشتغل فيها العمال، والمعلمون، وفي وسط الساحة مكتب مخصص لأمين الدار، ومحاسبيه، وكتبته[1047].

وأصبحت مدينة فاس من أهم دور الضرب في أواخر الدولة السعدية، ورغم الرسالة التي وجهها المأمون بن المنصور إلى تجار فاس عام 1010هـ/ 1600ـ 1601م، يوصيهم فيها بأن تكون معاملتهم المالية على مناهج الشريعة الإسلامية، إلا أن ذلك كان صعب التحقيق، وبخاصة في العصور الموالية، حيث انتشرت الصناعات والأسواق بين فاس، ومناطق المغرب، ومع الخارج. ففي العصر السعدي، ورغم كل ما فرضته القوانين الدينية، والفقهية على التجارة، والمال، فإن الوضع كان صعب التحقيق، وربما كان المثل الأول في محاولة جمع المال لزيادة حاجيات الدولة

(1040)- راجع : ابن بعرة منصورالذهبي الكاملي، كتاب كشف الأسرار العلمية.، ص 15.

(1041)- استمرت دور الضرب بالسكة في العصور المغربية، وكانت وظيفة القيام بضرب السكة من الوظائف الموكولة إلى نظر المخزن. راجع: عمر أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1988، ص 22.

(1042)- راجع : إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع.، ص 275.

(1043)- راجع: محمد المنوني، حضارة الموحدين.، ص 172.

(1044)- راجع : عمر آفا، النقود في العهد السعدي نماذج بيبليوغرافية، العددان السابع والثامن، مجلة تاريخ المغرب، السنة الثامنة عشر، محرم 1419هـ/ مايو 1998م، ص 32

(1045)- راجع : حليمة بنكرعي، سك النقود في المغرب في الفترة ما بين 1471 ـ 1603م.، ص 25 ـ 26

(1046)- راجع : المراكشي، المعجب.، ص 256 ـ 258، وابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 40 ـ61.

(1047)- راجع : رشيد السلامي، قراءة في النقود المرينية.، ص 185.

إليه، هم السلاطين والخلفاء بفاس، وذلك عن طريق الضرائب مما جعل الفقهاء والعلماء يتخذون موقفا ضدها[1048].

وعرفت مدينة مراكش خلال العهد السعدي ارتباط وثيق بين الذهب، والسكر في الأسواق المراكشية، ومع وصول السعديين إلى الحكم، استمرت السيطرة على الذهب بين مد، وجزر إلى ما بعد عهد الخليفة أحمد المنصور بالله، بعد عام 1603م أي خلال عهد ارتبط المغرب فيه مع بلاد السودان عبر مراكش ارتباطاً وثيقاً. ثم لعبت مراكش دوراً كبيراً في تجارة الذهب خلال 1541-1549م حيث استصدر الخليفة محمد الشيخ السعدي فتوى لمنع بيع الذهب للأجانب، ودخل الذهب ضمن لوائح «سلع التهريب»، وخلال هذه المرحلة أصبحت مراكش محطة ثانوية أمام المحمدية (تارودانت)، وخصوصاً أركين ولامينا، الميناءان اللذان احتلهما البرتغال لجلب الذهب إليهم مع بداية عهد السعديين، وأصبحت مراكش محور هذه التجارة بعد ذلك. وقد تطور دور مدينة مراكش في تجارة الذهب ابتداء من عهد السلطان الغالب بأمر الله 1558 - 1574م، رغم السرية المفروضة على تجارة الذهب، وفي عهد الخليفة أحمد المنصور بالله أصبح اهتمام الدولة بتجارة الذهب رسميا وفعليا، واتضح هذا في تأكيد الخليفة المنصور ملكية مراكش لملح تغازي وتاودني[1049].

وفي ظل الاضطرابات التي عرفها المغرب بعد وفاة الخليفة المنصور بالله، أبعدت القوافل التجارية عن مدينة مراكش حيث اتجه أكثر من ثلثي القوافل شرقا قاصدا القاهرة عبر وزان، كما أن إنتاج مناجم الذهب بالسودان قد تقلص بشكل خطير، مما جعل الأوربيين أنفسهم أصبحوا يتجهون بوجهتهم الاستعمارية إلى أفريقيا، وبذلك يكون طور الذهب المراكشي قد انتهى بعد أن عرف ازدهاره خلال القرن السادس عشر الميلادي[1050].

وتشتمل مجموعة النقود الذهبية المؤرخة في أواخر الدولة السعدية على مجموعة من الدنانير التي ضربت في مدينة مراكش[1051]، مما يثبت - بما لا يدع مجالا للشك - بأن حضرة مراكش كانت من أهم دور ضرب العملة في العهد السعدي، ومن بين أمناء السكة (دار الضرب)، بمراكش، أبو العباس أحمد بن محمد الطالب (ت 1011هـ/ 1602م)، وإليه ينسب دينار ابن طالب، وقد تولى هذا الموظف منصب الخطبة بمراكش[1052].

(1048)- راجع : محمد مزين، فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549م - 1637م، ج 2، مطبعة المعارف الجديدة، 1986، ص 472 - 473.

(1049)- لقد أدرك الخليفة المنصور خطر عمليات التهريب التي يقوم بها الأجانب منط سنة 1583م، عندما غرقت السفينة الإنجليزية بنهر التايمز، واكتشف أنها كانت تحمل بدل السكر الذهب. راجع : محمد مزين، مراكش وذهب السودان، الملتقى الثاني حول مراكش خلال العصرين المريني والسعدي، جامعة القاضي عياض، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 8، 1992م، ص 92- 103.

(1050)- راجع : محمد مزين، مراكش وذهب السودان.، ص 92- 103.

(1051)- راجع : الفشتالي، مناهل الصفا.، ص 253 - 254، عبدالكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية.، ص 287 - 288.

(1052)- راجع : إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع.، ص 275.

كما كانت سوس[1053] من أهم دور ضرب السكة في العهد السعدي، حيث عثر على دينار نادر ضرب في بلدة سوس في عام 1018هـ/1609م، مما يدلل على أن بلدة سوس[1054] كانت إحدى دور ضرب العملة في العهد السعدي. وقد عرفت العملة الذهبية ازدهاراً في العهد السعدي، وذلك بفضل ما قام به الخليفة أحمد المنصور بالله، بعد استقرارهم في تنبكتو 999هـ/1591م من تزويد المغرب بأحجام الذهب في قوافل منتظمة، واستمر دخول الذهب السوداني إلى المغرب طيلة العهد السعدي[1055]، وقد نقصت الكمية بعد موت الخليفة المنصور، وأخذت القوافل تتجه في العقود الأخيرة إلى إبليغ[1056] بدلا من مراكش[1057].

كما كانت بلدة سجلماسة، من أهم دور ضرب السكة في العهد السعدي، وعثر على دينار ضرب في عام 1018هـ/1609م، باسم الناصر زيدان أمير المؤمنين، يحمل اسم سجلماسة، مما يؤكد بأن سجلماسة كانت من أهم دور ضرب العملة في العهد السعدي[1058].

والثابت أن سجلماسة لم تكن مجرد محطة للعبور بل صارت مركزاً تجارياً وصناعياً، ودارا لضرب العملة في العهد السعدي[1059].

(1053)- يشمل مصطلح سوس مناطق واسعة تكاد تقارب المغرب كله، وتفيدنا كتابات المصادر التاريخية في تحديد منطقة سوس بأنها تمتد من طنجة إلى تلمسان، وسجلماسة نحو الصحراء، وينقسم إلى سوس الأدنى، وسوس الأقصى، ويوجد تمييز في الكتابات القديمة عند الحديث عن منطقة السوس بين منطقتين هما: السوس الأدنى، والسوس الأقصى. راجع : حسن حافظي علوي، سوس، معلمة المغرب، ج 15، ص 5171.

(1054)- ترد هذه الكلمة معرفة (السوس)، عند استعمالها بمعنى إقليم، في حين تسقط ال الشمسية عن استخدامها عن النهر الذي يخترق الإقليم، أي واد سوس. رجع محمد حنداين، سوس، معلمة المغرب، ج 15، ص 5168.

(1055)- تشكل منطقة سوس «ماسة درعة» بموقعها وسط المغرب، وبامتدادها بشكل مستعرض بين الساحل الأطلنتي، والتخوم المغربية الجنوبية الشرقية، التي تشكل مجالا انتقاليا تتداخل عنده خاصيات المغرب الصحراوي بمميزات المغرب المتوسطي طبيعيا وبشريا واقتصاديا. راجع : الحسن المحداد، سوس ماسة درعة، معلمة المغرب، ع 15، ص 5173

(1056)- عاصمة أبي حسون السملالي بسوس

(1057)- راجع :عمر أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث دراسات رقم 6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993م، ص 33 ـ 49.

(1058)- وسجلماسة : بكسر السين المهملة، وكسر الجيم وسكون اللام، وفتح الميم ثم ألف وسين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر، ويذكر أن قائداً رومانياً بنى هذه المدينة، وسماها سجلوم ميسي لأنها كانت آخر ما افتتحه من مدن ماسة، ولأنها كانت كالخاتم الذي يسجل نهاية فتوحاته، فحرف هذا الاسم بعد ذلك، وتحول إلى سجلماسة، وقيل أن هذه التسمية من أصل أمازيغي وأنها مركبة من كلمتي سيك بمعنى فوق، والماس، بمعني الماء، فيكون المعنى المكان المشرف على الماء. راجع :
Ronald A. Messier, Sijilmasa : l'intermédaire entre la méditerranée et l'ouest de l'Afrique,pp. 181-197

(1059)- وقد اختلفت الروايات في تأريخ مدينة سجلماسة، منها روايات تنسب نشأة سجلماسة إلى الفترة الرومانية، ومنها ما تجعل تاريخ بنائها في الفترة الإسلامية، والأرجح أن سجلماسة أسُست في 140هـ/ 757م. وذكر أن تخريب سجلماسة كان في نهاية فترة حكم السلطان المريني أبي العباس أحمد في سنة 796هـ/ 1393م، غير أن العملات المرينية التي ضربت بها في دار السكة بسجلماسة تفيد أنها استمرت في ضرب النقود حتى السنوات الأخيرة من القرن 8 هـ/ 14م، وضرب أبو فارس عبدالعزيز المريني ثلاث عملات ذهبية بعد هذا التاريخ. وقد اشتهرت سجلماسة بنشاطها التجاري مع بلاد السودان، وارتبطت مع أودغست وولاته بطرق ظلت لفترة طويلة من الزمن، حيث ازدهرت سجلماسة بفعل مرور التجار منها في الذهاب، والإياب من بلاد السودان، واختفت بتحول اتجاه الطرق التجارية عنها، وقد اشتهرت سجلماسة بجودة مصنوعاتها النحاسية معتمدة في ذلك على مناجم النحاس فيها،راجع : حسن حافظي علوي، سجلماسة، معلمة المغرب، ج 15، ص 4929ـ 4932.

◻ بلدة الكتاوة

كانت بلدة الكتاوة[1060] من بين دور السكة التي ضربت القطع الذهبية في أواخر العهد السعدي، وقد ازدهرت منطقة أكتاوة في عهد السعديين حيث كانت محطة هامة على طريق التجارة الصحراوية بعد أن كانت منطلقا لحملة المنصور السعدي على السودان، واشتهرت بها عدة قصور، أهمها تسرات، وبني حيون، وبني صبيح، التي كانت بها طائفة يهودية اشتغلت بالتجارة، والصياغة، وسك النقود على عهد أحمد المنصور الذهبي[1061].

كما عثر على دينار ضرب في عهد الناصر زيدان، يحمل اسم بلدة المحمدية، مما يدلل على أن المحمدية كانت إحدى دور ضرب العملة في أواخر العهد السعدي. وتعتبر مدينة المحمدية[1062] (تارودانت) قاعدة بلاد سوس، وقد ازدادت مكانة المحمدية في عهد أحمد المنصور الذهبي، خاصة عندما نجح أحمد المنصور الذهبي في فتح بلاد السودان[1063].

وتعكس مجموعة النقود الذهبية موضوع الدراسة ذلك الرقي الفني، والازدهار الصناعي الذي تميز به العصر السعدي، والواضح في أساليب تنفيذ الخطوط العربية، وزخرفتها على النقود الذهبية المؤرخة في أواخر العصر السعدي[1064].

(1060)- يوجد في جنوب الصحراء بلدة تسمى كناوة تعود جذورها إلى إفريقيا جنوب الصحراء أو السودان الغربي، والثابت تاريخيا سيطرة السعديون على منطقة السودان الغربي حيث كانوا يجلبون الذهب، والملح، والعبيد الذين اشتغلوا في العمل بمزارع السكر في سوس، والصويرة. وهذه البلدة مشهورة بالفن الكناوي المتعلق بفن الآلات الوترية والإيقاعية. علال ركوك، كناوة، معلمة المغرب، ج 20، ص 6818.

(1061)- ضربت سكة باسم الثائر أحمد بن أبي محلي في أكتاوة التي كانت إلى جانب دورها الاقتصادي، مركزا علميا نشيطا في العصر السعدي، اشتهرت بها أسرة آل أدفال بقصر إدوافيل، والأسرة الصالحية الأكتاوية بقصر بني صبيح راجع : محمد الحبيب نوحي، أكتاوة، معلمة المغرب، ج 2، 600ـ 601.

(1062)- جاء ذلك في ظهير نصه «هذا ظهير كريم أمر به عبدالله أمير المؤمنين .. لولده الأحظى ... الأمير أبي الحسن .. فقلدناه إمارة حضرة السوس الأقصى وجميع أفقها السهل، والجبل، وفوضنا له فيها التفويض المطلق في القول والعمل»، كما جاء في إحدى مراسلات المنصور عن مدينة المحمدية « قاعدة مملكتنا السوسية مشرق خلافتنا الشريفة، ومحل انبعاث أشعة بدر مملكتنا المنيفة».راجع : عبدالكريم كريم، المحمدية قاعدة بلاد السوس وأم القرى والأمصار وملاك باب السودان، مجلة التاريخ العربي، العدد 15، صيف 1421هـ/ 2000م، ص 190 ـ193.

(1063)- راجع : عبدالكريم كريم، المحمدية.، ص 190 ـ193.

(1064)- يستنتج معلومات دقيقة من مخطوط لأبي العباس أحمد (حمدون الجزنائي)، الأصداف المنفضة عن أحكام علم صناعة الدينار والفضة، تحقيق ونشر عبدالحكيم القفصي، وخالد رمضان، تونس، 1988م، حول دار السكة بمدينة مراكش أواخر القرن العاشر الهجري، ويستفاد من هذا المخطوط في التعرف على أحكام صناعة النقود الذهبية في هذه الفترة، ومعرفة حجم، وكمية الذهب الوارد إلى مراكش، وطريقة العمل داخل دور الضرب وعلى الوظائف التي كانت متبعة بدور السكة خلال العهد السعدي.

التأثيرات الفنية المتبادلة
في العمارة والفنون الإسلامية المغربية

1ـ التأثيرات المشرقية

تكمن أهمية دراسة التأثيرات المشرقية في العمارة والفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى، في إلقاء الضوء على تبادل التأثيرات الفنية والمعمارية بين مصر والمغرب، وبيان مساهمة المغرب الأقصى في العمارة المصرية، وأثر المشرق الإسلامي ومصر في بلورة خصائص الطرز الفنية في العمارة الإسلامية المغربية، وفي استمرار حركة التواصل الثقافي والمعماري بين المشرق الإسلامي، ومصر من جهة، والمغرب الأقصى من جهة أخرى.

وعلى الرغم من القيمة الأثرية المهمة في حركة انتقال التأثيرات المغربية إلى العمارة الإسلامية في مصر، والتأثيرات المشرقية والمصرية إلى العمارة الإسلامية في المغرب الأقصى، إلا أنها لم تلق الاهتمام والعناية اللازمتين من قبل الباحثين، وذلك لندرة الكتابات المتخصصة في تتبع عناصرها المختلفة، وهو ما دفعني إلى تخصيص هذا المحور ضمن كتاب التراث الفني الإسلامي في المغرب، وذلك بهدف إبراز القيم الاستثنائية المتبادلة في التراث المعماري، والفنون الإسلامية في مصر والمغرب، وإلقاء الضوء على ملامح الوحدة في الحركة العمرانية والفنية بينهما.

لقد كانت للعلاقات الودية القائمة بين المشرق، الإسلامي والمغرب الأقصى في العصور الإسلامية، والاحتكاك السلمي المباشر بين المغاربة، وأهل مصر أعظم الأثر في نفاذ التأثيرات المغربية الأندلسية في عمائر، وفنون المشرق الإسلامي، بصفة عامة، وفي العمارة، والفنون الزخرفية في مصر، على وجه الخصوص، والثابت تاريخيا أن المغاربة وفدوا إلى المشرق الإسلامي، ومصر على هيئة حجاج، وطلبة علم، وتجار، وزائرين خلال العصور الإسلامية، وأصبحت مصر خلالها من أهم أقطار المشرق بالنسبة للمغاربة، الذين قصدوها واستقروا فيها، وأصبحوا من مواطنيها بدون معارضة أو قيود[1065].

(1065)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ق 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1992م، ص 434ـ 435.

وإذا كانت مصر قد استضافت المغاربة وتأثرت بهم واستفادت من خبراتهم فإن بلاد المغرب استضافت أيضا أبناء مصر، وتأثرت بهم كذلك[1066]. وكما تأثرت مصر بالتقاليد المغربية الأندلسية أثرت بدورها في فنون المغرب والأندلس، ربما عن طريق المغاربة من العلماء أو التجار الذين كانوا يمرون بمصر في رحلاتهم إلى المشرق الإسلامي[1067]، وتأثروا بما عاينوه من آثارها ومعالمها البارزة، أو عن طريق طوائف من العلماء، والتجار، وأرباب الحرف من أهل مصر ارتحلوا إلى المغرب والأندلس، وتركوا بصماتهم واضحة في شتى المجالات[1068]. وهو الأمر الذي ساهم في تبادل انتقال التأثيرات المغربية بين مصر والمغرب عبر المعابر التالية :

أولاً : معابر انتقال التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب

ربط البحر المتوسط بين مصر، والمغرب الأقصى في كثير من النواحي الجغرافية، والتاريخية، بالإضافة إلى أن خصوصية هذا الموقع جمعت بينهما في قسمات مشتركة، فكل من مصر والمغرب من الدول ذات المواقع الحاكمة، إذ بينما يتحكم المغرب الأقصى في الباب الغربي للبحر المتوسط، تتحكم مصر في بابه الشرقي، وقد ترتب على هذه الخصوصية المشتركة مجموعة من السمات، كان أبرزها هذا الاحتكاك المبكر، والدائم بين كل من المغرب الأقصى، ومصر[1069].

وقد انتقلت التأثيرات المعمارية والفنية بين مصر، والمغرب من خلال العديد من المنافذ مثل مدينة الإسكندرية، ورحلات الحج، والزيارة، والهجرات العربية، بالإضافة إلى التجارة بين المشرق والمغرب الإسلاميين.

وقد كانت مدينة الإسكندرية من أهم المعابر التي ساهمت في تبادل انتقال التأثيرات الفنية والمعمارية بين مصر والمغرب، حيث تعتبر الإسكندرية باب المغرب والأندلس، وإليها تصل سفن المغاربة والأندلسيين الذين لم تنقطع رحلاتهم إلى المشرق الإسلامي منذ منتصف القرن الثاني للهجرة، إما لأداء فريضة الحج أو طلبا للعلم أو سعيا إلى التكسب بالتجارة، وربما كان عدد من الوافدين من أهل المغرب والأندلس تجاراً أم حجاجاً أم علماء كانت لهم خبرة في فنون البناء والزخرفة. كما كانت الإسكندرية أول ثغر ينزل فيه أهل المغرب بعد رحلتهم البحرية الطويلة،

(1066)- راجع : أحمد مختار العبادي، البعد المتوسطي في الثقافتين المصرية والمغربية في العصر الوسيط، ضمن بحوث الندوة الرابعة، العلاقات المصرية المغربية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م، ص 133 ـ 144.

(1067)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي ،. ص 434ـ 435.

(1068)- راجع : علي أحمد، المغاربة العاملون في مصر منذ نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري، بحث ضمن ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1997م، ص 279.

(1069)- راجع : يونان لبيب رزق، ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1990م، ص 16

وكان منارها[1070] أهم المعالم الرئيسية حتى أواخر القرن التاسع الهجري، وبذلك حظيت مدينة الإسكندرية بمكانة كبيرة في نفوس المغاربة، لدرجة أنهم تشبهوا بها في منشأتهم المعمارية[1071]. بالإضافة إلى أن الإسكندرية كانت القاعدة الرئيسة في مصر لتوجيه الحملات العباسية إلى إفريقية بحكم اتصالها بالطرق المؤدية إلى إفريقية والمغرب[1072].

وقد بدأت التأثيرات الفنية المغربية تتدفق على مصر منذ أن استولى الفاطميون عليها، وأصبحت الإسكندرية منذ بداية العصر الفاطمي منتجعاً للوافدين من أهل المغرب والأندلس. لاسيما العلماء والتجار أمثال الشيخ أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوش (520هـ/ 1126م) نزيل الإسكندرية في خلافة الآمر بأحكام الله، وأبو الحجاج يوسف بن عبدالعزيز بن علي اللخمي الميورقي الشافعي (523هـ/1128م)، نزيل الإسكندرية، فما أكثر العلماء الذين كانوا يجمعون بين أكثر من حرفة كالعلم، والخزازة أو التجارة أو صناعة التوريق، ولا يستبعد أن يكون من بينهم من شارك في أعمال الزخرفة، والبناء، وترك بصماته فيما أقامه من منشآت أو شارك به في الزخرفة. واستمرت التقاليد الفنية المغربية تتدفق على مصر في عصر الدولة الأيوبية نتيجة وفود عدد كبير من المغاربة إلى مصر للمشاركة في الجهاد ضد قوى الفرنج، ونزول عدد وفير من علماء الأندلس بمصر في أعقاب هزيمة الموحدين في موقعة العقاب سنة(609هـ/ 1212م)، أمثال الفقيه الزاهد أبو عبدالله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي (ت 640هـ/ 1242م)، نزيل الإسكندرية، كما أنشأ صلاح الدين داراً للمغاربة في الإسكندرية، حيث ذكر «المقريزي» ذلك في حوادث سنة 577هـ، بقوله : «**سار السلطان إلى الإسكندرية، فدخل خامس عشري شوال، وأنشأ بها مارستانا وداراً للمغاربة.**»[1073] وربما تطورت هذه الدار بعد ذلك، وبنيت بجانبها دور أخرى حتى صارت حياً كاملا، وهو ما تؤكده روايات الحجاج عن الإسكندرية، بأنه كان يوجد للمغاربة حي بكامله يحمل اسم (حي المغاربة)[1074].

وكانت رحلات الحج، والزيارة، وطلب العلم من المعابر المهمة التي ساهمت في تبادل انتقال التأثيرات الفنية والمعمارية بين مصر والمغرب، فالرحلات التي كان يقوم بها أهل المغرب، وإن

(1070)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية 1982م، ص 28 ـ 29.

(1071)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي،، ص 431ـ 433.

(1072)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تأثير منار الإسكندرية،، ص 428.

(1073)- راجع : المقريزي، الخطط،.ج 3، ص 169، السلوك، ج 1، ص 15.

(1074)- راجع : عبدالهادي التازي، طريق الحج البعد الثقافي والحضاري، بحث ضمن ندوة طرق الحج: جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب، منشورات الإيسيسكو، 2007م، ص 17.

كانت في المبدأ من أجل فريضة الحج فقد كانت في الوقت نفسه تتيح الفرصة لطلبة العلم من أجل التزود بالثقافة الإسلامية في مختلف أمصار المشرق[1075].

وقد انطلقت رحلات الحج، والزيارة من المغرب إلى الأراضي المقدسة عبر مصر التي كانت تستقبل آلاف الحجاج المغاربة في كل عام[1076]، والذين كانوا يقيمون بمصر[1077] لفترة تتراوح ما بين أربعة إلى ست أشهر انتظارا للخروج مع المحمل أو الركب السلطاني أو ما يعرف بركب الحج[1078].

وكان مجموعة من الحجاج المغاربة التي تشكل النخبة فيهم، والتي تتكون أساسا من العلماء وأصحاب الاهتمامات الثقافية، يسعون بكل الوسائل إلى السكنى قرب الجامع الأزهر، حيث تتوفر فرص الاحتكاك بالجو العلمي فيه، وبالمدارس المجاورة له، في حين كان بعض فقراء الحجاج يقصدون جامع ابن طولون، وينزلون في الزيادات الخارجية لهذا المسجد، أما البعض الآخر، فكانوا يقصدون جامع السانية ببولاق، ومنهم فقراء الحجاج المغاربة[1079].

لقد كان مقام الحجاج بمصر، في انتظار انطلاق القوافل، وحده مصدراً جيداً للثقافة والمعرفة لأن ما تتوفر عليه من أساتذة، ومشايخ، ومن مؤسسات حضارية، ودينية، وصناعية، كل ذلك يجعل الحاج على علم بعدد من حقول المعرفة، وهكذا فكل طبقات الحجاج: الصناع، والتجار، والفلاحون، والعمال، والطلبة، والمشايخ كل واحد من هؤلاء كان يجد في مصر مقصده، وهو الأمر الذي يفسره وجود عدد من الأسر الإسلامية بمصر، ومن بينهم المغاربة[1080].

ودأب علماء الحجاج، وبخاصة المغاربة منهم، فكانوا يتوافدون إلى الحج، وفي نيتهم الحصول على مزيد من العلم والمعرفة، وبخلاف الحرص على الاستزادة من العلم، كان هناك تصوير لرؤى

(1075)- راجع : محمود علي مكي، أثر الحج في الثقافة الأندلسية ورحلة أبي مروان الباجي، بحث ضمن ندوة طرق الحج: جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب، منشورات الإيسيسكو، 2007م، ص 17.

(1076)- يرجع تاريخ ركب الحاج المغربي إلى أواسط العهد الموحدي، حيث يعود تأسيسه للإمام الشهير أبي محمد صالح الماجري (المتوفى سنة 631هـ)، كما كان يسمى ركب الحاج الصالحي نسبة إلى مؤسسه، وتعدد ركاب الحاج المغربي فكان منها: الركب السجلماسي، والركب الفاسي، والركب المراكشي، والركب الشنجيطي، والركب البحري. راجع : محمد المنوني، من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، المملكة المغربية، 1953م، ص 7 ـ 11.

(1077)- قام صلاح الدين الأيوبي بإلغاء مكس « ضريبة» عيذاب، تسهيلاً على الحجاج وذلك في سنة 572هـ/1176م، وفي سنة 577هـ/1181م، أبطلت المكوس التي تأخذ في قوص على الحجاج، وذلك لكونه أصبح الطريق الرسمي للحجاج القادمين من المغرب الأقصى، وشمال أفريقيا. راجع : سامي صالح عبدالمالك، درب الحج المصري في سيناء، دراسة تاريخية آثارية معمارية، بحث ضمن ندوة طرق الحج: جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب، منشورات الإيسيسكو، 2007م، ص 158.

(1078)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تأثير منار الإسكندرية .، ص 428.

(1079)- راجع : يونان لبيب رزق، ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية.، ص 53.

(1080)- راجع : عبدالهادي التازي، طريق الحج البعد الثقافي والحضاري.، ص 16.

حضارية وثقافية، تسجلها عيون واعية وأفئدة صاحية، سواء من الحجاج العابرين أو من المؤلفين المجاورين الذين تطول إقامتهم فيسجلون المظاهر الحضارية في الديار المقدسة، ووصف المعالم الحضارية في البلاد المختلفة، كان يشد أنظار الرحالة الحجاج، فيصورون رؤاهم وانطباعاتهم، حول ما يرون من مؤسسات علمية، وعمائر، ومساجد، وقصور، وصروح تشهد بالتقدم الحضاري[1081].

ومن نماذج هذه الأوصاف الدقيقة للمعالم الحضارية، وصف «ابن جبير» للمعالم الحضارية في الإسكندرية، والقاهرة، ومنها وصفه لبيمارستان القاهرة الذي بناه صلاح الدين الأيوبي، والذي كان له تأثير كبير في إنشاء البيمارستان في المغرب الأقصى[1082].

وساعد هذا الاتصال المباشر عن طريق تلك الرحلات، في إيجاد قنوات عبرت من خلالها التأثيرات الفنية المغربية إلى مصر، والتأثيرات المصرية إلى المغرب، ومن الإنصاف أن نؤكد على فضل المغاربة في إذكاء حركة التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب، وذلك نتيجة لابتكارهم ما يعرف باسم الرحلات الحجازية[1083]، حيث دونت على أيدي المغاربة والأندلسيين أقدم الرحلات الحجازية، ولهذا جاءت مدونات هؤلاء الرحالة كسجلات ووثائق دقيقة[1084] رصدت الجوانب الحضارية في مصر الإسلامية[1085].

ومن الملاحظ أنه بعد سقوط بغداد، وانهيار الخلافة الأموية في الأندلس، قام الأزهر الشريف بدور كبير كجامعة، انتقل إليها علماء من المغرب الإسلامي، شدوا رحالهم إليه، وعملوا في رحابه كأساتذة زائرين أو أساتذة متفرغين، وغدا الأزهر منذ أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، كعبة شوامخ الأساتذة، ونوابغ الطلاب من سائر أنحاء العالم الإسلامي مشرقه، ومغربه[1086]. وخاصة بعض الأروقة التي كانت تحظى بأوقاف سخية كرواق المغاربة،

(1081)- راجع : عبدالرحمن عطبة، الغايات والوسائل، بحث ضمن ندوة طرق الحج: جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب، منشورات الإيسيسكو، 2007م، ص 17.

(1082)- راجع : رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 14 ـ 20.

(1083)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تأثير منار الإسكندرية.، ص 428.

(1084)- الرحلة بمعناها العلمي مغربية أصلاً، إذ كان ظهورها في أواخر القرن الـ 6هـ/12م على يدي « ابن جبير»، الذي يعتبر أول من فكر في تسجيل أحاسيسه إلى جانب مشاهداته على طول الرحلة في مذكرات يومية مع الاهتمام بالحياة الثقافية، وعلى نمطه هذا سار تابعوه من المغاربة، «العبدري» رحلة سنة 688هـ/1289م، و«ابن بطوطه» 725هـ/1325م، و«البلوي» 736هـ/1336م، وانتهاء بـ «العياشي» ق 11هـ/17م. راجع : سعد زغلول عبدالحميد، محمد بن تومرت ورحلته العلمية في المغرب والأندلس والمشرق (500 - 514هـ/1106 ـ 1120م، ندوة : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة 1997م، ص 262.

(1085)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، عمارة المدرسة بين مصر والمغرب دليل على التواصل الحضاري، أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب،» التواصل الحضاري بين أقطار العالم العربي من خلال الشواهد الأثرية، القاهرة 1999م، ص 601 ـ 602.

(1086)- راجع : عاشة عبدالعزيز محمد التهامي، الأزهر الشريف ودوره في توثيق العلاقات المشرقية المغربية منذ العصر الفاطمي حتى العصر المملوكي، بحث ضمن ندوة : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة 1997م، ص 364

ويكفي أن نذكر من بين رجال الرواق المغربي بالأزهر الشريف بمصر، العلامة «ابن خلدون»، و«الشيخ ابن سودة»[(1087)] . كما تتعدد وجوه الشبه بين الجامعتين الإسلاميتين العتيدتين، جامعة القرويين بفاس، وجامعة الأزهر بالقاهرة، بحيث أن كلتيهما قد أشاع جوا فكريا وسياسيا مشابها في البلدين[(1088)] .

وكانت الهجرات العربية إلى المغرب الأقصى، من المعابر المهمة التي ساهمت أيضا في تبادل انتقال التأثيرات الفنية، والمعمارية بين المشرق والمغرب بشكل عام، فالثابت تاريخيا أن العرب توافدوا على المغرب الأقصى منذ مراحل الفتح الإسلامي في مناسبات عدة، فقد هاجرت جماعات عربية منذ الفتح الإسلامي، وحتى القرن الخامس الهجري، (5هـ/11م)، وكان من نتيجة هذه الهجرات تعريب الإدارة العسكرية، والمالية، ثم تتابع دخول المهاجرين، والدعاة الذين قصدوا المغرب الأقصى لأهداف مختلفة. وقد حالف النجاح بعض الزعامات العربية، فأسسوا إمارات متعددة مثل إمارة الحميريين بنكور، والأدراسة في فاس. واشتملت المرحلة الثانية على المهاجرين العرب القيروانيون من القيسة، والأزد، ويحصب، ومذحج، والصدف، الذين جاءوا إلى فاس في عهد الإمام إدريس الثاني، وبالتحديد سنة (189هـ/805م)، وكان عدد بيوتهم 300 بيت، بينهم 500 فارس، فاستوزر الإمام إدريس منهم عميراً بن مصعب الأزدي، وولى الكتابة أبا الحسن عبدالله بن مالك الخزرجي، واستقضى عامر بن محمد بن سعيد القيسي[(1089)] .

واستمرت الهجرات من المشرق إلى المغرب الأقصى في عصر المرابطين، وبلغت أوجها في عهد يعقوب المنصور الموحدين الذي استعان بعرب إفريقية في جيش الموحدين، كما قام الخليفة يعقوب المنصور بترحيل العرب إلى المغرب الأقصى، ويعدُّ هذا الترحيل من أكبر التحركات البشرية التي عرفها المغرب الوسيط، والتي أدت إلى تغير ملامح مناطق عديدة بالمغرب الأقصى، كما عرف المغرب الأقصى دخول القبائل المعقلية إلى الجنوب الشرقي إلى حدود السوس، ودرعة منذ أواخر عصر الموحدين، حيث تحركت إلى الغرب على مراحل، ثم توجهت جنوبا في أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، والواضح أن هذه الهجرات العربية قد تركت آثارا، ونتائج متعددة على المجال المغربي[(1090)] .

(1087)- راجع : عبدالهادي التازي، طريق الحج البعد الثقافي .، ص23.

(1088)- راجع : يونان لبيب رزق، ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية .، ص 18.

(1089)- راجع : ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس..، ص 35،

(1090)- راجع : محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، مطبعة جذور للنشر، الرباط، 2006م، ص 91 ـ 93.

وهذه الهجرات العربية إلى المغرب الأقصى قد أدت إلى رسوخ المفاهيم والثقافة العربية هناك، وساهمت كذلك في التواصل الفني بين مصر والمغرب من خلال هجرة بعض الصناع وانتقالهم بين أقطار المشرق والمغرب طلبا للرزق والأمان[1091].

وكان لهجرة وفود المهاجرين الأمويين ومن لاذ بهم من عرب المشرق إلى الأندلس بسبب اضطهاد العباسيين للأمويين وأنصارهم بالمشرق، وهذه الأعداد الكبيرة من أهل الشام التي استقرت بالأندلس، كان لها تأثير كبير على مختلف جوانب الحياة حيث حاول أهل الشام نقل تقاليدهم وثقافتهم، مما ساعد على بروز المؤثرات الشامية في الأندلس، لذلك نجد أن المساجد المغربية والأندلسية متأثرة بالطراز الأموي الشامي[1092].

ويكفي الإشارة إلى دور طائفة من القبط المصريين المتمرسين في صناعة السفن، في إنشاء دار صناعة تونس، وإنتاج أعداد كبيرة من السفن، وذلك في ولاية حسان بن النعمان. كما أسفر الكشف الأثري عن شاهد قبر لتاجر سكندري من أسرة بني خليف، رحل إلى المرية في تجارة وتوفي بها في سنة 519هـ/1125م في عصر دولة المرابطين. ويؤكد هذا النقش الجنائزي أن الاتصال بين مصر والأندلس كان قائما بين مصر الفاطمية، والأندلس الخاضعة للمرابطين، وهذا ينهض في حد ذاته دليلاً على استطاعة بعض المصريين من ترك بصماته في فنون الأندلس[1093].

وتعتبر رحلات التجارة بين المشرق والمغرب من المعابر المهمة التي ساهمت في تبادل انتقال التأثيرات الفنية والمعمارية بين المشرق والمغرب، حيث امتد النشاط التجاري للمغرب الأقصى تجاه المشرق، إذ استقبلت الموانئ المغربية السفن القادمة من إفريقية، ومصر، وبلاد الشام محملة بالبضائع، وقام التجار المغاربة في الموانئ المغربية بشراء ما تحتاجه الأسواق المحلية، وتصدير منتجات البلاد. ومن ناحية أخرى تقوم السفن بشحن المحاصيل، والمنتجات التي تحتاجها بلدان المشرق، فكانت السفن تشحن بالحنطة من ميناء ماسة قاصدة بلاد الصين، وشجع عملية التبادل التجاري بين مصر والمغرب أن مصر كانت في طريق قوافل الحجاج المسافرة لتأدية فريضة الحج في كل عام، وكانت تضم هذه القوافل - في كثير من الأحيان، بعض أنواع المتاجر التي تحتاجها المدن الشرقية[1094].

(1091)- ونذكر من بين هؤلاء الصناع، الصانع عبدالكريم الفاسي، الذي كان يعدُّ من أشهر صناع الخزف المغاربة في القرن 12هـ/18م. راجع : محمد محمد الكحلاوي، عمارة المدرسة بين مصر والمغرب دليل على التواصل الحضاري.، ص 601 ـ 602.

(1092)- راجع : خليل إبراهيم الميعقل، أثر الجامع الأموي بدمشق على عمارة المسجد الجامع بقرطبة، ضمن بحوث ندوة: الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، من 30 أكتوبر إلى 3 نوفمبر 1993م، ص 181.

(1093)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، التأثيرات المتبادلة.، ص 434- 435.

(1094)- راجع : راجع : يونان لبيب رزق، ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية .، ص 18- 35.

ثانيا : التأثيرات المتبادلة بين المغرب، والمشرق في العمارة والفنون الإسلامية المغربية

تميزت العمارة والفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، بعناصرها المعمارية والزخرفية الفريدة، التي استمدت أصولها من مصدرين رئيسين هما : العمارة والفنون الإسلامية ببلاد الأندلس، والتأثيرات الوافدة من عمارة وفنون المشرق الإسلامي، بالإضافة إلى العناصر المحلية التي اندمجت مع التأثيرات الوافدة على يد المعمار المغربي، الذي أصبح صاحب مدرسة في فنون العمارة والفنون الإسلامية، حيث جسدت هذه العمائر، ومواد الفنون الإسلامية أهم خصوصيات الفنون المغربية، والتي تعكس الثراء المعماري، والفني المتنوع من حيث التخطيط، والعمارة، والتغطية، والزخرفة، والتي ساهمت بشكل مباشر في إبراز وإجلاء شخصية، وعبقرية المهندس والبناء والصانع المغربي[1095].

والثابت أثرياً وفنياً، أن انتشار المؤثرات الأندلسية[1096] في العمائر، والفنون المغربية، لم يمنع من تدفق المؤثرات المشرقية بصفة عامة، والمؤثرات المصرية بصفة خاصة، في العمارة[1097] والفنون الإسلامية[1098].

وقد كان لموقع المغرب الأقصى، والظروف التي مر بها، دور واضح في تأثره بالطرق المختلفة في التشييد، والبناء، فمنذ أن صار إقليما إسلاميا، وتأسست على أرضه دولة الآدارسة، أصبح مقصداً للأسرات العربية الوافدة من القيروان بالإضافة إلى الوافدين من مدن المشرق، وقد حمل الوافدون معهم خبراتهم في طريقة البناء، ومن ثم ظهرت المؤثرات المشرقية في عمليات البناء في هذه الفترة في بناء المساجد والمدارس، والحمامات، والبيمارستانات، وغيرها من المنشآت العامة[1099].

(1095)- راجع : العربي الرباطي، الأسوار المرابطية والموحدية بقصبة الأوداية، ضمن الندوة العلمية أسوار ضفتي مصب نهر أبي رقراق، سلا ـ الرباط، 18 ـ 19 أكتوبر 2003م، مطبعة دار المناهل، الرباط، 2006م، ص 37.

(1096)- بدأت المؤثرات الأندلسية في المغرب الأقصى منذ أن استعان أمراء المرابطين بعرفاء البناء في الأندلس، وخاصة حينما أحضر يوسف بن تاشفين المهندسين وعمال البناء من الأندلس ليستعين بهم في حركة البناء التي قام بها بمدينة فاس، وجرى خلفاء الموحدين على نفس السياسة، وهي الاستعانة بخبرة أهل الأندلس في أعمال البناء، وبمرور الزمن لم يعد المغرب الأقصى مقتصراً على استقبال عمال البناء من الأندلس بل صار أبناؤه بعد الاحتكاك والممارسة لأعمال البناء يشاركون في أعمال البناء في الأندلس فضلا عن أعمال البناء بمدن المغرب نفسها، أي صار المغرب الأقصى مؤثرا بعد أن كان متأثراً فقط. راجع : حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس.، ص 374 ـ 376.

(1097)- حين عزم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على بناء الجامع الكبير بأشبيلية، استعان بعرفاء البنائين من أهل مراكش، ومدينة فاس، وأهل العدوة بالإضافة إلى شيخ العرفاء أحمد بن باسة وأصحابه العرفاء البناؤون من حضرة أهل اشبيلية. راجع: ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة.، ص 474.

(1098)- هاجر الأندلسيون في فترات شتى إلى فاس، ومراكش، والريف، حيث انبثقت النواة الأولى للفن الأندلسي المغربي البارز في مسجد قرطبة الأموي، ومدينتي الزهراء، والزاهرة . راجع : عبدالعزيز بنعبدالله، المغرب الأقصى يحتضن التراث الأندلسي، مجلة التاريخ العربي، العدد 12، خريف، 1999م، ص 235.

(1099)- راجع : حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس.، ص 374 ـ 376.

وقد شملت التأثيرات الشامية شتى مجالات الحضارة المغربية، فقد دخلت في بناء جامع القرويين عام 245هـ/859م عناصر من الفنون الدمشقية، كما أضاف الناصر الأموي عام 345 هـ/956 م، أي بعد مرور قرن كامل على بناء الجامع، اثني عشر بلاطاً جديداً، وحول المنارة من مكانها الحالي مغشياً بابها بصفائح النحاس الأصفر مع قبة صغيرة محلاة بتفافيح مموهة بالذهب، وظل التبادل المباشر بين الشام، والمغرب موصولاً من القرن الأول الهجري إلى القرن الحادي عشر الهجري[1100].

واستطاع الموحدون بفضل ما أبدعوه من روائع تبوأ المقام السامي في تاريخ الفن الإسلامي، لاسيما في عهد يوسف الذي عاش في أشبيلية حيث زينها بأروع البنايات، والمؤسسات العمومية، ثم جاء ولده يعقوب المنصور، فكان أبدع بناء في تاريخ المغرب الفني، وقد تجلت هذه البدائع خاصة في أشبيلية، والرباط، ومراكش، ومناراتها، وأصبحت مراكش ببناياتها، وقصورها، وحدائقها أشبه ببغداد في الشرق، كما أشبهت مدينة فاس دمشق في روائعها المعمارية والفنية، وطبيعتها الخلابة، وتعتبر مدينة فاس أول مركز عربي انطلق في البلاد المغربية، وأصبح بعد ذلك مظهر إعجاز في ميدان التأثر بالطابع الشرقي، ذلك أن الفن اتخذ مناهج جديدة منذ العصر الأموي في كل من الشرق الأدنى، والمغرب العربي بفضل مرونة العرب، ومداركهم الإبداعية. وبانتصار يعقوب المنصور في الأندلس أضفى على الفن طابعا خاصا، وحقق مع مدرسة القيروان التجانس الفني بين الشرق، والغرب، وظهرت التأثيرات المشرقية في المغرب خلال العصور الإسلامية، الذي تميز بوجود صلات عابرة، وغير مباشرة بالفنون الإسلامية الشرقية التي تحققت من جديد في العصر السعدي بفضل ما كان للسعديين من علاقة بالأتراك. ولعل بعض الآثار تتجلى في فن الطرز، والنسيج، والتجليد، والتذهيب[1101].

وقد صار الطراز المغربي في تشييد المساجد[1102] على نمط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، كما تميز الطراز المغربي بخصوصياته[1103]. وبذلك استمدت المساجد المغربية

(1100)- عبدالعزيز بنعبدالله، ثلاثة قرون بين الشام والمغرب عبر الأندلس، مجلة التاريخ العربي، العدد 14، ربيع 2000، ص 107 ـ 124.

(1101)- عبدالعزيز بنعبدالله، الفن المعماري بالمغرب والأندلس ـ الاخذ والعطاء، بحث ضمن ندوة التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، التي انعقدت بغرناطة 1992م، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، مطبعة الحلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، 1993، ص 305 ـ 310.

(1102)- راجع : محمد الحمداوي، من الحلقات المفقودة في تاريخ المساجد المغربية، مجلة دعوة الحق، العدد 53 لسنة 1962، ص 21

(1103)- راجع : عبدالعزيز الدرويش، اتجاهات معمار المساجد المغربية،، ص 50 ـ 51.

الجامعة الأولى تصميمها من أول نموذج معماري جمع كل العناصر الأساسية للمسجد[1104] متمثلا في عمارة المسجد النبوي الشريف[1105].

وتتمثل طرز المساجد في المغرب الأقصى في أن جميع عقود البائكات في مقدم المسجد فحسب، أو في مقدم المسجد، ومؤخره، ومجنبتيه، تسير عمودية على جدار القبلة، ويكون الرواق الأوسط (البلاطة الوسطي) أوسع الأروقة (البلاطات)، وأكثرها ارتفاعا غالبا، ويستثنى من ذلك بعض النماذج التي نشاهد فيها عقود بائكة (بائكات) رواق المؤخر أو المجنبتين تسير موازية لجدار القبلة، ويعدُّ المسجد الأقصى المبارك في القدس الشريف (163هـ/ 779م) أقدم نموذج معروف لهذا النمط من التخطيط، وبذلك يكون تخطيط المساجد في المغرب الأقصى قد جمع بين عمارة المسجد النبوي الشريف من جهة، وعمارة المسجد الأقصى المبارك من جهة أخرى[1106].

وقد تطورت المساجد والجوامع المغربية تطورا كبيرا، واكتسبت أهمية قصوى، إذ كانت عبارة عن ملحقة للبلاط الأميري، ففضلا عن كونها مكانا للصلاة شكلت فضاء لإبراز سلطة الحاكم الذي يعتبر أميرا للمؤمنين، واستمدت الجوامع المرابطية والموحدية تصاميمها من القيروان وقرطبة[1107]، واستوحى المغاربة كثيرا من هاتين المعلمتين فشملت الساحة، والجوامع، وبعض الفنون الشرقية والأندلسية ثم طوروا نموذجا ذا خصائص محلية، وبذلك نجد أن الجوامع الإسلامية المغربية صارت وفية في أشكالها المعمارية والزخرفية إلى النموذج الأندلسي[1108].

واستقطب الموحدون التأثيرات المشرقية التي تبلورت في عمارتهم، وكانت بيوت الصلاة الأولى ذات الأسكوب الأول المميز بسعته، وبلاط المحراب الفسيح الذي بدأ من مسجد عقبة بن نافع بالقيروان، وكان ذات صلة بالتأثيرات المشرقية التي عرفت تطوراً كبيراً على يد الموحدين، بالإضافة إلى إدخال الصحون الجانبية إلى مساجدهم، والتي عرفت في مساجد سوسة، والقاهرة[1109].

(1104)- راجع : مينة المغاري، جدار القبلة وبلاط المحراب، الدلالات والوظائف، ندوة خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية، الرباط، 18 يونيو 2007 من ص41.

(1105)- راجع : أحمد رجب محمد علي، المسجد النبوي بالمدينة المنوره ورسومه في الفن الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000، ص 15 ـ 79.

(1106)- راجع : محمد حمزة الحداد، التراث المعماري وفنون الزخرفة الإسلامية، منشورة منظمة الإيسيسكو، الرباط، المغرب، (قيد الطبع) ص 25

(1107)- يعتبر جامع مدينة قرطبة الكبير الذي شيده عبدالرحمن الأول عام 169هـ/ 785م من أجمل العمائر الإسلامية . راجع : السيد عبدالعزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986، ص 9ـ 28.

(1108)- راجع : مينة المغاري، جدار القبلة وبلاط المحراب، الدلالات والوظائف، ص 44.

(1109)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون.، ج 3، ص 231 ـ 233

ويعدُّ جامع حسان من مآثر الموحدين الخالدة التي حققت وحدة الفن الشرقي، والفن الأندلسي، وصار رمز لفخامة الدولة الموحدية[1110]، وهو من أوسع مساجد المغرب وأكبرها[1111].

ومن الجدير بالذكر، أن الباعث على إنشاء المدارس في المغرب الأقصى، يذكرنا بنفس الأسباب التي أدت إلى انتشار المدارس في مصر إبان حكم الأيوبيين، إذ كان الباعث على إنشاء المدارس المغربية[1112] هو الفراغ الكبير الذي خلفته سقوط المدن العلمية الأندلسية في قرطبة، وأشبيلية وما أحدثه ذلك من أثر على الثقافة المغربية، حيث ولى المغاربة وجوههم شطر المشرق عوضا عما فقدوه من المدن الأندلسية، وقد تطلع المغاربة إلى مصر بوصفها القاعدة العلمية للشرق، وبدءوا في تنمية أواصر الصلات بينهما، وبدأت الثقافة المغربية تطعم بهذا الاتجاه الجديد. كذلك كان وراء الأسباب الحقيقية الهادفة إلى التوسع في انتشار المدارس في المغرب في العصر المريني، هو رد الفعل الطبيعي ضد العقيدة، والفكر الموحدي، وهذه الأفكار اشتقت بعض تعاليمها من الفكر والعقيدة الشيعية الفاطمية، وهي نفس الأفكار المذهبية التي دفعت حكام الدولة الأيوبية من التوسع في إنشاء المدارس في أعقاب سقوط الخلافة الفاطمية. والخلاصة أن فكرة إنشاء المدارس في المغرب في عصر المرينيين، قد اقتبست من مصر، وأن دورها التعليمي والديني قد توافق مع الدور التعليمي والديني للمدارس المصرية[1113].

ورغم اندثار معظم المدارس إلا أن ما تبقى منها يعتبر معالم أثرية وفنية تشهد بالنضج والازدهار الذي بلغه الفن المريني، وهي بحسب ترتيبها التاريخي في المغرب الأقصى: مدرسة الشهود أو القاضي بمكناس، أنشأها يعقوب بن عبدالحق حوالي عام (674هـ/1275م)، ومدرسة

(1110)- قام عدد من علماء الآثار الإسلامية بدراسة هذا المسجد، منهم على سبيل المثال وليس الحصر ما يلي :

Marçais G., L'architecture musulmane d'occident, Paris, 1954, P.209. ; Caillé, Mosquée de Hassan à Rabat, paris, 1954. ; Dieuly Foy, La Mosquée de Hassan , Paris, 1914. ; Julues, B., La mosquée d'Hassan de Rabat, France- Maroc,1925,PP.103-126, ; Roymond, La Mosquée et la tour Hassan à rabat, Bulletin de la societé Française des ingenieurs coloniaux,1922.

ومن الباحثين العرب الذين قاموا بدراسة هذا المسجد : السيد عبدالعزيز صالم، وعثمان عثمان إسماعيل، ومحمد محمد الكحلاوي، وسحر عبدالعزيز سالم، ومحمد حمزة الحداد، وعبد العزيز صلاح، وغيرهم.

(1111)- راجع : بوجندار، مقدمة الفتح من تاريخ، ص 105.

(1112)- من الثابت تاريخيا أن المدارس قد وجدت طريقها إلى أقطار الغرب الإسلامي خلال عصر الدولة الموحدية (524 ـ 668هـ/ 1130 ـ 1269م)، وبدأت على يد أول خلفائهم عبد المؤمن بن علي (524 ـ 588هـ/ 1130 ـ 1163م)، في المغرب الأقصى، إلا أن هذه المدارس قد اندثرت، ولم يتبق منها شئ، وقد انتشرت المدارس خلال العصر المريني في المغرب الأقصى انتشاراً كبيراً، وأضحى المرينيون أعظم بناة للمدارس في الغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأقصى خاصة، حيث شيدت المدارس المرينية فيما بين (674 ـ 756هـ/1275 ـ 1355م). راجع : محمد محمد الكحلاوي، المدارس المغربية، مجلة العصور، مج 6، ج 1، جمادى الثانية 1411هـ/ يناير 1991م، ص 71 ـ 111، محمد حمزة الحداد، المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، 2006م، ص 576

(1113)- راجع : محمد محمد الكحلاوي، عمارة المدرسة بين مصر والمغرب.، ص 603 ـ 605، محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى.، ص51

الصفارين بفاس القديمة، أنشأها يعقوب بن عبدالحق (675هـ/1276م)، ومدرسة دار المخزن بفاس الجديدة التي شيدها أبو سعيد عثمان (721هـ/1321م)، ومدرسة الصهريج وملحقتها (723.721هـ/1321-1323م)، ومدرسة السبعبن بفاس القديمة التي أنشأها أبي الحسن علي (723هـ/1323م)، ومدرسة العطارين بفاس القديمة التي شيدها أبو سعيد عثمان (725هـ/1325م)، والمدرسة الجديدة بمكناس التي تسمى خطأ بالبوعنانية، والتي أنشأها أبو الحسن علي (742.736هـ /1336 ـ 1341م)، ومدرسة سلا وهي أيضا من إنشاء أبي الحسن أيضا (742هـ/1341م)، والمدرسة المصباحية بفاس القديمة من إنشاء نفس السلطان (747هـ/1346م)، والمدرسة البوعنانية بفاس القديمة (751- 756هـ/ 1350- 1355م)[1114].

وتتفق المدارس الأيوبية ببلاد الشام مع مثيلاتها المرينية بالمغرب في اشتمال كل منهما على صحن أوسط مكشوف يتوسطه صهريج أو فسقية، وعلى جانبيه وزعت الوحدات المعمارية الأخرى للمدرسة، وإن كان ثمة اختلاف يتمثل في إحاطة صحون المدارس المرينية بالأروقة من جانبين أو ثلاثة، وأحيانا من الجوانب الأربعة، بينما لا وجود لهذه الظاهرة بصحون المدارس الأيوبية ببلاد الشام، أما بالنسبة لمساكن الطلاب، فيلاحظ أن بعض المدارس الأيوبية ببلاد الشام لا تشتمل على حجرات، وغرف صغيرة، مما يرجح أنها لم تكن معدة لسكنى الطلاب، وفي الوقت التي لم تكن المدارس المرينية فيها قبوراً، لا تكاد تخلو المدارس الأيوبية ببلاد الشام من أضرحة لمنشئيها، بل أن الضريح يمثل في بعضها الوحدة الأساسية، كما تتفق المدارس اليمنية مع مثيلاتها المرينية في اشتمالها على صحن يعرف بالصرح في المصطلح اليمني، أوسط مكشوف محاط بالأروقة من ثلاث أو أربع جهات كل منها بائكة واحدة تطل عليه بعقود محمولة على أعمدة أو دعامات، كما في المدرسة المعتبية بتعز، والمدرسة العامرية برداع وغيرها. وتؤكد الظواهر بين المنطقتين على وحدة التفكير عند المعماريين المسلمين ولو كانوا في أقطار تقع في طرفين متباعدين من العالم الإسلامي، كما تؤكد الصلات الوثيقة التي ظلت قائمة مترابطة بين بقاع العالم الإسلامي[1115].

كما يعد النظام الذي شاع في تخطيط الحمامات في المغرب الأقصى من أكثر النظم التخطيطية للحمامات استخداما، وأوسعها انتشاراً، فقد استمر متبعا في نظم الحمامات منذ الدولة الأموية، وحتى نهاية عصر بني نصر، وقد ظهر لأول مرة في عصر الخلافة ممثلا في حمام مدينة الزهراء، ونشهده في عصر الطوائف ممثلا في حمام الجوز بغرناطة، وحمام الميرانتي في بلنسية، وحمام

(1114)- راجع: محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى.، ص 152، 376، و377.

(1115)- راجع: عبد العزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي.، ج 2، ص 88.، الآثار الإسلامية في سلا ورباط الفتح.، ص 110-121.

بلمه بجزيرة ميورقه، وفي عصر دولة المرابطين والموحدين نجده مطبقا في حمام الترنكتي بمرسيه، وحمام مادري دي ديوس بنفس المدينة، ويتمثل في عصر بني نصر في حمام قمارش، وحمام دار العروسة، وحمام جبل طارق، وحمام رنده[1116].

كما اتبع إنشاء البيمارستانات[1117]، في المغرب الأقصى، نفس التقاليد المعمارية والزخرفية والوظيفية التي كانت متبعة في المشرق الإسلامي، فقد أنشأ أبو يوسف يعقوب المريني، المارستان للمرضى والمجانين وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون إليه من الغذاء والماء، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية، وأجرى على الكل الإنفاق من بيت المال، وأجرى على الجذامى، والعميان، والفقراء مالا معلوما يأخذونه في كل شهر من جزية اليهود، وأنشأ ابنه أبو يعقوب يوسف عدداً من البيمارستانات بمدينة المنصورة التي شيدها بالقرب من تلمسان، كذلك شارك أبو عنان فارس في إنشائها، كما أشار بعض المؤرخين إلى اشتمال بعض المدن المغربية على البيمارستانات، مثل: فاس، وأسفي، والرباط، وسلا. ومن أهم هذه البيمارستانات، بيمارستان سيدي فرج الذي شيد بالقرب من سوق العطارين وسوق الحناء بفاس البالي، على يد السلطان أبي يعقوب يوسف عقب توليه الملك عام (685هـ/ 1286م)، ثم أدخل السلطان أبو عنان المريني (749 ـ 759هـ/ 1348 ـ 1357م) عليه زيادات عظيمة، وقد خصص لمعتلي العقول ومن بهم خلل عصبي، وعرف هدا البيمارستانات باسم «سيدي فرج»[1118].

وقد كان منار الإسكندرية أهم المعالم الرئيسة في الإسكندرية حتى أواخر القرن التاسع الهجري، وانتقل تأثير منار الإسكندرية إلى عمارة المآذن المغربية، والأندلسية من خلال جماعات من أهل الإسكندرية استقرت بالقطر التونسي في أواخر القرون الأولى للهجرة[1119]، وإذا كان الشكل العام لمنار الإسكندرية النموذج الذي احتذاه المعماريون في المغرب الأدنى لمنارتي القيروان وصفاقس، فإن عمارته الداخلية كانت المصدر الذي استوحى منه مهندسو الخليفة المنصور الموحدي النظام الداخلي لثلاثة مآذن توائم تتفق جميعا في الضخامة والرسوخ، وفي الرشاقة

(1116)- راجع : كمال العناني، حمامات الأندلس، بحوث المؤتمر الدولي الرابع للحضارة الأندلسية تكريما للعلامة الأسباني «اميليوجارثيا جومث»، في الفترة من 3 ـ 5 مارس 1998م، ص 696 ـ 698.

(1117)- البيمارستان (بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من مقطعين (بيمار) بمعنى مريض و عليل أو مصاب و (ستان) بمعنى مكان أو دار فهى إذاً دار المرضى ثم اختصرت فى الاستعمال فصارت مارستان، وكانت البيمارستانات مستشفيات عامة تعالج فيها جميع الأمراض، والعلل من باطنية، وجراحية ورمدية، وعقلية إلى أن أصابتها الكوارث، ودار بها الزمن، وحل بها البوار، وهجرها المرضى فأقفرت إلا من المجانين حيث لا مكان لهم سواها، ومن ثم صارت كلمة مارستان (أو مورستان) إذا سمعت لا تنصرف، إلا إلى مأوى المجانين.راجع : أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات فى الإسلام، بيروت، ط 2، 1981م، ص 4 .

(1118)- محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين.، ص 63 ـ 64

(1119)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، التأثيرات المتبادلة.، ص 435.

والسمو، نذكرها على التوالي: منارة جامع الكتبية بمراكش، ومنارة جامع قصبة الموحدين بأشبيلية، ومنارة جامع حسان بالرباط، فطول قاعدة منارة الكتبية يبلغ 12,50م، في حين يصل في منارة جامع اشبيلية إلى 13,65م، وفي منارة جامع حسان بالرباط إلى 16,15م، أما الارتفاع فيصل في منارة جامع الكتبية إلى أعلى التفافيح الثلاثة المتوجه لقبتها نحو 67,5م، بينما يبلغ ارتفاع ما وصل إليه البناء في منارة جامع حسان بالرباط التي لم يتم بناؤها 44م، وكان مقدراً لهذا الطابق أن يتجاوز الارتفاع 69م[1120].

ويؤكد ذلك رواية أوردها عبد الواحد المراكشي جاء فيها : «وبني فيها (أي مدينة الرباط) مسجداً عظيماً كبير المساحة واسع الفناء لا أعلم في مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له مئذنة في نهاية العلو على هيئة منار الإسكندرية يصعد فيه بغير درج»[1121].

وطبق الموحدون هذا النظام الداخلي لمئذنة جامع الرباط على مئذنة جامع أشبيلية[1122]، ومئذنة جامع الكتبية بمراكش بحيث يصعد إلى أعلاهما بغير درج، وإنما «في طريق واسع للدواب والناس والسدنة»، ويشغل النواة المركزية المربعة التي تدور حولها الطريق الصاعد عدة غرف تعلو الواحدة الأخرى[1123]. ويعلق «Terrasse H» على تأثر المنصور الموحدي بالإسكندرية[1124] بقوله: «نطالع هنا اسم الإسكندرية بدلا من دمشق وبغداد، فإن شهرة الإسكندرية التي تحتضن روائع الحضارة الهيلنيستية طوال قرون عديدة كانت راسخة في أعماقه»[1125].

وتعتبر منارة جامع حسان إحدى الروائع الثلاث التي مازالت أثراً باقياً على الازدهار الحضاري والعمراني لدولة الموحدين في المغرب والأندلس، وقد أقيمت في منتصف الجدار الشمالي لبيت الصلاة مرتكزة على الجدار، وتبرز من الداخل، والخارج على حد سواء على مستوى واحد،

(1120)- يؤكد المؤرخون بأن صورة منار الإسكندرية كانت لا تزال راسخة في مخيلة الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور، وأنه أملى على مهندسيه رغبته في أن تماثل صومعة جامعه في الرباط منار الإسكندرية الشهير في الضخامة وفي الارتفاع وفي النظام الداخلي للبناء.
راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ق 2، دار الغرب الإسلامي، ص 426ـ427.

(1121)- راجع : المراكشي، المعجب.، ص 195.

(1122)- راجع : ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة.، 480 ـ 484

(1123)- راجع : السيد عبدالعزيز سالم، التأثيرات المتبادلة.، ص 437.

(1124)- راجع : Terrasse H., L'influence de l'Ifriqiya sur l'Architecture Musulmane du Maroc avant les Almohades, pp.4-5.

(1125)- كما ذكر «Terrasse H» عند تحليله لنص المراكشي، أن المقصود به أن يقلد الخليفة المنصور تخطيط مدينة الإسكندرية عند قيامه ببناء مدينة رباط الفتح والراجح أن المنصور أراد أن يقلد بناء منار الإسكندرية. راجع : السيد عبدالعزيز سالم، تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس.، ص 428.

وهي الوحيدة التي تشغل هذا الوضع في العالم الإسلامي. وهذه المنارة لم تصل إلينا كاملة فارتفاعها الحالي يصل إلى 44 متراً، وهي مشيدة بالحجر المصقول، ويفوق المئذنتين الباقيتين (الكتبية، والجيرالدا) من حيث مقاساتها، ويدور حول مركز المنارة من الداخل طريق منحدر، عرضه متران على نحو ما هو متبع في مئذنتي جامع أشبيلية، وجامع الكتبية بمراكش، ويشتمل مركز المئذنة من الداخل على غرف موزعة على طوابق ستة، كما هو الحال في جامع الكتبية بمراكش. ويعلو هذه الغرف قبوات مختلفة الأشكال منها القبوات المقرنصة، والمضلعة والنصف دائرية[1126]. كما تعتبر منارة مسجد حسان حلقة في سلسلة منارات المنصور بالكتبية، والقصبة وأشبيلية غير أن مهندسها استعمل الحجر المنحوت، وقد ضاع بفعل الزمن جزؤها العلوي أو أنها لم تتم أصلا، ولا زالت زخرفتها المعمارية المتنوعة على أوجه المنارة بعقودها وتوريقاتها تعكس فخامة الفن الموحدي[1127].

كما كان المدخل المنكسر المنتشر في عمارة المغرب الأقصى معروفاً في المشرق الإسلامي، وظهر أقدم مثال له في العصور الإسلامية في أبواب مدينة بغداد المندثرة، ثم شاع استخدامه في مصر، والغرب الإسلامي فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (11ـ13م)، وسار الموحدون في المغرب على نهج أسلافهم المرابطين، فزودوا عمائرهم الدفاعية بمداخل منكسرة كان بعضها يتبع زاوية قائمة واحدة، كما تدل بقايا باب مدينة بينمل، التي يرجع تاريخ بنائه للفترة ما بين عامي (515هـ ـ548هـ/ 1121ـ1153م)، على أنه مدخل منكسر يتألف من زاوية قائمة واحدة. كما كان باب قصبة مراكش التي أسسها الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي المعروف بباب أكناوة يتبع هذا التخطيط، واشتمل الباب الكبير في قصبة الأوداية[1128] على مدخل بارز يحيط بفتحته الرئيسية برجان مربعان، وقوس الفتحة عبارة عن عقد متجاوز منكسر داخل عقد مفصص[1129].

(1126)- راجع : سحر عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي.، ص 143ـ 144.

(1127)- راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat .,pp.114-115

(1128)- يعتبر الباب الكبير بقصبة الأوداية من أروع إبداعات القرن السادس الهجري، بما اشتمل عليه من تركيب هندسي متنوع، وتفنن في وسائل الدفاع وأساليب التغطية، فضلا عن زخارفه الفنية والهندسية، وهو من جملة الأبواب الموحدية العظيمة برباط الفتح. راجع : Terrasse H., Le décor des portes anciennes du Maroc, in Hesperis, T. III, 1923, P. 148.

(1129)- تتخذ هذه البوابة الرئيسية للقصبة بضخامتها مظهر البوابات العسكرية المنيعة، وعلى محور الفتحة الرئيسة تمتد ثلاث قاعات متتالية وتلك القاعات ليست على مستوى أرضية واحدة إذ يتغير مستوى الأرض من قاعة لأخرى، مشكلا عقبة كأداة المهاجم المندفع من قاعة لأخرى. وتصميمه بسيط، فهو مكون من ثلاث قاعات متتالية، الأولى، والثالثة عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل (7,80م، و7,12م، و 8,12م، و7,45م) بينما القاعة الثانية فهي مربعة 7,51م، وتحتوي طبقته الأرضية على ثلاث قاعات متداخلة، وعلى طبقة أولى تحوي خمسة ممرات فوقها سطح يطل على مجموع القصبة، وتغطي القاعة الأولى قبة قائمة على مثلثات كروية جوفات مقوسة، وتختلف تلك المثلثات عن القاعتين الثانية، والرابعة بباب الرواح، فالمثلثات الكروية بالقاعة الأولى في باب قصبة الودايا مقصوصة على نسق خاص يسمى في المعمار المغربي مثمن بالدائرة، وتغطي القاعة الثانية قبة تستند على مثلثات كاملة تبدو شبه مقصوصة إذ ترتكز في أسفلها على إطار قائم على قوقعة وزخرفة نباتية تكتمل بها الزاوية الدنيا للمثلث الكروي الذي تقوم فوقه القبة، وبعد ذلك تأتي القاعة الثالثة، والأخيرة التي يغطيها قبو نصف أسطواني. راجع : Caillé Jacques, La ville de Rabat ., p.95-100

ويمكن القول، بأنه زيادة عن كون الباب الكبير باب قصبة أو حصناً من الحصون المهمة، فقد كان باب ساباط يولج منه إلي القصور، وكانت القاعة الأولى منه معدة لإيواء حراس السلطان الملازمين لأعتابه، الواقفين ببابه لحراسة قصوره، ومنازله،.ودوره، كما كانت القاعة الثانية، والثالثة يجلس بهما الخلفاء لاستقبال الوفود، والنظر فيما يتعلق بالجيوش، وفصل قضايا الجنود[1130]. وكذلك باب الرواح[1131]، ويمكن القول أن الظهور الأول للمدخل المنكسر كان في عمارة المشرق الإسلامي ثم انتقل منها إلى مصر، والغرب الإسلامي، حيث ظهر في عمارة المرابطين والموحدين، والذي ازدهر في كل من العدوتين، في مدن أشبيلية، ومراكش، والرباط في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ولقد تطور هذا الطراز، وبلغ الذروة في الجمال والرقة في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، في غرناطة، واحتفظت البلاد المغربية بالتقاليد المشرقية في هذا الطراز[1132].

وقد استخدمت ظاهرة الشطف المائل على بعض الأبواب الموحدية مثل برجي باب الأحد لتحويل الشكل المربع إلى شكل مثمن، هذه الظاهرة ظهرت في مصر على بعض العمارة الفاطمية[1133]، وهي الظاهرة التي وصل بها مهندس الدولة المرينية إلى ابتكار طراز جديد في تخطيط العمائر المغربية، تعتبر إحدى مميزات العمارة المرينية، وهي بمثابة توقيع البناء المريني على ما أنتجه من روائع العمارة والفن، وفي فن الزخرفة في العصر الموحدي فقدت سعفة الأكانتس تفاصيلها الداخلية، واقتصرت على الشكل المجرد ربما بتأثير إفريقية الفاطمية والمشرق. واتسمت العمائر الإسلامية في المغرب الأقصى باحتوائها على العديد من العناصر الزخرفية، سواء كانت زخارف هندسية أو نباتية أو كتابية، وكانت الزخرفة الهندسية أساسية منذ القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، حيث ظهرت في محاريب تينمل، والكتبية، وكانت سعفة الأكانتس هي العنصر الرئيسي في الزخرفة الزهرية في فن التوريق في العصرين المرابطي والموحدي، وقد اتصفت بالبساطة الأمر الذي سمح بترك مساحات فارغة دون الزخرفة[1134].

ويشمل الخط المغربي، بصفة عامة، مجموع خطوط بلاد المغرب والأندلس، أي تلك الرقعة الجغرافية التي كانت تمتد من صحراء برقة إلى نهر الإبرو بالأندلس، والتي تميزت تاريخيا بوحدة

(1130)- راجع : جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورباط الفتح، ج 1، ص 266.

(1131)- راجع : أسامة طلعت عبدالنعيم، ملامح تخطيط المدخل المنكسر في العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامي فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (11 ـ 13م)، أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة 1999م، ص 323 ـ 340.

(1132)- راجع : Marçais G., L'architecture musulmane d'occident, p. 244

(1133)- راجع : عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون.، ج 3، ص 128 ـ 136.

(1134)- راجع : سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون.، ص 505.

ذهنية ومذهبية وحضارية ذات خصوصيات واضحة المعالم، عليها قامت الحضارة المغربية التي تفاعلت فيها عناصر عربية وأمازيغية وإفريقية وأوربية بنسب متفاوتة، لكن ظلت الريادة فيها للثقافة العربية الإسلامية، التي أفادت الثقافات المذكورة وأغنتها كثيرا. ويطلق مصطلح الخط المغربي أيضا على الخطوط التي نشأت بالمغرب الأقصى، وحافظ عليها أهله، وهي حصيلة التيارات الواردة من المشرق عبر القيروان، وتلك التي انحدرت من الأندلس مع الهجرات المتتالية للأندلسيين، فاحتضنها أهل المغرب، وطوروها، وتفننوا فيها على مدى قرون. وقد انتشر الخط العربي ببلاد المغرب بالموازاة مع انتشار الإسلام منذ القرن الأول الهجري الأول، وأقبل الأمازيغ على تعلم الخط بموازاة إقبالهم على حفظ القرآن الكريم، وذلك للتمكن من كتابته، وبالتدريج استقر الخط الجديد في مدوناتهم وثقافتهم، وبلغت الكتابة المغربية عبر توالي القرون ازدهارا عكس طابعها الخاص، وقدرتها على استيعاب، وتطوير الخطوط القادمة من المشرق العربي من منظور محلي، صارت له ملامحه، وأشكاله الخاصة. وقد عرف الخط الكوفي انتشاراً واسعا منذ نشأة الدولة الإدريسية، وغلب عليه الطابع الشرقي، وهو الخط الذي استعمل على الدراهم الإدريسية. ثم اكتسح الخط الأندلسي منطقة الغرب الإسلامي، واستمر هذا التيار الأندلسي إلى العهد الموحدي، وتدل النماذج الخطية على إبداع أهل المغرب الأقصى إذ تسمح لنا بالتمييز بين الكوفي المرابطي والموحدي وأنواع أخرى من الخطوط اللينة، مثل المبسوط والثلث المغربي[1135].

ونجد اتفاقا في بعض الظواهر المعمارية والزخرفية بين مصر والمغرب الأقصى، ونذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر، بعض من مظاهر التأثيرات المغربية في العمارة الإسلامية في مصر، منها : انتشار التكوينات النباتية من التوشيحات التي تجمع بين الخطوط الهندسية والأشكال النباتية، بحيث تتوزع تموجات الأغصان، وانحناءاتها، وتقاطعاتها، وبداخلها، ومخارجها في الأشكال الهندسية توزيعا توقيعيا مصحوبا بالتناسق الذي يعتمد على التشابك، والتداخل، وحشو الفراغات الناتجة عن هذه التقاطعات الهندسية والتشابكات النباتية بوريقات أو سعف أو براعم أو زهيرات. وتظهر التأثيرات المغربية بوضوح في تصميم القباب المضلعة في عمارة مشاهد آل البيت في مصر، مثل : مشهد السيدة عاتكة والجعفري، (494 ـ 516 هـ / 1100 ـ 1120م) وقبة السيدة رقية (527 هـ/ 1144م)، وغيرها، كما تظهر هذه التأثيرات في المداخل البارزة في جامعي الحاكم بأمر الله، (379 ـ 403 هـ / 989 ـ 1013م)، وجامع الصالح طلائع (555هـ/ 1160م)، وأيضا في مدخل جامع الظاهر بيبرس المملوكي، (665 ـ 667 هـ / 1267 ـ 1269م). كما تظهر التأثيرات المغربية في تشييد المجاز القاطع، والقبة أعلى المحراب، وقبة البهو في المساجد المصرية، وكذلك في تصميم المساجد المعلقة في مصر، وتبدو التأثيرات المغربية واضحة في الغلاف البنائي لمئذنة جامع

(1135)- راجع : عمر آفا، ومحمد المغراوي، الخط المغربي تاريخ، ص 39 ـ 55.

الحاكم بأمر الله الفاطمي، (379 ـ 403 هـ / 989 ـ 1013م)، وفي الجوفات المقوسة بقبة الحافظ لدين الله بالجامع الأزهر،(359 ـ 361هـ/ 970 ـ 975م)، وفي مئذنة الجيوشي (479 هـ/ 1085م)، والجامع الأقمر (519 هـ/ 1125م)، وفي كثير من العناصر المعمارية والزخرفية بالمنشآت والفنون الأيوبية[1136].

وتعتبر الزخارف النباتية والكتابات الكوفية المحفورة على الجص في واجهات قبة الإمام الشافعي (608هـ/1211م)، أكثر الزخارف الأيوبية تأثراً بالمؤثرات المغربية، كما تبدو السمات المغربية أيضا في العقود المفصصة التي تظهر بالقائم الواقع بمحور الواجهة، والتي نرى نماذجه الأصلية في عقود جامع الكتبية (541هـ ـ 558م / 1146 ـ 1163م)، وغيرها من العمائر المغربية، كما تتجلى التأثيرات المغربية في بعض المآذن الأيوبية، والمملوكية، وبخاصة في الشكل المربع من مئذنة مسجد سيدنا الحسين (مشهد الإمام الحسين بالقاهرة 549هـ/ 1154م)، والمدارس الصالحية، (639هـ/ 1241م)، وقبة الخلفاء العباسيين (641 هـ/ 1243م) حيث استخدمت القاعدة المربعة في المآذن المغربية[1137].

ويمكن القول، أنه كما استعان الصناع وعرفاء البناء المغاربة بخبراء البناء في بلاد الأندلس، من جهة، وبلاد المشرق الإسلامي من جهة أخرى، فإنه بمرور الزمن لم يعد المغرب الأقصى مقتصراً على استقبال عمال البناء[1138] بل صار أبناؤه بعد الاحتكاك والممارسة لأعمال البناء يشاركون في أعمال البناء في الأندلس فضلا عن أعمال البناء بمدن المغرب نفسها، أي صار المغرب الأقصى مؤثرا بعد أن كان متأثراً فقط[1139].

(1136)- راجع : عبدالعزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج 2، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2000م، ص 137 ـ 138.

(1137)- راجع : عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية.، ص 90 ـ 95، والآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح.، ص 114.

(1138)- راجع : حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 374 ـ 376.

(1139)- راجع : ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة.، ص 474.

الخاتمة

نستخلص من دراسة عناصر التراث الفني الإسلامي في المغرب، العديد من النتائج التي تؤكد على عبقرية التراث المغربي بمكوناته المادية، وغير المادية، كما تؤكد على شخصية الفن الإسلامي المغربي المستقلة عن الفنون العالمية، ومن هنا يجب عدم المغالاة في الحديث عن التأثيرات المعمارية والفنية المشرقية، والأندلسية في الفنون الإسلامية المغربية، والعمل على تصحيح المصطلح الشائع بتسمية الفنون المغربية باسم: الفنون المغربية الأندلسية، على اعتبار أن الفن المغربي ظل تابعا للفنون الأندلسية، لأن هذا المصطلح لا يتوفر على الأسانيد العلمية، والتاريخية، والأثرية الكافية، لتأكيده، حيث أن الفنون المغربية، تثبت - بما لا يدع مجالا للشك -، أن حركة تبادل عناصرها المعمارية والفنية من المغرب إلى بلاد الأندلس، كانت أقوى من مثيلتها الأندلسية في العمارة والفنون المغربية، وأن الفن الأندلسي استفاد من ميراث الفنون المغربية، بقدر استفادة الفنون المغربية من عناصره الزخرفية، وأساليبه الفنية، وبمرور الزمن، صار أبناء المغرب يشاركون في أعمال البناء في الأندلس، كما أن الصناع والعرفاء المغاربة عملوا إلى جانب الصناع الأندلسيين، واستطاعوا أن يشيدوا بالاشتراك معهم أبنية، ومنشآت معمارية رائعة، لا تزال باقية شاهدة للعيان على التفوق، كما صنعوا العديد من التحف الفنية الزخرفية التي اشتملت على عناصر الابتكار العلمي والهندسي عبر العصور الإسلامية.

والثابت أثريا وفنيا، أن الفنون الزخرفية الإسلامية المغربية شأنها في ذلك شأن كل الفنون العالمية التي أخذت رحيقها من الفنون السابقة عليها، أو المعاصرة لها، ثم استطاعت أن تصهر كافة العناصر الفنية المختلفة الوافدة ، في بوتقة واحدة، تميزت بالخصوصية المغربية، وتفردت بالعديد من السمات المعمارية والزخرفية التي تؤكد شخصية الفنون الزخرفية المغربية جلية في كافة الأعمال المعمارية والصناعات الفنية الباقية من التراث الفني المغربي، والتي تم تسليط الأضواء عليها في هذه الدراسة التي قدمت لنا العديد من النتائج منها على سبيل المثال، وليس الحصر ما يلي:

• إضافة دراسة بيبليوغرافية مرجعية للمصادر التاريخية، والدراسات الحديثة العربية، والأجنبية التي تطرقت إلى دراسة التراث الفني الزخرفي في المغرب سواء من قريب أو بعيد، والوقوف على ما توصل إليه الباحثون من معلومات، ونتائج في هذا الموضوع.

• دراسة التراث الفني الزخرفي في العصور الإسلامية المبكرة في المغرب، وأشهر التحف الفنية الثابتة، والمنقولة في عهد الدولة الإدريسية، والمرابطية، وأهم الخصائص الفنية، والسمات الزخرفية في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المغرب الإسلامي.

• إلقاء الضوء على أقدم المنابر الخشبية الباقية في المغرب، وبخاصة المنبر الأول المؤرخ فيما بين: 369هـ - 375هـ/979م - 986م، المصنوع لجامع الأندلسيين بفاس، والمحفوظ حاليا في متحف البطحاء بفاس.

• أكدت الدراسة أن أقدم زخارف القباب الباقية في المغرب الأقصى تعود إلى فترة حكم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين 528هـ/1132م مثل زخارف قباب جامع القرويين بفاس، وزخارف قبة الباروديين بمراكش.

• مناقشة نظرية تخفيض وزن الدينار المؤمني، وأسباب حتمية التخفيض، والآراء المختلفة حول مخالفة الوزن الشرعي للدينار، وبيان أثر ذلك في الجانبين الاقتصادي والسياسي.

• وضع طريقة جديدة للتفريق بين الدينار، ونصف الدينار في عهد أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي، نظرا لتقاربهما الشديد سواء في الوزن أوالمضمون.

• أضافت الدراسة معلومات جديدة تثبت أن الخليفة عبدالمؤمن بن علي، مؤسس الدولة الموحدية، يعتبر من أهم رعاة الفنون الإسلامية خلال العصر الموحدي، وذلك عكس ما هو شائع عنه، وتشهد بذلك التحف الفنية الرائعة التي أمر بصناعتها، الباقية والمندثرة والتي تناولتها الدراسة بالشرح والتفصيل.

• حصر أسماء الصناع والفنانين الأندلسيين، ومقدار مساهمتهم في نهضة التراث الفني الزخرفي بالمغرب، وتوضيح أهم أعمالهم في المغرب، وهو ما يؤكد حرص الخلفاء الموحدين على جلب الصناع للمغرب من خارجه ليتعاونوا مع الصناع المغاربة في تشييد العديد من المنشآت والصناعات الفنية.

• قامت الدراسة بحصر ودراسة الثريات المغربية التي صنعت في العصور الإسلامية، والمحفوظة في العمائر والمتاحف بالمغرب،مثل الثريات المعدنية، ومصابيح النواقيس، والشماعد، والمسارج والمصابيح، وغيرها من تلك الأدوات النادرة، وتتبع الترميمات والإضافات المتتالية التي نُفِّذَت على هذه المواد الفنية، ونقوشها الزخرفية المتنوعة.

• قامت الدراسة بتحليل العناصر الزخرفية والأشرطة الكتابية، المنفذة على مواد التراث الفني الزخرفي في المغرب عبر العصور الإسلامية.

• قامت الدراسة بنشر بعض الكتابات المنفذة علىالتحف الفنية موضوع الدراسة، وقراءتها وتحليل مدلولاتها، وتصحيح بعض القراءات السابقة، مع شرح الألقاب الواردة عليها.

• أضافت الدراسة أسماء صناع مغاربة برعوا في صناعة التحف الفنية الزخرفية إلى قوائم صناع المعادن في العالم الإسلامي.

• إلقاء الضوء على جزء هام من أجزاء الثريا لم يلق الاهتمام من قبل، وهو ساق الثريا الذي اشتمل على كتابات تسجيلية على درجة كبيرة من الأهمية.

• أثبتت الدراسة أن التعديل الأول للأمداء النبوية المصنوعة في المغرب الأقصى، قد تم في العهد الإدريسي، يليه التعديل الثاني الذي تم في عهد الخليفة المنصور الموحدي، وليس كما هو شائع بأن أول تعديل للأمداء النبوية في المغرب الأقصى قد تم في عهد الدولة المرينية.

• تتبع وحصر وتصنيف أهم التحف الفنية في عصر بني مرين وفقا لتسلسلها التاريخي.

• محاولة الكشف عن أهم السمات الفنية والزخرفية في عهد دولة بني وطاس، من خلال تتبع ودراسة الإشارات التاريخية الواردة في هذا الموضوع، وتتبع العناصر المادية والمندثرة من المنشآت العمرانية في تلك الفترة.

• إلقاء الضوء على العلاقة الوثيقة التي ربطت فنون المغرب الأقصى، وفنون مشرق العالم الإسلامي، ووضحت الوحدة الفنية سواء في الطرق الصناعية والأساليب الزخرفية، حيث كانت هجرة الصناع المتواصلة بين المشرق، وبلاد المغرب، والأندلس، وحركة قوافل الحجيج المغاربة من أهم عوامل تبادل المؤثرات الفنية بين المشرق والمغرب.

• دراسة القطع النقدية الذهبية في العصر السعدي، والتي تمثل فترة حكم أمير المؤمنين أبو العباس أحمد المنصور بالله. وتفسير بعض القضايا غير المفهومة، وخاصة المتعلقة بالطرز الفنية، وبالأوزان النقدية التي ضربها أبو العباس أحمد المنصور بالله، وكيفية توفير معدن الذهب، وتفسير لَقَبُه " بالذهبي".

• قامت الدراسة بتحليل النقوش الكتابية المنقوشة على دنانير أمير المؤمنين أبي العباس أحمد المنصور بالله، وما تحمله من ألقاب ورموز، وزخارف متنوعة. وتحديد أماكن دور الضرب العملة الذهبية السعدية في عهد أمير المؤمنين أبو العباس أحمد المنصور بالله.

• شرحت الدراسة أسماء، وألقاب أبي العباس أحمد المنصور بالله، وناقشت مضمون كتاباتها التسجيلية، وأسلوب تنفيذها، وتوزيعها، وتنوع أشكالها بين الشكل الدائري، أو الشكل المربع داخل الدائرة، ووصفتها وصفاً علمياً دقيقاً.

• دراسة القطع النقدية الذهبية التي ترجع إلى أواخر الدولة السعدية، وتقسيمها إلى عدة طرز فنية وفق تسلسلها الزمني، وحسب المعطيات الفنية والأثرية، وشرح أشكال تلك النقود، وطرقها الصناعية، وأساليبها الزخرفية.

• دراسة الأسماء، والألقاب الخاصة بالخلفاء، والسلاطين الذين حكموا المغرب خلال العصور الإسلامية، منذ الفتح العربي إلى أواخر العصر السعدي، وتفسير مدلولاتها السياسية، لمعالجة العديد من الإشكاليات، والحوادث التاريخية، والقضايا الاقتصادية، والسياسة، والاجتماعية، في ضوء ما ورد من إشارات في كتابات المصادر التاريخية.

• حصر أهم دور ضرب النقود الذهبية في المغرب في العصور الإسلامية، وإضافة مراكز صناعية جديدة إلى قائمة دور ضرب العملة في المغرب الأقصى، وتحديد السمات الفنية والصناعية المميزة لكل جهة.

• كشفت الدراسة عن أسماء بعض المهندسين، والعمال، والمشرفين، والعرفاء، والصناع المغاربة، الذين ساهموا في ازدهار الفنون الزخرفية في المغرب عبر العصور الإسلامية.

المصادر والمراجع

<u>أولا: المصادر</u>

- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه، عبدالوهاب بنمنصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م.
- ابن أبي زرع الفاسي (علي بن عبدالله)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- البيدق (أبي يكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، راجعه عبدالوهاب ابن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 2004م،
- التميمي، (أبي عبدالله محمد بن عبدالكريم التميمي الفاسي)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، ق 1، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ط1، الرباط، 2002م.
- ابن جبير، رحلة أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير، ط2، ليدن، مطبعة بريل، 1970م.
- ابن الخطيب، لسان الدين، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المحمدية، المملكة المغربية، 1979م.
- بوجندار (أبي عبدالله محمد)، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، مطبعة الجريدة بالرباط، جمادى الثانية عام 1345هـ/1926م
- ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، وهو القسم الآخر من التاريخ الكبير المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج1، راجعه وصححه، البارون دسلان، طبع في دار طباعة الدولة في المغرب، سنة 1581م.

- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر وماعاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة البهية المصرية بالأزهر، مصر، بدون تاريخ.
- الزركشي (أبي عبدالله محمد بن إبراهيم)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م،
- ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبدالهادي التازي، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة كتب التراث، 68، العراق، 1979م.
- المراكشي (ابن عذاري)، البيان المغُرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ط1، 1985م.
- المقري، مختصر كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1، اختصار وتقديم أحمد مهدلي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2007م.
- ابن القاضي المكناسي (أحمد بن القاضي المكناسي)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، القسم الأول، 1973م.
- ابن القطان (أبي محمد حسن بن علي بن محمد عبدالملك الكتامي المراكشي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمو علي مكي، دار الغرب الإسلامي، 1990م.
- علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب منصور، ط2، المطبعة الملكية الرباط 1991م
- ابن الأحمر (إسماعيل)، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المكتبة المكليو، الرباط، 1991م.
- الناصري، (أحمد بن خالد السلاوي)، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 4، تحقيق، أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية، 2001م.

- الكتاني، (الشريف أبي عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج2، تحقيق عبدالله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م،
- الضعيف (محمد بن عبدالسلام)، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق: أحمد العماري، دار المأثورات، ط 1، 1406هـ/ 1968م .
- الدكالي (محمد بن على)، الاتحاف الوجيز ـ تاريخ العدوتين ـ، تحقيق مصطفى بو شعرا، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، المغرب / 1968م.
- المقدسي، (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث، بيروت، 1987م.
- ابن المرابط، (أبو العلاء محمد بن علي المرادي)، زواهر الفكر وجواهر الفقر، تخقيق :د. أحمد المصباحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 2010م.
- المراكشي، (أبي محمد عبدالواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006م.
- ابن مرزوق (محمد التلمساني)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م،
- ابن منظور، (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري)، لسان العرب، مج 14، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- مؤلف أندلسي، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل ذكار، وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م
- ياقوت الحموي (شهاب الدين ابو عبدالله)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي. بيروت، (بدون تاريخ)

ثانيا: المراجع العربية

- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، الدار البيضاء، 2002م.
- إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من عطاءات الحضارة الأندلسية، بحث منشور بندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، 1996م.
- أحمد رجب محمد علي، المسجد النبوي بالمدينة المنورة في الفن الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000م.
- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة، 1965م.
- أحمد شوقي بنبين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة مصطفى طوبي، ط 1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2003م.
- أحمد الطاهري، الجمالية المغربية على عهد المرينيين، ملاحظات حول الفن الزخرفي بمدارس فاس، المناهل، مطبعة دار المناهل، الرباط، 1974م.
- أحمد الطويلي، تاريخ القيروان الثقافي والحضاري، تونس، 2001م.
- أحمد مختار العبادي، البعد المتوسطي في الثقافتين المصرية والمغربية في العصر الوسيط، الندوة الرابعة العلاقات المصرية المغربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م.
- أحمد الشرقاوي إقبال، البصرة، معلمة المغرب، مطبعة سلا، 1991م.
- باسيليوبابون مالدونادو، الفن الإسلامي في الأندلس، الزخرفة النباتية، ترجمة على إبراهيم على منوفي، مراجعة محمد حمزة الحداد، 2002م.
- بشير رمضان التليس، وجمال هاشم الذويبن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م.
- ثروت عكاشة، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري، دار المعارف بمصر 1974م
- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، 1957م.

- حسن الباشا، الكتابات الأثرية وصلتها بالحضارة، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج 3، مطبعة أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1999م.
- حسن السائح، التاريخ العلمي لجامعة القرويين، منشورات الإيسيسكو، الرباط، 1997م.
- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس «عصر المرابطين والموحدين» ط 1، مكتبة الخانجي بمصر، 1980م.
- حسن حافظي علوي، جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد الثالث والعشرون، 1999م.
- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج2، ج 2، دولة المرابطين والموحدين والحفصيين، العصر الحديث، للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
- حليمة بنكرعي، سك النقود في المغرب في الفترة ما بين 1471 ـ 1603م، العددان السابع والثامن، مجلة تاريخ المغرب، السنة الثامنة عشر، محرم 1419هـ/ مايو 1998م.
- دانييل أوستاس، تاريخ النقود العربية ومايتعلق بموازينها ومقاييسها، ترجمة عبداللطيف أحمد خالص، مجلة البحث العلمي.
- ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد عيسى، مراجعة أحمد فكري، دار المعارف، ط 3، 1982م.
- زكي محمد حسن، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط 1، 1948م.
- رأفت محمد النبراوي، السكة الإسلامية في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ط1، القاهرة، 1993م.
- رأفت محمد محمد النبراوي، النقود الإسلامية، منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000م.

- رشيد السلامي، قراءة في النقود المرينية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 23، 1999م.
- رشيد الناضوري، المغرب الكبير، طبعة الدار القومية،القاهرة، 1966م.
- عباس الجراري، إقليم الصخيرات تمارة مهد تاريخي أصيل، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1994م.
- عبدالحفيظ الطبايلي، مصدر عثماني حول تاريخ المغرب السعدي، « البحر الزخار والعيلم التيار، لمؤلفه مصطفى الجنابي، مجلة التاريخ العربي، ع 12، الرباط خريف 1420هـ/1999م.
- عبدالرحمن فهمي محمد، صنج السكة في فجر الإسلام، مطبعة دار الكتب المصرية، 1957م.
- عبدالرحمن فهمي محمد، المسكوكات،كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، 1970م.
- عبدالرحمن فهمي محمد، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، فجر السكة العربية، مطبعة دار الكتب 1965م.
- عبدالرحيم شعبان، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، (524 ـ 668 هـ/ 1129 ـ 1269م)، رسالة جامعية، شعبة التاريخ، كلية الآداب، الرباط 1995/ 1996م.
- عبدالعزيز بنعبدالله، الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال، مجلة اللسان العربي، العدد 1، 1972.
- عبدالعزيز بنعبدالله، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج1، 2001م
- عبدالعزيز بنعبدالله، الأثر الإسلامي في الفن المغربي، مجلة الرسالة الخالدة، 1963م
- عبدالعزيز بنعبدالله، رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة، منشورات جمعية رباط الفتح، 1990م.
- عبدالعزيز بنعبدالله، المغرب الأقصى يحتضن التراث الأندلسي، مجلة التاريخ العربي، العدد 12، خريف، 1999م.

- عبدالعزيز بنعبدالله، ثلاثة قرون بين الشام والمغرب عبر الأندلس، مجلة التاريخ العربي، العدد 14، ربيع 2000م.
- عبدالعزيز توري، البصرة، معلمة المغرب، مطبعة سلا، 1991م.
- عبدالعزيز توري، حول كنز صغير حديث الاستكشاف، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، العدد 03، الرباط، المغرب، شوال 1404/ يوليو 1984م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، مركز الكتاب للنشر، ج1، 1989م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، مركز الكتاب للنشر، ج2، 2000م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2010م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2011م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، وابنه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف، محفوظة في متحف الرباط، بالمملكة المغربية، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، ع 11، 2007م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، نقود ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم الخليفة المرتضى أبو حفص والخليفة الواثق بالله، محفوظة في متحف الرباط بالمملكة المغربية، مجلة العصور مج 17، ج1 يناير 2007م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، النقوش التسجيلية في الفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى خلال العهدين الموحدي والمريني، بحث منشور بمجلة وقائع تاريخية، يصدرها مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب - جامعة المنيا، العدد 18 يناير 2013م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، الأمداء النبوية في الدولة العلوية بالمغرب الأقصى، دراسة أثرية فنية، بحث مقبول للنشر بمجلة كلية الآثار مجلد 16 (قيد الطبع).

- عبدالعزيز صلاح سالم، " The Architectural Styles of Islamic Domes in Morocco بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي Domes in the World بمدينة فلورانسا في إيطاليا في الفترة من 19 إلى 23 مارس 2012م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، إضافات جديدة على نقود الدولة السعدية، في ضوء نشر مجموعة مخزن المتحف الوطني للآثار بالرباط، دراسة أثرية فنية، بحث منشور بحولية مركز الكتابات والنقوش بمكتبة الإسكندرية، أبجديات، العدد 5، أكتوبر 2010م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، تطوان غرناطة المغرب، روائع الآثار المغربية، ج 9، دار نشر المعرفة، الرباط، 2011م.
- عبدالعزيز صلاح سالم، شفشاون عبق التاريخ، روائع الآثار المغربية، ج 10، دار نشر المعرفة، الرباط، 2011م.
- عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة ببيروت، د.ت.
- عبدالكريم الشيلي، الأربطة والمرابطة بإفريقية من خلال النوازل المالكية (ق 8 ـ 10 م)، مجلة التاريخ العربي، العدد 25، شتاء 2003م.
- عبدالكريم كريم، معركة وادي المخازن من خلال الوثائق التاريخية، مجلة التاريخ العربي، العدد الثالث، الرباط، صيف 1997م.
- عبدالكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، ط 3، 2006م.
- عبدالكريم كريم، المحمدية قاعدة بلاد السوس وأم القرى والأمصار وملاك باب السودان، مجلة التاريخ العربي، العدد 15، صيف 1421هـ/ 2000م.
- عبدالكريم كريم، الفتح المغربي لبلاد السودان، مجلة التاريخ العربي، العدد الرابع عشر، الرباط ربيع 1421هـ/ 2000م.
- عبدالكريم كريم، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ن المغرب، 1999.

- عبدالكريم كريم، رباط الفتح عاصمة الثقافة العربية 2003م، مجلة التاريخ العربي، العدد 26 ربيع 1424هـ/2003م.
- عبدالله السويسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1979.
- عبد القادر الخلاوي، لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في المجتمع الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد التاسع والعاشر، السنة الثامنة، 1965م.
- عبدالهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، مج 1، مج 2، مج 3، دار الكتاب اللبناني، 1972م.
- عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، فصلة من مجلة كلية الآداب، جامعة الأسكندرية، العدد 14، 1960م.
- عبدالهادي التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، 1983م.
- عبد الواحد العسري، مدخل لدراسة كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت، مجلة كلية الآداب بتطوان، عدد1، سنة 1986م.
- عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 1، ط 1، الرباط، 1992م.
- عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج3، عصر دولة الموحدين، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.
- عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 4، عصر الدولة المرينية ودولة بني وطاس، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993.
- عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 5، عصر الأشراف السعديين والعلويين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993.

- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، بيروت، 1975م .
- عفيف البهنسي، الفن الإسلامي، دار طلاس، دمشق، 1998م.
- عمار الطالبي، رسالتان موحديتان، ضمن مخطوط كتاب «أعز ما يطلب لابن تومرت»، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ج 1، سلسلة الدراسات التاريخية، 1، 1979م.
- عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع.18، لسنة 1993م.
- عمر أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1988.
- عمر آفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر، أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993م
- عمر آفا، النقود في العهد السعدي نماذج ببيليوغرافية، العددان السابع والثامن، مجلة تاريخ المغرب، السنة الثامنة عشر، محرم 1419هـ/ مايو 1998م،
- علي محمد محمد الصلابي، دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، 1992م.
- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مكتبة الأسرة،القاهرة، 2000م.
- سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 1996م.
- سعاد ماهر، كتاب الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.
- سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986م.

- سليمان مصطفى زبيس، الفنون الإسلامية في البلاد التونسية، المعهد القومي للآثار والفنون، 1978م.
- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م
- السيد عبدالعزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، 1986م.
- السيد عبدالعزيز سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة، بحوث إسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.
- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1982م.
- السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، 1999م.
- صالح يوسف بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- صالح يوسف بن قربة، دور الأعلام والرايات في تاريخ المرابطين، مجلة التاريخ العربي، العدد 23، صيف 2002م.
- صالح يوسف بن قربة، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين و الحفصيين و المرينيين خلال القرون السادس و السابع و الثامن للهجرة – الثاني عشر و الثالث عشر و الرابع عشر للميلاد – دراسة حضارية، مخطوط دكتوراه ، 1994/1995م.
- صالح يوسف بن قربه، انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحي في القرون الوسطى، ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،ط 1، 1995م.
- ليوبولدونوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، الناشر، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1979م

- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع، والسيد عبدالعزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
- محمد أبايا، مسألة النقود في الفكر الاقتصادي الإسلامي، الحوليات المغربية للاقتصاد، العدد 7، شتاء 1993م.
- محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تأسيس سلا والرباط، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج 1، مطبعة فضالة، المغرب، 1994.
- محمد حجي، أحمد المنصور الذهبي، معلمة المغرب، ج1، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، 1989م.
- محمد حجي، السعديون، معلمة المغرب، مطابع سلا، 2002م.
- محمد حمزة الحداد، المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، 2006م.
- محمد الشريف، مسألة سك العملة بين ابن حزم وأبي العباس العزفي من خلال مخطوط مغربي جديد حول النقود والأوزان والمكاييل، مجلة تاريخ المغرب، العددان السابع والثامن، الرباط، مايو 1998.
- محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين بمدينة فاس، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة 17، الرياض، المملكة العربية السعودية، رجب، شعبان، رمضان، 1421هـ/ 1996م، وعمارة المدرسة بين مصر والمغرب، دليل على التواصل الحضاري، الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثار بين العرب، القاهرة، 1997م.
- محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964م.
- محمد عبدالحي الكتاني، ماضي القرويين ومستقبلها، تعليق عبدالمجيد بوكاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م.
- محمد السويسي، العلوم والاستكشافات ودورها في تطوير الصناعات والفنون، كتاب الفن العربي الإسلامي، ج 1، تونس 1994م

- محمد المغراوي، ملاحظات حول مسالة الحسبة في الدولة الموحدية، مجلة دراسات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، العدد 2، 1988م.
- محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، كلية الآداب، الرباط، 2، 1977م.
- محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ، 6، الرباط، 1977م.
- محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث وورشات 2، 1991م.
- محمد المنوني، أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، المغرب، 2000م.
- محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1996م.
- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 2، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1990م.
- محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1980م.
- مراد الرماح، ملاحظات حول ضرب السكة بالقيروان، أفريقية، المعهد الوطني للتراث، عدد 19، تونس، 2002م.
- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، الجزائر 1982م.
- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيرقت، لبنان 1997م.
- نور الدين مفتاح، فهرس المسكوكات المغربية من العهد الإدريسي إلى العهد السعدي، مجموعة

السيد رشيد الصبيحي، ج1، بحث نهاية دبلوم السلك الثالث لعلوم الآثار والتراثن المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، 2001ـ 2002م.

- هاني محمد الجواهرة، اللباس والزخرفة والحلي، علاقة الزخارف المعمارية الإسلامية بفنون السجاد والحلي والكتاب، مجلة التاريخ العربي، العدد 19ن صيف 2001.
- يونان لبيب رزق، ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة من عام 1912م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1990م.

المراجع الأجنبية

- Abdeltif El Khammar, mosquées et oratoires de Meknès (Ixe – XVIIIe siecles) : géographie religieuse, architecture et problème de la Qibla, Faculté de géographie, histoire, histoire de l'art et tourisme, Université Lumière, Lyon II, 2005.
- Arabesques et Jardins de paradis Collections Françaises d'art islamique, Musée du Louvre, paris, 15 Janvier 1989 – 16 Octobre 1990.
- Atil Esin and chase W.T., Islamic Metalwork in the Freer gallery of Art, Washington, 1985.
- Barbura Brend, Islamic Art, British Museum Press, 1991-
- Baer Eva, Metalwork in Medieval Islamic Art, New York, 1983.
- Barrucand M., Structures et charpentes alaouites à partir d'exemples de Meknès, in B.A.M., T. XI, 1976.
- Barrucand M., L'architecture de la Qasba de Mawlay Ismaïl à Meknès, E.T.A.M, T. VI, Rabat, 1976.
- Bel Alfred, inscriptions Arabes de Fès, Journal Asiatique, Tom X, Paris, Juillet – Août 1917.

- Bel A., Contribution à l'étude des dirhems de l'époque almohade d'après un groupe important de ces monnaies, récement découvert à Tlemcen, Hespéris, Tome XVI,1933.
- Ben Abdellah A., l'art magrebin, Publications de l'université de Rabat,Faculté des letters et des sciences socials, Rabat, 1961.
- Ben Romdhane, K., Les Monnaies almohades: aspects idéologiques et économiques, Thèse de Doctorat, Université de Paris VII, 1978
- Berchem M.V., Titres califiens d'occident : à propos de quelques monnaies merinides et ziyanides, SD.
- Brethes J.D., contribution à l' histoire du Maroc par les recherches numismatiques, monnaies inédites ou très rares de notre collection, Casabalanca, 1939
- Benslimane Hassar J., Les relations entre art Mérinide et art Nassride, in publication patronato de Alhambra y généralife junta de Anda Lucia, granada, 1995.
- Benslimane Hassar J., Le passé de la ville de Salé dans tous ses états: histoire, archéologie, archives, éditions Maisonneuve et Larose, Paris, 1992.
- Caillé J., La Ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, vol. II, Vanoest, MICMXLIX, Fig. 187.
- Collectif, Six mille ans d'art au Maroc: de l'empire romain aux villes impériales, Le Plessis-Robinson, Paris-Musée, Paris, 1990.
- Colin G. S., Monnaies de la periodeIdrisite trouvées à Volubils, Hespéris, Tome XXII, 1936, pp.113 – 125 ; Monnaies de la periodeIdrisite trouvées à Volubils, Hespéris, Tome XXII.
- De l'Empire Romain aux villes impériales, Musée du petit palais, 1990
- Deverdun G., Découverte d'un trésor monétaire près de Boujad, Hespéris, Tome XLV, 1958.

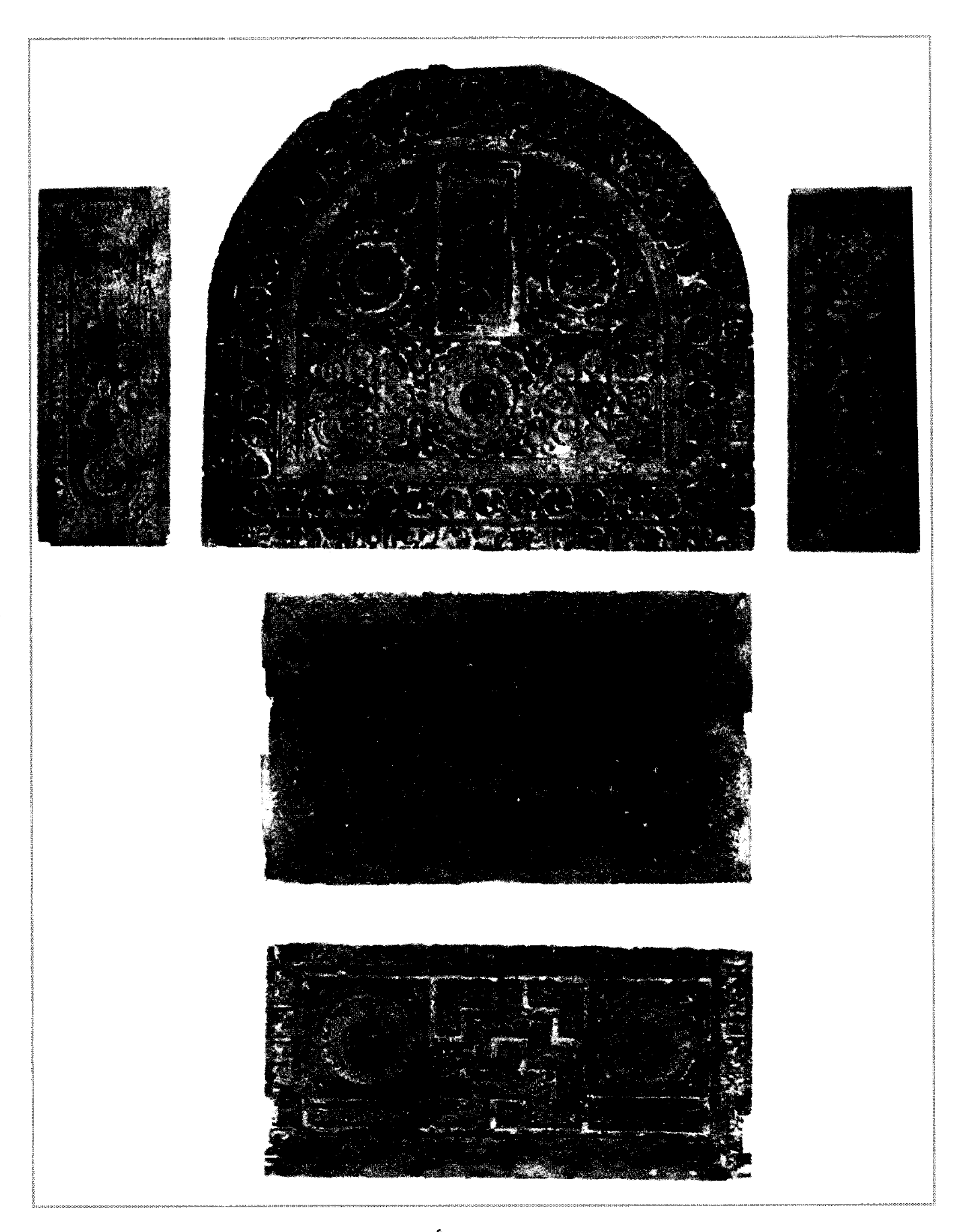
- Deverdun G., Trois dinars marocains dont un faux, Paris, Presses Universitaires de France, 1957.
- Exposition, L'orient de Saladin, l'art des Ayyoubides, Exposition présentée à l'institut du monde Arabe, paris, du 23 Octobre 2001 au 10 Mars 2002, Gallimard,2001.
- Eustache D., Corpus des dirhams Idrisites et contemporains, Collection de la Banque du Maroc et autres Collections Mondiales publiques et privées, Rabat, 1970-1971.
- Eustache D., Corpus des Monnaies Alawites, Collection de la Banque du Maroc et autres collections mondiales, publiques et privées, Rabat, 1984.
- Elhadri M., Les Monnaies du Maroc médiéval : État de la question, Mémoire de DEA en Histoire et Archéologie Médiévale, Sous la direction du Prof Pierre Guichard, Université Lumière-Lyon 2, 2002.
- Ettahiri A., Nouvelles remarques sur la zawiya mérinide d'al-Nassak à salé, BAM, 2007:
- Ettinghausen R., Grabar O. and Marilyn, Islamic Art and Architcture 650/1250, The Yale University Press, July 2003.
- Ettinghausen R. Originality and conformity in Islamic Art and Archaeology, Collected Papers, Berlin, 1984.
- Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce de al-Andalus y el Maghreb, Miscellanées de Estudios Arabes y Hebraicos, Secion Arabe-Islam, 48, Grenade, 1999.
- FontenlaBallesta, S., « La numismática almohade », Jarique de Estudios Numismáticos Hispano-Árabes, 1, 1988.
- Golvin Lucien, La madrasa médiévale, Edisud, 1995

- Grabar Oleg, The Formation of Islam, Revised and Enlarged, September 1987.
- Gonzalez Valérie, Beauty and Islam : Aesthetics in Islamic Art, London, 2001.
- Hillenbrand Robert, Islamic Architecture, New york, 1994
- Hoag John D., Western Islamic Architecture, New York, 1983.
- Jonathan Bloom and Sheilal Blair, Islamic Arts, Phaidon Press, 1997
- Les Andalousies, de Damas à Courdoue, Cat. Exp., Institut du Monde Arabe, 2001.
- Marçais G., L'architecture musulmane d'occident, Paris, 1954.
- Marçais G., Les échanges artistiques entre l'Égypte et les pays musulmans occidentaux, in Hesperis, 1934.
- Markus Hattstein, Peter Delius, Arts et Civilisations de l'Islam, Köneman, 2000.
- Maoudoud Khaled, Kairouan, Tunis, 1991.
- Paccard André, Traditional Islamic Craft in Moroccan Architecture, 2 Vol., Saint-Jorioz, 1980.
- Peltre Christine, Orientalism in Art, New york, 1998.
- Rachida Alaoui, Castumes et parures du Maroc, ACR Edition, Paris, 2003.
- Rice D. S., Studies in Islamic Metalwork – V, BSOAS, XVII/2, 1955.
- Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne, paris, 1924.
- Robinson B. W., and Others, Islamic Art in the Keir Collection, London, 1988.
- Sijelmassi M., Les arts traditionnels marocains, Genève, Suisse, 2002.
- Sijelmassi Mohamed, Fès cité de l'art et du savoir, ACR édition, Fondation ONA, Paris, 1991.
- Stierlin Henri, Islam de Bagdad à Cordouve des origines au XIIIe Siècle, Taschen, 2002.

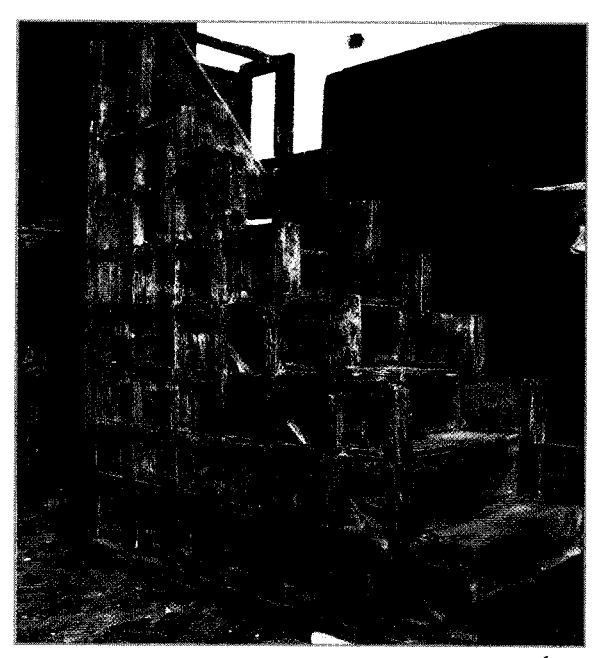
- Terrasse H., & J. Hainaut, Les arts décoratifs du Maroc, éd. H. Laurens, Paris, 1925.
- Terrasse H., Le décor des portes anciennes du Maroc, in Hesperis, T. III, 1923, P. 147-174.
- Terrasse H., Minbars anciens du Maroc, in Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, T. II, imprimerie officielle de l'Algérie, Alger, 1957.
- Terrasse H., La grande mosquée de Taza, les éditions d'art et d'histoire, Paris, 1971.
- Terrasse H., L'art de l'empire almoravide : ses sources et son évolution , in Studia Islamica, III, Larose, Paris, 1955
- Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine à Fès, Archéologie méditeranéenne, III, C. Clincksieck, Paris, 1968
- Terrasse H., La mosquée des Andalous à Fès, éditions d'art et d'histoire, Paris, 1942.
- Terrasse H., Taza notice historique et archéologique, Bulletin de l'Enseignement Public, n°171,1942.
- Terrasse M., Le mobilier mérinide, in B.A.M., T. X, 1976.
- Ward R., Islamic Metalwork, British Museum, 1993.
- Vicaire Marcel, Note sur quatre mesures d'aumone inédites, Hespéris, Tome XXXI-Paris, 1944.
- Zozaya J., Lampara, Art islámico en Granada, Propuesta para un museo de la Alhambra, Grenade, n° 187, 1995.

اللوحـــــات

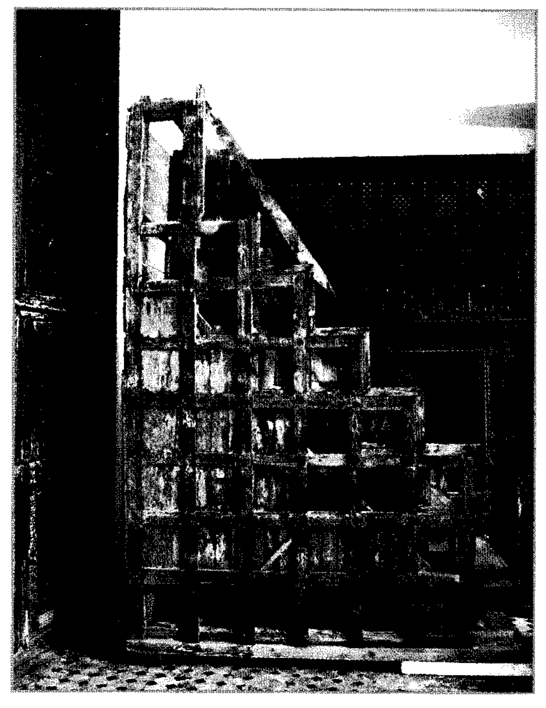




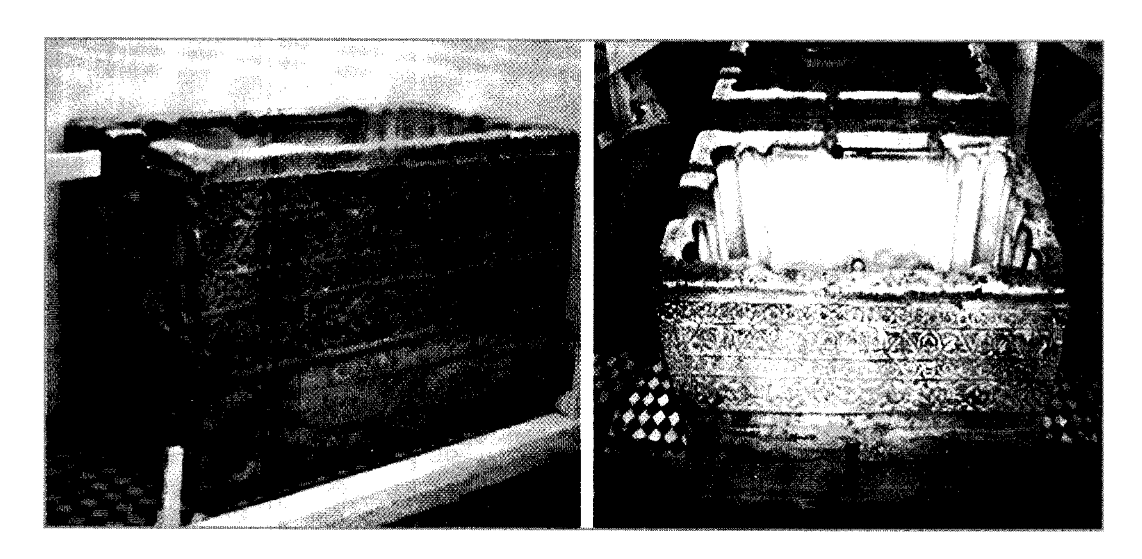
لوحة 1 : الحشوات الخمسة الباقية من منبر جامع الأندلسيين في فاس، محفوظة بمتحف الفنون، والتقاليد، دار البطحاء بفاس. (تصوير أ. منتصر لوكيلي)



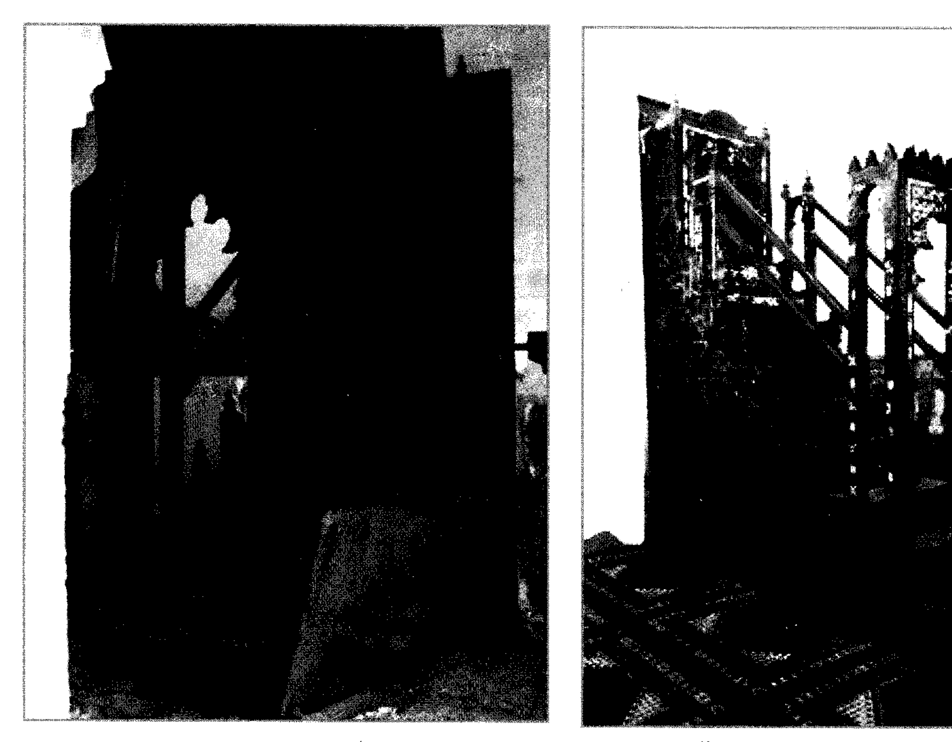
لوحة 2 : منبر جامع الأندلسيين في فاس، نقلا عن:
Terrasse H. la mosquée des Andalous à Fès, paris 1942, pp. 35-44



لوحة 3 : منبر جامع الأندلسيين في فاس. (تصوير أ. منتصر لوكيلي)



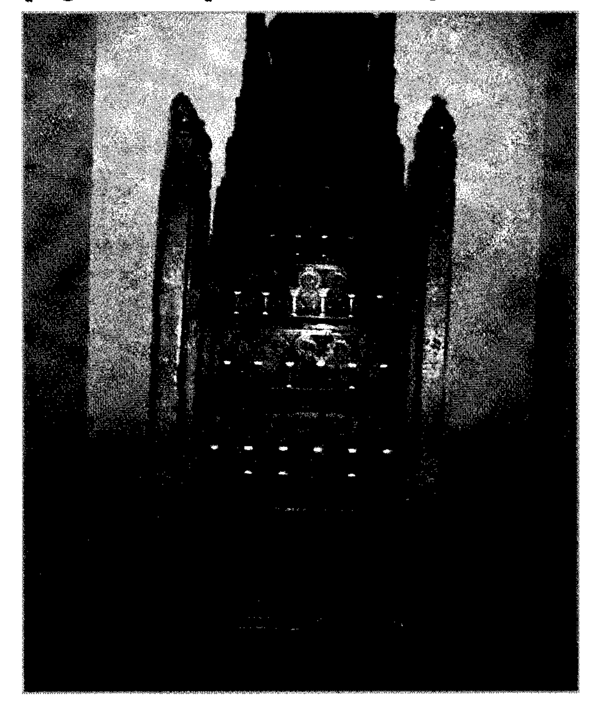
لوحة 4 : حوض من الرخام الأبيض مؤرخ في عام 392 - 398هـ/ 1001 - 1007م، محفوظ في متحف دار سي سعيد بمراكش



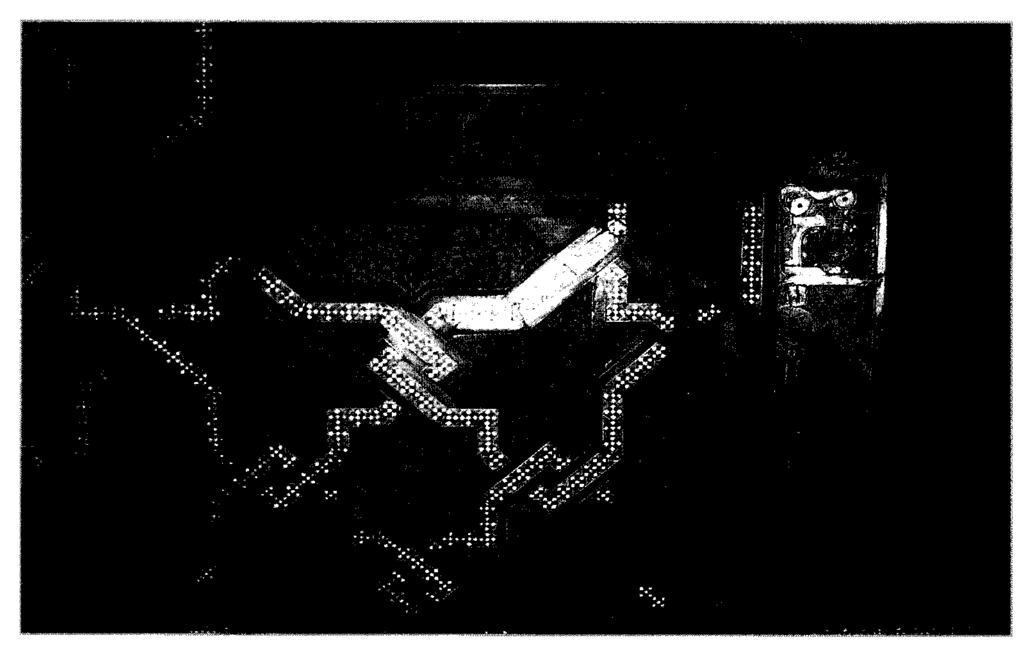
لوحة 5 : منبر جامع القرويين في فاس



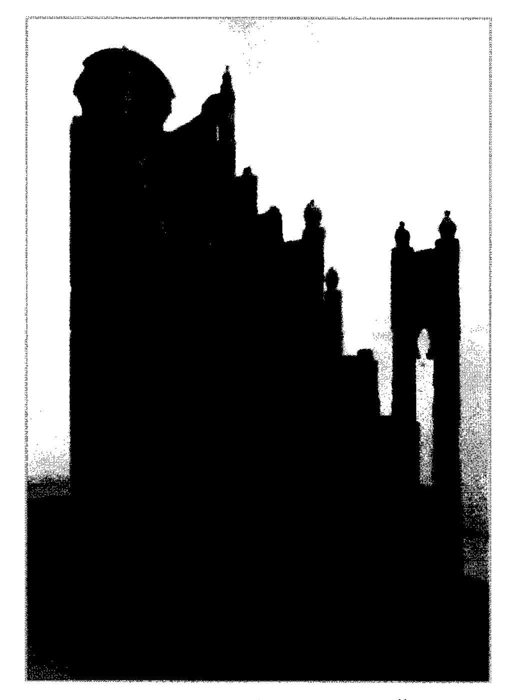
لوحة 6 : منبر جامع الكتبية، محفوظ في قصر البديع في مراكش



لوحة 7 : منبر جامع الكتبية، محفوظ في قصر البديع في مراكش



لوحة 8 : تفاصيل النقوش الكتابية والزخرفية على منبر جامع الكتبية، محفوظ في قصر البديع في مراكش

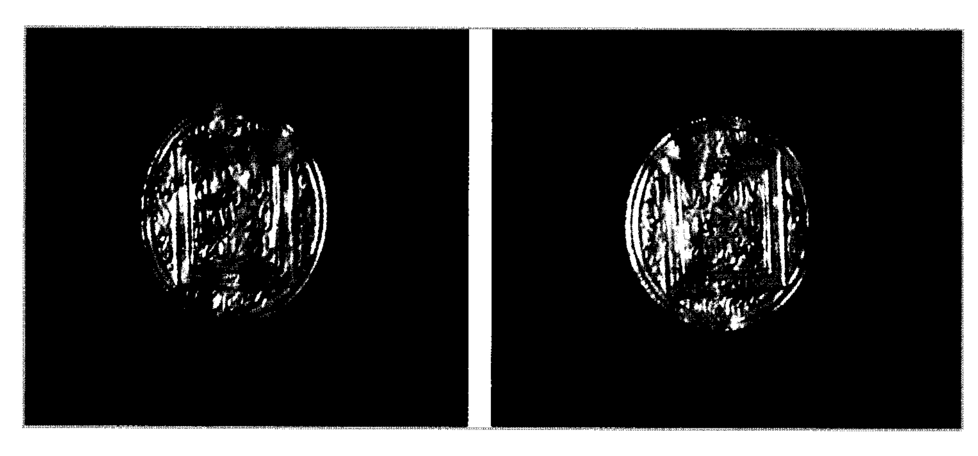


لوحة 9 : منبر جامع الكتبية بمراكش

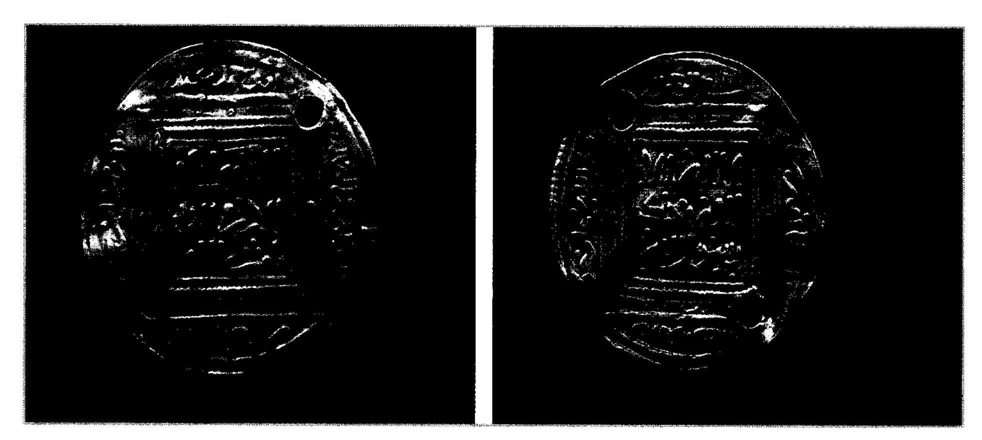


لوحة 10 : تفاصيل عنزة جامع القرويين بفاس

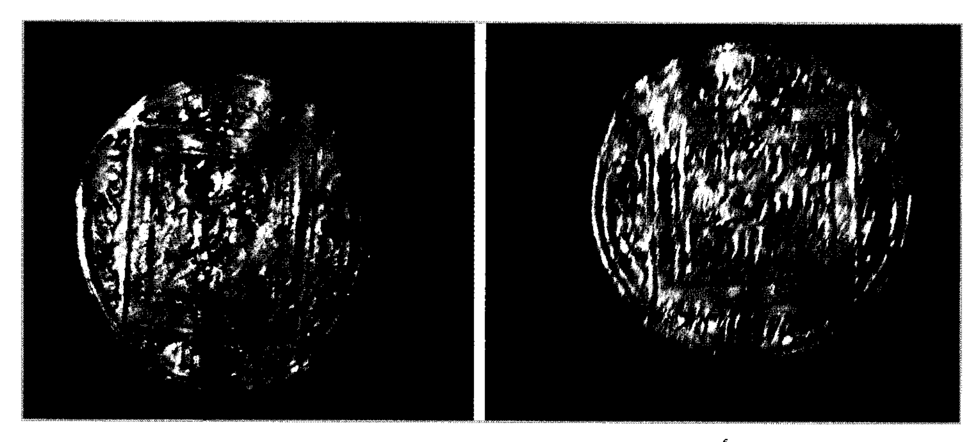
لوحة 11 : تفاصيل زخارف قبة الباروديين بمراكش



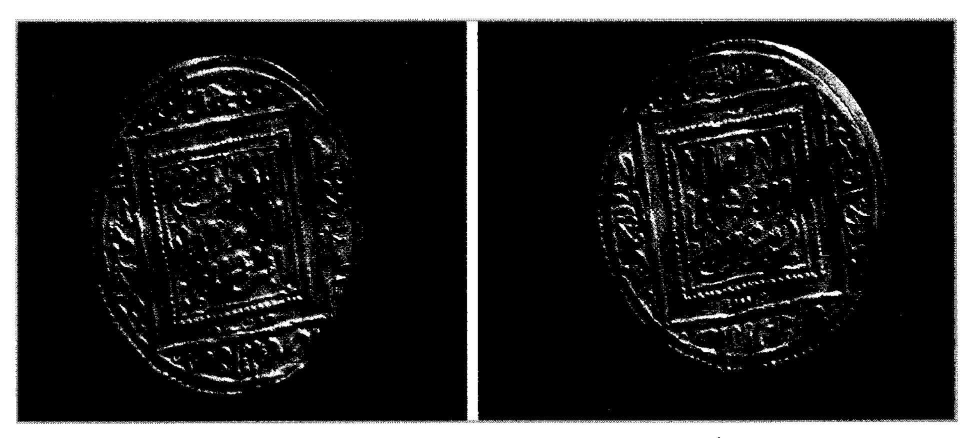
لوحة 12 : دينار باسم أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، يحمل رقم سجل 253 بمتحف الرباط



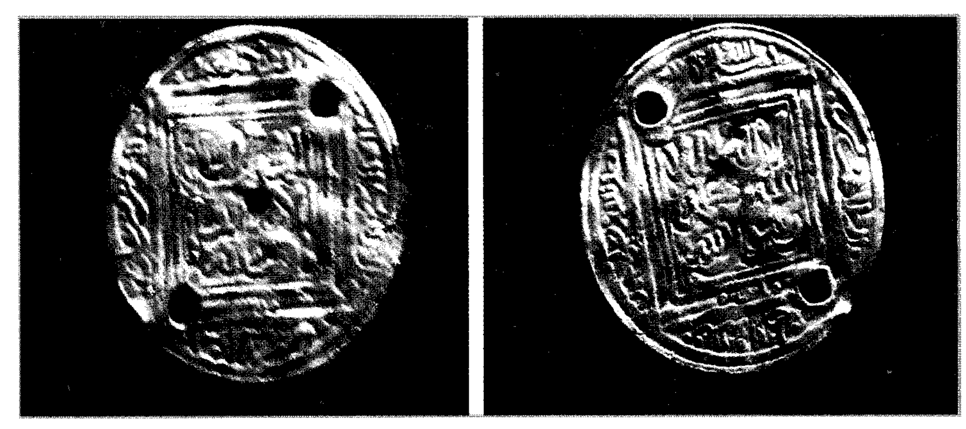
لوحة 13 : دينار باسم أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، يحمل رقم سجل 2333 بمتحف الرباط



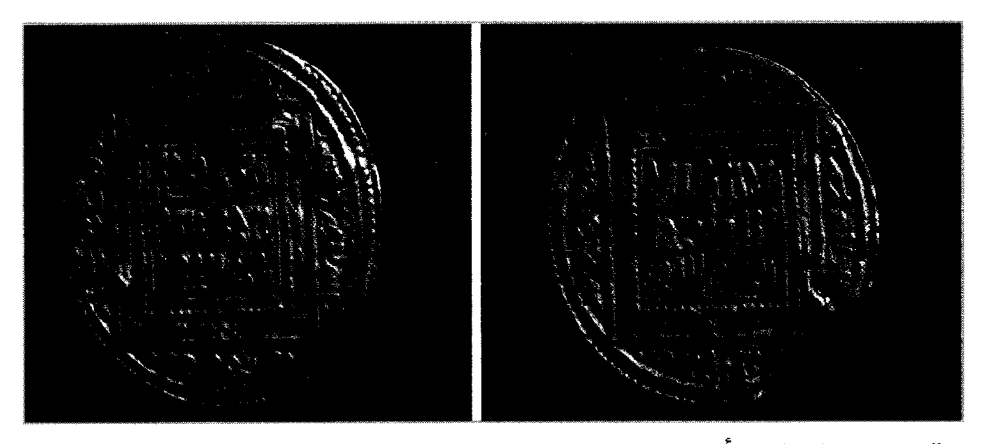
لوحة 14 : دينار باسم أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، يحمل رقم سجل 2347 بمتحف الرباط



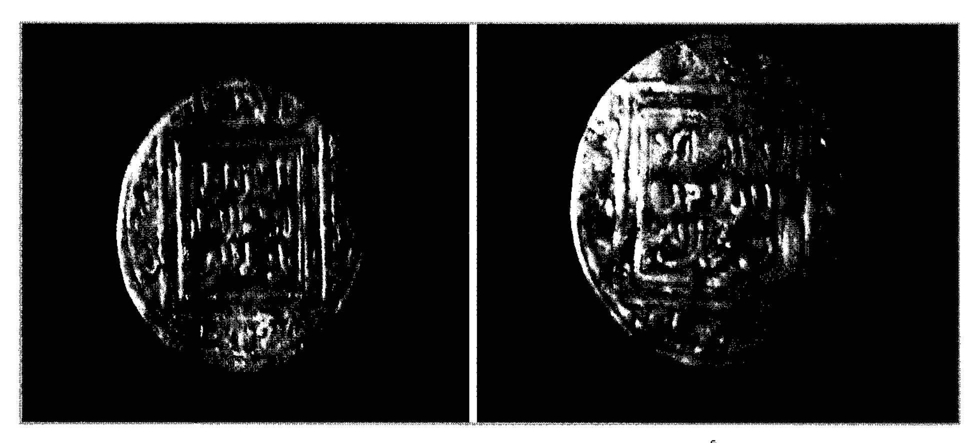
لوحة 15 : دينار باسم أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، يحمل رقم سجل 2322 بمتحف الرباط



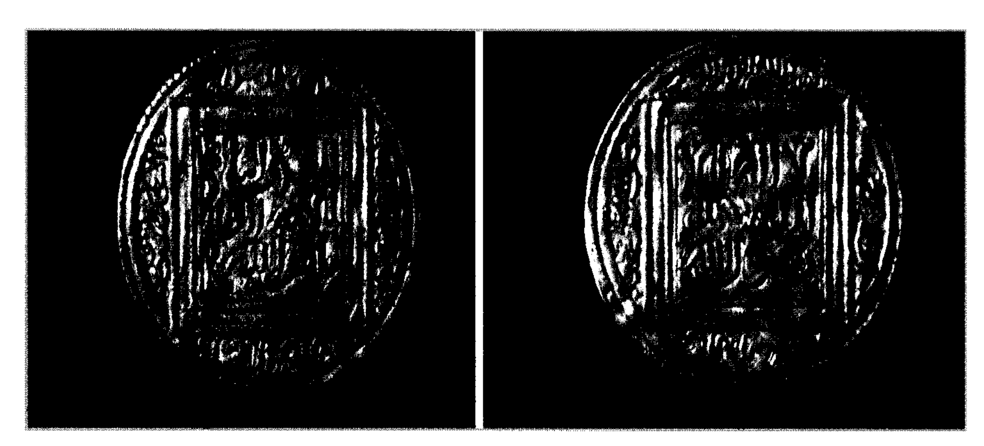
لوحة 16 : دينار باسم أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، يحمل رقم سجل 2323 بمتحف الرباط



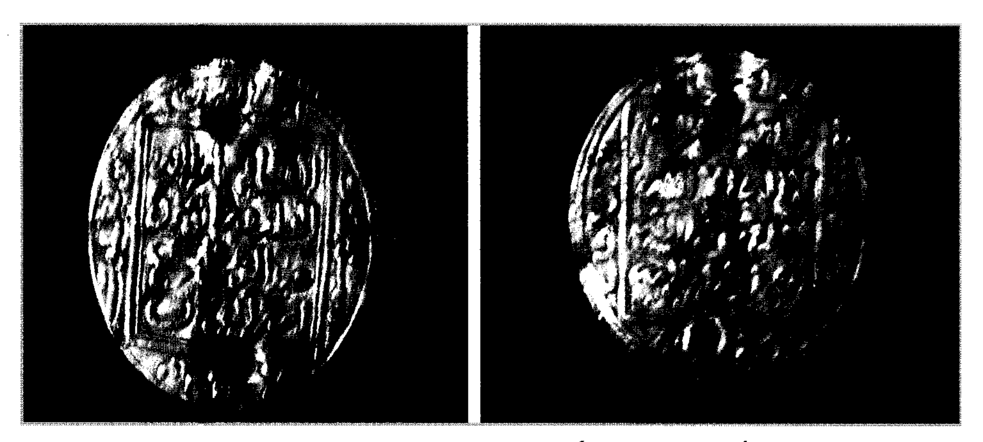
لوحة 17 : دينار باسم أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، يحمل رقم سجل 2325 بمتحف الرباط



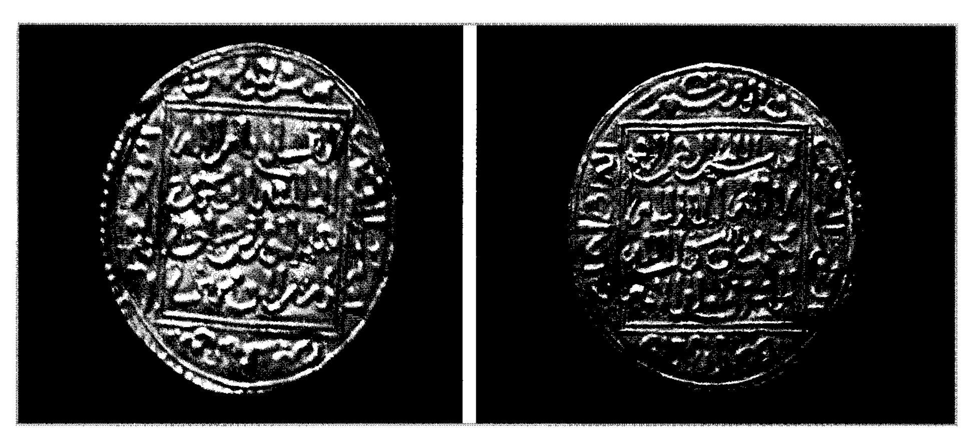
لوحة 18 : دينار باسم أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، يحمل رقم سجل 911 بمتحف الرباط



لوحة 19 : دينار باسم أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، يحمل رقم سجل 254 بمتحف الرباط

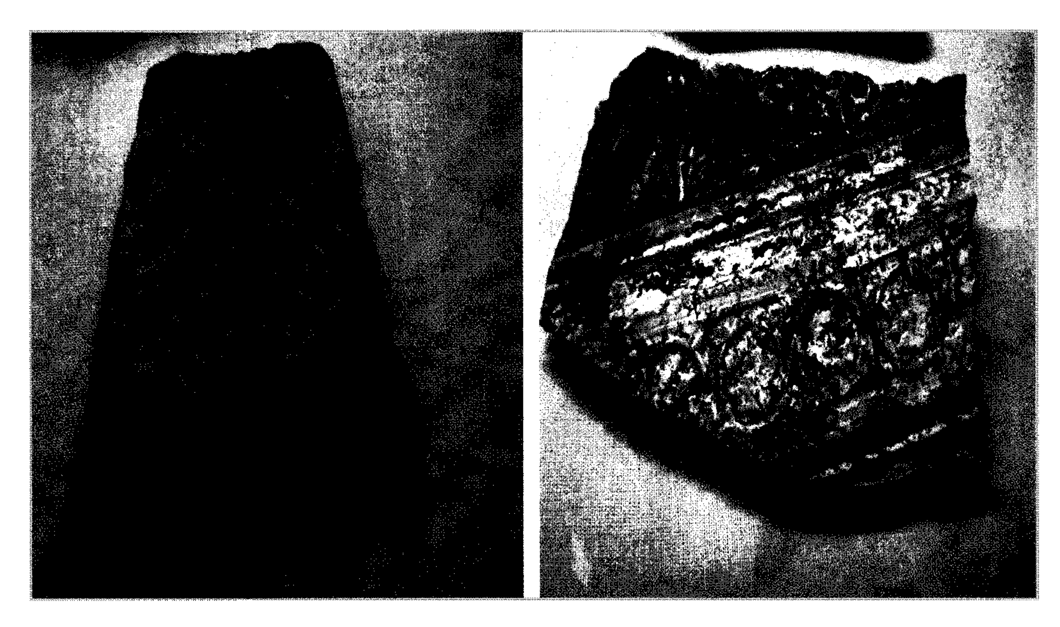


لوحة 20 : دينار باسم أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف، يحمل رقم سجل 2338 بمتحف الرباط

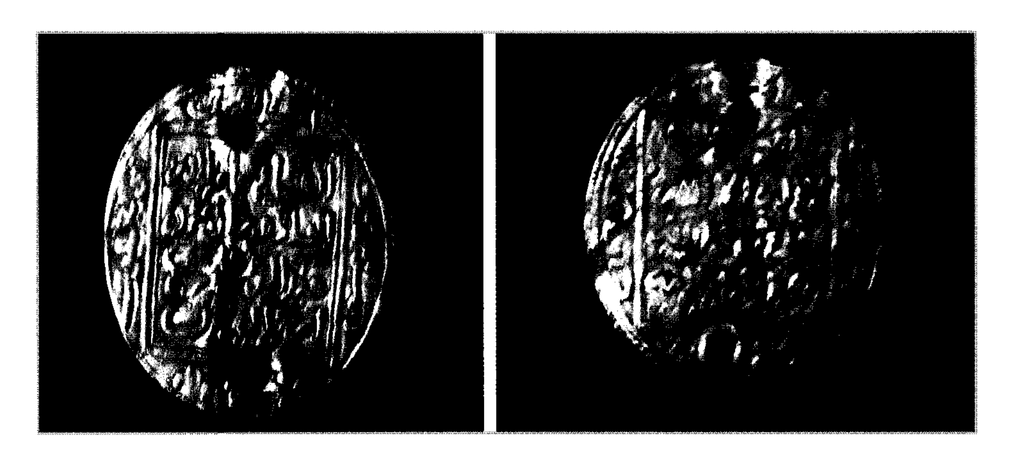


لوحة 21 : دينار باسم أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف، يحمل رقم سجل 904 بمتحف الرباط

لوحة 22 : النقوش التسجيلية على بقايا فوهة بئر من الفخار محفوظة بمتحف تطوان



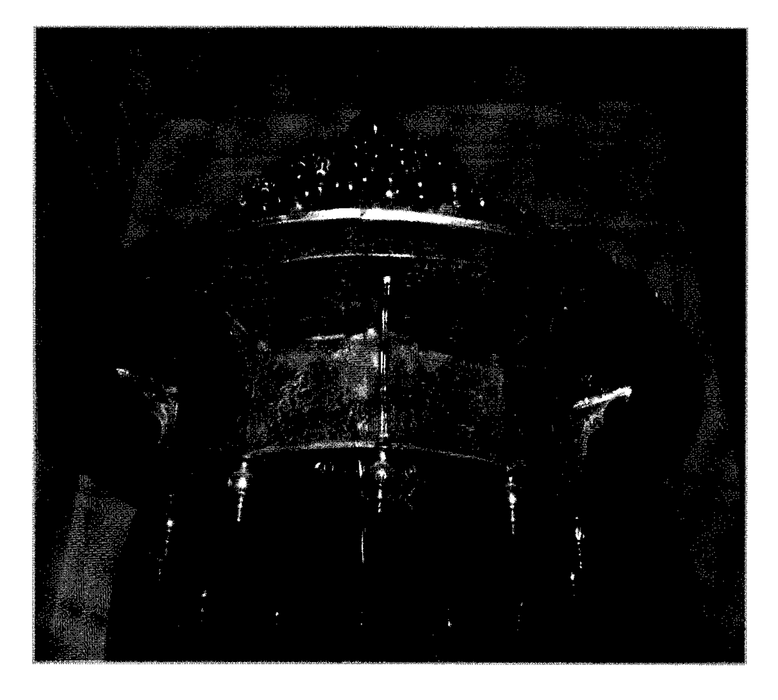
لوحة 23 : تفاصيل النقوش التسجيلية على بقايا فوهة بئر من الفخار محفوظة بمتحف تطوان



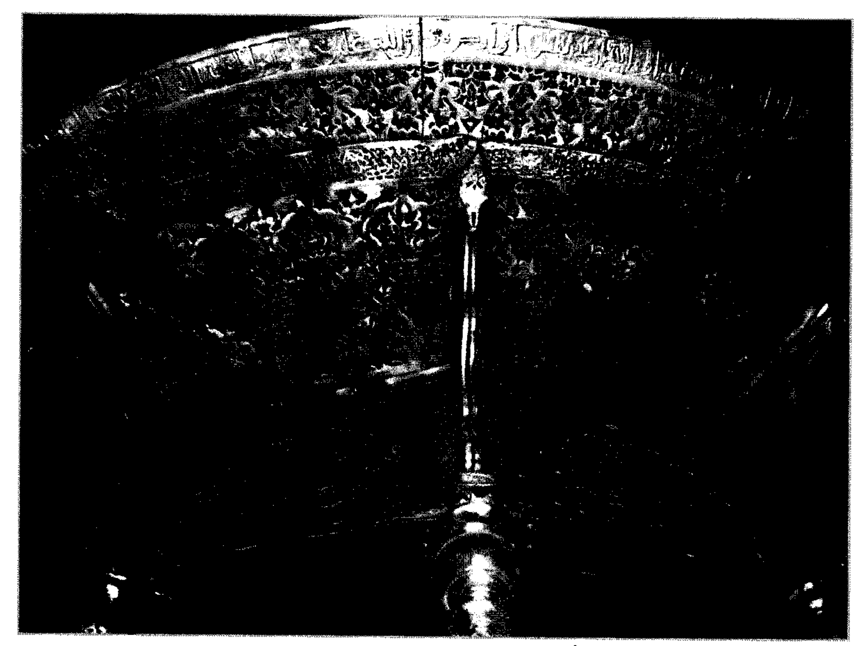
لوحة 24 : دينار سجل رقم 2327 باسم أبو عبد الله محمد (الخليفة الناصر)



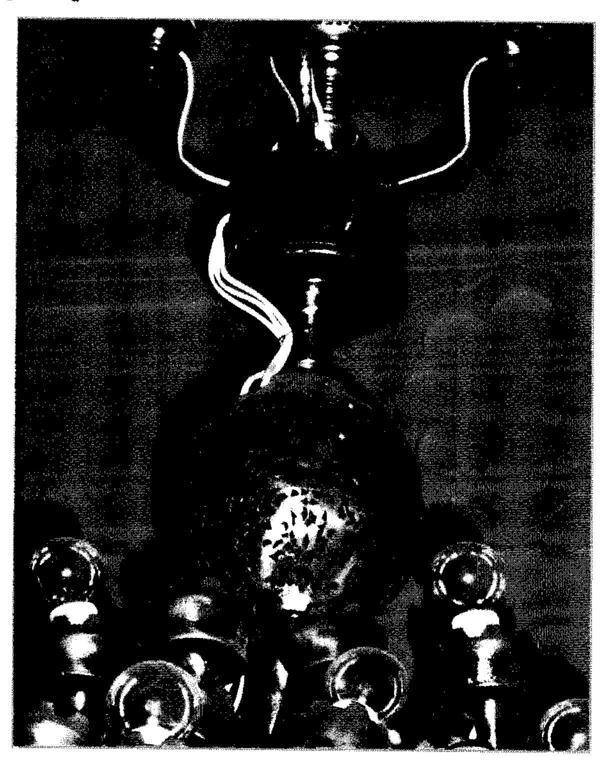
لوحة 25 : الثريا الكبرى في جامع القرويين



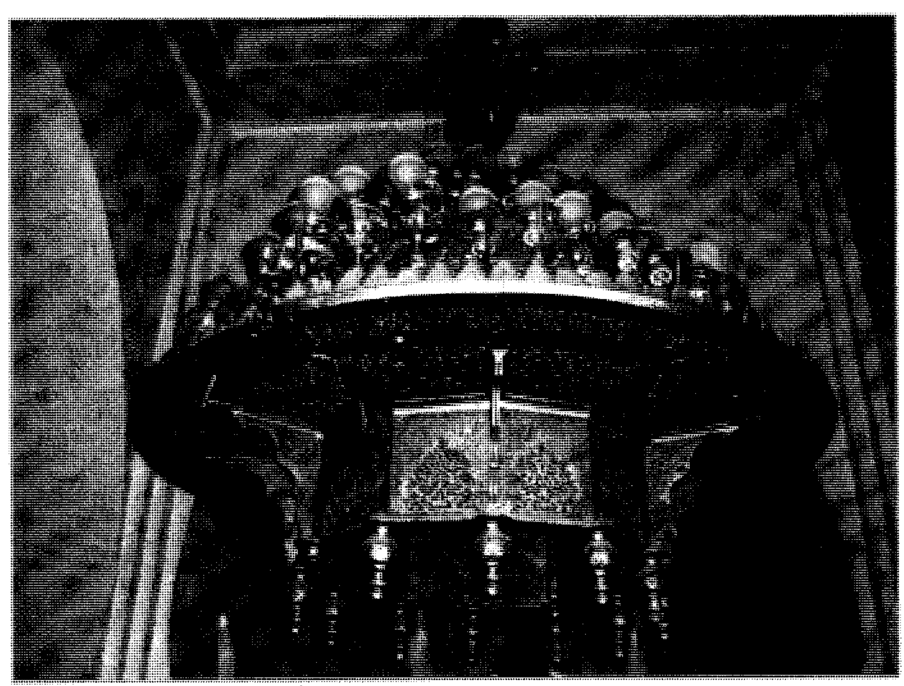
لوحة 26 : الثريا الكبرى في جامع القرويين



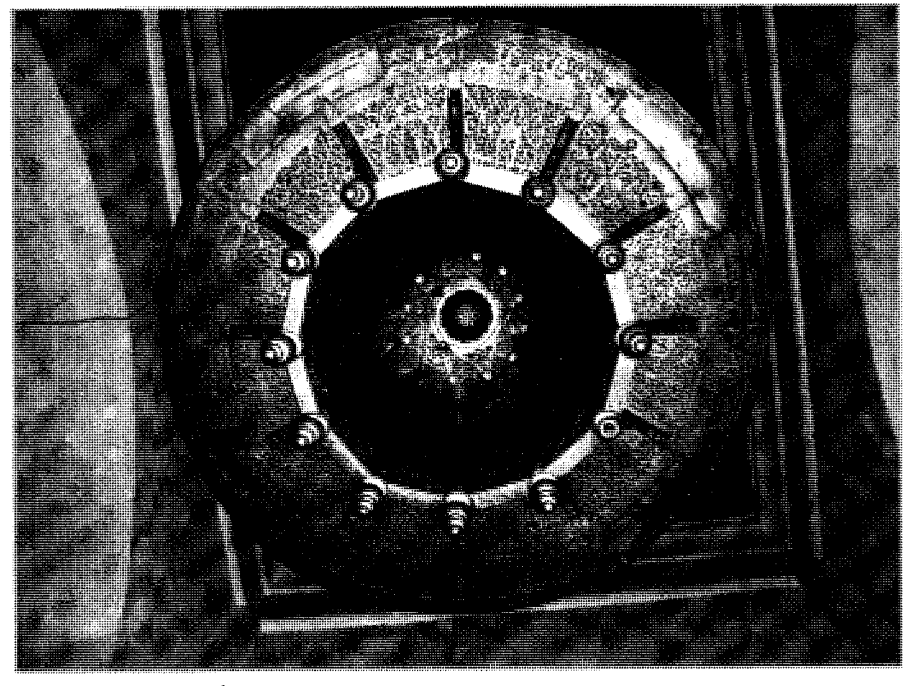
لوحة 27 : تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبرى في جامع القرويين



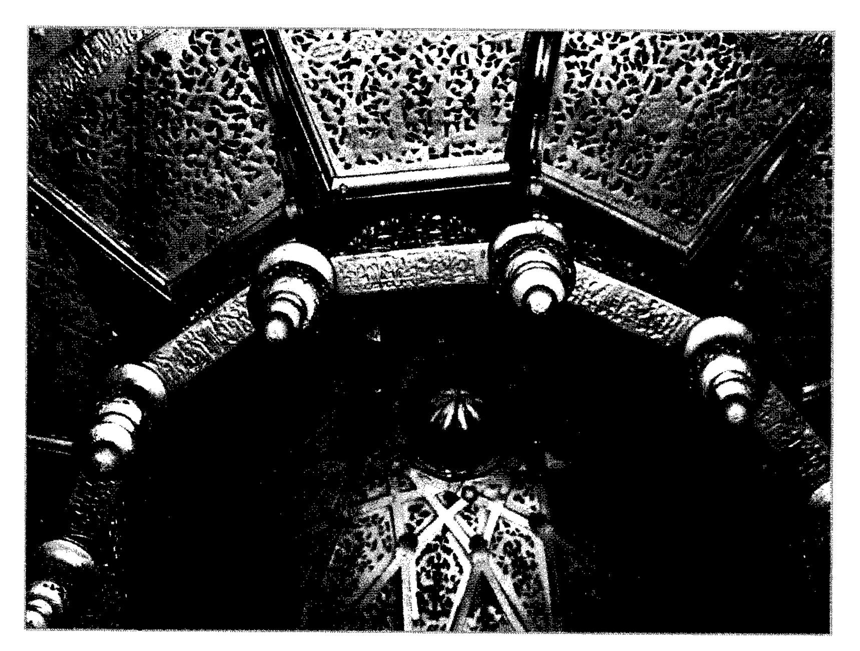
لوحة 28 : تفاصيل النصوص الكتابية على ساق الثريا الكبرى في جامع القرويين



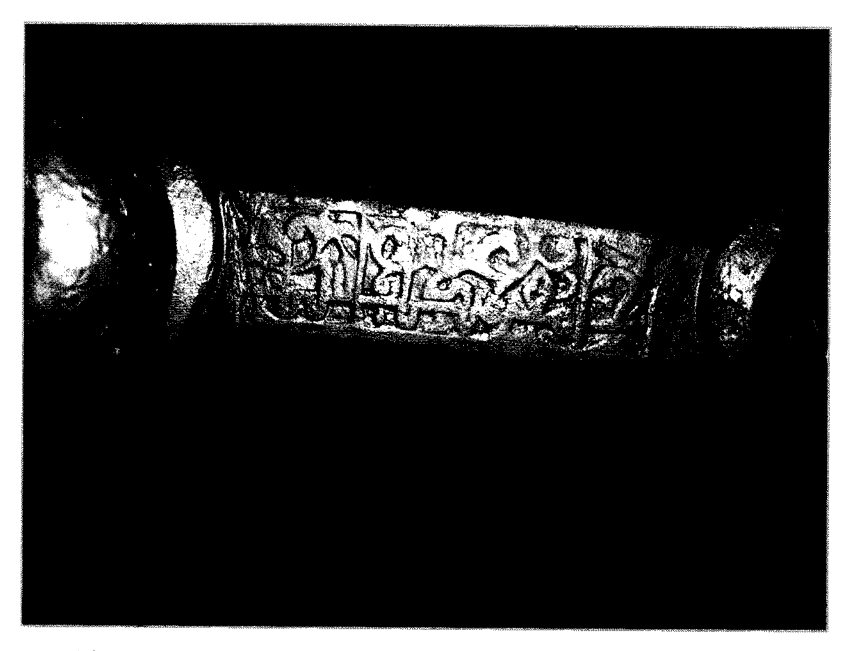
لوحة 29 : الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس



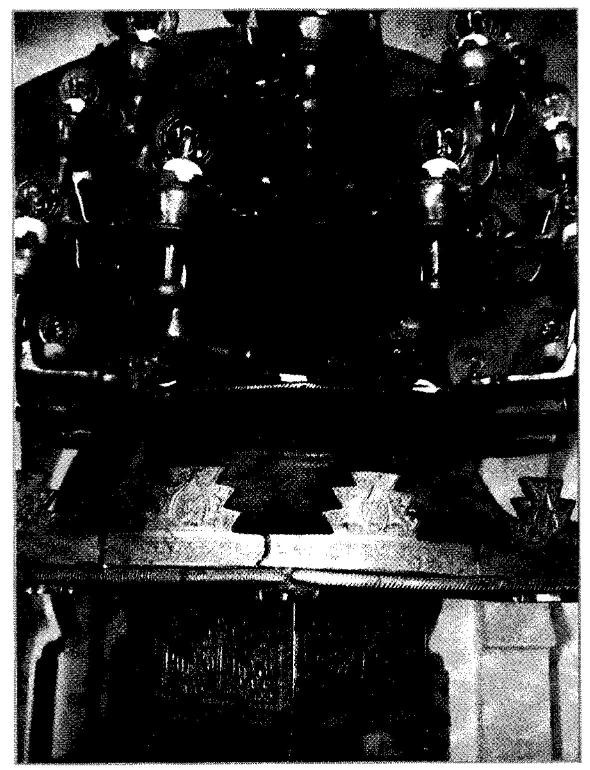
لوحة 30 : تفاصيل زخارف الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس



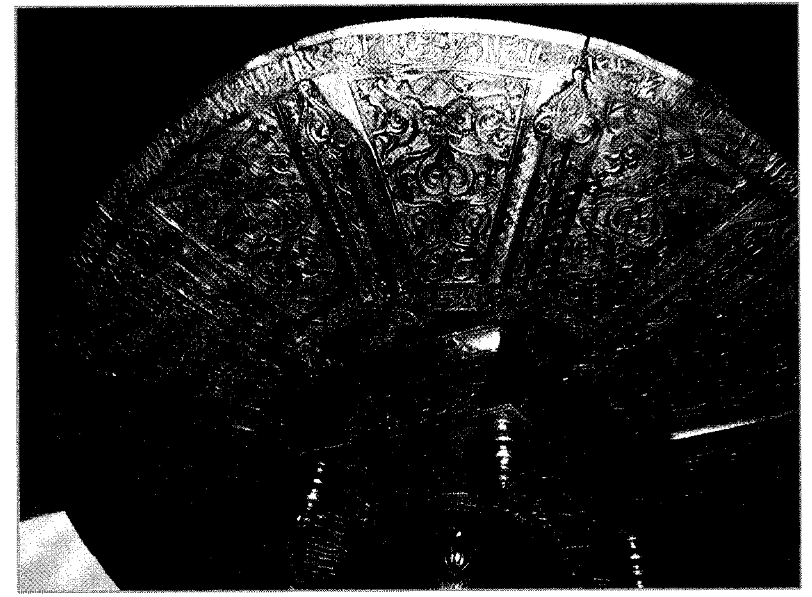
لوحة 31 : تفاصيل النصوص التسجيلية بالدائرة السفلية في الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس



لوحة 32 : تفاصيل النصوص التسجيلية بالدائرة السفلية في الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس



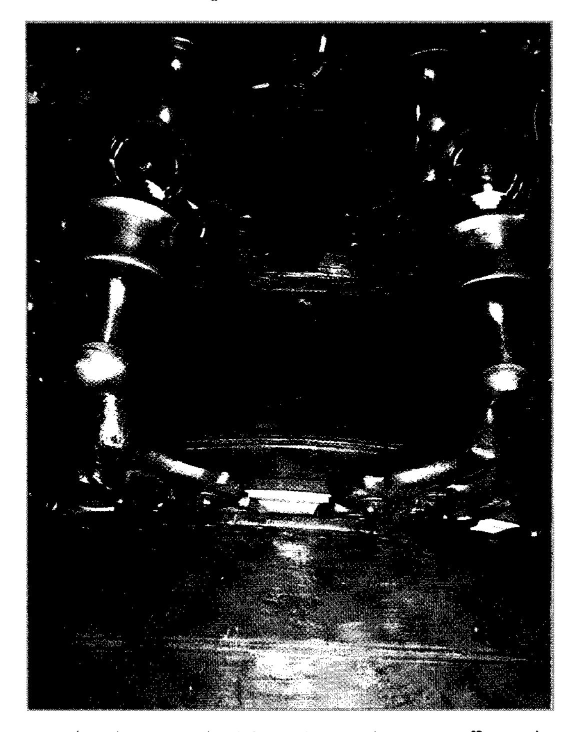
لوحة 33 : ثريا ناقوسية بالقبة التاسعة في بلاطة محراب جامع القرويين



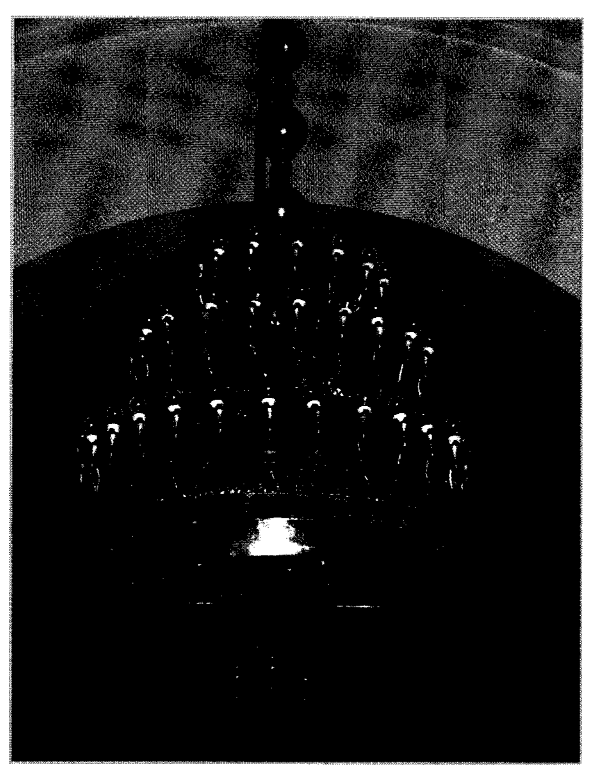
لوحة 34 : تفاصيل زخارف صينية الثريا الناقوسية بالقبة التاسعة في بلاطة محراب جامع القرويين



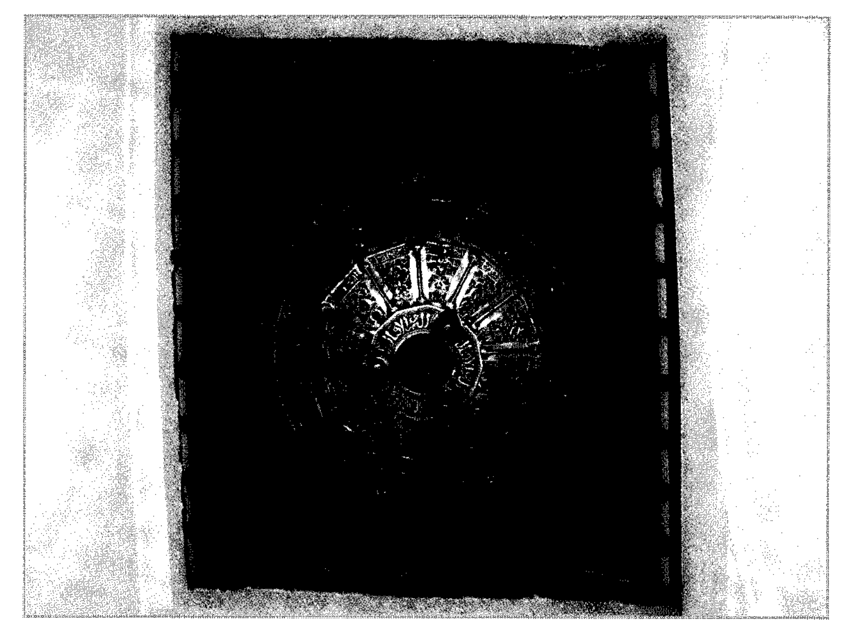
لوحة 35 : ثريا ناقوسية بالقبة السادسة في بلاطة محراب جامع القرويين



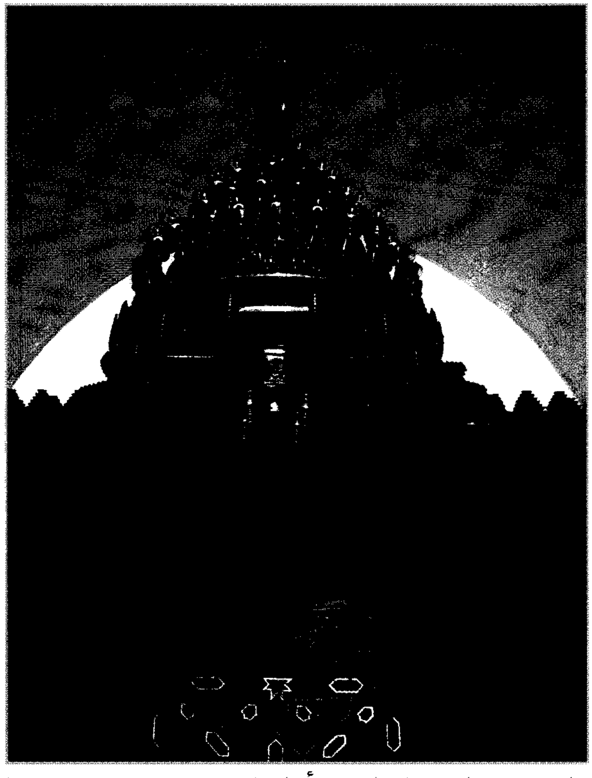
لوحة 36 : تفاصيل الثريا الناقوسية السابقة



لوحة 37 : ثريا ناقوسية بالقبة السابعة في بلاطة محراب جامع القرويين



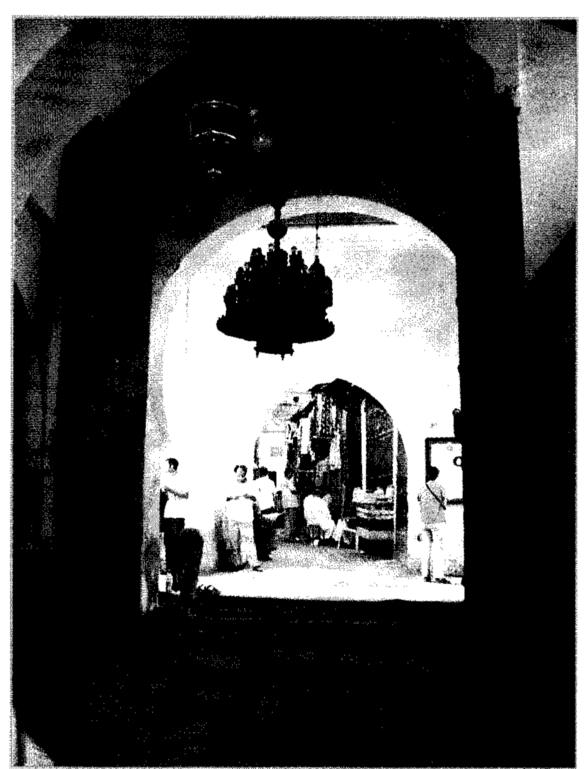
لوحة 38 : ثريا ناقوسية بالقبة السابعة في بلاطة محراب جامع القرويين



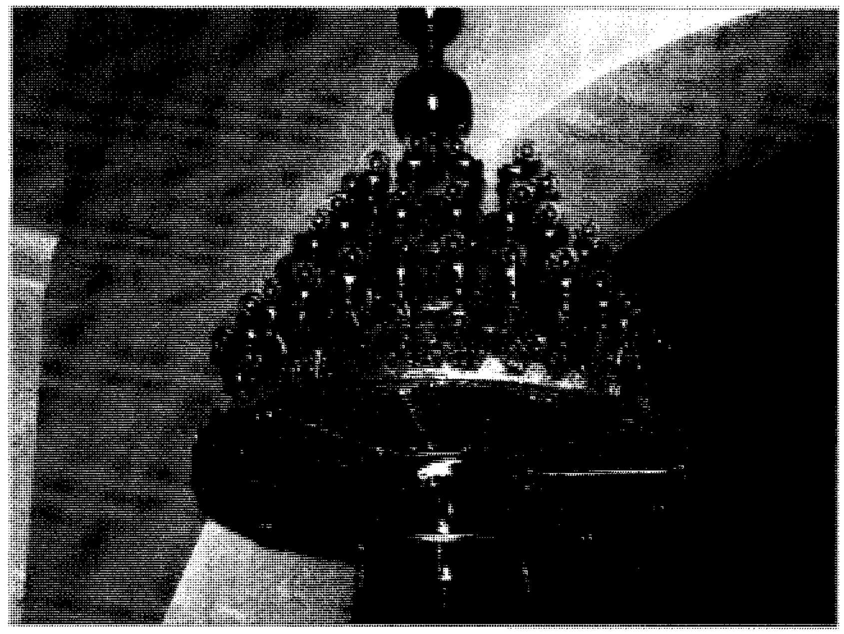
لوحة 39 : ثريا ناقوسية بالقبة العاشرة أمام العنزة في بلاطة محراب جامع القرويين



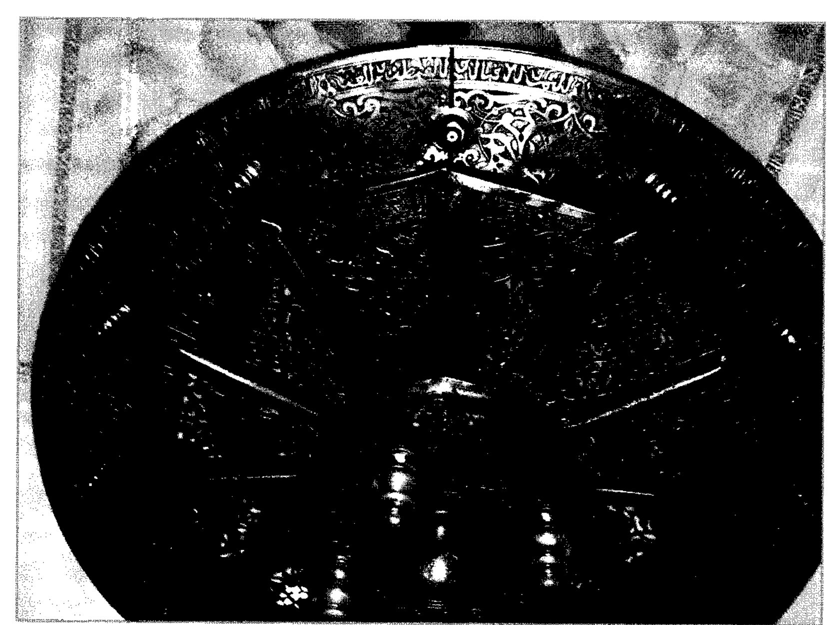
لوحة 40 : تفاصيل صينية الثريا الناقوسية بالقبة العاشرة أمام العنزة في بلاطة محراب جامع القرويين



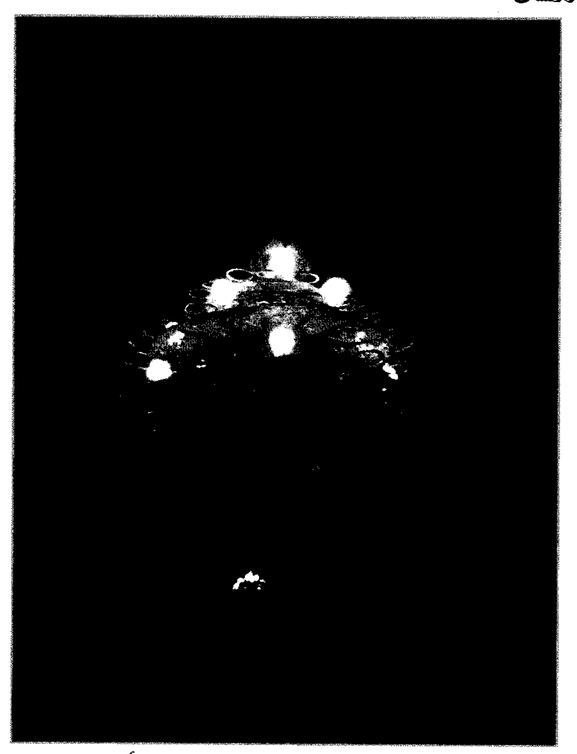
لوحة 41 : ثريا ناقوسية بباب الشماعين في جامع القرويين



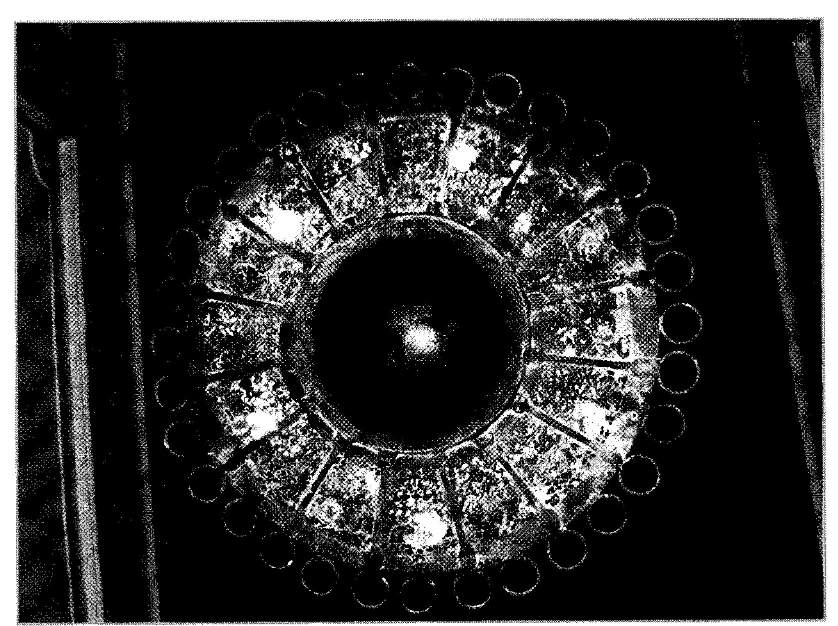
لوحة 42 : ثريا ناقوسية بباب الشماعين في جامع القرويين



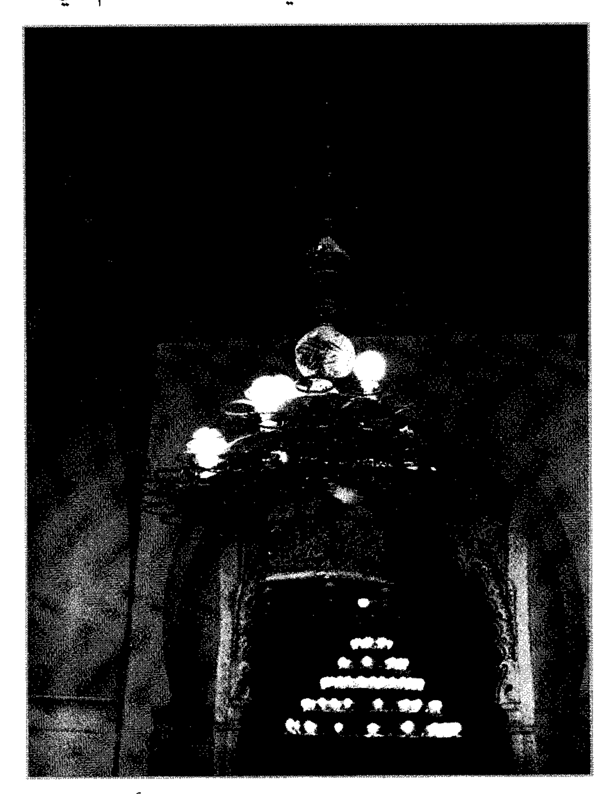
لوحة 43 : تفاصيل زخارف صينية الثريا الناقوسية بالقبة العاشرة أمام العنزة في بلاطة محراب جامع القرويين



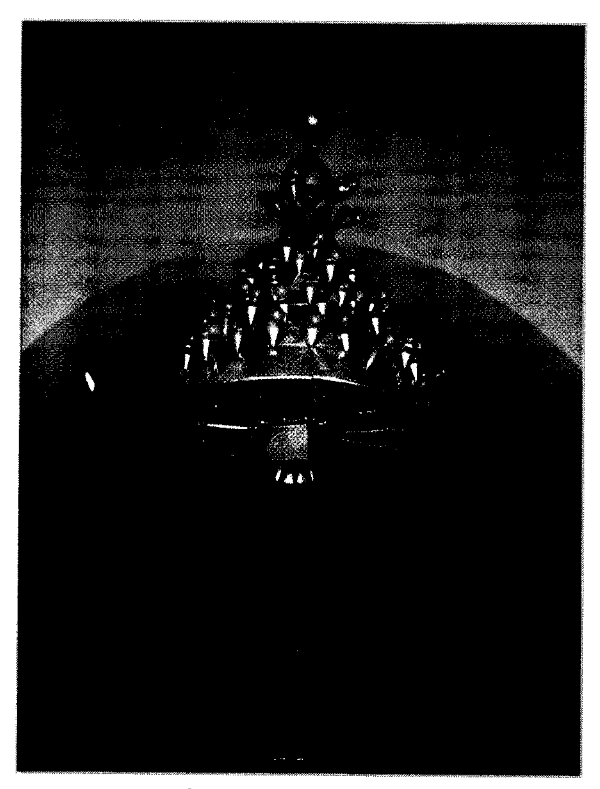
لوحة 44 : ثريا ناقوسية في المسجد الأعظم في تازة



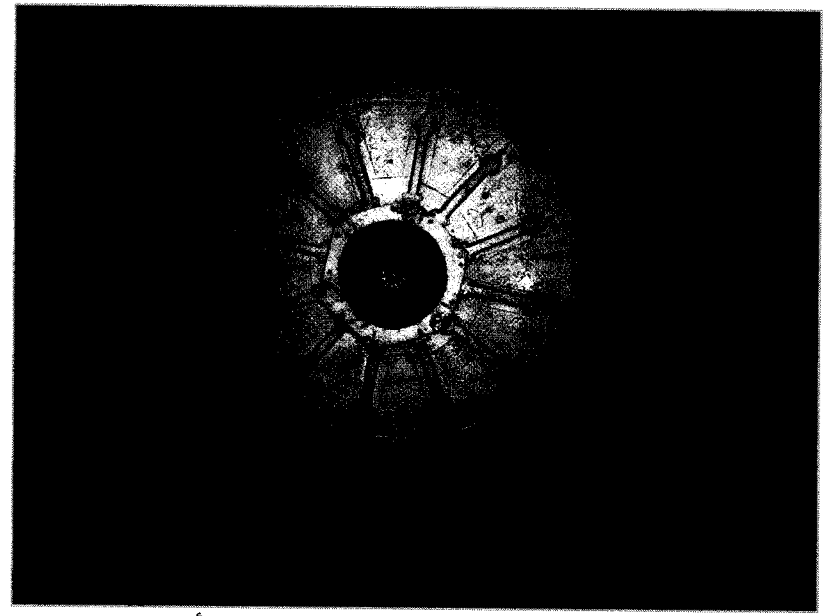
لوحة 45 : ثريا ناقوسية في المسجد الأعظم في تازة



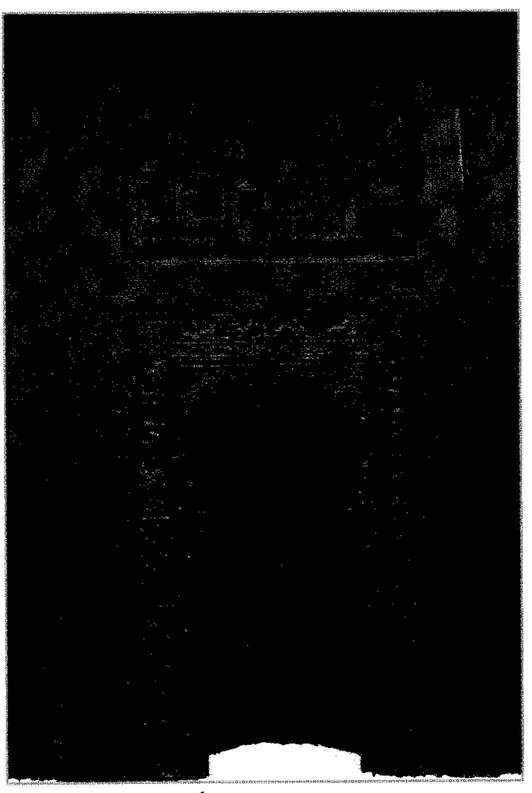
لوحة 46 : الناقوس الصغير في المسجد الأعظم في تازة



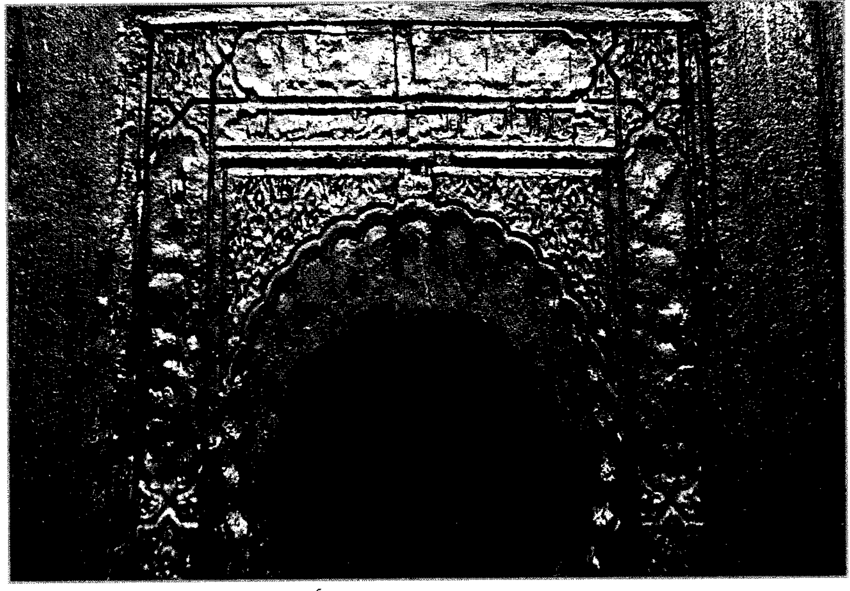
لوحة 47 : ثريا ناقوسية بجامع الأندلسيين بفاس



لوحة 48 : تفاصيل صينية الثريا الناقوسية بجامع الأندلسيين بفاس

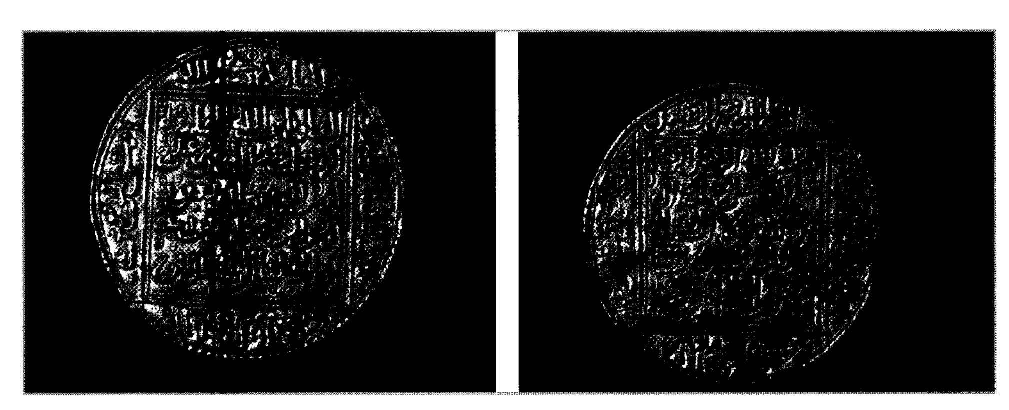


لوحة 49 : عنزة جامع الأندلسيين بفاس

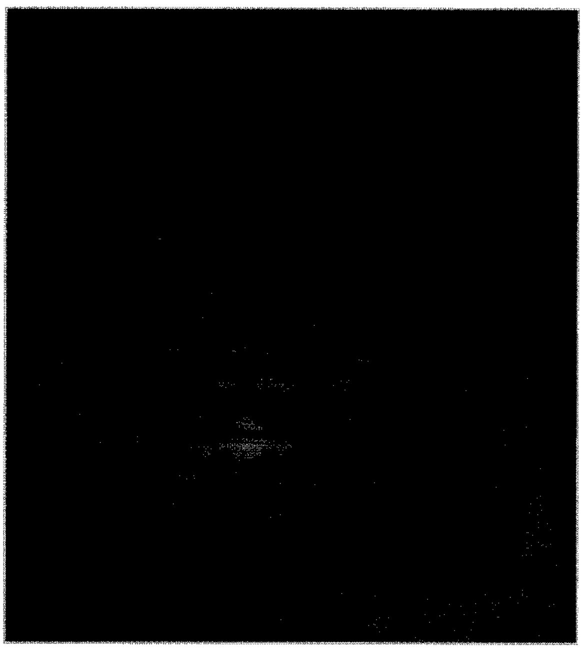


لوحة 50 : تفاصيل عنزة جامع الأندلسيين بفاس

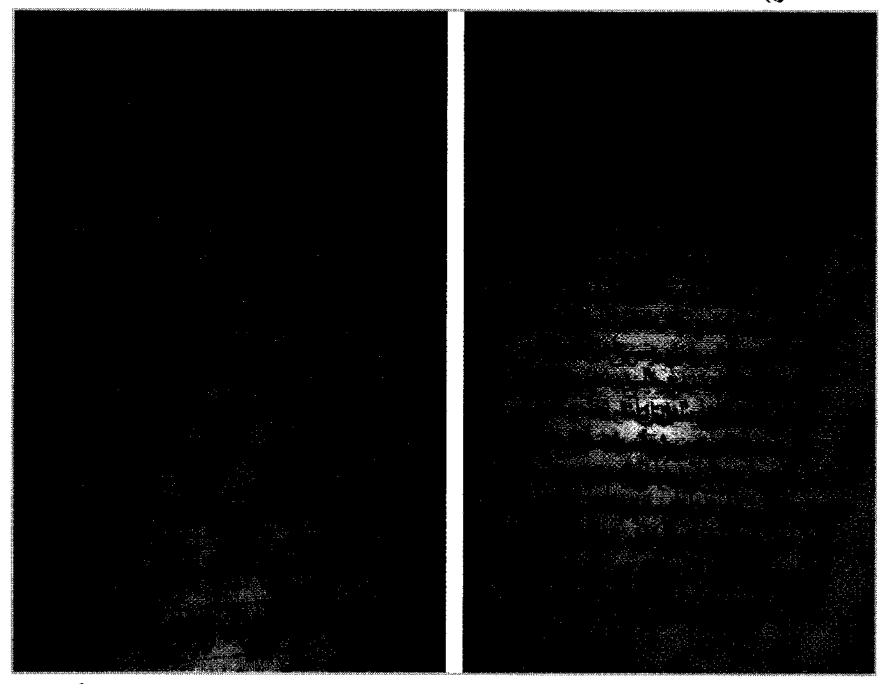
لوحة 51 : قطعة من نسيج الحرير الموشى والمطرز بخيوط من الذهب والفضة، تنسب إلى أواخر أيام الخليفة الناصر لدين الله



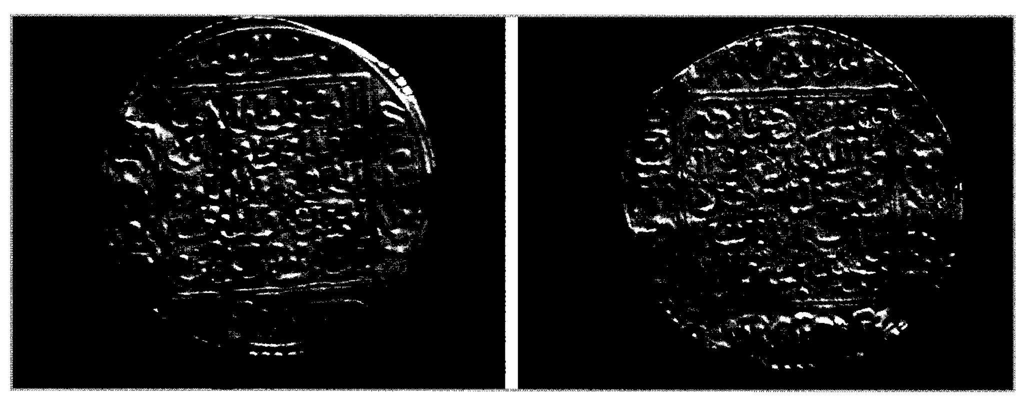
لوحة 52 : دينار باسم أبي محمد عبدالواحد الرشيد بن المأمون، سجل رقم 1670



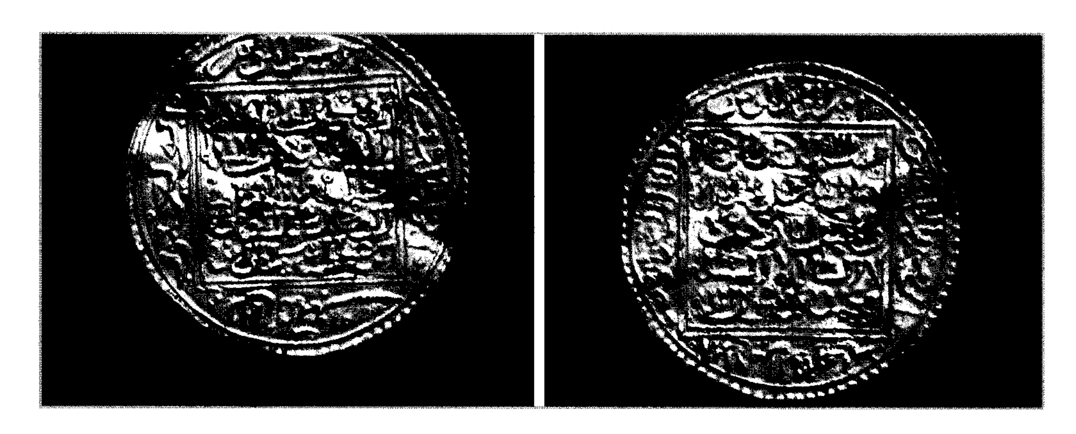
لوحة 53 : ظهير الخليفة الرشيد بالورقة رقم 115 (ب) من مخطوط : (زواهر الفكر وجواهر الفقر)



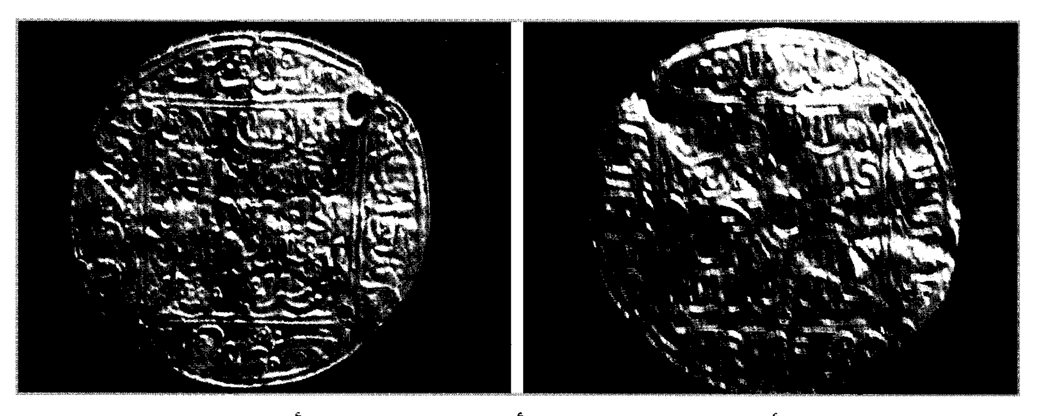
لوحة 54: ظهير الخليفة الرشيد من مخطوط : (زواهر الفكر وجواهر الفقر)، لأبي العلا محمد بن علي ابن المرابط المرادي



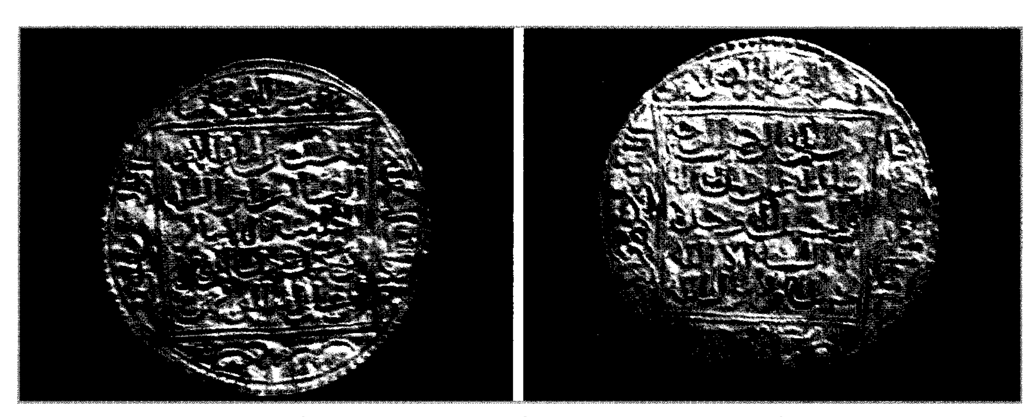
لوحة 55 : ينار باسم أمير المؤمنين المرتضى أبو حفص بن الطاهر أبي إبراهيم، رقم سجل 898



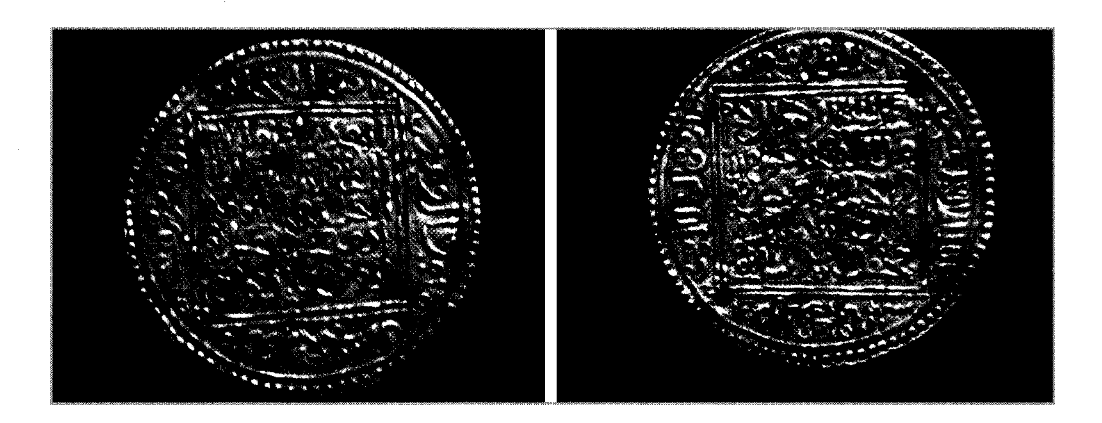
لوحة 56 : دينار باسم أمير المؤمنين المرتضى أبو حفص بن الطاهر أبي إبراهيم، رقم سجل 2087



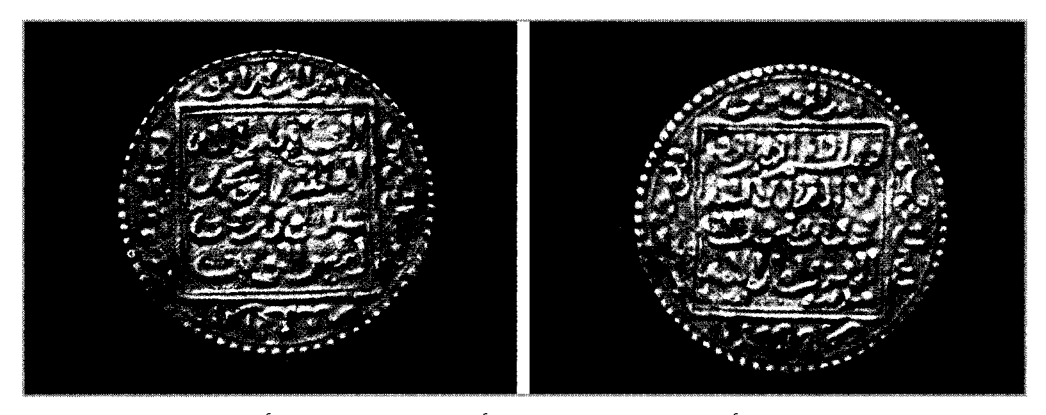
لوحة 57 : دينار باسم أمير المؤمنين المرتضى أبو حفص بن الطاهر أبي إبراهيم، رقم سجل 2329



لوحة 58 : دينار باسم أمير المؤمنين المرتضى أبو حفص بن الطاهر أبي إبراهيم، رقم سجل 2089



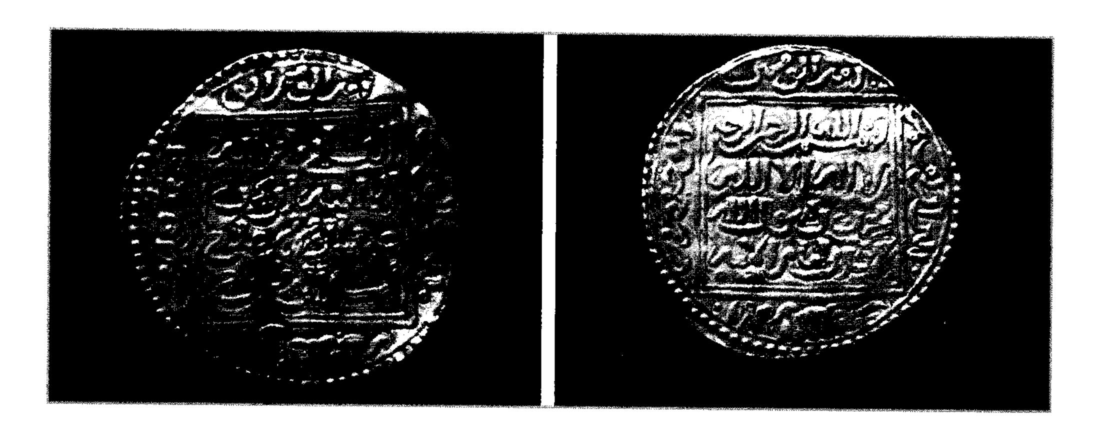
لوحة 59 : دينار باسم أمير المؤمنين المرتضى أبو حفص بن الطاهر أبي إبراهيم، رقم سجل 1866



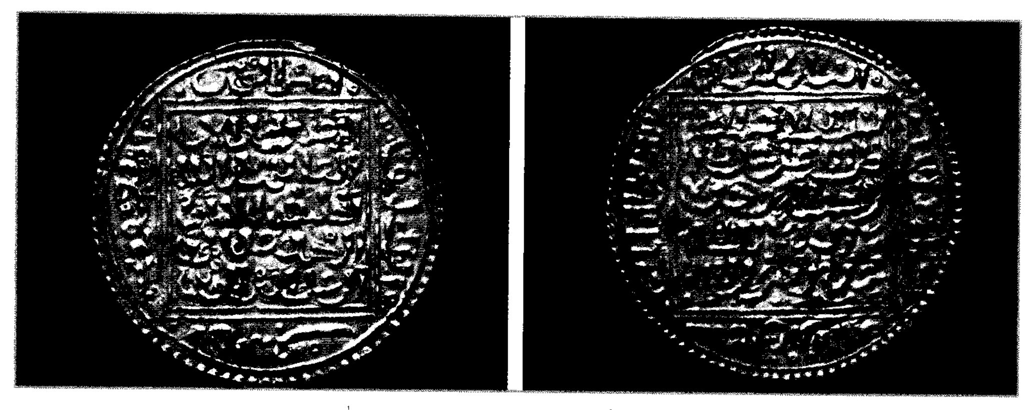
لوحة 60 : نصف دينار باسم أمير المؤمنين المرتضى أبو حفص بن الطاهر أبي إبراهيم، رقم سجل 903



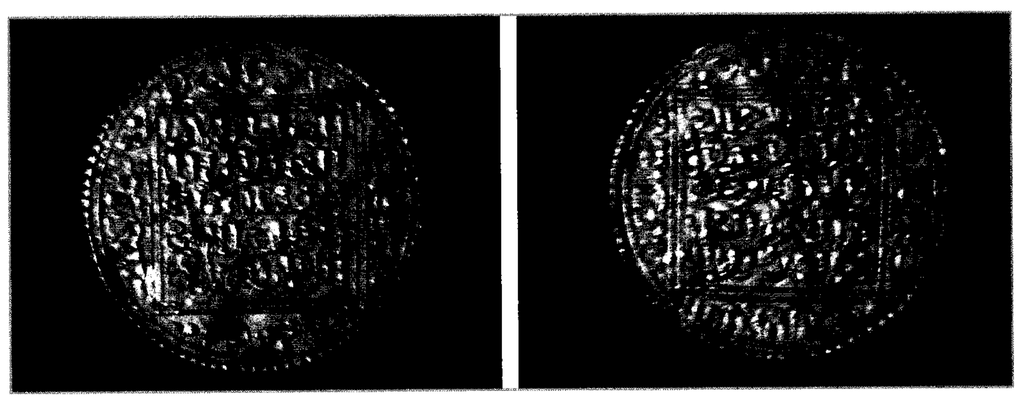
لوحة 61 : نصف دينار باسم أمير المؤمنين المرتضى أبو حفص بن الطاهر أبي إبراهيم، رقم سجل 907



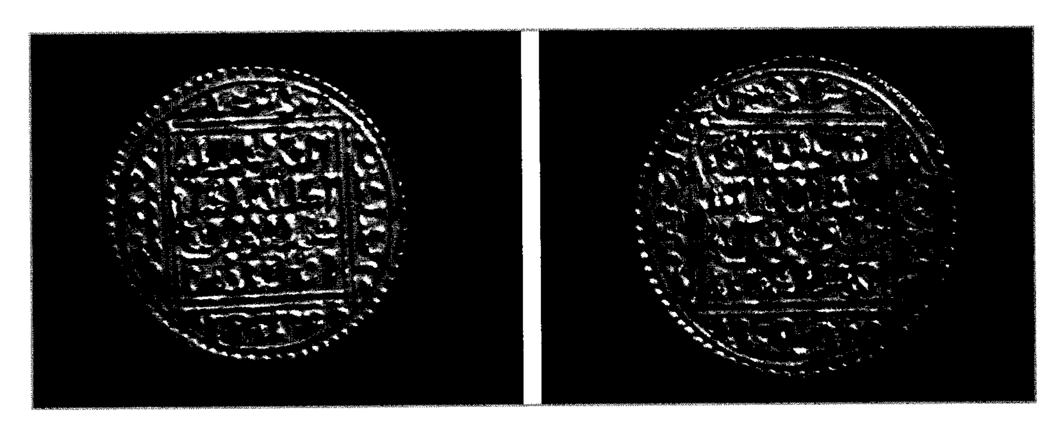
لوحة 62 : نصف دينار باسم أمير المؤمنين المرتضى أبو حفص بن الطاهر أبي إبراهيم، رقم سجل 902



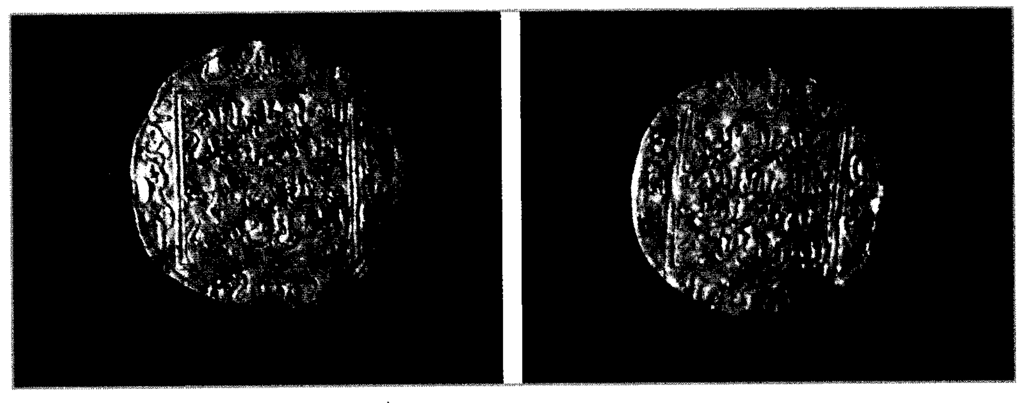
لوحة 63 : دينار باسم أمير المؤمنين الواثق بالله، سجل رقم 2117



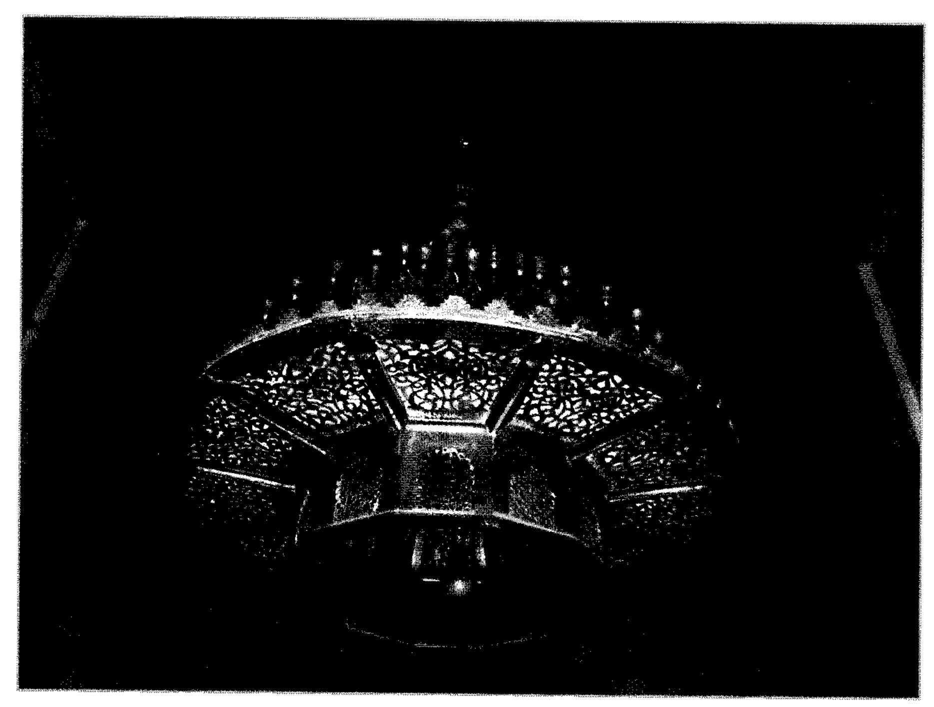
لوحة 64: دينار باسم أمير المؤمنين الواثق بالله، سجل رقم 2117



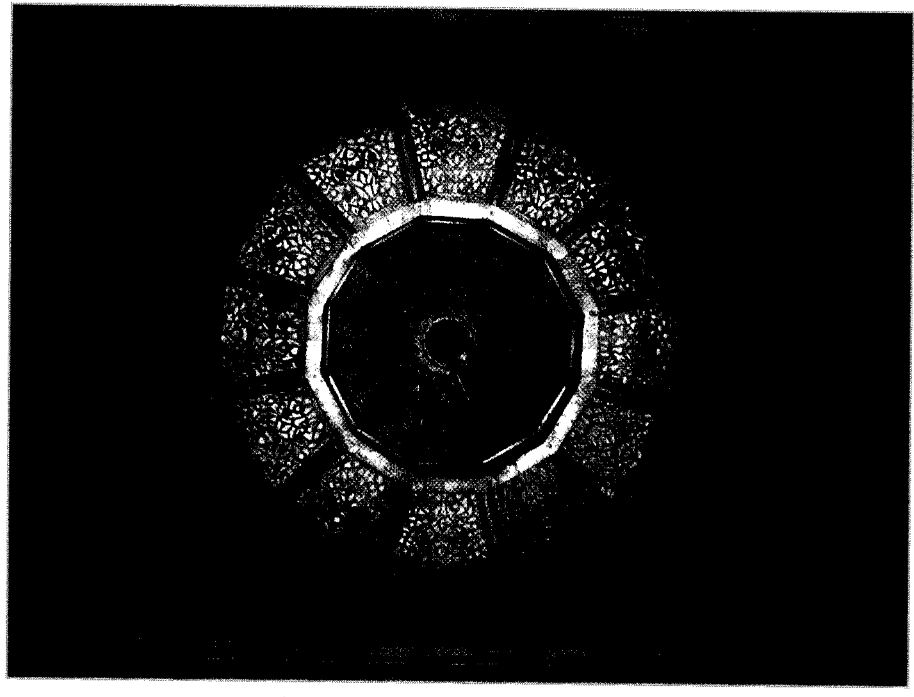
لوحة 65 : دينار باسم أمير المؤمنين الواثق بالله، رقم سجل 2245



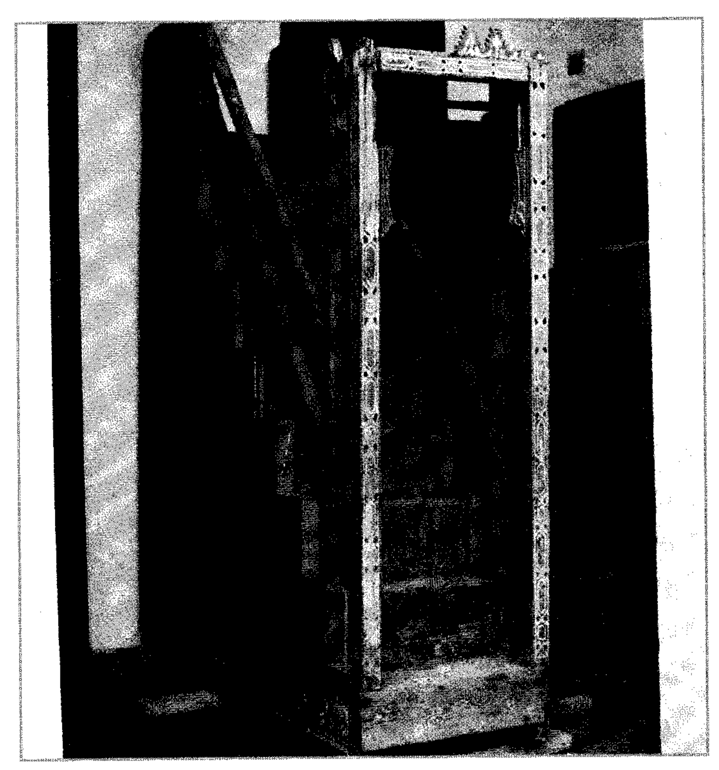
لوحة 66 : نصف دينار باسم الواثق بالله برقم سجل 909



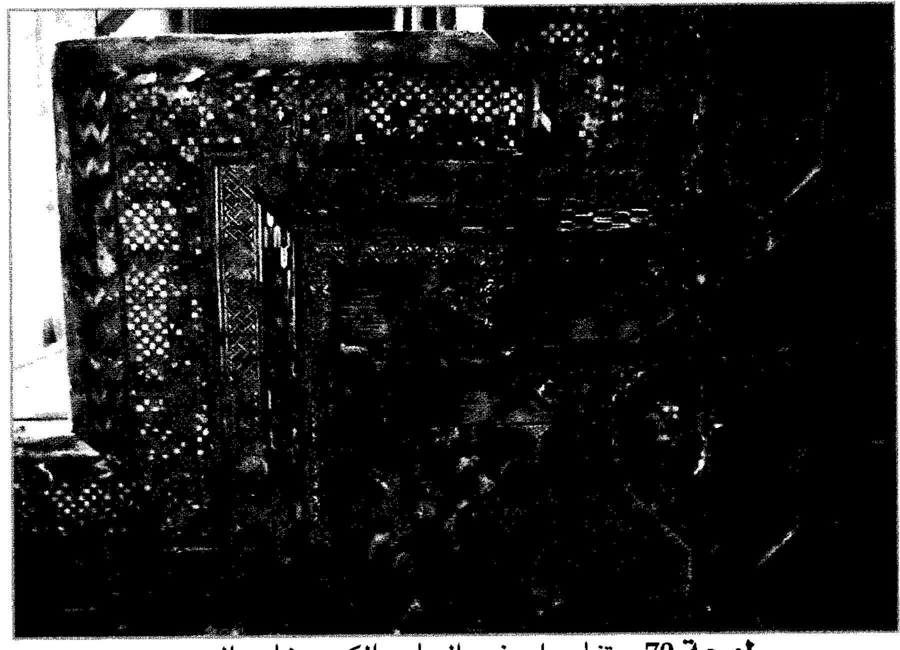
لوحة 67 : ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد



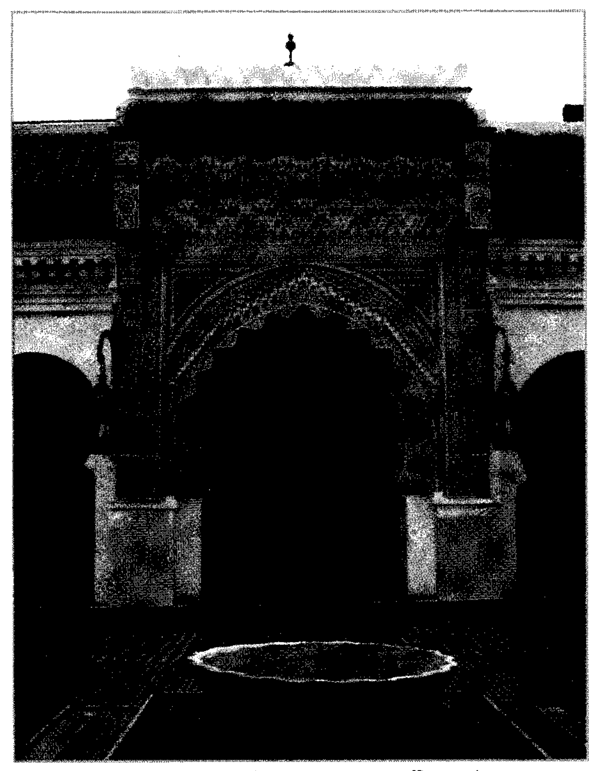
لوحة 68 : ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد



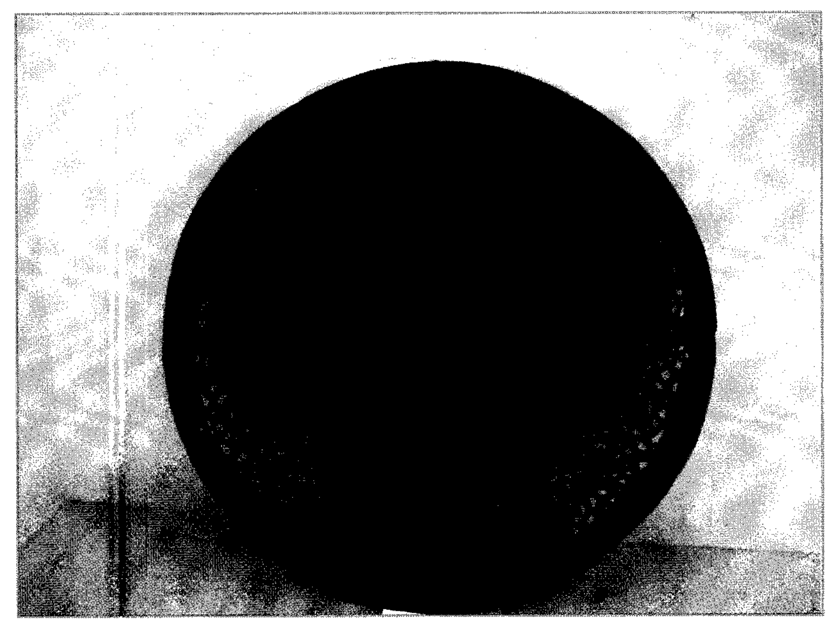
لوحة 69 : منبر الجامع الكبير بفاس الجديد، محفوظ بمتحف البطحاء بفاس



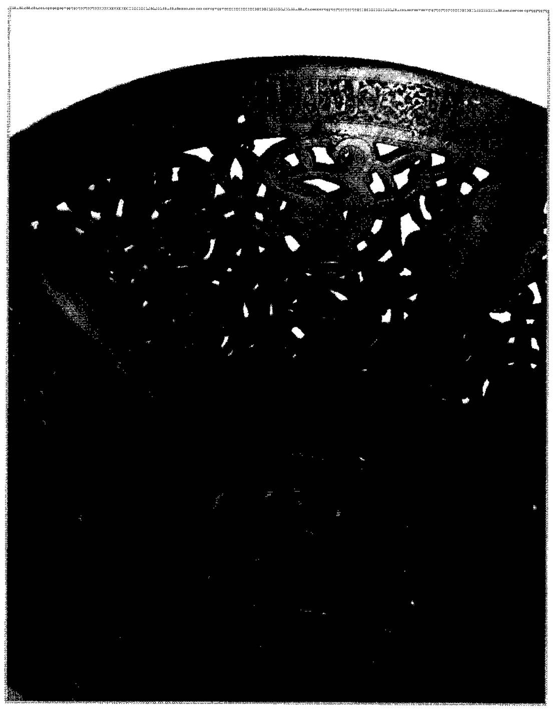
لوحة 70 : تفاصيل منبر الجامع الكبير بفاس الجديد



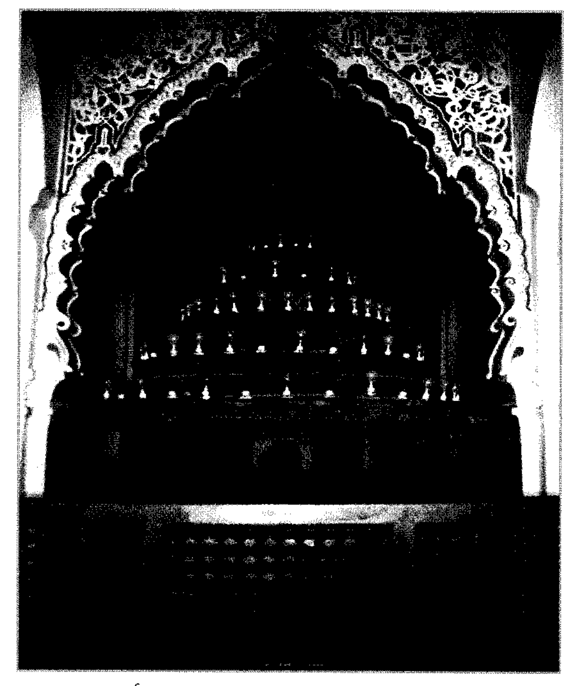
لوحة 71 : عنزة جامع القرويين



لوحة 72 : جزء من ثريا محفوظة في متحف البطحاء في فاس



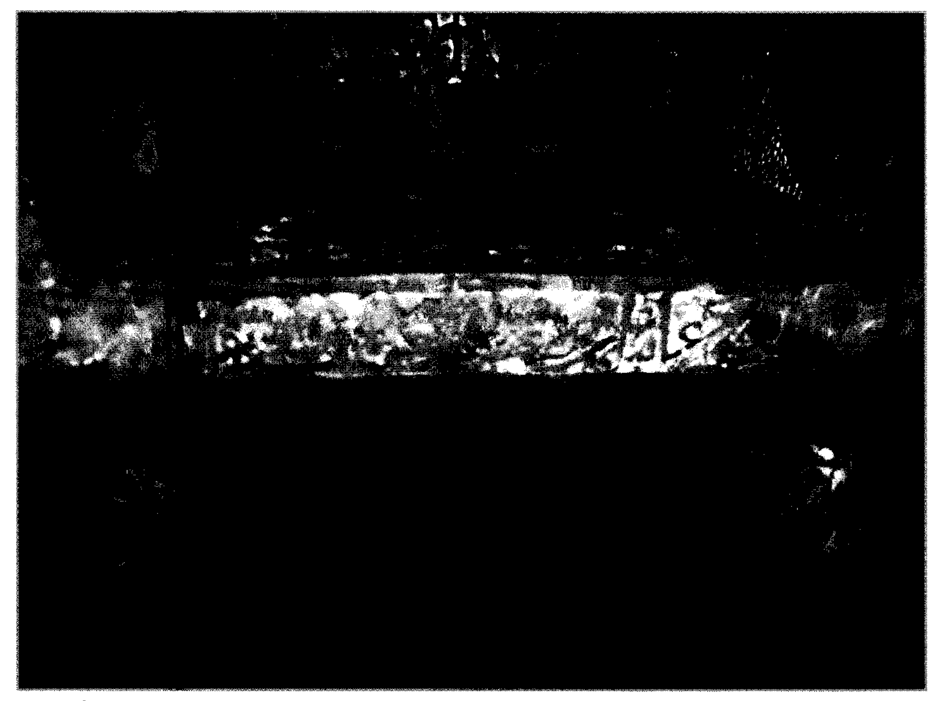
لوحة 73 : جزء من ثريا محفوظة في متحف البطحاء في فاس



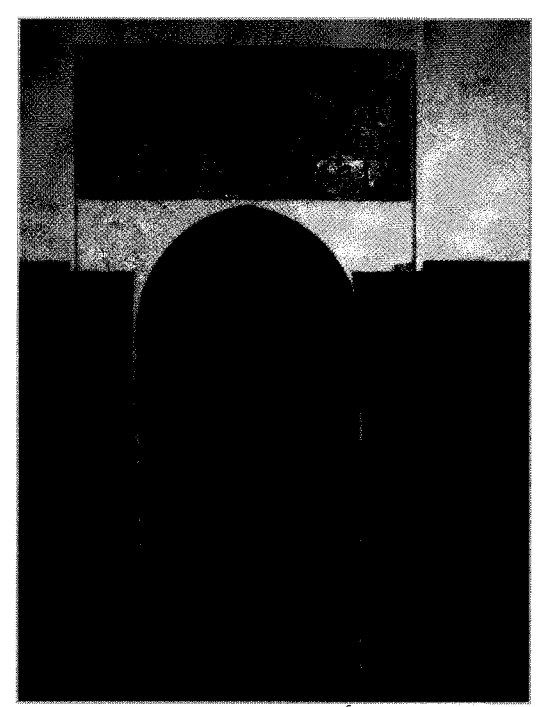
لوحة 74 : الثريا الكبرى في المسجد الأعظم في تازة



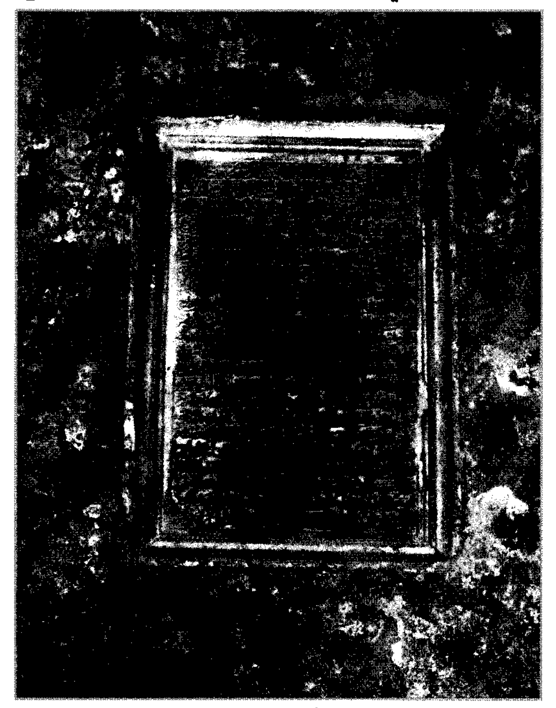
لوحة 75: تفاصيل زخارف الثريا الكبرى في المسجد الأعظم في تازة



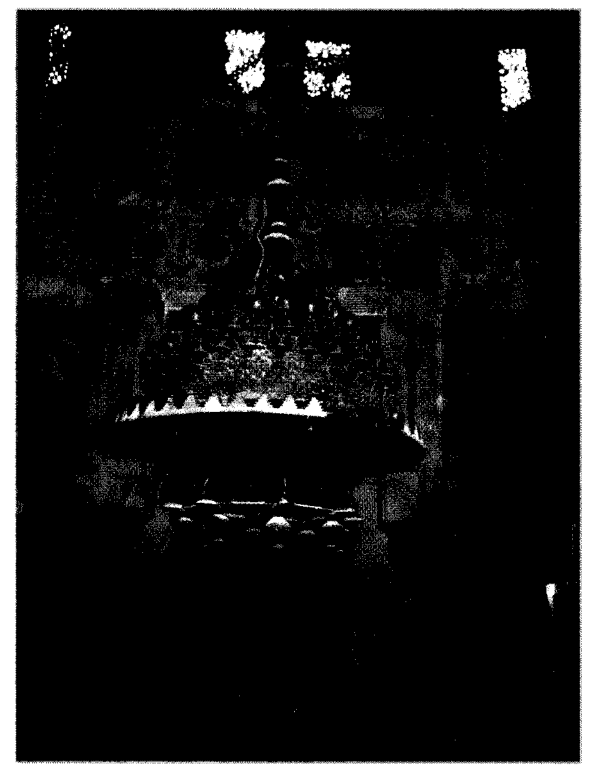
لوحة 76 : تفاصيل النصوص الكتابية بالدائرة السفلية بالثريا الكبرى في المسجد الأعظم في تازة



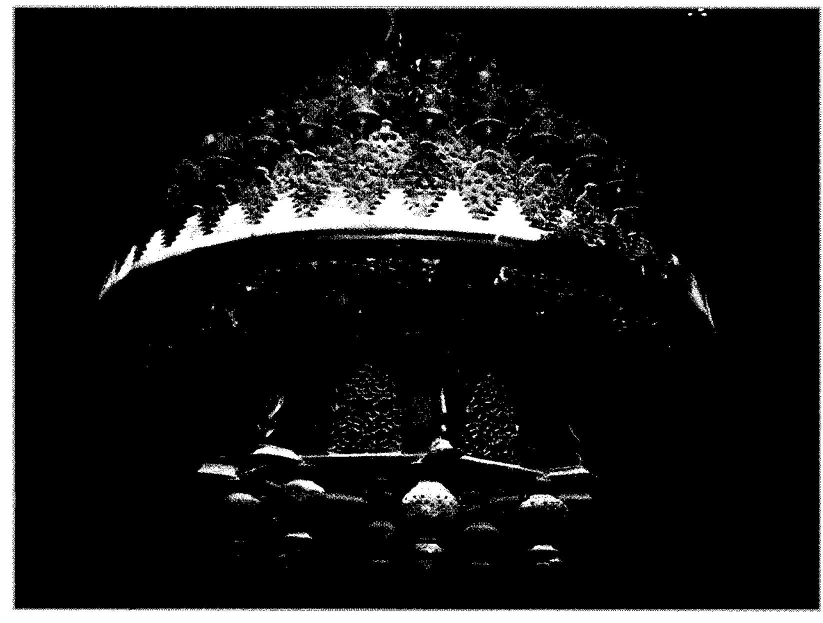
لوحة 77 : النقش التسجيلي لتأسيس صومعة مسجد بن صالح بمراكش 721هـ



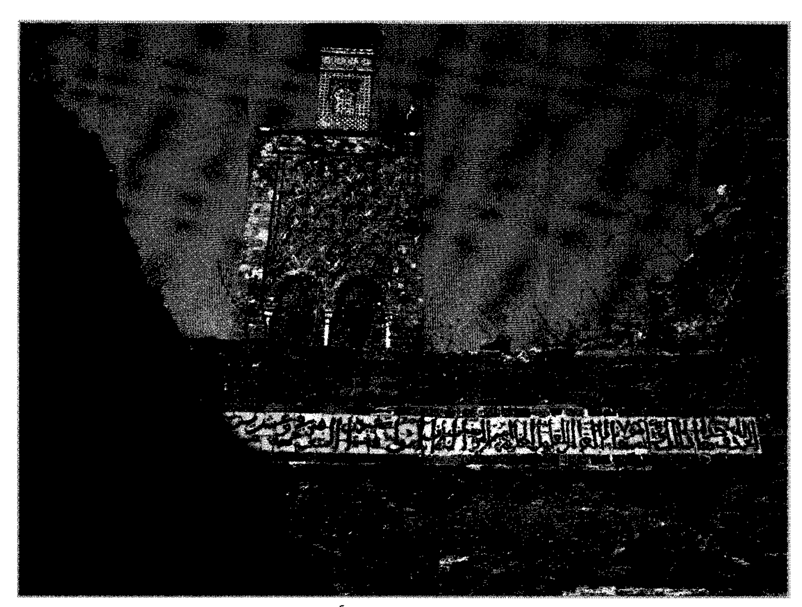
لوحة 78 : النقش التسجيلي لتأسيس مدرسة الصهريج في فاس 723هـ



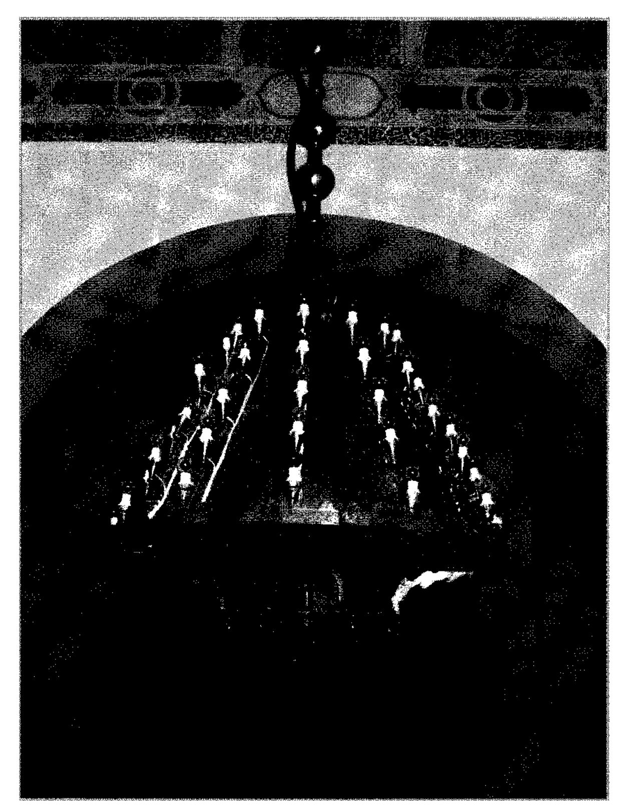
لوحة 79: ثريا مدرسة العطارين بفاس



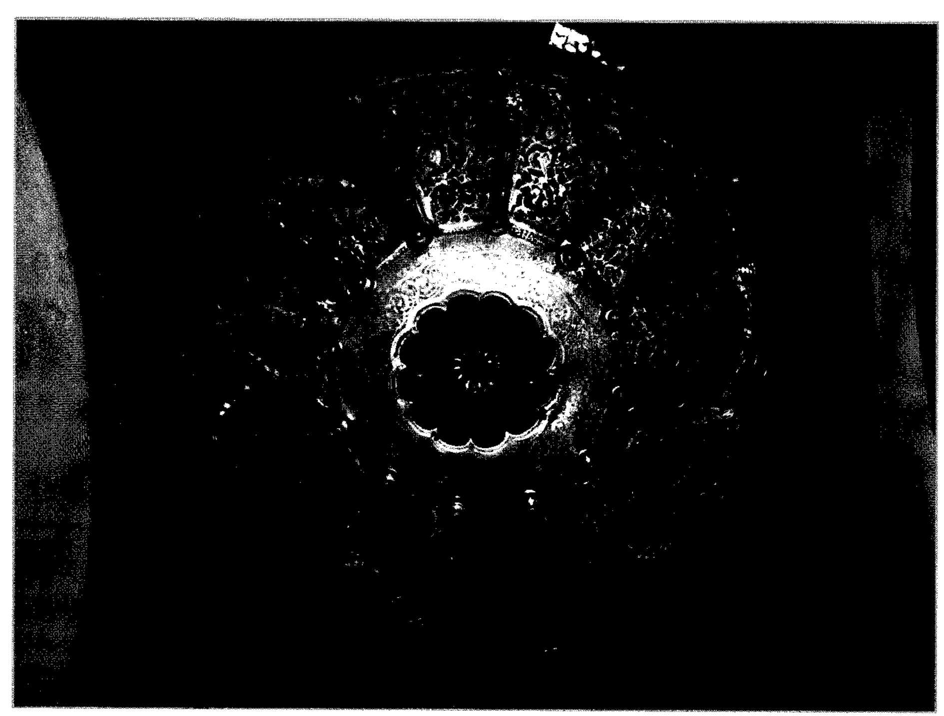
لوحة 80 : ثريا مدرسة العطارين بفاس



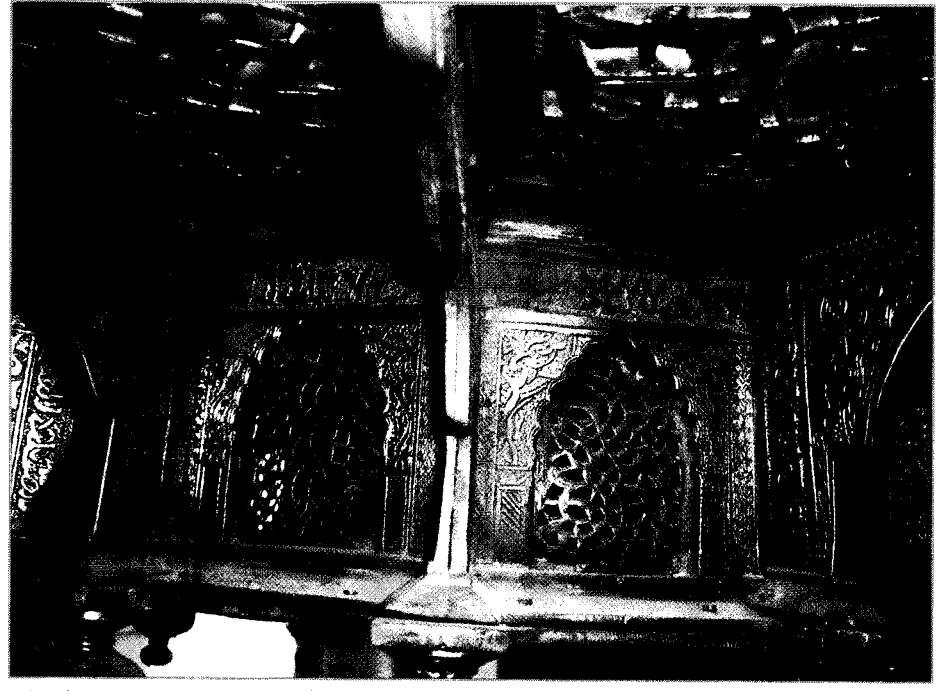
لوحة 81 : نقش مدرسة أبي سعيد بشالة



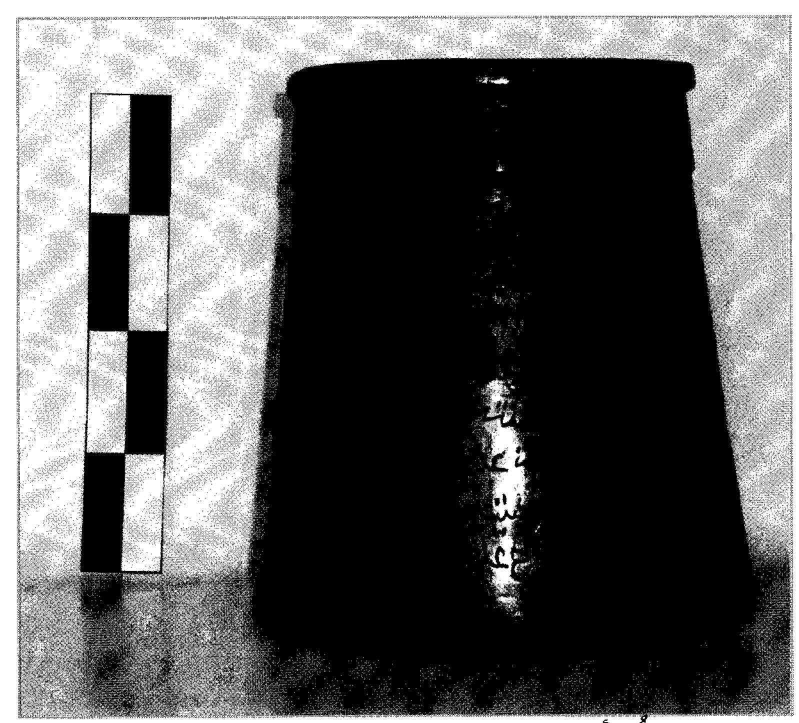
لوحة 82 : الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين



لوحة 83 : تفاصيل صينية الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين



لوحة 84 : تفاصيل كرسي الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين

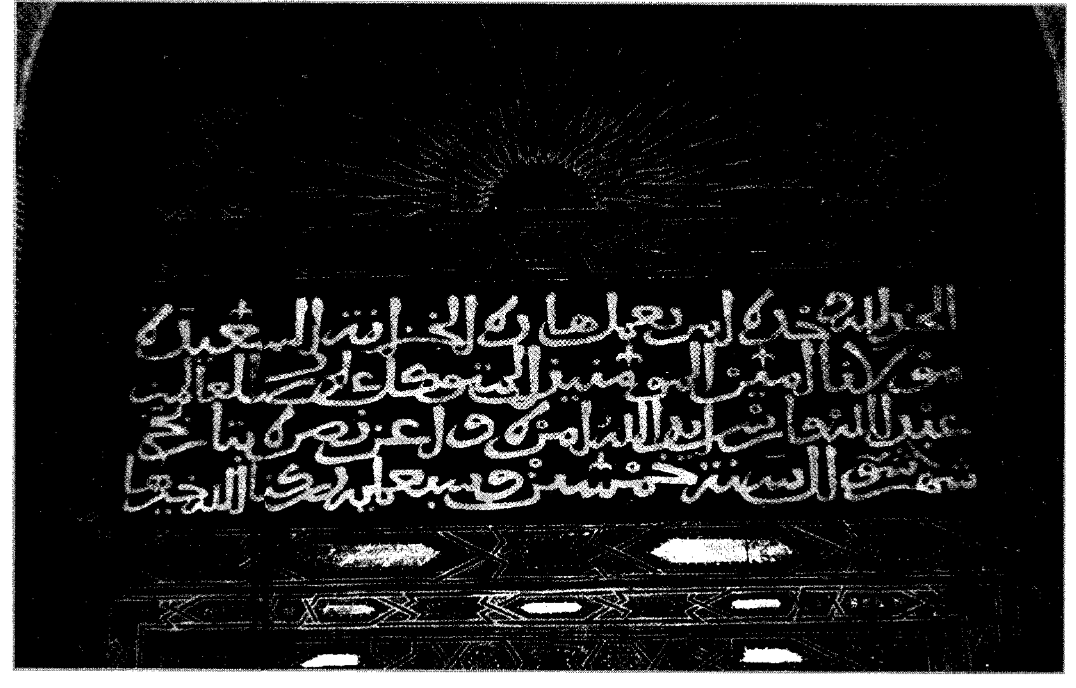


لوحة 85 : مُد أبي الحسن المريني المحفوظ بمتحف البطحاء بفاس

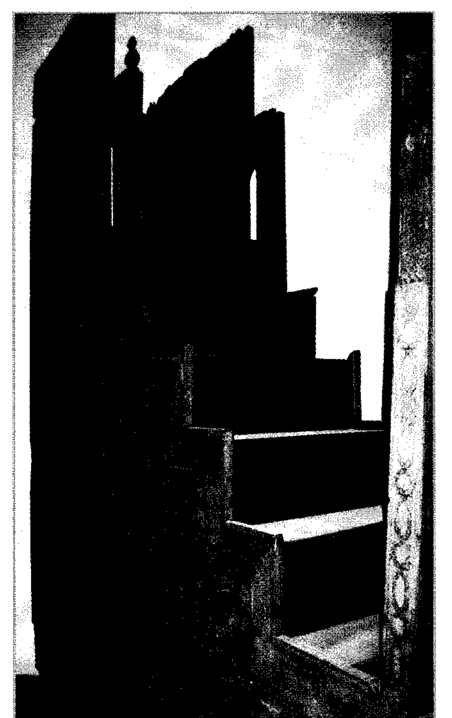


لوحة 86 : نقش الحبوس بالمدرسة المرينية بسلا

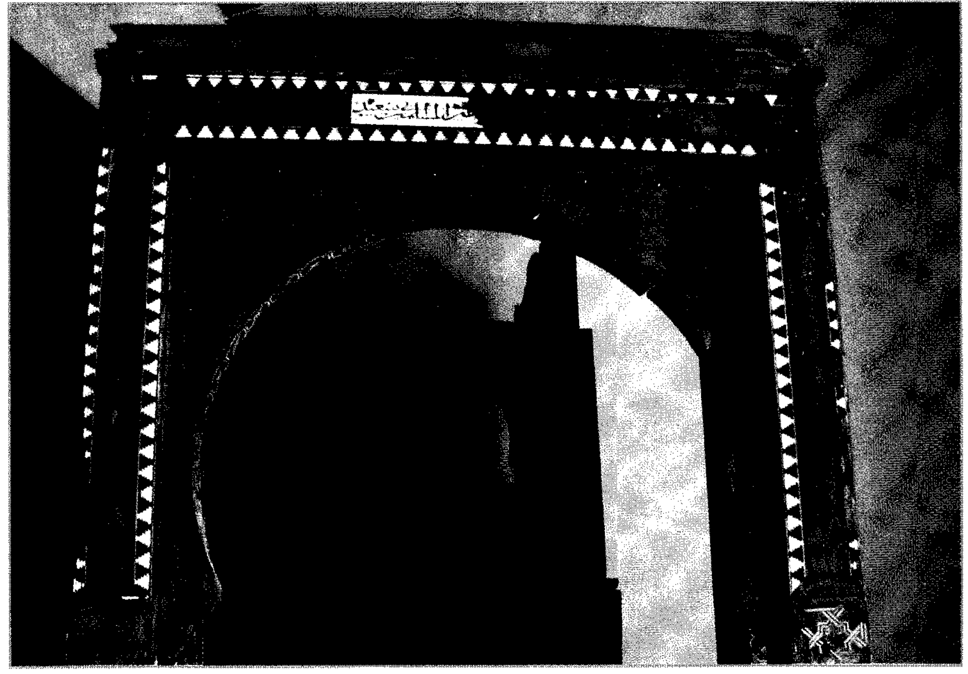
لوحة 87 : النقش الكتابي بضريح أبي الحسن المريني بشالة



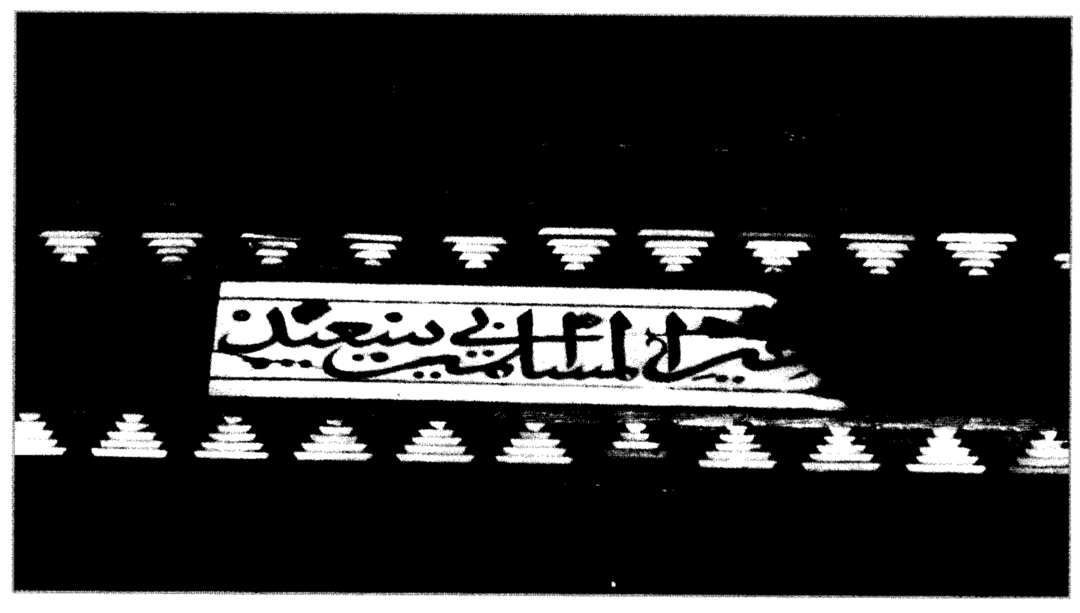
لوحة 88 : نقش تسجيلي على خزانة مكتبة المصاحف بجامع القرويين بفاس

لوحة 89 : منبر المدرسة البوعنانية في فاس

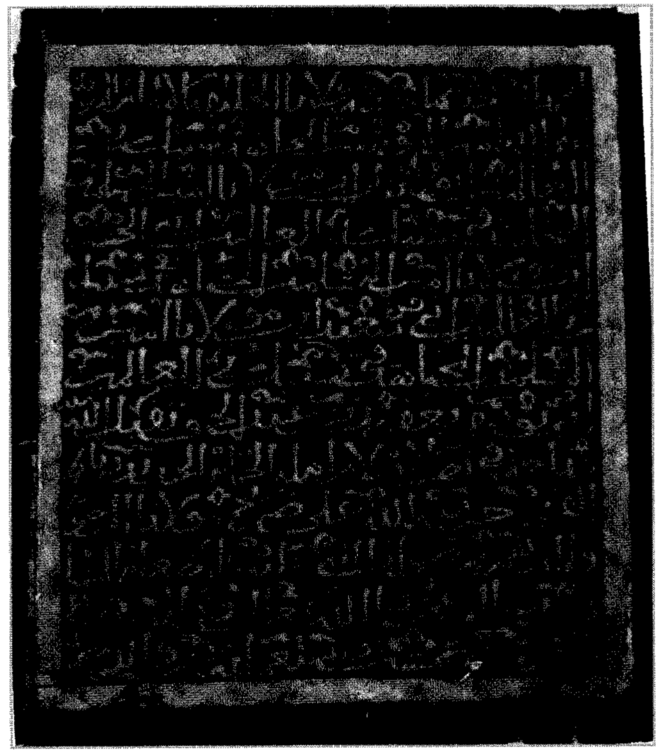


لوحة 90: تفاصيل زخارف مدخل منبر المدرسة البوعنانية في فاس



لوحة 91 : تفاصيل النقش الكتابي الباقي بمدخل منبر المدرسة البوعنانية في فاس

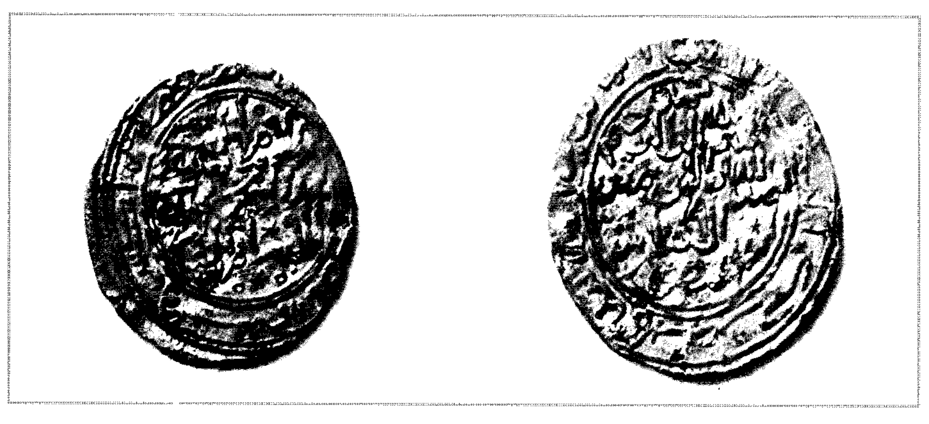
لوحة 92 : الساعة البوعنانية في فاس



لوحة 93: لوحة حبوس الحمام الجديد في مدينة الرباط



لوحة 94 : تفاصيل النقوش الكتابية بواجهة السقاية العزيزية في مدينة الرباط



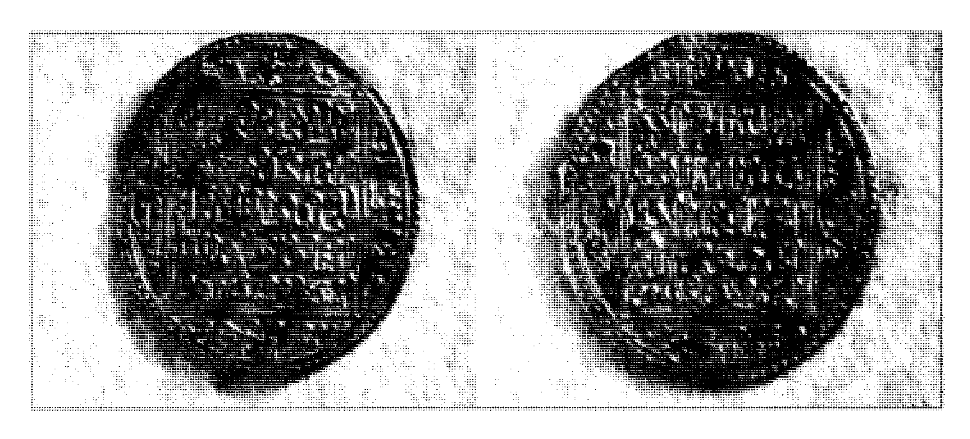
لوحة 95 : رقم السجل 2509 - 2001.7.67



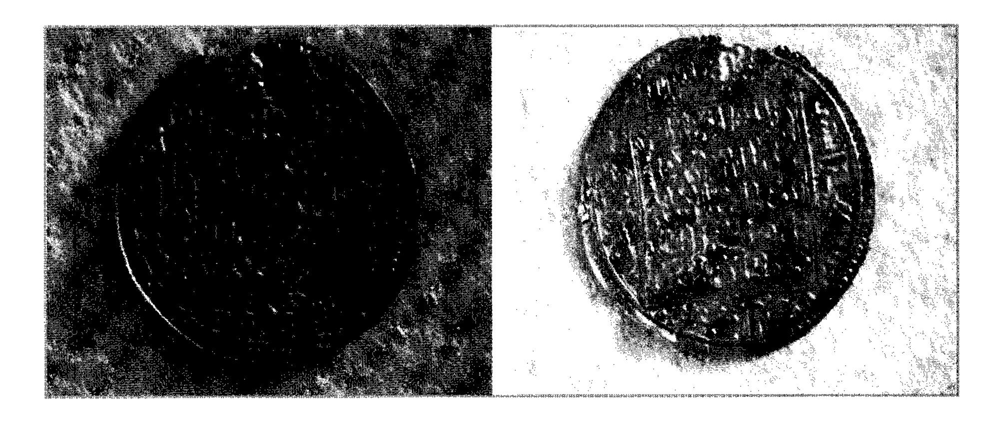
لوحة 96 : رقم السجل 2197 - 2001.7.67



لوحة 97 : رقم السجل 2199 - 2001.7.67



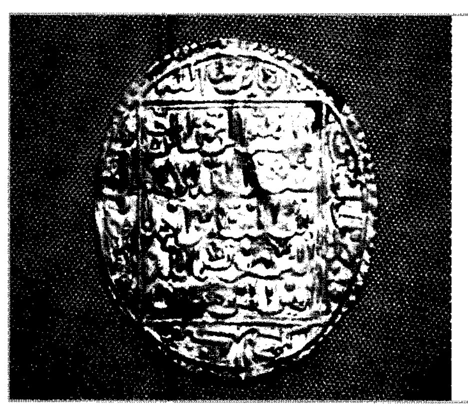
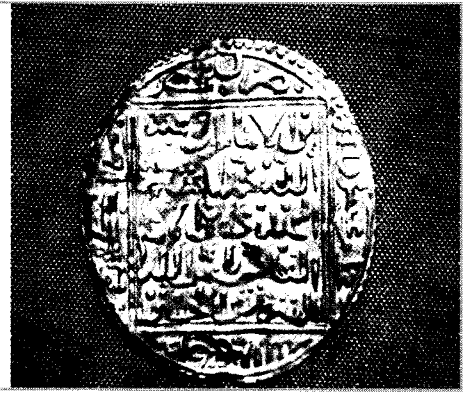
لوحة 98 : رقم السجل 2168 - 2001.7.67



لوحة 99 : رقم السجل 2169 - 2001.7.67



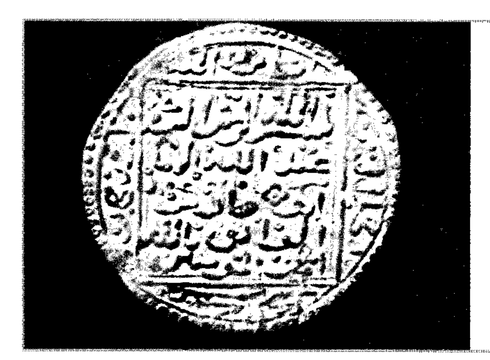
لوحة 100 : رقم السجل 2123 - 2001.7.67

لوحة 101 : رقم السجل 2155 - 2001.7.67



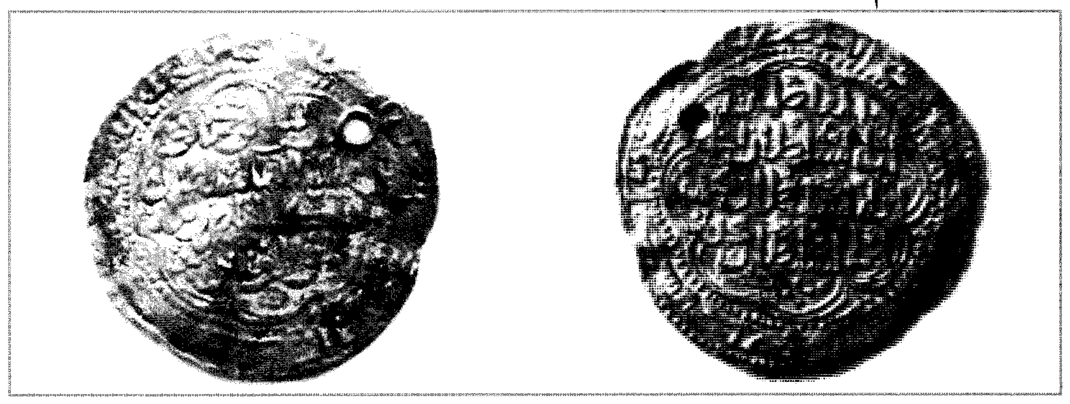

لوحة 102 : رقم السجل 2518 - 2001.7.67



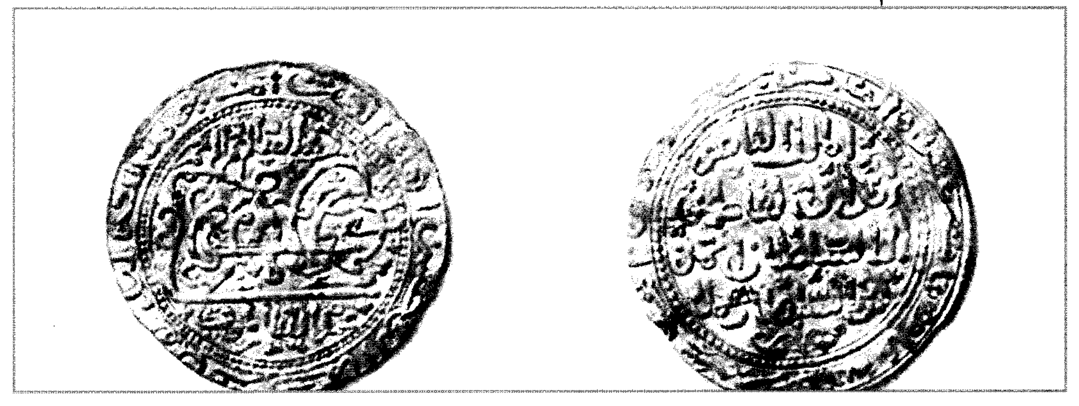

لوحة 103 : دينار باسم أبو فارس عبدالله الواثق بالله رقم السجل 2191 - 2001.7.67



لوحة 104 : دينار باسم أبو الملك الناصر زيدان رقم السجل 2183 - 2001.7.67 مؤرخ في مراكش عام 1015هـ



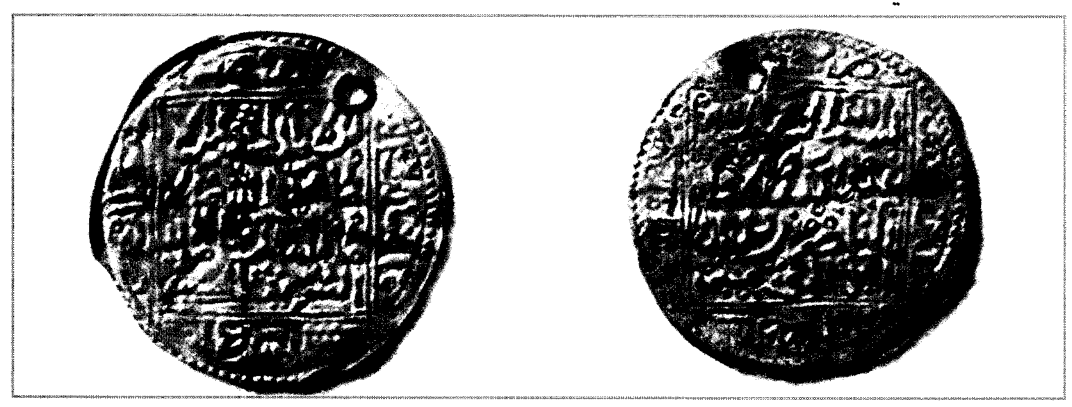
لوحة 105 : دينار باسم أبو الملك الناصر زيدان رقم السجل 2200 - 2001.7.67 مؤرخ في مراكش عام ١٠١٥هـ



لوحة 106 : دينار باسم أبو الملك الناصر زيدان رقم السجل 727 - 2001.7.67 مؤرخ بفاس في 1018هـ



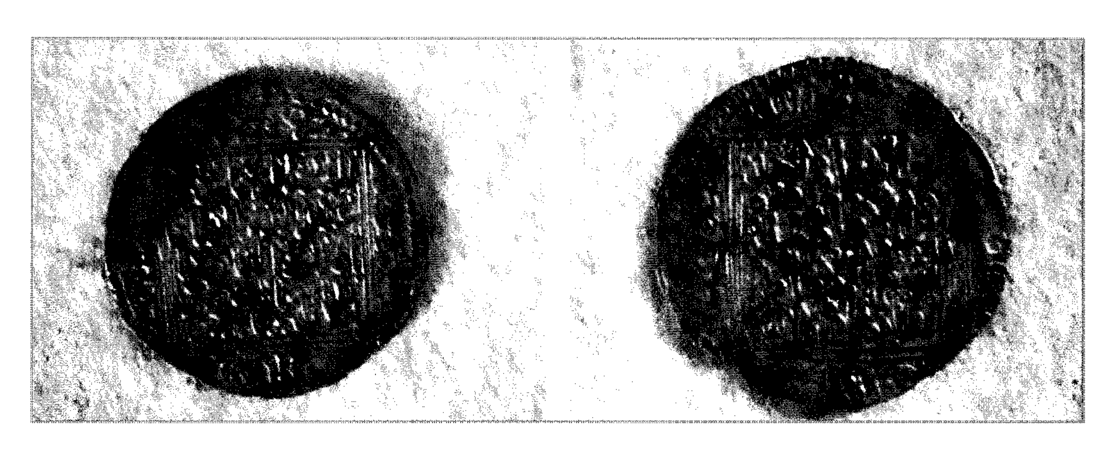
لوحة 107 : دينار باسم أبو الملك الناصر زيدان رقم السجل 2102 - 2001.7.67 مؤرخ في مراكش في 1018هـ



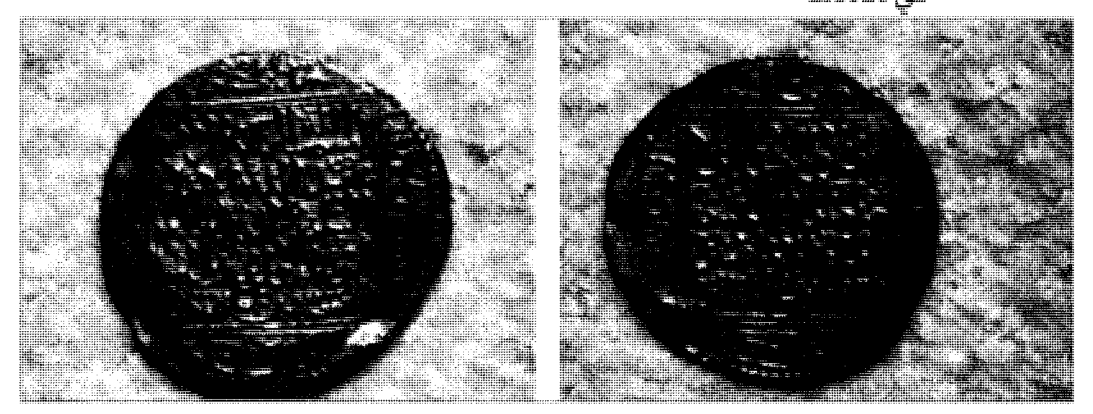
لوحة 108 : دينار باسم الملك الناصر زيدان رقم السجل 2213 - 2001.7.67 مؤرخ بحضرة مراكش في 1018هـ



لوحة 109 : دينار باسم الملك الناصر زيدان رقم السجل 21074 - 2001.7.67 مؤرخ ببلدة لكتاوة في 1018هـ



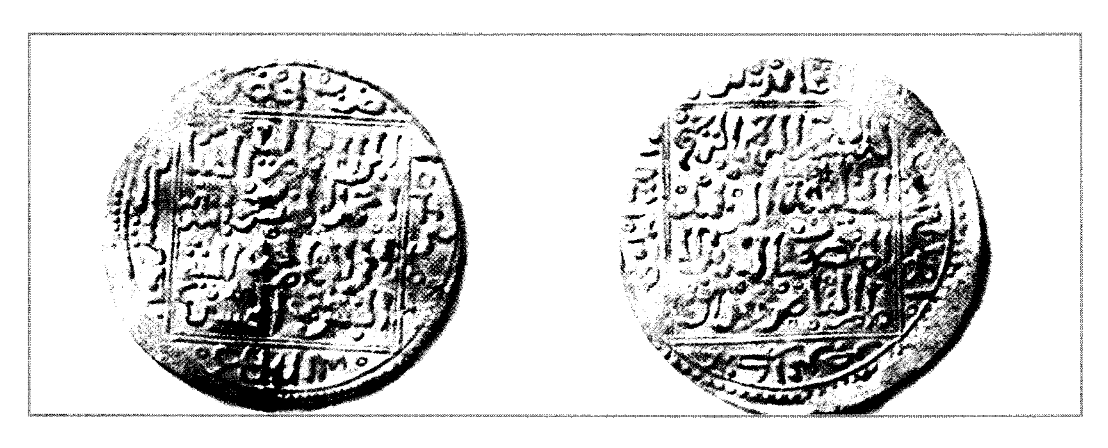
لوحة 110 : دينار باسم الملك الناصر زيدان رقم السجل 2184 - 2001.7.67 مؤرخ بحضرة مراكش في 1020هـ



لوحة 111 : دينار باسم الملك الناصر زيدان رقم السجل 2217 - 2001.7.67 مؤرخ في 1015هـ



لوحة 112 : دينار باسم الملك الناصر زيدان رقم السجل 2186 - 2001.7.67 مؤرخ بمراكش في 1027هـ

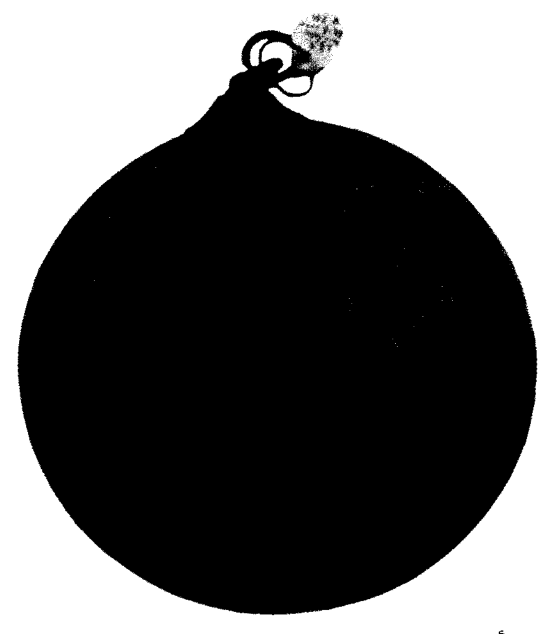


لوحة 113 : دينار باسم الوليد بن الناصر زيدان رقم السجل 2103 - 2001.7.67 ومؤرخ بمراكش في 1042هـ



لوحة 114 : دينار باسم محمد الشيخ بن زيدان رقم السجل 2526 - 2001.7.67 مؤرخ في مراكش في سنة 1045هـ

لوحة 115 : تنوع زخارف الزليج في المدرسة البوعنانية بفاس



لوحة 116: أسطرلاب الصانع محمد بن الفتوح الخميري، مؤرخ في 614هـ/1217م، محفوظ بمتحف البطحاء بفاس